

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم علم الاجتماع والديمقراطية

جامعة الجزائر (2)

تخصص ثقافي

كلية العلوم الاجتماعية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع الثقافي

بعنوان :

الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب دراسة ميدانية بمنطقة تيديكلت (عين صالح)

إشراف

إعداد الطالبة:

الأستاذة الدكتورة: نسيمه محداني

عائشة بلامة

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الاسم واللقب
رئيساً	جامعة الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	أ.د حسين عبد اللاوي
مشرفاً	جامعة الجزائر 2	أستاذة التعليم العالي	أ.د نسيمه محداني
عضواً	المدرسة العليا للعلوم الفلاحية - 1 لحراش	أستاذ التعليم العالي	أ.د علي داودي
عضواً	جامعة الجزائر 2	أستاذ	د. نعيمة عيزل
عضواً	جامعة خميس مليانة	أستاذ	د. سليم مغراني
عضواً	جامعة الجزائر 2	أستاذ	د. محسن عبد النور

2020-2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى كل من رفع كفيه وقال:

((اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً)).

إلى والدتي الغالية التي علمتنا الصبر والعمل، أمدك الله بطول العمر والعفو والعافية
أسأل الله تعالى أن يرزقني رضاك.

إلى روح والدي- رحمه الله وطيب ثراه وجعل مأواه الجنة- خير مستثمر لأبنائه
وبناته، بتضحياته مدى الحياة لتعليمنا وتنويرنا.

إلى زوجي محمود مرزاية، الصابر المشكور، نعم السند.

إلى بناتي الغاليات حفظهم الله، وأسأله أن يرضى عنهم: فردوس وبركة وأمينة
وزينب كوثر.

إلى إخواني وأخواتي الغالين، أدام الله مودتهم: الحاج أحمد، الهاشمي، عبد القادر،
فاطمة، فضيلة، مباركة، وهيبة ونصيرة.

إلى كل الأهل و الأقارب والأنساب والأصدقاء كل واحد باسمه، والزملاء الأعزاء.
إلى كل من يسعى إلى الخير والسلام والعافية.

الشكر والعرفان

(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

يشرفني أن أشكر في المقام الأول المشرفة على الأطروحة الأستاذة الدكتورة مخداني نسيم؛ على دعمها وصبرها وتشجيعها ومثابرتها وحثها وحرصها، لإتمام هذا البحث بعد عناء وجهد جهيد. وأتقدم بخالص التقدير والاحترام إلى كل من مد لنا يد العون، من قريب أو من بعيد، وخالص الشكر لكل مدراء وباحثين وإطارات وعمال المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي كل واحد باسمه.

كل الشكر والتقدير و عرفان للجميل للأستاذ الدكتور قدي عبد المجيد، على الدعم طيلة مشوارنا الدراسي الجامعي، والشكر الخاص للأستاذ الدكتور قلي عبد الله على تحفيزه وتشجيعه لنا، والأستاذة الدكتورة دوزان مليكة رئيس قسم التكنولوجيا الغذائية الزراعية على كل ما قدمته لنا نصائح وتوصيات. الشكر موصول للسيد المحترم الباحث عبدة اسماعيل، والباحثة بن الصديق فضيلة وزميلتي الوفية السيدة خليف كريمة أمينة المكتبة.

كما أتقدم بالشكر الخالص للأستاذة الدكاترة، أعضاء لجنة المناقشة على صبرهم: الأستاذ الدكتور الفاضل حسين عبد اللاوي على مساندته لنا طوال مراحل الدراسة الجامعية، والأستاذ الدكتور المحترم علي داودي، والشكر موصول للدكاترة الكرام: الدكتورة نعيمة عيزل، والدكتور محسن عبد النور، والدكتور مغراني سليم.

شكر وتقدير خاص لروح الفقيد، الأستاذ الدكتور مبروك المصري تغمده الله برحمته الواسعة.

فهرس الموضوعات	
الصفحة	العناوين
أ	مقدمة
الباب الأول الجانب النظري والمنهجي	
2	الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة
3	1. الاشكالية
6	2. الفرضيات
7	3. تحديد المفاهيم
14	4. الدراسات السابقة ومناقشتها
30	5. مقارنة نظرية
43	6. التعريف بميدان البحث
48	2.6. خصائص أفراد العينة
46	3.6. المنهج المتبع
46	4.6. العينة المختارة
47	5.6. التقنية المعتمدة
52	6.6. وصف العينة
65	الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة
69	1. الدواء عند الصينيين القدماء

78	2 . الدواء عند الهنود
85	3. الدواء في بلاد فارس
91	4. الدواء في بلاد ما بين النهرين، الحضارة السومرية، الآشورية والبابلية
97	5.1 الدواء عند المصريون القدماء
101	6.1 الدواء عند الإغريق
107	7.1 الدواء عند الرومان
111	خلاصة الفصل
112	الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر
114	1. الدواء عند العرب: منذ فجر الإسلام، والعهد الأموي والعباسي
130	2. الدواء في عصر النهضة إلى عصرنا الحالي
135	3. العقاقير ومصادرها النباتية
136	4. الدواء والتداوي والنباتات الطبية في الجزائر من المغرب القديم إلى وقتنا الحالي
162	خلاصة الفصل
	الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين
165	1. المعالجون التقليديون والأعراف
171	2. مجالات المعالجين الشعبيين.
189	3. العشاب في المجتمعات العربية
190	4. المعالجين الطبيعيين الأكاديميين ومجالاتهم

206	5. الاثنوبوطانيك
209	6. الإثنوفارماكولوجي
211	7. إرشادات عامة لشراء الأعشاب
212	8. مكانة المعالجين الشعبيين في المجتمع الجزائري
214	خلاصة الفصل
	الفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت
217	1. طبونيمية تيديكلت
220	2. المراحل التاريخية لتيديكلت
223	3. تيديكلت قبل وإبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية
248	4. تيديكلت بعد الاستقلال
249	5. الدراسة الطبيعية لمنطقة تيديكلت
265	خلاصة الفصل
	الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت
268	1. تأثير الإنسان على البيئة الحيوية في تيديكلت
280	2 السكن
281	3. تأثير المتغيرات البيئية على الصحة، الإنسان والبيئة، بين الصحة والمرض
286	4. الأمراض السارية وغير سارية من الأمراض البيئية
292	خلاصة الفصل

الباب الثاني: الدراسة الميدانية	
	الفصل السابع: الأنماط السلوكية الاجتماعية السائدة في المجتمع.
296	1. التعرف على أهم الأمراض التي يعاني منها المبحوثين
298	2. الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
302	3. الأطباق المحلية المقترحة حسب المبحوثين
328	4. الممارسات العلاجية الأخرى
337	5. مقارنة تداوي سكان تيديكلت بين الماضي والحاضر
339	7. لنتائج الجزئية
	الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية
342	1. توجه المبحوثين للاستشارة في حالة المرض
344	2. الخطبة
354	3. مناسبة الزواج
377	4. أعراف بعد الولادة والنباتات الطبية
381	5. البعد الاجتماعي والثقافي للأعشاب في مناسبة الختان
395	6. الحج والعمرة ورمزية التداوي في هاتان المناسبتان
399	7. مظاهر التداوي وعلاقته بالوفاة
407	8. مناسبة المولد النبوي الشريف
409	9. الوصفات العلاجية 'الزيارات' عند مجتمع تيديكلت

410	10. مناسبات أخرى ذكرها المبحوثين
415	11. رأي المبحوثين في التداوي بالأعشاب
416	النتائج الجزئية
	الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت
419	1. توجههم للعلاج في حالة اعتلال صحتهم.
420	2. جنس المبحوثين وعلاقته بمدى تكرارهم لزيارة المعالجين.
421	3. سن المبحوثين وعلاقته باختيارهم لطرق العلاج في حالة اعتلال صحتهم
422	4. الحالة العائلية للمبحوثين وعلاقتها باختيارهم للعلاج في حالة اعتلالهم.
423	5. الحالة العائلية ومدى تكرار زيارة المعالجين.
424	6. مدى استفادة المبحوثين من وصفات المعالجين.
425	7. مدى معرفة المبحوثين بأشهر المعالجين بالمنطقة.
426	8. مدى معرفة المبحوثين بأسماء المعالجين الشعبيين.
428	10. التعرف على المعالجين.
430	11. معالجي منطقة تيديكلت وأهم طرق التداوي المتداولة
449	12. الطب الشعبي والممارسين الصحيين الشعبيين من منظور منظمة الصحة العالمية
451	النتائج الجزئية
453	الاستنتاج العام والخاتمة العامة
456	الخاتمة

458	قائمة المراجع
480	الملاحق

مقدمة

يلقى موضوع التداوي بالأعشاب في عصرنا الحالي اهتمام ملفت للانتباه، بلغ مداه المنظمات والهيئات العالمية كمنظمة الصحة العالمية، وكذا الجامعات. وكان نتيجة هذا الاهتمام بالتداوي، التدهور الصحي للإنسان منذ أن بدأت عجلت التقدم والتحضر في التسارع، إن لم نقل منذ اندلاع الثورة الصناعية وما نتج عنها من آثار إيجابية وسلبية، وما تبعها من تحولات سياسية اقتصادية اجتماعية، لاسيما فيما يتعلق بالصحة، أين برزت نتائج هذه الثورة لصناعية وتأثيراتها على صحة الانسان على المدى الطويل، من (أمراض مزمنة ومستعصية، سرطانات، انفجار عالمي للبدانة، سكري، سوء التغذية، أمراض بيئية ناتجة عن التلوث، أمراض نفسية، وغيرها من أمراض العصر، خاصة تلك التي تزامن ظهورها مع الثورة الصناعية وما حملته في طياتها من إيجابيات وسلبيات.

كان لضريبة التقدم والتحضر، معانات الإنسان من مختلف هذه الأمراض، وكانت جهوده حثيثة للتقليل من آلامه ومعاناته. وقد اعتبر الطبيعة، المختبر المفتوح لتجريب مختلف الأدوية، بداية من ملاحظاته في كيفية تدبر بعض الحيوانات لمعالجة أمراضها باستعمال الأعشاب، إلى غاية التطور الذي شهدته الصناعة الدوائية وتصنيع الدواء الكيميائي الذي حمل هو الآخر في طياته آثار جانبية أدى هو الآخر، إلى العودة للطبيعية.

كانت هذه العودة، سبيلا لكثيراً من الباحثين عن السلامة الصحية. فكان التداوي بالأعشاب القديم الحديث بأنواعه وطرقهم، مواضيع الساعة ومحور انجذاب للكثير من البحوث، كونه يمثل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية، وشكلا من أشكال أنماطها السلوكية. ومن هذا المنطلق، عكف الكثيرين على دراسة تراث الشعوب الأصلية في مجال التداوي بالأعشاب لمعرفة أهميتها وفعاليتها في حياتهم. ومن ضمن التخصصات التي كان لها اهتمام خاص بمجال الأعشاب واستعمالاتها في المجمعات البدائية مع الاهتمام بالجانب الاجتماعي والثقافي، هي تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وكذا علم النفس.

بفضل الاطلاع المكثف لهذا الموضوع، تم رصد العديد من الدراسات والبحوث بمختلف المجتمعات في العالم المتعلقة بالتداوي بالأعشاب. لعل من أبرزها دراسات منظمة الصحة العالمية التي بينت أن "الأفراد يختارون الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي لأسباب متعددة، بما في ذلك تزايد الطلب على كافة الخدمات الصحية؛ ورغبة الحصول على مزيد من المعلومات التي تؤدي إلى زيادة الوعي

بالخيارات المتاحة؛ وتزايد الاستياء من خدمات الرعاية الصحية القائمة؛ والاهتمام الجارف بـ «الرعاية الشمولية»؛ والوقاية من الأمراض التي يغلب أن يتم ربطها بالطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي. إضافة إلى ذلك فإن الطب التقليدي (الشعبي) والشمولي يُقر بالحاجة إلى التركيز على نوعية الحياة عندما يتعذر الشفاء"¹

كما أفردت المنظمة العربية للتنمية الزراعية، بحوث خاصة بإحصاء وتقييم النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي منذ الثمانينات.* نظراً لباعها الطويل في هذا الميدان، حيث أن البلدان العربية تميزت بظاهرة التداوي بالأعشاب فهي من الظواهر الشائعة التي يذخر بها التراث العربي، والتي تحفظ جيلاً بعد جيل. وكان الاهتمام بالتراث العلمي العربي الإسلامي بما فيه النباتات الطبية، من اهتمامات دولة الكويت منذ السبعينيات.

باعتبار الجزائر بلد عربياً أمازيغياً، لا يختلف عن غيره من البلدان التي تغدق بثقافة واسعة في هذا المجال، لا سيما المناطق المعزولة والنائية، التي جعلت منها الظروف البيئية القاسية والصعبة، تحافظ على عادات وأعراف وتقاليد التداوي بالأعشاب، ولعل المناطق الصحراوية الواقعة في الصحراء الكبرى، لخير مثال على ذلك.

بناء على ما سبق، وقع اختيارنا على إحدى هذه المناطق الصحراوية التي تقع في قلب الصحراء الجزائرية وهي منطقة تيديكلت (عين صالح) وأجرينا هذه الدراسة وما تتضمنه ظاهرة التداوي بالأعشاب من صور وأشكال مختلفة، من خلال بعدين هما البعد الاجتماعي والبعد الثقافي لهذه الظاهرة، كمحولة للكشف عن واقع الظاهرة بهذا المجتمع الصحراوي، نناول مثل هذه المواضيع من منظور اجتماعي، يساهم في الكشف عن الدوافع الحقيقية لتداول أفراد المجتمع التداوي بالأعشاب.

جاء اختياري لموضوع البحث المتعلق بدراسة التداوي بالأعشاب، بأبعاده الاجتماعية والثقافية، رغبة مني في تعزيز مجالات البحث الاجتماعي والدراسات السوسولوجية؛ وإثراء للمعرفة العلمية خاصة في مجال الطب الشعبي المعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية من جهة، ومن جهة أخرى، كانت دراستنا في الماجستير تناولت موضوع الصحة، الثقافة والأعشاب في منطقة توات (أدرار)، من الجهة الغربية للإقليم الصحراوي، مما زاد في رغبتنا لدراسة الناحية الشرقية لهذا الإقليم وهو منطقة تيديكلت واختياره كموضوع لأطروحة الدكتوراه. مما يساهم في التوسع والتعمق بدراسة هذه المنطقة

¹ منظمة الصحة العالمية، استراتيجيات منظمة الصحة العالمية 2014-2024 سنة 2014، ص 28.
* المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مشروع دراسة تطوير تصنيع وتسويق منتجات النباتات الطبية والعطرية، 2010، قامت الباحثة بإعداد دراسة حول الجزائر، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي.

التي لها امتداد تاريخي وجغرافي ثقافي واجتماعي، والتي تعد إحدى مقطعات إقليم توات التاريخية فيما مضى.

فمنظراً لحدثة الموضوع الذي يندرج ضمن إطار علم الاجتماع الثقافي وكذا الأنثروبولوجيا الطبية أو الأجدى الأنثروبولوجيا العلاجية، لأن الموضوع لم يسبق وأن درس من قبل بهذا المنظور من طرف الباحثين المتخصصين في مجال علم الاجتماع وذلك ما حفزنا أكثر لدراسته من هذا الجانب.

الهدف من هذه الدراسة، هو إبراز الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب من منظور اجتماعي أنثروبولوجي مستمد من واقع مجتمع صحراوي تنتمي إليه الباحثة، وهو يشمل نوعين من العلوم، علوم تتعلق بالأعشاب التي نستعمل في مجال التداوي والعلاج تميل كثيراً الى العلوم النباتية والصيدلانية؛ وعلوم تتعلق بالمجتمع كعلم الاجتماع الذي يهتم بدراسة الفلكلور الشعبي ومجاله الأنثروبولوجيا.

وقد تم تقسيم البحث إلى تسعة فصول، الفصل الأول ويتمحور حول الجانب المنهجي للدراسة؛ الاشكالية؛ الفرضيات؛ تحديد المفاهيم وكذا مناهج وتقنيات البحث، ثم الدراسات السابقة؛ والمقاربة السوسولوجية وكذا مقارنة الأنثروبولوجية الطبية، لما تتضمنه من دراسات الإثنوبونيك والاثنوفارماكولوجي والتي لها علاقة بموضوع التداوي على الخصوص. أما الفصل الثاني التداوي بالأعشاب عبر مختلف الحضارات القديمة وقد أفردنا بحث خاص بالدواء في الجزائر. أما الفصل الثالث، فخصص للدراسة سوسيو تاريخية للدواء: عند العرب، من فجر الإسلام والعهد الأموي والعباسي؛ وكذا في عصر النهضة، بالإضافة للدواء في الجزائر، منذ حقبة المغرب القديم إلى عصرنا الحالي. أما الفصل الرابع، فخصص لدراسة سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين. بينما الفصل الرابع تناولنا فيه دراسة شاملة لمنطقة الدراسة البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت. وتضمن الفصل الخامس، الدراسة الطبيعية لمنطقة تيديكلت. وأفردنا الفصل السادس، لدراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت.

أما الباب الثاني: الدراسة الميدانية الجانب الميداني للبحث الفصل السابع: التعريف بميدان العينة وخصائصها تحديد وضبط العينة خصائص العينة وخصص لتحليل وتفسير الفرضية الأولى من خلال متغيرات: التداوي الأعشاب والأنماط السلوكية الاجتماعية السائدة في المجتمع مع النتائج الجزئية لها. أما الفصل الثامن فهو تحليل وتفسير الفرضية الثانية، من خلال متغيرات ممارسة التداوي بالأعشاب

وكيف يعيد أفراد مجتمع نيديكلت انتاج الوصفات الشعبية، ومدى استفادة المبحوثين من وصفات المعالجين ثم النتائج الجزئية. أما الفصل التاسع، فهو خاص بوصف وتفسير متغيرات دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين وعلاقتهم بالمبحوثين، وبعض وصفات المعالجين، والنتائج جزئية والاستنتاج العام ثم الخاتمة والملاحق الخاصة بالدراسة.

الباب الأول الجانب النظري والمنهجي

الفصل الأول:

الجانب المنهجي للدراسة

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

1. الإشكالية

لوحظ في هذه السنوات الأخيرة، اهتمام بالطب البديل أو الطب التكميلي، والذي يتضمن خاصة التداوي بالنباتات الطبية والنباتات العطرية. يدير هذا المجال: معالجين بالأعشاب وكذا مختصين في الطب الرسمي أو في علم الصيدلة أو البيولوجيا وغيرهم-لا توجد إحصائيات رسمية لهذه الممارسة- كما شهدت هذه الظاهرة اهتمام أكاديمي وذلك منذ السبعينات تمثل في تنظيم العديد من المؤتمرات* والملتقيات والندوات العلمية، الوطنية والدولية، حول النباتات الطبية والعطرية في الجزائر، على مستوى المعاهد والجامعات الوطنية.

كان من أبرز شعارات التظاهرات العلمية، هي الدعوة للحفاظ على الموروث الطبيعي النباتي المتعدد والمتنوع، ومحاولة التعرف عليه ودراسته وحمايته وكذا الحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي له، لما يحمله من أبعاد اجتماعية وثقافية. تمحورت جل أهداف الدراسات العلمية على التعرف على مختلف الممارسات العلاجية وبصفة علمية تخضع للبحث التجريبي.

كما دعمت هذه الظاهرة، بوسائل التكنولوجيات الحديثة السمعية منها والبصرية، من أبرزها التلفاز والمذياع أين تخصص قنوات وبرامج مختصة في مجال التداوي بالأعشاب على مدار الساعة. كما ساهمت الشبكة العنكبوتية بمواقعها الالكترونية، في تفاعل الأفراد مع هذه الوسائل الحديثة، وشجعت على تداول المعلومات المتاحة فيما بينهم. فقد جلب ذلك الكثيرين من المستمعين والمشاهدين المهتمين، بما يُتداول في هذا الإطار، لغاية من الغايات، كالبحث عن سبل الصحة السليمة، الوقاية من الأمراض، مساعدة قريب أو صديق أو مريض كيفما كانت ظروفه أو للاستطلاع والاكتشاف.

التداوي بالأعشاب في المجتمع الجزائري ليس وليد العصر الحالي، بل كانت الممارسة قديمة كقدم الإنسان على الأرض. وبحكم التجارب التي عاشها الإنسان في الجزائر بمختلف البيئات السائدة التلية والجبلية، السهبية والصحراوية. شكلت له مختبراً مفتوحاً لمختلف تجاربه الغذائية والدوائية. وبفضل

* شاركت الباحثة بمداخلة في أعمال:

المؤتمر الاقليمي والمعرض العلمي للنباتات الطبية والعطرية والسامة من تنظيم جامعة صنعاء تحت شعار /نحو تنمية واستثمار الموارد النباتية / بمشاركة 40 باحثاً وباحثة من عدد من الدول العربية والاجنبية. في صنعاء 28 ربيع الأول 1428 هـ الموافق 16 ابريل 2007 مارس.

Communication oral au : 1er Colloque euro-méditerranéen en biologie végétale et environnement; 28, 29 et 30 Novembre 2005 ; l'Université d'Annaba (Faculté des sciences, département de biologie); THEME III: PLANTES MEDICINALES.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الخطأ والصواب، النجاح والفشل، تكونت معارف ومعتقدات حول كل ما يمثل شخصية الفرد في مجال الصحة والمرض الدواء والعلاج.

انتقلت هذه المعارف بطرق وكيفيات مختلفة من جيل إلى جيل، لتحفظ في إطار ثقافي له مجاله وأبعاده الاجتماعية والثقافية كما ورد في "العبارة الأنثروبولوجية الدارجة عن الثقافة بصفتها لحظه ما بعد الطبيعة، أي لحظة التاريخ الذي يبدأ مع انتقال فعالية الإنسان على بناء النظام الاجتماعي على أنقاض النظام الطبيعي."¹

وبالموازاة مع العلوم الطبية الأكاديمية، سعت الجزائر منذ الاستقلال لترقية صحة المواطن، وبحسب ما جاء في الدستور المادة 66 (التعديل الدستوري المؤرخ في 6 مارس سنة 2016): "الرعاية الصحية حق للمواطنين. تتكفل الدولة بالوقاية من الأمراض البوائية والمعدية وبمكافحتها. نسهر الدولة على توفير شروط العلاج للأشخاص المعوزين."² بالرغم من هذا السعي، تبقى التغطية الصحية غير كافية.

فرغم التكنولوجيات الحديثة التي عرفها القطاع الصحي بالوطن بينيته التحتية في هذا المجال، إلا أن التوازن في مجال التغطية الصحية بين الشمال والجنوب الجزائري لم يبلغ المستوى الكافي من هذه التغطية بالرغم من إعادة هيكلة المنظومة الصحية على مستوى التراب الوطني، حيث يشهد النظام الصحي بصفة عامة "عدة مشاكل تنظيمية وتسييرية تخص الهياكل والمؤسسات الصحية بكل أنواعها، مما أثر سلبا على السير العام لهذه المؤسسات."³

وقد خصصت الدولة الجزائرية ميزانية مرتفعة لقطاع الصحة، "إلا أنه لم يحقق كل أهدافها الرامية إلى تحسين الرعاية الصحية، وما زال هذا القطاع منهاراً. فالجزائر تعاني من سوء توزيع المؤسسات الصحية عبر كامل التراب الوطني، خاصة إذا علمنا أن معظم المؤسسات الصحية الخاصة موجودة في المدن الكبرى والشمالية منها مما يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في السياسة الصحية المنتهجة."⁴

ظل سكان الجنوب منظمون على نظام علاجي ورثوه منذ القدم، ممارسونه بطريقة محترفة وعادية، يركز على الطب الشعبي بما فيه التداوي بالأعشاب. فقد اعتاد أفراد هذا المجتمع على استعمال ما جادت به الطبيعة من أعشاب ومعان وحيوانات، للتخفيف من آلامهم ومعاناتهم، وخاصة في

¹نسبمة مخداني، "إشكالية الثقافة"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 9 سنة 2008 ص ص180.

²رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2016، ص9.

³دريسي أسماء، تطور الإنفاق الصحي في الجزائر ومدى فعاليته في إطار إصلاح المنظومة الصحية خلال الفترة (2004-2013)، المجلة الجزائرية للعلوم والسياسات الاقتصادية، الجزائر، ص ص137-154، 2015. ص 152.

⁴نفس المرجع، ص 137.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الظروف الصعبة التي كعدم القدرة للتنقل للعلاج وتكاليف السفر، وغلاء الأدوية. خاصة أصحاب الأمراض المستعصية الذين لم يحقق لهم لعلاج الأكاديمي حل لمشكلاتهم الصحية، لصعوبة توفير أو تحقيق نظام صحي عملي. كما أن نقص الإمكانيات الصحية بالجنوب من بين الأمور التي جعلت سكان المناطق الصحراوية يتمسكون أكثر بالطب الشعبي.

فرغبة منا لدراسة موضوع التداوي بالأعشاب بمنطقة صحراوية، وقع اختيارنا على منطقة تديكلت الواقعة بالجنوب الجزائري والتي تميز سكانها بهذه الظاهرة مستعينين بالوصفات المتوارثة والمعتمدة في أساسها على التداوي بالأعشاب ضد الأمراض المختلفة، سواء الناتجة عن ظروف البيئة الصحراوية وظروفها القاسية أو الأمراض المستعصية كالسرطان والعقم وغيرها.

يرز هذا البحث الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب بها، ويجعلنا نطرح التساؤل التالي:

1. ما هي الأنماط السلوكية السائدة في مجتمع تديكلت التي تتعلق بالتداوي بالأعشاب؟

2. ماهي الأبعاد الاجتماعية والثقافية لممارسة التداوي بالأعشاب وكيف يعيد أفراد هذا

المجتمع(تديكلت) إنتاج الوصفات الشعبية؟

3. ما مدى تأثير المبحوثين بالمعالجين الشعبيين في مجال التداوي بمجتمع تديكلت؟

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

2. الفرضيات

1.2 الفرضية الأولى:

-التداوي بالأعشاب سلوك إنساني، يتأثر بالأنماط السلوكية الاجتماعية السائدة في مجتمع تيديكلت.

2.2 الفرضية الثانية:

يمارس أفراد مجتمع تيديكلت التداوي بالأعشاب من خلال إعادة الوصفات العلاجية الشعبية التي لها أبعاداً اجتماعية وثقافية عديدة

3.2 الفرضية الثالثة:

يتأثر المبحوثين بالمعالجين الشعبيين وبوصفاتهم في مجتمع تيديكلت.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

3. تحديد المفاهيم

3. 1 الثقافة:

يُعد مفهوم الثقافة من المفاهيم المحورية في علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا الثقافية، ويشكل مفهوم الثقافة أحد الأفكار الكبرى، التي ساعدت البشرية على إنجاز الكثير من التقدم العلمي والتطور الفكري؛ فالثقافة مفهوم يتميز بأنه ذا طبيعة تراكمية ومستمرة. فهي ليست وليدة عقد أو عدة عقود، بل هي ميراث اجتماعي لكافة منجزات البشرية.

أصل كلمة ثقافة Culture مشتق من الفعل اللاتيني Colere وتعني الزراعة. وأصبحت الكلمة تستخدم لتعبر عن زراعة الأفكار والقيم. "فقد طبقت الكلمة ولا تزال على حقائق بالغة التنوع (فلاحة الأرض، الإكثار الجرثومي، تربية الأبدان، ...) وبمعان بائنة الاختلاف، إلى الحد الذي لم يعد فيه بالإمكان هنا، تتبع تاريخها كاملاً".¹

التعريف الإثنولوجي للثقافة حسب تايلور: فإن "ثقافة" أو "حضارة"، بمعناها الإثنولوجي، "هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع".² وبما أن كل ثقافة تشكل نسقاً مترابط العناصر، فمن غير الوارد دراستها منفصلة: ففي كل ثقافة حسب (مالبنوفسكي) تؤدي كل عادة وكل شيء وكل فكرة وكل معتقد، وظيفه حيوية ما وتضطلع بمهمة ما وتمثل جزءاً من الكلية العضوية غير قابل للتعويض".³

بالنسبة لبوا فإن "كل ثقافة تمثل كلية متفردة، وكان كل جهده منصباً على البحث فيما يصنع وحدتها، وهذا هو ما أتى اعتماده، لا بوصف الظواهر الثقافية وحسب، بل بفهمها، وذلك بوصفها بالكل الذي به ترتبط. إنه لا يتيسر تفسير عادة معينة ما لم تتم إحالتها إلى سياقها الثقافي. ويتعلق الأمر أيضاً بفهم الكيفية التي بها تكون التوليف الأصلي الذي تمثله كل ثقافة وما يصنع تجانسها. كان بوا يرى أن مهمة الاثنولوجيا هي أيضاً تبين الصلة الرابطة بين الفرد وثقافته".⁴

¹ دنييس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر. منير السعداني، ط. 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007، ص 16.

² نفس المرجع، ص 31.

³ نفس المرجع، ص 58.

⁴ نفس المرجع، ص 38، 39، 40.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

والثقافة في تعريف بسيط "هي جماع القيم المادية واللامادية التي يخلقها الإنسان في سياق تطوره الاجتماعي وتجربته التاريخية، وهي تعبر عن مستوى التقدم التكنيكي والإنتاج والتعليم والعلم والأدب والفن الذي وصل إليه المجتمع في مرحلة معينة من مراحل نموه الاجتماعي والاقتصادي. وبجملته موجزة هي إنجازات الإنسان التي يعبر بها من خلال حياته وطرائقه في التفكير والسلوك والعمل، والتي تأتي نتاجاً لتفاعلها مع الطبيعة ومع غيره من البشر."¹

كما يمكن تعريف الثقافة بأنها: "فعل تفاعل يترجم إدراك الإنسان بكافة تجلياته الفطرية والتركيبية، ويوجد المرء في الثقافة خاصة الشعبية منها، نماذج جاهزة تحوز على صدقية كبيرة في بيئته ووسطه، يعتمد إلى تبنيها بشكل تلقائي كونها شائعة ومعمة."²

التعريف الإجرائي للثقافة هي مجموعة التراكمات من الأفعال والسلوكيات التي خلفتها البشرية واستمر تداولها جيلاً بعد جيل في مجالها الاجتماعية.

3. 2 الثقافة الشعبية:

بالنسبة لمفهوم الثقافة الشعبية فقد عرف "في بداياته، بعض الغموض الدلالي نظراً لتعدد معانيه، فالباحثون الذين لجأوا إلى هذه العبارة لا يعطون التعريف نفسه لكلمتي 'الثقافة' و'الشعبية'، مما يجعل النقاش أمراً صعباً بينهم."³

ولتحديد مجال الثقافة، اقتصر بعض العلماء والفلاسفة الاجتماعيين "على الأفكار والتصورات المجردة، على أساس أن كلمة الثقافة ذاتها توحى بذلك ولكن هذا الرأي لا يجد على العموم ترحيباً من معظم العلماء الذين أتاحت لهم فرصة القيام بالدراسات الحقلية والاتصال عن كثب بالثقافات التقليدية، بحيث أمكنهم أن يلمسوا ملامح الثقافة والسمات الثقافية المختلفة في تداخلها وتفاعلها، وأدركوا بالتالي أن من الصعوبة بمكان، بل ومن العبث فصل مظاهر السلوك العادية والمشخصة والملموسة عن الأفكار والتصورات والقيم التي تختفي وراء هذا السلوك."⁴

¹نسبمة مخداني، إشكالية الثقافة، مرجع سابق، ص ص 181-182

² عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ط. 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 28.

³ نسبمة مخداني، الطلبة الجامعة الثقافة العالمية والثقافة الشعبية دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية، 2006-2007، ص 52.

⁴نسبمة مخداني، إشكالية الثقافة، مرجع سابق، ص 180-

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

التعريف الإجرائي: الثقافة الشعبية هي تلك الممارسات التي يتداولها الأفراد جيلاً بعد جيل في اتخاذ تدابير وسلوكيات في الحياة من خلال استعمال الأعشاب والنباتات اعتباراً من المحيط الذي يعيشون فيه.

3.3 التداوي بالأعشاب

التداوي بالأعشاب هو طريقة للاستفادة من "الخصائص الطبية في النبات، باستخدام النباتات على شكل مستحضرات (غالنوسية) للعناية بالأمراض أو الوقاية منها. تضع المستحضرات الغالينوسية في تصرف الجسم مجموعات معقدة من العناصر الفعالة، دون أن تعلم بدقة دائماً، ماهي الجزئيات التي تستخرج من النبتة أو من مجموع النبات."¹

تعتبر المحلولات من أبرز المستخلصات (المنقوعات، المغليات، المنقوعات بالكحول أو بمواد أخرى غير الماء)، لكن يمكن استخدام أشكال أخرى من السوائل (أصباغ، مغولات، غولات، موهات)، كما تستخدم مساحيق يتم الحصول عليها بواسطة السحق أو التبريد أو الروش أو بطرق أخرى (تستعمل في أكثر من الأحيان البرشمتات أو الأقراص) معلقات متكاملة من النباتات الطازجة (SIPF) مستحلبات موحدة المعايير لنبتة طازجة (EPS) أشربة، تحاميل إلخ."²

التعريف الإجرائي: اتخاذ الأفراد الأعشاب للتداوي للوقاية أو العلاج من الأمراض والأوبئة من منظور ثقافي حفظ بالتجريب والخبرة عن الأسلاف.

3.4 الطب التقليدي

يستخدم مصطلح "الطب التقليدي" médecine traditionnelle عادة في صيغة المفرد -حسب اللغة الأجنبية- للتعبير عن وسائل الراحة. ومع ذلك، يشير المصطلح، إلى مجموعة من الممارسات، كمثيلتها في الطب الحيوي، والتي بواسطة تسليط الضوء على الخصائص الفريدة والعالمية بها، تم إعادة تفسيرها وتكييفها مع المجتمع المحلي وخاصةً مع الوسائل المتاحة للممارسة."³

¹ أجيراردوبوين وفرنسوا كويلان، لاروس النباتات الطبية العلاجية، تر. ميسر عبد العال وأنطوان الهاشم، دار العزة والكرامة، عويدات، بيروت لبنان، 2012. الأردن، ص 7.
² نفس المرجع، ص 7.

³ Pierrine Didier, Valorisation de la médecine traditionnelle à Madagascar : place des tradipraticiens dans les recherches et formations sur les plantes médicinales, Presses de Sciences Po | « Autrepart » 2017/1 N° 81 | pages 159 à 172 ISSN 1278-3986 ISBN 9782724635348 Article disponible en ligne à l'adresse: <https://www.cairn.info/revue-autrepart-2017-1-page-159.htm>

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

هذه الممارسات والاستخدامات التقليدية خاصة ذات الأصل النباتي "تساهم بشكل كبير في الأدلة/البراهين المتاحة عن النبات الصيدلاني phytopharmacy وقيمة استخداماتها الكبيرة التي ذكرت، والتي من الممكن أن تكون قد أكدتها البحوث الأخيرة. في المقابل، يبدو من المعقول استخدام المعرفة التاريخية كنقطة انطلاق، لبحوث مستحضرات دوائية نباتية phytopharmaceutical بدلاً من فحص المواد النباتية بشكل عشوائي. لا يمكن العثور على المعلومات ذات الصلة فقط في الأعشاب القديمة أو الأقرباذين/ دساتير الأدوية، ولكن أيضا في المنشورات واليوميات وخطابات/رسائل المتعلق بعلم النبات/ نباتي botanical أو الأنثروبولوجين المستكشفين."¹

التعريف الإجرائي للطب التقليدي: هو طرق المعالجة المختلفة التي يتخذها أفراد المجتمع عن طريق الأعشاب والمعادن وغيرها، والتي تركز على ما ورثه الخلف عن السلف.

3. 5 البعد الاجتماعي:

البُعدُ في اللغة هو اتساع المدى؛ وأبعاد مسألة: أهمية، مظاهر عملية، أبعاد الموضوع: مداه، اتساعه أعماقه وما يتعلّق به. بحسب المعجم: الغني.

أما البعد الاجتماعي فيفسر أو يدل على كل ما هو اجتماعي في مداه اتساعه، أعماقه وما يتعلّق به. والاجتماعي اسم منسوب إلى الاجتماع ويقال هو اجتماعي بطبعه أي له فطرة تميل إلى معاشرّة الناس في المجتمع والاختلاط بهم والإنسان كائن اجتماعي² بطبعه.

فالاجتماعي، مصطلح يشمل كل ما له علاقة بتصرفات الإنسان من أفعال وسلوكيات، تعبر عن تفاعلاته التي يؤثر ويتأثر بها مع الآخرين، حيث أن السلوك الاجتماعي كذلك يعتبر من اهتمامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتي "تدرس السلوك الاجتماعي، الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية، كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات"³ كل هذه السلوكيات تندرج ضمن البناء الاجتماعي لكل مجتمع.

¹ Axel HELMSTÄDTER, *Ethnopharmacology in the work of Melville William Hilton-Simpson- (1938-1881) historical analysis and current research opportunities*, Pharmazie 71: 352-360 (2016), p352. doi: 10.1691/ph.2016.6533

² عبد الغني أبو العزم، معجم الغني-كتاب الكتروني-فهرسة وتنسيق فواز زكارنة، 1434 هـ. 2013م.
³ أحمد أبو زيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978، ص 10.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

ومما سبق، يمكن أن نعرف البعد الاجتماعي بأنه دراسة وإبراز الغايات التي من خلالها يكون التداوي بالأعشاب سلوك له أبعاد، يبلغ مداها المجتمع ككل وتتسع لتشمل معظم أفراد المجتمع، أما أعماق هذا التداوي، فهي تتجذر في تصرفات وأفعال الأجيال المتعاقبة خاصة في المجتمعات النائية الريفية القروية أو التي تنغلق على نفسها بشكل من الأشكال.

6.3 البعد الثقافي:

يفسر أو يدل على أهمية كل ما هو ثقافي في مداه اتساعه، أعماقه وما يتعلّق به. يرى البعض بأن للثقافة أليات عمل ثلاث، "الأولى نظرية أما الباقيتان فآليتان عمليتان. يعبر عن الأولى ميل الثقافة إلى أن تكون نسقاً من التصورات والتمثيلات للعالم والأشياء، وتعبيراً رمزياً عنها. ويعبر عن الثانية ميلها إلى أن تكون ممارسة طقوسية دفاعية تؤدي وظيفة إعادة إنتاج الوجود: وجود الذات. أما الثالثة فيعبر عنها ميلها إلى التعبير عن آلية الإرادة. وهكذا تصبح عناصر وأبعاد الثقافة ثلاثية: فهي تتلقى، وترد، وتنتج أو بعارة أخرى تعي وتتفاعل وتفعّل".¹

يتضمن البعد الثقافي مجموع العادات والأعراف والتقاليد، ومدى عمقها في المجتمع، والتي يؤدي تراكمها إلى اعتبارها تراث ثقافي، يتوارث جيلاً بعد جيل ويبلغ مداه غالبية أفراد المجتمع. كما هو الحال في ظاهرة التداوي بالأعشاب، فهي سلوك يتوارث جيلاً بعد جيل في مثل مجتمع تيديكلت الصحراوي.

وهذا ما تستوعبه كلمة "الثقافة" بحسب ما جاء في الموسوعة الأردنية "كلمة ثقافة تستوعب النشاط البشري بأسره، بما فيه النشاط الفكري والذهني وفلسفة الذوق والنشاط الروحي والشعور الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي؛ لأن الثقافة منبعها ذهن البشر فهي مطمورة وراسخة الأقدام في ذهن الإنسان، وتسمو فوق جميع الاعتبارات في الحياة السياسية المتقلبة، التي تخبط دائما الشعور الأخلاقي العام الساري في جسد الشعب كله".²

وكيف ما كان الحال فإن العلاقة بين الاجتماعي والثقافي كما يرى باستيد: "أن الثقافي لا يمكن أن يُدرس عن بمعزل عن الاجتماعي. فتجب دراسة العلاقات الثقافية، إذاً، ضمن مختلف أطر العلاقات الاجتماعية التي يمكن أن تيسر علاقات الاندماج أو التنافس أو التزاغ الخ... ومن الواجب إعادة

¹ نقلاً عن نسيمة مخداني، إشكالية الثقافة، مرجع سابق، ص 178.

² محمد شميم النظامي، الثقافة الهندية: تنوعها وشمولها وعالميتها، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية. مجلة ثقافة الهند، المجلد 66، العدد 2، 2015

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

موضعه ظواهر التآلف الثقافي والتمازج الثقافي، بل استيعاب أيضاً، في أطر بيتها أو إعادة بنيتها الاجتماعية - وذلك لأن- كل تغير ثقافي يحدث أثراً ثانوية غير متوقعة، وهي الآثار التي لا يمكن تفاديها حتى وإن لم تكن متزامنة الخ.¹

نعرف الأبعاد الاجتماعية للتداوي بالأعشاب إجرائياً، بأنها مختلف العلاقات والنظم الاجتماعية الهادفة إلى اتخاذ التداوي بالأعشاب كعنصر للسلامة الصحية والتعايش في جو جغرافي واجتماعي معين ومحدد. والبعد الاجتماعي بما فيه العلاقات الاجتماعية هي علاقة أفراد من خلال التداوي الأعشاب.

ونعرف الأبعاد الثقافية للتداوي بالأعشاب إجرائياً، بأنها مختلف الأنماط السلوكية التي يتخذها الأفراد في مجتمع ما، من عادات وأعراف وتقاليد، باستعمال الأعشاب والمتوارثة عبر الأجيال.

3.7 العشابين:

يوصف مصطلح العشابين أو المعالج التقليدي، لشخص "متخصص في استخدام الأعشاب الطبية، لعلاج الأمراض المختلفة. ومن المتوقع أن تكون له معرفة كبيرة عن الفعالية والسمية والجرعة المطلوبة لإعداد النباتات الطبية."² وقد "كان النباتيون الذين يشتغلون في صناعة الأدوية يسمون الشجاريين والحشاشين في المشرق، بينما يعرفون بالعشابين في المغرب، ومنهم ابن العشاب المعروف بابن الرومية."³

أما العطار فهو بائع العطور والتوابل والأفاويه وكذلك العقاقير البسيطة وليست السامة أو قوية المفعول."⁴ وقد "عرفت بلاد المغرب الأوسط كغيرها من بلاد المغرب الإسلامي صناعة العطور، ويبدو أن هذه الصناعة قد عرفت التخصص، فحمل صاحبها لقب العطار بل يبدو أنه تخصص أضيق يعتمد على نوع واحد من الأزهار المستعملة مثل الريحان لذا كان هناك من حمل لقب ريحاني مثل أحمد بن ريحاني"⁵

¹دينشن كوش، مرجع سابق، ص 100.

²Abayomi Sofowora, *Plantes médicinales et médecine traditionnelle d'Afrique*, Karthala, 31 décembre 1996, P 22.

³ عبد الرحمان مرجبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت باريس، طبعة مزيدة ومنقحة ط. الثانية، 1988 ص 292
⁴محمد كامل حسين، عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب موجز تاريخ الصيدلة، ج.2 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا،؟ 197، ص 272.

⁵ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 111.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

التعريف الاجرائي للعشابين: فئة اجتماعية تخصصت بالممارسة والتجربة في مجال النباتات والأعشاب.

8.3 المعالجون الشعبيون:

ممارسين مهنة المعالجة بالأعشاب يتفاوتون في تنظيماتهم بحسب طبيعة نظام بلدانهم، فعلى سبيل المثال "في الولايات المتحدة، لا يجوز أبداً أن يصف أي شخص علاجاً بالأعشاب للآخرين. أما في الصين فيمارس العلاج بالأعشاب في مستشفيات خاصة للطب البديل. بينما نلاحظ في فرنسا، أن العشابين هم الذين درسوا طب الأعشاب في معاهد وكليات متخصصة.

في حين نجد أن اللذين يعالجون بالأعشاب في ألمانيا لديهم إجازات خاصة لممارسة هذه المهنة، بينما تخضع بريطانيا من يرغب أن يكون عشاباً لدراسة وتدريب وامتحان لفترة أربع أو خمس سنوات، وكذلك الحال في استراليا.¹

يختلف الوضع في دول الوطن العربي، حيث أنه "لا يوجد أي عشاب يحمل شهادة رسمية لممارسة العلاج بالأعشاب إلا نادراً." لكن هذا لا يعني عدم فاعلية وأمان العلاج بالأعشاب، بل نقول يجب أن يكون على أيدي ماهرة ومجازة علمياً. ويجب ألا نبخس قدرات العشابين المهرة منهم.²

التعريف الاجرائي للعشابين، أناس يشتغلون في مجال الأعشاب، اكتسبوا المهنة لأغراض متعددة منها لكسب لقمة العيش فهم يمثلون فئة الباعة كغيرهم من البائعين، فتراكمت معارفهم باحتكاكهم مع غيرهم من الوافدين لهم لغاية من الغايات، أو توارثوا المهنة عن الأجداد وحافظوا عليها سراء مشافهتاً أو توارثوه كتابتاً.

أما كلمة عشب فهو "اسم يشير عادة إلى النباتات الزهرية التي ليست لها ساق مستديمة، أي التي ليست لها ساق خشبية. ويستعمل الاسم أيضاً للدلالة على النباتات العشبية التي تستخدم أوراقها في الطهي كمادة منكهة، والتي يطلق عليها اسم أعشاب الطهي."³

¹ داود جاسم الربيعي العشاب.. من هو..؟ المجلة الالكترونية الجزيرة، العدد 108، الثلاثاء 7 ديسمبر 2004 :

www.al-jazirah.com/magazine/07122004/ak16

² داود جاسم الربيعي العشاب.. من هو..؟ المجلة الالكترونية الجزيرة، العدد 108، الثلاثاء 7 ديسمبر 2004 :

www.al-jazirah.com/magazine/07122004/ak16

³ جون سيمونز، علم النبات، تر. أحمد خليل، المكتبة الزراعية الشاملة، بدون سنة.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

9.3 النمط السلوكي

يعتبر النمط السلوكي أحد مفردات الشخصية، ويشير إلى الإطار العام الذي يتميز به الفرد عن غيره من الأفراد الآخرين من ناحية التكوين الجسمي والنفسي. حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسلوك الفرد وتصرفاته وتعبيراته من أقوال وأفعال وأي نشاطات أخرى يقوم بها سواء كانت لفظية أو غير لفظية، فنجد المنبسط والمنطوي والانفعالي والهادي والمتسلط والديمقراطي والمتعاون والكسول والأناني وغير ذلك.¹

أما النمط السلوكي الاجتماعي فهو نمط يعمل عند مستوى الوحدات الصغرى والعلاقات الشخصية المتبادلة، ويعتمد في تفسيرها على الاستقراء أكثر من الاستدلال، وهي بصفة عامة تنظر إلى المجتمع من خلال الفرد، أكثر من اعتبارها المجتمع كنسق من الأمور الوظيفية، فهي تركز على البيئة الاجتماعية وعلاقة الأفراد بها خلال النشأة الاجتماعية والدور والتبادل وأداء الأدوار وتعريف الشخصية للحقيقة. ويتضمن النمط السلوكي الاجتماعي استخدام كل من العوامل الاجتماعية والعوامل الطبيعية كأدوات للتفسير²

التعريف الاجرائي للنمط السلوكي: السلوكيات التي يتخذها أفراد المجتمع اتجاه الأعشاب والنباتات في حالات زمنية مختلفة وأوضاع بيئية معينة لمسيرة الحياة الاجتماعية.

4. الدراسات السابقة ومناقشتها

تساهم الدراسات السابقة في تزويد الباحث بمعطيات ومعلومات، تمكنه من الإلمام بجوانب الموضوع ليتحصل على فكرة عامة لمجال بحثه. وقد شملت الدراسات السابقة في هذا البحث إنتاجات فكرية وعلمية، وطنية وأجنبية لها علاقة مباشرة وغير مباشرة للموضوع المتعلق بالتداوي بالأعشاب وأبعاده الاجتماعية والثقافية، الغاية من ذلك إثراء البحث بما يخدم الدراسة.

أولاً: الدراسات السابقة حول الطب الشعبي في الجزائر

1- ابن حمدوش، كتاب 'كشف الرموز في بيان الأعشاب' للشيخ عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري ومعه شرح باللغة الفرنسية للمستشرق لوكلر. طبع أولاً في باريس 1874 في 397 صفحة، وطبع على

¹ النمط السلوكي أحد مفردات الشخصية التي تتأثر بالوراثة والبيئة. يوليو 3، 2017 // <https://www.azzaman.com> / عربية يومية دولية مستقلة. اطلع عليه يوم 2021/09/05

² أنماط النظرية الخميس، يونيو 24، 2010 | إعداد: العلوم الاجتماعية - http://hamdisocio.blogspot.com/2010/06/blog-post_24.html اطلع عليه يوم 2021/09/05

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

القاعدة المغربية على ذمة احمد بن مراد التركي، ومعه فهرست ألفاظه وترجمتها إلى اللغة الفرنسية في الجزائر سنة 1321 في 191 صفحة. طبعته مطبعة ديلورد بوهيم ومرنيال باعتناء المستشرق جريب كولين سنة 1905م.

الهدف من دراسته، رصد مختلف النباتات الطبية مع ذكر أسمائها البربرية وفوائدها الطبية. تكمن أهمية دراسة ابن حمدوش في الصبغة الأكاديمية التي كتبت بها، حيث تعتبر تراث مهم لدارسي النباتات الطبية واستعمالاتها.

2. دراسة برثوراند اميل من الأطباء القدامى المهتمين بشؤون العرب، له عدة مؤلفات حول شؤون الطب والمسلمين، وقد ألف كتاب معنون بـ:

Bertherand, E.-L, Médecine et hygiène des arabes : études sur l'exercice de la médecine et de la chirurgie chez les musulmans de l'Algérie ... précédées de considérations sur l'état général de la médecine chez les principales nations mahométanes .Paris : Germer Baillièrre, Libraire-Edi. ; New York : Ch. Baillièrre, 1855, Pages 582.

الطب والنظافة العربية: دراسات في ممارسة الطب والجراحة بين مسلمي الجزائر. يهتم الكتاب بالتراث الثقافي والمعرفة الإنسانية لدى المسلمين في الجزائر. يتناول ثلاث تأليف: الكتاب الأول ويجوي عدة فصول حول الطيب العربي والكتاب الثاني حول النظافة الصحية عند العرب، أما الكتاب الثالث فيتناول الأمراض والطب العربي حيث أبرز الكاتب نبوغ العلماء العرب في مجال العلوم والأدب، بما في ذلك الطب والجراحة والتشريح، التاريخ الطبيعي لطب الشرعي الصيدلة وما إلى ذلك الظروف المناخية العامة ممارسات النظافة العامة والخاصة، الأمراض أهم العلاجات الأكثر استخداماً كان الهدف من الدراسة التعرف عن كسب عن المستعمرات الفرنسية وخاصة المجتمع الجزائري وخصائصه ومميزاته ودراسة احتياجاتهم، واتجاهاتهم قصد تحسينه وتعديله، وتحسين نوعية الطب وتفاصيل الطب العربية على النمط الاستعماري/الأوروبي.

النتائج الهامة التي توصل إليها المؤلف: فهو يعكس في مؤلفه، التيارات الفكرية الاستعمارية في رسم الوضعية الصحية بالجزائر على الخصوص، مع إبراز استهجان المستعمر للمجتمع الجزائري المسلم من وضعه الصحي، وضرورة الإصلاحات المتطورة بغرض تغيير هذا الوضع من منظور استعماري محض. رغم انتقاصه من الحالة الصحية للمسلمين بصفة عامة، وبالمناقض، فإنه يعترف بالدور الفعال الذي لعبه المسلمون في تطور العلوم فيقول: "ودعنا لا ننسى أن هؤلاء هم العلماء العرب الذين قاموا

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

بتطهير العلوم الطبية من كل الفوضى والممارسات الخرافية التي قد وقعت فيها منذ سيلس وجالن، التي مررنا بها مع تطورات ملحوظة -يقول جاك ليونارد Jacques Léonard- عن الأطباء الفرنسيين في تلك الحقبة: "الأطباء الفرنسيون في الجزائر هم في المقام الأول في خدمة فرنسا وجيشها وإدارتها ومستعمراتها. حتى أولئك الذين يرفضون الاستعمار، وحتى أولئك الذين يريدون الانصهار العرقي، يفكرون في خدمة مصالح وطنهم. لم يأتوا إلى الجزائر لمساعدة السكان الأصليين، لأغراض إنسانية بحثة"¹.

بل نجد أن المساعدات الطبية الإنسانية كانت تحت غطاء الاستعمار واستمالة الشعب كما هو الحال في التطعيم، فحسب Jacques Léonard بقول: "فحتى وان قامو بتطعيم الأطفال المسلمين، الذي لا يخلو من الصعوبات، فهو الالتزام بالتعليمات الرسمية، وهذا العمل بالنسبة للسلطة العامة، يحمي الجنود والمستوطنين الأوروبيين وبشكل غير مباشر من انتشار الجدري؛ في زمن السكك الحديدية والبواخر التي تقرب المسافات، كانت تهدف لمكافحة الأمراض الغريبة أيضاً وللحفاظ على أوروبا القديمة."²

ويضيف Jacques Léonard: "ومن الواضح أن هؤلاء الأطباء هم من البرجوازيين الفرنسيين الصغار؛ ينحدرون من الإمبراطورية الثانية والجمهورية الثالثة التي لديها مصلحة مفهومة جيداً؛ لم يختف السكان المسلمون فحسب، بل إن الجهد الاستعماري ينطوي على تعاونه وتطوره. في هذه الظروف، أي مظهر من مظاهر العنصرية السذاجة والعفوية، فهي ستار للضمير الطيب والنوايا الحسنة"³.

3. أ. ف. شونبيرغ، يورغن يوهان ألبريشت Johan Albrecht von Schönberg (1782-1841). كتب عن الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال الفرنسي.* وقد تناول فيه موضوع الطب الشعبي في تلك الفترة وأبرز فيه مختلف طرق التداوي السائدة بالجزائر آنذاك.

¹Jacques Léonard, *Médecine et colonisation en Algérie au XIXe siècle*, Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest Année 1977 84-2 pp. 481-494. P492.

²Ibid.

³Ibid.

*Jørgen Johan Albrecht von Schönberg Skizze über Algier in medicinischer Rücksicht : Zwei in der Königlichen Medicinischen Gesellschaft zu Kopenhagen gehaltene Vorträge, Speer, 1837

وُلد في ليدرسليف في ستور هيدينج في 27 سبتمبر. 1782 وتوفي في 16 أكتوبر 1841 (59 سنة). التعليم والعمل: محرر جريدة التوظيف

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

في 1975، ترجم أبو العيد دودو أعماله الموسومة "بالجزائر في مؤلفات الرحّالين الألمان (1830-1855)" تضمن ملخص هذه الأعمال وضعية الجزائر التي حيث عرفت سنة 1830: "عدداً كبيراً من الأسرى الأوربيين، كما قام بزيارتها مجموعة من الرحّالين والكتّاب والعلماء والشعراء، الذين أصدروا كتباً على شكل رحلات أو رسائل أو مذكرات عن الجزائر ضمّنها تجاربهم الشخصية وعلاقاتهم بأهلها ومواقفهم من قضايا المجتمع الأجنبي عنهم، كما وصفوا تقاليد البلد وعاداته في المدن والأرياف.

قام المؤلف بدراسة مجموعة من النصوص التي اختارها بعناية وعرض أهم ما ورد فيها بغرض تحديد ملامح الشخصية الوطنية من خلال ما كتبه هؤلاء الرحّالة الألمان في الفترة المحدّدة. ودراسته تمثلت في محاضرتان عن الطب الشعبي الجزائر، قدمتا للجمعية الطبية الملكية في كوبنهاغن 1837.

يعتبر أ.ف. شونبيرغ: طبيب محكمة، ورئيس تحرير صحيفة، تضمنت دراسته حول الطب الشعبي في الجزائر ثلاثة فصول، تطرق فيها المؤلف في الفصل الأول، إلى الدراسة المناخية في الجزائر أما الفصل الثاني تحدث عن الأمراض العامة الشائعة في الجزائر. بينما تضمن الفصل الثالث، خدمة الأطباء والجرحى وعن المستشفيات في الجزائر، كالمستشفى التركي والإسباني والوضع الطبي في عهد الأتراك. واحتوى المؤلف أسماء الأطباء الجزائريين: كإسماعيل بن محمد، وأسماء أطباء فرنسيين كالطبيب أسانسي. وقد "وظف شونبيرغ، ككبير الأطباء في البعثة الفرنسية في الجزائر العاصمة، التي أدت إلى حصوله على جوائز جديدة من الحكومة الفرنسية."²

¹جامعة فرحات عباس، المكتبة المركزية، متاح على: http://catalogue-biblio.univ-setif.dz/opac/index.php?lvl=notice_display&id=2036 يوم 2019/03/04.
<https://da.> يوم 2019/03/20.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

كما سلطت الدراسة الضوء على الحالة الصحية السائدة آنذاك والطرق المتخذة في علاجها، فضلاً عن الوضع الطبي في تلك الفترة والتي وصل فيها شونبرغ إلى الجزائر غداة الغزو الفرنسي للوطن. ومثل هذه الدراسات الاستعمارية، لا تخلو من التحيز في غالب الأحيان لإرضاء المستعمر، وهو كباقي الجنود الألمان الذين انضموا للجنود الفرنسيين اللفييف الأجنبي، للسيطرة على الجزائر، ولاكتشاف المستعمرة الجديدة.

4. دراسة سيمسون هيلتون Simpson Hilton

طبيب وجندي ألماني ممن ساهموا في التوغل إلى الجزائر. كتب حول الطب العربي والجراحة، ونام بدراسة فن العلاج في الجزائر. اهتم بالطب الشعبي في منطقة الشاوية.

ولد هيلتون سيمسون في عام 1881 وتخرج كعالم أنثروبولوجي في Wellington و College Exeter Oxford. اهتم بدراسة الشعوب الإفريقية، فبدأ أول رحلة ميدانية إلى الصحراء عام 1903. من سنة 1907 إلى 1909، رافق عالم الأنثروبولوجيا الهنغاري إميل تورداي Emil Torday (1875-1931)، في رحلته إلى الكونغو، بدعم من المتحف البريطاني. منذ 1912 كرس هيلتون سيمسون اهتمامه بثقافة البربر الجزائريين، فأمضى بعض السنوات رفقة زوجته في جبال الأوراس. وأصبح السكان الأصليون على معرفة كبيرة به، مما مكنه من الحصول على معلومات سرية عنهم.

وقد قام بإنتاج فيلم عن حياة وعادات سكان الأوراس 'جنس غير معروف' (Anunknown race) وكان ذلك برفقة John A. Haeseler (1900-1990)، الذي أصبح في وقت لاحق منتج شهير. وبعد معاناته من سوء الصحة لسنوات عديدة، توفي هيلتون-سيمسون في 17 مارس 1983.¹

أهم منشوراته حول الجزائر في مجال التداوي*

¹Axel HELMSTÄDTER, *Ethnopharmacology in the work of Melville William Hilton-Simpson (1881-1938) - historical analysis and current research opportunities*, Pharmazie 2016 Jun; 71(6):352-60. P352. Doi: 10.1691/ph.2016.6533.

*-Hilton-Simpson MW (1913) Some Arab and Shawia remedies and notes on the trepanning of the skull in Algeria. J Royal Anthropol Inst Great Britain Ireland 43:706-721 (handwritten manuscript at the Royal Anthropological Institute, London Ms 69).

-Hilton-Simpson MW (1922) Arab Medicine and Surgery. A study of the healing art in Algeria 1922, Reprint New Delhi 2013.

Hilton-Simpson MW (undated, ca. 1914), Medicine among the Berbers of the Aurès. Thesis (unpubl. typescript, Archives Pitt-Rivers-Museum, Oxford, Box Melville William Hilton-Simpson, document A).”.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

يعتبر عمل سيمبسون من الدراسات الثقافية التي سلطت الضوء على التراث الحضاري لمنطقة الشاوية، خاصة في مجال التداوي بالأعشاب. والتي أصبح تعاد دراستها والبحث فيها، ويستشهد بها في البحوث العلمية الحالية من طرف باحثين في علم الصيدلة كبحوث Axel Helmstedt.

5. دراسة حول ايميه باتاندييه (1848-1922) Jules Aimé Battandier

باتاندييه ولد في أنونيه (Annonay) بفرنسا وتوفي في 18 سبتمبر 1922 بالجزائر، وهو عالم نبات ومستكشف فرنسي أستاذ مدرسة الطب والصيدلة بالجزائر، ألف كتاب حول النباتات الطبية في الجزائر وبعض استعمالاتها. في محاولة لمعرفة هذه النباتات بغرض التوسع في زراعتها واستغلالها لصالح فرنسا.

Battandier J. Algérie. Plantes médicinales, édit. Giralt, Imprimeur-Photogaveur. 1900

6. دراسة لويس تراي (1853-1929) Trabut Louis

قام بدراسة النباتات التي لها علاقة مباشرة بصحة الإنسان:

1. النباتات الطبية للعلاج. 2. النباتات الغذائية. 3. النباتات السامة. 4. الطفيليات قادرة على تحديد المرض والمعرفة الواضحة للمرض. قال Louis Trabut "كان علم النبات الطبي لفترة طويلة ولا يزال المصدر الرئيسي للعلاج، ومن ناحية أخرى، علم الجراثيم الذي أصبح قاعدة نشوء المرض.

Louis Trabut, Précis de botanique médicale, Éditeur G. Masson (Paris), 1891.

إضافة إلى أنه كتب دليل عن النباتات بمختلف لهجاتها المتداولة في شمال أفريقيا مع اسمائها اللاتينية التي تحددها بشكل علمي.

Louis Trabut, Répertoire des noms indigènes des plantes dans le nord de l'Afrique. Imprimeries "la typo-litho" et Jules Carbonel, REUES, 1935.

كما ساهم في تحديد والتعرف على النباتات التي جمعت من قبل ضباط مواقع قيادية في أراضي الواحات. وممن ورد فيه من أسماء لمن كتبوا عن نباتات منطقة الدراسة عين صالح؛ كجولي ل. L. Joly، أثناء مهمة فلانمون Flamand، حيث قدم جولي نباتات عين صالح وأسمائها الأصوية.

7. فوريو فيرون Foureau Fernand

قائد بعثات استكشافية عسكرية وعلمية فرنسية، بين عامي 1898 و1900 التي جرت عبر الصحراء والسودان. أورد أهم النباتات الصحراوية بأسمائها العربية أو البربرية (1896).

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

Foureau, (1850-1914). Une Mission au Tademayt (territoire d'In-Salah), en 1890. Rapport à M. le ministre de l'instruction publique et à M. le sous-secrétaire d'Etat des colonies, Imprimerie Charles Schlaeber, Paris, 1890.

8. فريدريك غيرهارد روهلفس (1831-1896م)

رحالة ألماني قام بدراسة اثنوجرافية حول التراث التاريخي بالصحراء ومنطقة الدراسة، من خلال البعثات الاستكشافية، لغرض الاحتلال. طبعت سجلات جيرهارد روهلفس، والمؤلفة من خمسة مجلدات وترجمت من قبل جاك Jacques Debetz، أين نشرت بين عامي 2001 و2003. خصص المجلد الأول لمنطقة درعة، تافيلالت، جنوب وهران، توات، تيديكلت، غدامس (1861-1864).

في سنة 1864. سافر من طنجة إلى طرابلس عبر عين صالح. أين وصف منطقة الدراسة التي زارها، اعتباراً من كونه أول أوربي تصل قدماه منطقة تيديكلت، وتمكن من خلالها برسم الخريطة الجغرافية للصحراء الكبرى، والتي ستساهم في وضع خطة محكمة لاحتلال الواحات.

« Gerhard Rohlfs. Voyages & explorations au Sahara : Draa, Tafilalet, Sud-oranais, Touat »

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

تكمن أهمية دراسته في معرفة الوضع الاجتماعي السائد والحالة الطبيعية بمناطق الواحات. وقد هدفت الدراسة إلى استكشاف الواحات ورسم خريطة دقيقة حول أهم الطرق التي عبرها ولم يستثنى ذكر موارد هذه الواحات وطرق السقي المختلفة المتبعة فيها، وأصناف وأعراف سكانها.

في تلك الحقبة التاريخية، كان استكشاف إفريقيا وخاصة الصحراء الكبرى، من بين الغايات التي سعت إليها المستعمرات الغربية، لاحتلالها واستغلال ثرواتها، وقد خصصت للمستكشفين والمغامرين جوائز مغرية لمن يتمكن من ولوج الصحراء على الخصوص وجلب أخبارها لغرض الاستيلاء عليها وعلى خيراتها.

كان ذلك واضح، لما يرر إنشاء فرنسا "مدرسة أنثروبولوجيا استعمارية قائمة بذاتها، وذلك من خلال انتهاج خطوتين أساسيتين أما الأولى فهي: السيطرة والاستحواذ على كل له صلة بالتاريخ الجزائري من مخطوطات ووثائق، والتي كانت موجودة بالدواوين والإدارات التي تم الاستيلاء عليها، إلى جانب نهب أغلب المكتبات الموجودة بالزوايا بما تحويه من كتب ومخطوطات مهمة وثمينة تتعلق بالتراث الديني والثقافي للمجتمع الجزائري."¹

والجدير بالذكر فإنه كان لإسهامات الرحالة العرب والأفارقة دور في معرفة هؤلاء المستكشفين الأوربيين لمناطق إفريقيا، مما أسال لعابهم وأطماعهم لغزوها بواسطة هؤلاء الرحالة، خاصة ما كتبه الرحالة ابن بطوطة وكتاب وصف إفريقيا لابن الوزان المعروف بليون الإفريقي وكذا مقدمة ابن خلدون، لما أشاروا إليه من موارد طبيعية في المناطق التي عبروها أو سجلوا ما ورد عنها من أخبار في تلك الحقبة.

9. فوانو لويس Voinot Louis (1869-1960)

هدفت دراسة فوانو حول تيديكلت، إلى إبراز الجوانب الجغرافية والتاريخية للمنطقة جاءت في قسمين للدراسة، بينما تناول القسم الثالث من الدراسة، العادات والأعراف الخاصة بالمنطقة، بما فيهم منطقة أولف التي تتبع إداريا في الوقت الحالي لولاية أدرار. وقد استثنى الكاتب قصر عين ببال وماطريون، فقد اعتبرهما لا يتبعان لمنطقة تيديكلت جغرافيا.

¹كوسة نور الدين، دور الدراسات الأنثروبولوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، حوليات التاريخ والجغرافيا، مظالم الاستعمار الفرنسي. مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012، ص ص 149-157

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

دعم الكتاب دراسته، بخرائط وصور ومخططات دقيقيه كما اهتم بدراسة وصفية للمنطقة حيث اعتبرت من أبرز الدراسات الوصفية بتيديكلت.

«Voinot L. Le Tidikelt. Étude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays. Edité par Oran, imp. L. Fouque, 1909».

في الفصل الخاص بعادات وأعراف سكان تيديكلت، تحدث الكاتب عن العلاجات المتخذة من طرف السكان للأمراض الشائعة هناك، وذكر أهم الوصفات لذلك تحت عنوان 'الممارسات الصحية' كتنظافة السكان وعن عدم عنايتهم بنظافة أجسامهم بالرغم من كونهم مسلمين.

مواصفات معهودة للدراسات الاستعمارية، التي رمى بها المستعمر المجتمع الجزائري حين وصف 'بالتوحش'، وهذه الظاهرة واردة في البحوث الأنثروبولوجيا وعلى الخصوص في القرن التاسع عشر. حيث أن 'معظم الكتب، كان هناك الكثير أو القليل من التضاد الذي يُرسم على الآخر (ممن هم إما 'همج' أو 'برابرة') والنظام القائم في أوربا (إما أن يتم تحديده أو الدفاع عنه). ولا يزال يرث هذه الدراسات المبكرة الغامضة أخلاقياً يقوم على الأنثروبولوجيا المعاصرة. وحتى اليوم، غالباً ما يتهم علماء الأنثروبولوجيا بتشويه حقيقة الشعوب التي كتبوا عنها المستعمرات، وفي العالم الثالث، وفي الثقافات الفرعية أو المناطق المهمشة.¹

نتائج الدراسة لا تخلو كغيرها من تعابير الاستهجان، والاستخفاف ببدائية طرق العلاج، للتحسيس بالتفوق الأوربي في هذا المجال. وعلى كُلاً، نقل لنا فوانو لويس أهم الأمراض التي كانت بحسبه، نتيجة انعدام النظافة الذي سبب لهم أمراض العيون المتكررة، وأبرز طرق التداوي التي أساسها من أصل نباتي أو حيواني أو معادن. وذكر أهم العلاجات المتخذة من طرف السكان وأشار إلى أن العديد من النباتات في القائمة التي أوردها أنه لم يتم تحديد بعضها بعد في تلك الفترة، فعين اسمها الأصلي المتداول في المجتمع. تمثلت هذه الوصفات (أنظر في الملحق) للأمراض التالية:

-مسهل Purgatif -نقيع منعش Infusionsra fraichissates -القيء Vomissements -الروماتيزم Rhumatismes -حمى وأمراض الكبد Fièvre et maladies de foie -نزلات البرد Rhume -التهاب الشعب الهوائية Bronchites -بصق الدم Crachements de sang -التهاب اللوزتين Angine -الدمامل

¹توماس هايلاند ايركسون وفين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر. لاهاي عبد الحسي، منشورات الاختلاف، ط.1، 2013، ص 17.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

- Furoncles -إصابات Blessures -سعفة Teigne -حفرة الأفاعي والعقارب -اليرقان Jaunisse -السيلان Blennorrhagie -كما تستخدم الشرابة La saignée -للتسمين Engraisser

يشير الكاتب بأن مختلف الممارسات الطبية بسيطة ومختلطة مع الكثير من الزبدية أو الدهون، أو حتى مع لحم الماعز.

10. ميشال ليزورد Lesourd Michel

نشر ليزورد سنة 1937، مقال في سبع صفحات في منشورات معهد باستور بالجزائر المخصص للأطباء والباحثين بهذا المعهد بعنوان "ملاحظات حول الممارسات الطبية لدى الحرائين* بمنطقة عين صالح"، لخص فيه مختلف التدابير والتعابير المتعددة والعلاجات وكيفية المعالجة التي يفضل الحرائين في المنطقة استعمالها ضد الأمراض. حيث ركز على أثنية البحث من خلال تحديد فئة تميزت بلونها الداكن وباعتبارها فئة أبرز نشاطها هو العمل في البساتين على الخصوص. فتناول الكاتب الأمراض التي تعاني منها هذه الفئة، كأمراض الرئة والقلب والبطن والروماتزم وأمراض العيون وكسور اليدين وأمراض النساء والتوليد والولادة.

بين ليزورد في مقاله، أن مختلف الأعراف والممارسات المتخذة من طرف هذه الفئة، مأخوذة تارة من أعراف عرب الشمال، وتارة أخرى مأخوذة عن الطوارق الذين تربطهم علاقات شعبياً بهم.

« Lesourd Michel. Notes sur les pratiques médicales des Harratin d'Is Salah. Archives de l'Institut Pasteur D'Algérie, 15 N° 1, 1937. 51-57 ».

11-سافايي ومير SavelliA. et Maire A.

سنة 1955، قام سافايي ومير، دراسة وصفية ميدانية عن كتب حول الحالة الصحية بمنطقة تيديكلت، حيث قاما بدراسة الناحية التاريخية والجغرافية والصحية للمنطقة، وهي من بين الدراسات التي أجريت في الواحات الصحراوية بصفة عامة، حول الأوضاع الصحية والأوبئة بهذه المناطق بإشراف معهد باستور بالجزائر لنحو 30 سنة.

*الحرائين أو الحراطين: جماعة اثنية يمكن أن يكونوا من المولدين لجماعات اثنية أخرى من البيض أو لكون الكلمة تعني الحرائين الذين جلبوا عنوة للصحراء من أجل العمل في الأرض وحرثها في إطار تجارة الرق التي كانت سائدة، والتي ساهم الاستعمار الفرنسي في التركيز على الدراسات الاثنية وتوسيع الهوية بين أفراد المجتمع.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

هدفت الدراسة إلى إبراز الوضع الصحي والطرق العلاجية المتخذة من طرف سكان المنطقة بما تحتويه من طب شعبي. وقد استعانة من نراكمات الدراسات السابقة التي قام بها زملاؤهم السابقين من المستعمرين أثناء غزوهم الصحراء.

« Maire A., Savelli A. In Salah et le Tidikelt oriental ; étude historique, géographique et médicale. Archives de l'Institut Pasteur d'Alger. 1955 Déc. ; 33(4) :367-43 ».

وقد سميت هذه الممارسة من طرف المعمرين بطب الأهالي. وكنموذج لذلك أورد الكاتبان طرق الممارسة الطبية في فصل لدراستهما. أشار إلى أن سكان تيديكلت، على الرغم من ثقتهم بالطب الحديث يحبون اللجوء إلى المعالجين الذين يمررون وصفاتهم من الأب إلى الابن؛ وعلاج المريض يكون مجاني وإعطاء بعض الهدايا كعربون شكر للمعالج.

وقد ذكر الكاتبان مختلف الممارسات العلاجية المتخذة من طرف الأهالي وهي: تقاط النار، وشرط الجلد وكؤوس الشفط(الحجامة)، وذكرها بأنها تمارس على نطاق واسع للغاية. إضافة إلى جبر الكسور بوضع الجص من الطين المختلطة، البيض وكرات الشعير، يتم وضعها مع لوحات خشبية المعقودة بشرائط من القماش في مكان الكسر لمدة 40 يوما.

وأشار الكاتبان أو الطبيبان إلى المعالجين الذين يقومون بتحضير العديد من الأدوية والوصفات، وهي كتلك الوصفات المستخدمة كغيرها في معظم البلدان الصحراوية. وأوردا أسماء هذه النباتات مثل: إكليل الجبل، الحلبة، الأنجدان أو الحلتيت بالنسبة للنباتات، وقالوا بأن لحم الضب هو الأكثر استعمالاً.

قاما الطبيبان بسرد الأدوية الأكثر شيوعاً بالمنطقة وفقاً لأعراض المرض. كأمراض الجهاز الهضمي التي يستخدم فيها الشيح للإسهال والمغص. نبات 'ألالة' (*Artemisia campestris*) ويستخدم للإسهال أو لديستتاريا (الزحار). يستعمل 'السانوج' المغلي مع الحليب لمعالجة 'المرار' (الغثيان) تستخدم بذور السانوج بنفس الكمية من بذور الحلبة كخليط ضد الإمساك.

'العقاية' أو الرطريط (*Zugophylarn goetulan*) ضد الإسهال والدوستتاريا. أما في حالة اليرقان Ictère، تأخذ شراب 'تينرت' (*Mentha longifolia*) ويأكلون لحم الضب.

في حالات القيء والغثيان تؤخذ بذور 'القرطوفة' (*Brocchia*) أو أوراق نبات الفيجل (*Aplophyllum tiberculatum*) وتسريب/نقاعة نبات إكليل الجبل عند الصباح قبل الأكل كفاتح للشهية كما ان هذا

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

النبات مُطْمَث (أي يسهل نزول الطمث)، تسريب شيح البحر يجلب من البلدان العربية مع كريات القمح التي تحتوي بداخلها على الفلفل الأحمر ممزوجة بالعسل للديدان المعوية.

لمرض الحمى؛ الصداع وأمراض أخرى *Algies*، يذكر الطبيبان أن الأهالي يفضلون الحلتيت الذي يعتبر الدواء المفضل لديهم، وهو يحمل دائما مع الشخص ليحميه من الأمراض. يستعمل شماً بالتبخير، أو يشم بالأنف لمعالجة الصداع. بل هو أيضا يتخذ كمسكن الأسنان كالتبغ (الشمة) تماما المغطى بدهون الأغنام وبخلطه مع بذور السانوج، يدخل في تكوين مرهم مهدئ لعلاج الحمى يجعل بين للبشرة والملابس البخار المتصاعد بإحراق ريش الطيور أو من الأفضل جلد الأفعى.

الروماتزم: للتدليك بزيت دهن النعام (زهم النعام) أو دهن الجمل (ربما يقصد دهن سنام الجمل) أو الحرمل يؤخذ مع لحم الأروية المغلي مع الثوم أو الضب المغلي مع الحليب و'لوزاوة' (*Matricaria Pubescens* Desf).

أمراض الجهاز التنفسي: يحاط الصدر بحزام مضيق ويكوى بنقاط من النار بواسطة المسامير ويتناول دواء مُقَشَّع يتكون من لحم الضب (*Varanus griseus*)، دهن لحم الضأن والفلفل الأسود، تُغلى جميع المكونات إلى أن تصير في منتصف كميتها-ثم تستعمل-.

بالنسبة لأمراض العيون فحسب المؤلفان، في حالة التهاب الملتحمة يحضر دواء مكون من ثلاثة منتجات مختلفة بعد سحقها وهي نبات 'الزينة' (*Cassia obovata* Collad) وزبدة البحر (*Sipia officinalis*). أما في حالة التهاب الجفن *blépharites*، بوضع في الجفن، ويمرر على حافة خالية من الجفون، يتم وضع قليلا من مسحوق الحديدية *fer oligiste*. أما في حالة وجود جسم غريب، توضع في العين الخارجية تحت الجفن بذور 'بوفتاش'* وهو يستورد من السودان.

لأمراض الأذن: في حالة التهابات الأذن، يقطر في الأذن حليب المرأة مع نبات السنبل (*Hyacinthus orientali*) للتخفيف من صفير الأذن. بالنسبة للأمراض البيئية، فقد ذكر الطبيبان أنه في حالة لسعات العقارب يعطى مستحلب نبات الحبق. كما أورد كاتبنا التقرير حكمة متداولة في المناطق الصحراوية فيقولوا: بحسب حكمة عربية، 'هناك مائة دواء في رأس الضب'.

* وهي بذور نبات (*Salvia officinalis*).

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

يختما مقالهما بالقول: "هذه البيئة تعتبر من أكثر المناخات التي لا هودة فيها في العالم"، من ذلك يبرران ضرورة وفائدة خدماتهم الصحية في الأقاليم الجنوبية!

وكنموذج لمختلف الدراسات التي تمت في الجنوب الجزائري على سبيل المثال لا الحصر: من منطقة جانت، بني عباس، تاغيت، توات، الهقار، المنيعه:

-AIGUIER C -Djanet (Pays Ajjer). Étude géographique et médicale. Arch. Inst. Pasteur Algérie, 1938, 16, 533-587.

-RAMES, C. Béni Abbés Etude historique, géographique et médicale. Arch. Inst. Pasteur d'Algérie 1941 Vol.19 No.1, pp.80-157.

-Passager, P. et Barbanson, S. "Taghit (Sahara oranais). Etude historique, géo- graphique et médicale. Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, septembre.1956 404-73.

-DEVORSP. -Le Touat. Étude géographique et médicale Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, 1947, 25, 223-274.

-DOURY P -Le Hoggar: étude médicale. Arch. Inst Pasteur Algérie, 1959, 7, 118-121.-
CHALON G -Étude épidémiologique du paludisme à El Goléa. Arch. Inst. Pasteur Algérie, 1923, 1, 52

-Léonard Jacques. Médecine et colonisation en Algérie au XIXe siècle. In : Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest. Tome 84, numéro 2, 1977. pp. 481-494. Doi : 10.3406/abpo.1977.2889.

لقد احتوى معهد باستور على دراسات مونغرافية جهوية منذ 1909-1964 سلطت فيها الضوء في معظم الأحيان على استخدامات اقليمية للفلورة/النبث الجزائرية، واحتوت على مسرد وقوائم جرد في بعض الأحيان أو أصية في كثير من الأحيان حتى وإن كانت غير مكتملة.¹

12. ج. روفيه ج. دو كوس وه. فيرجيتز J. Ruffié، J. Ducos et H. Vergnes وتعتبر الدراسة من منشورات ومذكرات المجتمع الأنثروبولوجي بباريس، وهي من بين المقالات العلمية التي اهتمت بالدراسات الإثنية بالمنطقة، والتي تتعلق بدراسة الخصائص الوراثية التي تحدد فصائل الدم لسكان تيديكلت. حيث أخذت عينات الدم من السكان لتحديد الجمعات الإثنية التي تشكل منطقة الدراسة، وقد أجريت سنة 1963.

J. Ruffié, J. Ducos et H. Vergnes. Étude hémotypologique des populations du Tidikelt (Sahara central). Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris Année 1963, Série XI°, Volume 4 Numéro 3 pp. 531-544

¹Toumi M. et Benkhalifa, **Développement et valorisation des Plantes Aromatiques et Médicinales (PAM) en Algérie** - Toumi Mohamed et Benkhalifa Abderrahmane / ENS / Conférence, actes du congrès national, 2018, p 116.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

كما ان هناك دراسات تناولت النباتات العلاجية المختلفة من بينها :

- ملامح العلاج الشعبي في منطقة حوض تافنة في الغرب الجزائري . علي عمار
- اشكال الطب الشعبي في منطقة الزيبان (بسكرة) الجزائر . بوغديري كمال
- الوصفات العلاجية الشعبية في منطقة الغرب الجزائري .علي عمار

ساهم المؤلفين الجزائريين في إحياء التراث الثقافي النباتي بتألف متنوعة تبرز مكانة النباتات الطبية بالجزائر وكان من بين هذه الدراسات

- دراسة حليمي عبد القادر، النباتات الطبية في الجزائر. منشورات بيرتي، الجزائر.
- عبد القادر بلواد، النباتات الطبية في الجزائر.
- Baba Aissa Farid, Les plantes médicinales en Algérie, In : Bouchène et Ad Diwan(Co-Ed), Alger 1990.
- Baba Aissa Farid Encyclopédie des plantes utiles : Flore d'Algérie et du Maghreb, substances végétales d'Afrique d'Orient et d'Occident. Edas, Librairie moderne : Rouïba, Algérie, 2000.
- BELOUED, Abdelkader . Etymologie des noms de plantes du bassin méditerranéen, Office des publications universitaires 1998.
- Nour Oussedik – contribution à la connaissance de la pharmacie traditionnelle algérienne.

1.5 مناقشة

الملاحظ من الوهلة الأولى، تعدد اختصاصات الدراسات التي تدور حول موضوع البحث، نظراً لعمق محتواه والمتعلق بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب، والذي يتطلب هذا التعدد والتنوع ليشمل موضوع الدراسة التاريخية، الاجتماعية، الثقافية، الأدبية، الطبيعية والجغرافية. ومعظم الدراسات السابقة جاءت في معظمها إسهامات أنثروبولوجية وخاصة الفرنسية منها، والهدف منها هو خدمة التوجه الاستعماري في بدايتها.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

فكانت "أهم ميزة طبعت الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية في الجزائر خلال المراحل الأولى من الاحتلال، أن معظمها أنجز من قبل ضباط عسكريين أو موظفين تابعين للمؤسسة العسكرية، وتقييم على كتابهم ذهنية العسكري وليس المثقف"¹. "وكانوا بفعل انتمائهم إلى المؤسسة العسكرية، غير متخصص في الدراسات الاجتماعية بشكل عام."²

أما البحوث المنجزة من طرف ذوي الاختصاص، فقد ظهرت في فترات لاحقة.

واليوم "لا يمكن لأي متصفح للكتابات الأنثروبولوجية خلال الفترة الاستعمارية، وعلى وجه الخصوص خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلا أن يلاحظ تلك التزعة العنصرية التي تسيطر على هذه الكتابات، والتي ترمي أفراد المجتمع الجزائري بالتوحش والجهل وتنفي عنهم صفة التحضر، بل تحاول إيجاد تبريرات وحجج للممارسات الاستعمارية، بكونها تهدف إلى جلب الحضارة والرفاهية لهذا المجتمع المتخلف؟، وإلحاقه بركب التطور وعصرنة مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية."³

وكانت من مهامها، إثارة التزعة العرقية كما قال لكراك (ثنائية عربي قبائلي)⁴ من خلال سياسة 'فرق تسد'، من خلال إثارة ثنائية عربي-قبائلي في هذه الكتابات، بنتائجها السلبية، والتي لا يزال المجتمع الجزائري يجني ثمارها ويكتوي بأبغاثها، التي تهدد الكيان والشخصية الوطنية في الصميم."⁵ وعلى خلفية الفرضية الأنثروبولوجية الاستعمارية أن "الدين الإسلامي مناهض للمدنية."⁶ من الجانب الثقافي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإدارة الفرنسية "استغلت بذكاء فائق، القائمين على الطرق الصوفية ورجال الدين وكذلك شيوخ الزوايا، لما يتمتع به هؤلاء من نفوذ روحي وتأثير عميق وفعال على فئات المجتمع الجزائري، حيث تم استغلال ظاهرة الأولياء والمرابطين لضرب الإسلام، بالإضافة لاستعمال هؤلاء كوسطاء بين الإدارة العسكرية الفرنسية والأهالي."⁷

كلها سبل 'للمؤامرة والمحاولات الجادة، لخلق القطيعة بين الإسلام كدين صحيح والمجتمع كمارس له، مع محاولة إبراز شكل جديد من التدين المبني على الخرافات والأباطيل والدجل

¹ جبرار لكراك، الأنثروبولوجيا والاستعمار، تر. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990
² فيليب لوكاجان كلود فاتان، جزائر الأنثروبولوجيين. تر. محمد بحيان، بشير بولفراق، ووردة لبنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2002.

³ كوسة نور الدين، مرجع سابق، ص

⁴ جبرار لكراك، مرجع سابق.

⁵ فيليب لوكا وجان كلود فاتان، مرجع سابق.

⁶ جبرار لكراك، مرجع سابق.

⁷ معتوق جمال مسيرة علم الاجتماع في الجزائر، المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، جامعة جيجل، الجزائر، العدد 1، جوان، 2005.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

والشعوذة، وهذا باعتراف فيليب لوكا وجان كلود فاتان، بأن الهدف الخفي وغير المعلن من وراء ذلك هو: "إشاعة الرؤيا المنافية للقيم المعترف بها".¹

خلال القرن التاسع عشر وعلى المستوى العام -عصر القطار وسفن البخار- كانت تلك هي التزعة السائدة حيث "ظهرت فلسفات جديدة، عند الصحو على علاقات الهيمنة والتبعية الجديدة هذه، وبرزت أيديولوجيات وأساطير لتدافع عنهم أو فهاجمهم. والحملة ضد العبودية مثل مبكر، فقد تم محو العبودية بنجاح في الحميات البريطانية والفرنسية في ثلاثينات القرن التاسع عشر، إلا أن العنصرية- التي ظهرت ولا كأيديولوجيات منظمة خلال القرن التاسع عشر- كانت استجابةً أي نفس الصيورات".²

كان "العديدون داخل وخارج ميدان الاختصاص، يوافقون على أن الأنثروبولوجيا غالباً ما كان لديها ميل مُنمط على نحو مريح لتمثيل الآخر 'ممن لم يكونوا قادرين على تمثيل أنفسهم'، وإن قداسة العديد من التحليلات الكلاسيكية أدت غرضها لتبتكر تصوراً للآخر 'كشعوب سلبية موحدة عديمة الميل إلى التغيير كموضوع جوهرى للبحث العلمي"³ أو ما يعرف 'بالبحث عن الغيرية Altérité'.⁴

فرغم هذا التوسع في الدراسات الأنثروبولوجيا- بما أن معظم الدراسات السابقة تضمنت هذا المجال "مازالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، تؤكد ولا شك، تفرد مجال الأنثروبولوجيا عما عداها من العلوم الأخرى، ولا سيما (علم الاجتماع)"⁵

يؤخذ بعين الاعتبار "مبدأ النسبية الثقافية الذي يعني في أحد أبعاده، احترام الثقافات الأخرى وعدم تقويم أي ثقافة أو الحكم عليها في ضوء ثقافة أخرى (أو الأصح، في ضوء الثقافة التي ينتمي الباحث الأنثروبولوجي إليها) ومحاولة فهم تلك الثقافات الأجنبية والغريبة في ذاتها وضمن إطار الظروف والأوضاع العامة التي أفرزتها".⁶

¹ مولاي الحاج مراد، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، تيميمون، 23، 22 و24 نوفمبر 1999، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2002.

² توماس هابلاند إيركسون وفين سيفرت نيلسون، مرجع سابق، ص 34.

³ نفس المرجع، ص 215.

⁴ كوسة نور الدين، مرجع سابق.

⁵ عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 17.

⁶ مجموعة من أساتذة الجامعات، بحوث الأنثروبولوجيا العربية، تحرير ناهد صالح، ط.1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2002.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

5. مقارنة نظرية

الإحاطة بموضوع الدراسة وبطريقة موضوعية، من الأمور التي لم يكن من السهل السيطرة عليها من الناحية النظرية، لا سيما وأن هذا الموضوع يتجاوز تخصص منفرد قائم بذاته، بل يتعدى إلى تخصصات علمية أخرى داعمة له. فنظراً لكون التداوي بالأعشاب في حد ذاته يتطلب معرفة متكاملة عن مجالاته الواسعة والمتعددة لتمكين الباحث من الإلمام بالقدر الذي يخدم موضوع الدراسة، خاصة من جانبها الاجتماعي والثقافي والمتعلق بعلم الاجتماع، "فإذا نظرنا إلى تخصص فرعي كحقل متخصص ضمن تخصص أكبر، فيمكننا أن نتوقع أن يكون التخصص الفرعي أكثر أو أقل تنظيمياً بنفس طريقة تخصصه، مع إشارة خاصة لمجال الدراسة التي يتعامل معها."¹

نقصد بالتخصص الفرعي هنا، علم الاجتماع الطبي، أو علم الاجتماع الطب. "ففي عام 1951 تضمن كتاب تالكوت بارسونز فصل من 'النظام الاجتماعي' الصحة والمرض والطب بشكل رسمي على جدول أعمال التفكير النظري في علم الاجتماع."² وهي بداية التأطير النظري لعلم الاجتماع الطبي. يعتبر مفهوم الصحة والمرض الأساس دراسات علم الاجتماع الطبي.

إن مفهومي الصحة والمرض يرتبطان بالنواحي الثقافية والاجتماعية كارتباطهما بالنواحي البيولوجية. وقد لقيت هذه النواحي اهتماماً كبيراً خلال القرن التاسع عشر وقد ارتبطا بظهور الثورة الصناعية.

وذهب الباحث رودلف فيرشو Virchow الألماني انطلاقاً من هذا المنظور، إلى "أن علم الطب في الواقع علم اجتماعي، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية."³ وقد تبني هذا العالم الباثولوجي رؤية خاصة "في مسائل الصحة والمرض. ففي عام 1849 أشار إلى أنه "إذا كان الطب هو علم الكائن البشري المريض والصحيح، فما العلم الآخر الذي يستطيع وضع قوانين للبناء الاجتماعي لكي يحمل على تنشيط تلك الجوانب الموجودة في الإنسان نفسه."⁴ كما "تبلور هذا الاتجاه بوضوح، لدى

¹Ellen Annandale, Vololona Rabeharisoa, Graham Scambler, Clive Seale et Debra Umberson, **Théorie sociologique et sociologie de la santé et de la médecine dans les revues internationales**, Sciences sociales et santé 2013/1 (Vol. 31), p13.

²Danièle Carricaburu et Marie Ménoret, *Sociologie de la santé*, Édi. Armand Colin 2004, p 11.

³ميرفت العشماوي عثمان، *المعتقد الشعبي، دراسة في الطب العرقي*، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، ص 11.

⁴هندومة محمد أنور حامد، مرجع سابق، ص 11.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

فلكسندر (1866-1959) حينما كان يؤرخ للطب فقال بأن الطب بدأ اجتماعياً في المراحل الأولى، ثم أصبح بيولوجياً بحثاً في مراحل الوسطى، حتى صار في النهاية اجتماعياً.¹

ولعل شواهد التاريخ الثقافي والاجتماعي تؤكد على صدق هذا الاتجاه، فقد كان كهنة الفراعنة يمارسون الطب في المعابد، وسط التراتيل والتعاويد والممارسات الدينية حتى غلب الطابع الديني على الممارسة الطبية نفسها.² فكانت بعض الدراسات عن المرض باكورة الاهتمام العلمي بعلم الاجتماع الطبي.

1.5 مقارنة علم اجتماع الطب (أو علم الاجتماع الطبي) وهو يدرس علاقة الصحة والمرض والعلاج والوقاية بالثقافة والعادات والظروف الاجتماعية. فهو يتناول الميدان الصحي، بوصفه نظاماً اجتماعياً ثقافياً، أي بوصفه مجموع المؤسسات النظامية التي تستهدف إشباع احتياجات الناس إلى المحافظة على الصحة ومقاومة المرض.³ وقد بدأ الاهتمام بدراسة العلاقة بين الواقع الاجتماعي والأحوال الصحية والمرضية في المجتمع منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو بداية ظهور علم الاجتماع الطبي كفرع حديث من علم الاجتماع.⁴

ووفقاً لجونسون 1975، فإنه "بمجرد أن أصبح مجال الطب مجالاً مشهوراً لمدرستي التفكير النظريين المهيمنين [بين الفاعلين والفاعلين]، انطلق علم الاجتماع الطبي، في الولايات المتحدة، في فترة من النمر"⁵ كما قام ستروس (Claude Lévi-Strauss) بالتمييز بين علم الاجتماع في الطب وعلم اجتماع الطب. تقول E. Annandale في هذا الإطار: "في عام 1957، ميز ستروس بين العلمين: أخذاً في الاعتبار بأنه في "سوسيولوجيا الطب"، يبرز عالم الاجتماع ويدرس الطب كمؤسسة أو نظام للسلوك، "بينما في" علم الاجتماع في الطب"، يتعاون مع الأخصائي في محاولة مساعدة في [كذا] لتحقيق وظائفه التعليمية والعلاجية."⁶

يرى ج. سكاملر G. Scambler وهو أحد محررين للنظرية الاجتماعية للصحة، في مجلة تم إنشاؤها عام 2003: "إن التمييز الذي قام به شتراوس ينطبق بوضوح عندما صاغه لأنه يشير، على وجه

¹ نفس المرجع، ص 11.

² علي مكاي، فهد عبد الرحمان ناصر ووسام أحمد عثمان، دراسات في علم الاجتماع الطبي والوطن العربي، وكالة الأهرام للتوزيع، مصر، القاهرة، 1998، ص 13.

³ موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 296.

⁴ نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006، ص 124.

⁵ Danièle Carricaburu et Marie Ménoret, Op.cit., p 11.

⁶ Ellen Annandale, Vololona Rabeharisoa, Graham Scambler, Clive Seale et Debra Umberson, Op.cit., p14.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الخصوص، إلى الأصول المختلفة للتقاليد الأمريكية والبريطانية تماماً لعلم الاجتماع الطبي. في حين برز علم الاجتماع الطبي في الولايات المتحدة كجزء لا يتجزأ من علم الاجتماع الأمريكي السائد - يتم نشر العديد من الكلاسيكيات البنيوية الوظيفية أو التفاعلية بعد نشر Parsons The Social System في عام 1951- يظهر لاحقاً في بريطانيا العظمى كتيار أقلية للطب الاجتماعي يهيمن عليه الأطباء.¹

وقد استثنى من ذلك "مناطق لندن وأبردين، قدم الأطباء الذين لديهم حساسية لعلم الاجتماع الطبي، ولكن العاملين أو المهتمين بالسياسات الصحية، لعلماء الاجتماع الطبيين البريطانيين الفرصة لإجراء أبحاثهم"²

في بريطانيا حمل هذا العلم قدم "مساهمة مهمة في الانعكاسات على السياسات الصحية، والصحة العامة، والرعاية الأولية والعلاقات الثانوية، بين الطبيب والمريض: والخدمات الصحية بشكل عام... و اكتمل تدريجياً من خلال "علم اجتماع الطب" الذي وصفه بوراوي بعلم الاجتماع "المهني"، خاصة منذ سبعينيات القرن الماضي.³

يرى علي المكاوي أن جذور علم الاجتماع الطبي تكمن بعيداً في أعماق القرن التاسع الميلادي وما تلاه عند العرب المسلمين، ثم بدأ الاهتمام به في أوربا وأمريكا خلال القرن التاسع عشر - أي بعد عشرة قرون - حتى وصل إلى مستوى فائق على مدى ربع القرن الأخير (1950-1975). غير أن ازدهار العلم قد انحصر في البلدان الصناعية. وبالتالي يمكن القول بأنه لم يجتذب اهتماماً كبيراً نحو مشكلات الخدمات الصحية في بلدان العالم الثالث إلا في حدود ضيقة.⁴

(سوسيولوجيا الطب) (Sociology of medicine) علم يدرس الطب كنمط سلوكي، كما يهتم بدراسة مجموعة من الموضوعات مثل البناء التنظيمي الطبي وعلاقات الدور. أما علم الاجتماع في الطب (Sociology in medicine): "ويهتم بالبحوث المشتركة بين علم الاجتماع والطب والتعليم الطبي وتكامل المفهومات والأساليب الفنية والمشكلات المتعلقة بالممارسة الطبية."⁵

ترى أناندال E. Annandale وهي باحثة في هذا المجال: "أنه لم يكن هناك وقت أفضل من اليوم لعلم اجتماع الصحة والطب للمساهمة في المناقشات متعددة التخصصات في علم الاجتماع. إن قضايا

¹Ibid. p16.

²Ibid. p16.

³Ibid. p16.

⁴ علي المكاوي، مرجع سابق ص32.
⁵ نجلاء عاطف خليل، مرجع سابق، ص 127.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الصحة والمرض والجسم هم وسطاء مثاليون يمكن من خلالها تطوير نظرية اجتماعية في القرن الحادي والعشرين.¹

وتضيف أناندال: "نسترعي العولمة انتباهنا إلى الضعف والخرج في الحياة والصحة في جميع أنحاء العالم. في حين أن القضايا المتعلقة بالصحة والمرض لم تكن ذات أهمية تذكر لعلم الاجتماع، فقد تغير الوضع بشكل كبير بين منتصف وأواخر التسعينيات: أصبحت الرؤى المقدمة من سوسولوجيا الطب والصحة ضرورية مع "تحول بيولوجي" والتركيز على قضايا جديدة وغير مستكشفة سابقاً مثل دمج (التجسيد) والمخاطر والسياسة الحيوية العالمية للصحة، فضلاً عن أهمية الصحة في الاقتصاد العالمي المعقد اليوم."²

إن اعتماد مقارنة علم الاجتماع الطبي، تتضمن جوانب من موضوع البحث المتعلق بالعلاج الغير رسمي وهو التداوي بالأعشاب والمعالجين الشعبيين، وهي لا تشمل الطب الرسمي بشكل مقصود، لذلك استعنا بمقاربة الأنثروبولوجية الطبية.

كما أن علم الاجتماع الطبي "يبرز اتجاهات وقيم المجتمع نحو العلاج الشعبي والرسمي، وكيفية استثمارها في تدعيم الطب الرسمي في مواجهة الطب الشعبي. وتساعدنا الأنثروبولوجيا الطبية في استكمال معالم الصورة المؤثرة في الصحة والمرض، بالتركيز على العناصر الثقافية كالعادات والمعتقدات والأمثال الشعبية والطقوس السائدة في الصحة والمرض."³ لأن "الطب والتطبيب والمعالجة والصحة هي منطلقات خرجت من رحم الثقافة الإنسانية التي عاجلتها الأنثروبولوجيا المعاصرة."⁴ ومن هذا المنطلق، تم اعتماد مقارنة الأنثروبولوجيا الطبية.

2.5 مقارنة الأنثروبولوجية الطبية

ظهر علم الأنثروبولوجيا كفرع من فروع المعرفة العلمية في القرن التاسع عشر؛ حيث اعتبر "عالم الأنثروبولوجيا الباحث العلمي النموذجي المعتمد على بيانات تفصيلية حول الشعوب في كل أنحاء العالم، وما إن أصبحت هذه البيانات متوفرة بصورة مفاجئة؛ فقد صار من الممكن تأسيس علم الأنثروبولوجيا كفرع أكاديمي. وكذا الحال مع علم الاجتماع؛ فإذا ما نشأ علم الأنثروبولوجيا من

¹Ellen Annandale, Vololona Rabeharisoa, Graham Scambler, Clive Seale et Debra Umberson, Op.cit., p30.

²Ibid., p30.

³علي مكاي، فهد عبد الرحمان ناصر ووسام أحمد عثمان، دراسات في علم الاجتماع الطبي والوطن العربي، وكالة الأهرام للتوزيع، مصر، القاهرة، 1998، ص167.

⁴الكندري يعقوب يوسف، مرجع سابق، ص 11.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الامبريالية، كان علم الاجتماع نتاج العلاقات الطبقيّة المتغيرة التي جاء بها التصنيع في أوروبا نفسها، حيث يناقش كل الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع معنى 'الحداثة'، ويعارضونها بالظروف ما-قبل الحداثة.¹

يُركز علم الاجتماع "في دراساته على المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع أو ذاك من المجتمعات الحديثة، ويندر أن يدرس المجتمعات البدائية أو المنقرضة. بينما تُركز الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في دراساتها، على المجتمعات البدائية / الأولية وأيضا المجتمعات المتحضرة / المعاصرة. ولكن دراسة الأنثروبولوجيا للمجتمعات الإنسانية، تتركز في الغالب على: التقاليد والعادات والنظم، والعلاقات بين الناس، والأنماط السلوكية المختلفة التي يمارسها شعب ما أو أمة معينة."²

وإذا كان ثمة تباين أو اختلاف بين العلمين، "فهو لا يتعدى فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيراتها، وفق أهداف كلٍّ منهما. فبينما نجد أن الباحث في علم الاجتماع، يعتمد على افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات الاجتماعية ويحاول التحقق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة استبيان واستمارة خاصة لذلك، نجد في المقابل -أن الباحث الأنثروبولوجي، يعتمد تشخيص الظاهرة استناداً إلى فهم الواقع كما هو، ومن خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة الأفراد في حياتهم العادية."³

تعتبر الأنثروبولوجيا "فرع رئيسي من فروع الأنثروبولوجيا العامة الثلاث، ألا وهي الأنثروبولوجيا الفيزيائية والاجتماعية والثقافية ولذا فالأنثروبولوجيا الطبية هي المنطقة الواقعة بين العلوم الاجتماعية والطبيعية وتقوم تصوراتها على كلتا المجموعتين من العلوم. حيث أن جذورها تمتد بعمق في الطب والعلوم الطبيعية الأخرى لأنها تهتم بعدد كبير من الظواهر البيولوجية وخاصة علاقتها بالصحة والمرض."⁴

بحسب Hochstraster Donald Lee, Jesse Tapp (1970)، فإنهما يعرفان الأنثروبولوجيا الطبية بأنها "فرع من فروع الأنثروبولوجيا، تهتم بالجوانب الثقافية والاجتماعية للإنسان وارتباطها بالصحة

¹توماس هابلاند ايركسون وفين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر. لاهاي عبد الحسي، منشورات الاختلاف، ط.1، 2013، ص ص 34 و35.

²عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 39.

³عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 39

⁴هندومة محمد أنور حامد، الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعرفة للجامعيين، مصر، 2013، ص 9.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

والمرض والعلاج.¹ بينما يرى جورج فورستر George Forster (1978) أن "الباحثون في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية فيرتكز اهتمامهم على دراسة أنساق الطب الشعبي.

والمعالجين، والإعداد الوظيفي للطبيب، والسلوك المرضي، والعلاقة بين الطبيب والمريض، وكيفية إدخال الأساليب العلاجية الحديثة إلى المجتمعات التقليدية والأمراض البيئية المتوطنة، والأيكولوجية الثقافية والبيئة وعلاقتها بالصحة والمرض.²

وقد أظهرت السنوات الأخيرة، العديد من الأبحاث التي ساهم فيها كل من العلماء الاجتماعيين والأطباء عن تأثير العناصر الثقافية والاجتماعية على الأمراض. بحسب "ريتشارد لبيان Richard Lieban. أما حسن Hasan وبرسدا Prasada، فقد ذكرا أن الأنثروبولوجيا الطبية، هي أحد فروع علم الإنسان المهمة بالنواحي البيولوجية والثقافية والاجتماعية له، بغرض فهم مشكلات التاريخ الطبي والقواعد الطبية والطب الاجتماعي والصحة العامة.³

إذن، نالأنثروبولوجية الطبية علم يبحث في العلاقة بين الثقافة (باعتبارها الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا) والصحة والمرض (باعتبارهما موضوعي اهتمام الطب. لذلك فهي تعني الدراسة الكلية المقارنة للثقافة، ومدى تأثيرها على المرض والرعاية الصحية، وهناك ارهاصات اثنوجرافية منذ العشرينيات مهدت لظهور الأنثروبولوجيا الطبية"⁴. وتشمل مجالات الأنثروبولوجيا الطبية⁵:

الأيكولوجيا و علم الأوبئة Ecology and Epidemiology، الطب الشعبي Ethno medicine، المظاهر الطبية للأنساق الاجتماعية Medical aspects of social systems، الطب و التغيير الثقافي Medicine and culture change. ويعتبر فوستر وأندرسون من الأوائل الذين أشاروا الى هذا المجال من "المنظور الأيكولوجي، عندما أشار إلى أن هناك اهتماماً لدى الأنثروبولوجيين الطبيين بالمشكلات البيئية، البيوثقافية التي يمكن أن تدرس بشكل أفضل من وجهة النظر الايكولوجية.⁶

وقد أسهم علماء الأنثروبولوجيا "في ميدان العلاقة بين الثقافات وبين مفهوم الصحة والمرض، خاصة ما يتصل بالممارسات الطبية والثقافة الشعبية لدى المجتمعات الأمية. وقد بدأت تلك

¹ نفس المرجع، ص 11.

² نفس المرجع، ص 12.

³ ميرفت العثمان عثمان، مرجع سابق ص 11.

⁴ علي المكاوي، مرجع سابق، ص 7.

⁵ علي المكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية، 1991 مرجع سابق ص 15.

⁶ هندومة محمد أنور حامد، مرجع سابق، ص 11.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الإسهامات منذ أن نظر ريفيرس WH. Rivers (1927)-باعتباره طبيباً وأنثروبولوجياً-إلى دراسة الطب كنسق ثقافي، ثم توالى بعد ذلك الأنثروبولوجيين حول فهم العلاقات لدى الشعوب بين كل من الطب والسحر من جهة، وبين الطب والسحر والدين من جهة أخرى.¹

وساهت "دراسة كليمنش Clements* في المفهومات البدائية للمرض... كما ساهمت، اكر كنتشت Ackerknecht بكتابة عدد كبير من المقالات وساعد في تطوير البحوث الأنثروبولوجية الطبية في أو آخر الأربعينات، الخمسينيات، ولقد تخصص في الطب البدائي.² ومع "نهايات القرن التاسع عشر، أصبح الطب الحديث يُرجع سبب حدوث الأمراض إلى الميكروبات وتأثير الميكروبات على خلايا الجسم واختفى الاهتمام بالنواحي الثقافية والاجتماعية المسببة للأمراض.³

كما "كانت الإسهامات من مدرسة مانشستر مهمة في إعادة توجيه الأنثروبولوجيا موضوع الاهتمام حذراً... بالنسبة لطلبة مالينوفسكي قد يبدو التعامل مع التغيير الاجتماعي أسهل، وبما أن مالينوفسكي نفسه أعطى الفرد الأولوية في المجتمع، فقد أعطى نظرة للحياة الاجتماعية مجالاً أكثر للارتجال والتنوع والإبداع عن الوظيفية البنائية، التي نُظِر إليها على نحو متزايد كما لو أنها قيدٌ خلال الخمسينيات القرن الماضي.⁴

ويرى البعض أن جذور الأنثروبولوجيا الطبية "تعود الى العمل الرائد لأودي ريتشارد في الثلاثينات، وإلى جهود عدد من المهنيين المتفانين ممن تبعوا ووسعوا اهتماماتها في العقود القليلة القادمة.⁵ فكانت "كامبردج الراكدة في الأنثروبولوجيا البريطانية حتى قبل فورتس المقعد عام 1950، 1950، ستصبح في العقدين التاليين تزامنياً حصن الوظيفية البنائية ومركز حيويًا للإبداع في مجال العلم"⁶

كانت أودي ريتشارد (1899-1984) طالبة مالينوفسكي، ومن أوائل النقاد لعمل ايفانز بريتشارد عن النوير، مجادلة في أن الحقائق على الأرض لا تطابق نموذج البسيط، وهو اعتراض مالينوفسكي معروف جداً. مثل فرث، قامت ريتشارد بعمل ريادي في مجال الأنثروبولوجيا الاقتصادية قبل الحرب،

¹ إبراهيم محمد عباس، المدخل إلى الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعرفة الجامعية، 1992، مقدمة الكتاب.

² تجمعت جهود الأنثروبولوجيين والرحالة والمبشرون في تقارير قدمها Climents 1932، عن المعتقدات الخاصة بأسباب الأمراض.

³ هندومة محمد أنور حامد، مرجع سابق، ص 12.

⁴ ميرفت العثماني عثمان، مرجع سابق، 2009، ص 11.

⁵ توماس هايلاند ايركسون وفين سيفرت نيلسون، مرجع سابق، ص 135.

⁶ نفس المرجع، ص 227.

⁶ نفس المرجع، ص 136.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

وصنع منها عملها المبكر عن الغذاء ان أصبحت أحد المؤسسين للأنثروبولوجيا الطبية. نشرت دراسة مؤثرة لطقوس المبادرة النسوية، شيسنكو.¹

كما كان "في بداية الخمسينات بدأ بعض العلماء من أمثال بنجامين بول ووليام كوديل بتدريس مقرر في جامعة هارفرد وبعنوان 'الصحة والمرض من منظور ثقافي'.² وقد ازدهرت الأنثروبولوجيا الطبية حينما "أسهمت في دراسة المشكلات الطبية، وشهدت الفترة من 1962 حتى 1972 تطوراً ملحوظاً، حدّد هوية العلم وقضاياه ومجالات الدراسة فيه.³

وقام رونالد فرانكينبيرك Frankenberg Ronald ، -وهو أشبه ما يكون بشيخ الأنثروبولوجيين في مجال الأنثروبولوجيا الطبية- قام بعمل حقلي في وسط افريقيا وانكلترا، وكتب على نحو واسع عن قضايا الصحة وطرق العلاج... وقد عمل مستشاراً في العديد من مشاريع الإغاثة، وقام بعمل ريادي نظري على العديد من القضايا، كما مفهوم الزمن في الممارسة الطبية والفهم النفساني للأطفال.⁴

وقد ألهمه عمل زميله فيكتور تيرنر، عن الأداء، في استخدامات الطقوس في العلاج (التقليدي والحديث)⁵. كما "ألهمت انتقاداتها الجوهرية، مفهومات المرض والصحة النفسية في العلوم الطبية العديدين، ليأخذوا الصيرورات الاجتماعية التي يمكن أن تولد هكذا مفهومات في الاعتبار.⁶

وفي ضوء ذلك تعددت مجالات الاهتمام المشترك بين الأطباء والأنثروبولوجيين ومنها كيفية المحافظة على الصحة والوقاية من المرض، والتأثير السلوكي على هذه العملية، والعوامل الثقافية المسببة للأمراض والوبائيات. وبالتالي تسود النظرة للصحة والمرض في ارتباطهما بنوعية الحياة والحفاظ عليها. كذلك اهتمت الأنثروبولوجيا الطبية بالبرامج الصحية والتعليم الطبي، والبحث الطبي والممارسات الطبية الشعبية، وطب المجتمع والتخطيط السكاني والتمريض والتغذية والوبائيات.⁷

وقد اعتبرت "إحدى المجالات التي استطاع فيها علماء الأنثروبولوجيا أن يشكلوا التحالفات مع المشتغلين في مجال الإغاثة بأعلى درجة للنجاح، هي في حقلي الصحة والتغذية، وفي الثمانينات، عندما تحرر العديد من علماء الأنثروبولوجيا، فقد نمت الأنثروبولوجيا الطبية لتصبح الفرع الأسرع توسعاً في

¹توماس هايلاند ايركسون وفين سفيرت نيلسون، مرجع سابق، ص 137.

²هندومة محمد أنور حامد، مرجع سابق ص 13.

³توماس هايلاند ايركسون، وفين سفيرت نيلسون، مرجع سابق، ص 226.

⁴نفس المرجع، ص 227.

⁵توماس هايلاند ايركسون، وفين سفيرت نيلسون، مرجع سابق، ص 227.

⁶نفس المرجع، ص 227.

⁷علي المكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية دراسات نظرية وبحوث ميدانية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994، ص 10.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

مجال العلم.¹ " وقد يقال ان علماء الأنثروبولوجيا الطبية يسهمون بفهم السياق الاجتماع لعمل طبي قياس.

وقد يعزز بطريقة ذات مغزى، برنامج التحقق الصحي الاعتيادي بالنسبة للنساء الحوامل من خلال معرفة مفهومات النساء للدورة الشهرية، وجداول عملهن، وبنى السلطة ضمن منازلهن، والتزامتهن القرابية، ومفهوميتهن لكيف يعر المرض نفسه وما الذي يعنيه. كان العديد من علماء الأنثروبولوجيا الطبية البارزين أنفسهم أطباء نفسانيين، مما أعطاهم مستوى عالياً من المهنية، ومن رعتهم في مجال المهن الطبية.²

في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث شهدت الأنثروبولوجيا الطبية أعظم درجات النمو خلال الثمانينات والتسعينات، كانت نانسي شير هفس Nancy Scheper-Hughes 1944 (من جامعة كاليفورنيا بيركلي) واحدة من أكثر الأعلام تأثيراً. قامت شير هفس، كتبت مع ماركرت لوك عام 1987، المقالة المبرجة والتي كانت بعنوان: الجسد اليقظ: مقدمة نقدية لعمل مستقبلي في مجال الأنثروبولوجيا الطبية، والتي وضعت مخططاً لجدول عمل للبحوث التطبيقية المستقبلية والبحوث النظرية في الحقل.³

وما يمكن قوله في هذا المقام، بأن علماء الانثروبولوجيا الطبية قاموا "بإسهامات مؤثرة جدا خلال التسعينات، في مجال بحوث جوهريّة في مجالات متنوعة واسعة.⁴ كما بلغت الأنثروبولوجيا النسوية الطبية "مرحلة ناضجة، ولم تعد اهتمامات خاصة هامشية في مجال العلم."⁵

من بين المجالات التي تناول دراستها الأنثروبولوجية الطبية، المعالجة الطبيعية والتي يمكن أن تدرج ضمنها الدراسات الإثنوبونيك والاثنوفارماكولوجي:

¹توماس هايلاند ايركسون وفين سفيرت نيلسون، مرجع سابق، ص 227

² نفس المرجع ص 228

³ نفس المرجع، ص 228.

⁴ توماس هايلاند ايركسون وفين سفيرت نيلسون، مرجع سابق، ص 229.

⁵ نفس المرجع، ص 229

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

3.5 دراسات الإثنوبوتانيك والاثنوفارماكولوجي

أ. الإثنوبوتانيك

إن الاهتمام بالنباتات واستعمالاتها ومصادرها، كان من بين انشغالات العلماء منذ القديم، وقد وضع تخصص يهتم بهذا المجال في علم لنبات وهو الإثنوبوتانيك، علم يهتم بدراسة استعمالات النباتات. ونظراً لأهمية هذا الاختصاص، ارتأينا الاستعانة به في الدراسة للتعرف أكثر وعن قرب حول ثقافة مجتمع تيديكلت حول علم النبات الشعبي Etnobotanique/Etnobotany الذي يشمل عدة تخصصات هو الآخر منها الطقوس والتاريخ، علم الأحياء والأعراق.

يتكون هذا المصطلح من مقطعين وهما: الإثنو كلمة منحدره من الاثنولوجيا: فرع من الأثنوبولوجيا. أما المقطع الثاني وهو علم النبات، والذي يعني دراسة النبات دراسة علمية.

وعلم النبات la botanique . هو "أحد فروع علم الأحياء أو البيولوجيا، الذي يهتم بدراسة كل الكائنات الحية النباتية سواء كانت وحيدة الخلية أم متعددة الخلايا."¹ وما يميز "الكائنات النباتية عن غيرها، هي قدرتها على استعمال الطاقة الشمسية بواسطة صبغ اليخضور في صناعة غذائها السكري (C₆H₁₂O₆) بالاعتماد على غاز ثاني أكسيد الكربون (CO₂) مصدر الكربون والماء (H₂O) مصدر الهيدروجين."²

كما " يقدر عدد النباتات الموصوفة والتي تملك اسما علمياً بـ 350.000 نوعاً، وإنه من الصعب أن يدون هذا العدد من قبل شخص واحد في كتاب، من ثم جاء علم التقسيم (Taxonomie) أو التصنيف النباتي (Classification) أو التنظيم (Systématique)."³

يعتبر جون وليام.و. هيرشبرجر John William Hearchberger،(جامعة بنسلفانيا، أنشئت عام 1895) أول من أطلق مصطلح إثنوبوتاني Etnobotany (اللاتينية إثنوبوتانيكا) (lat. Ethnobotanica) وهو منهاج قام عام 1896 يسمح بـ:

(أ) توضيح الموقف الثقافي للقبائل الذين يستخدمون النباتات: للأغذية والسكن والملابس، الخ

(ب) توضيح توزيع هذه النباتات المفيدة في الماضي

¹بوغديري العربي، النباتات البدائية (الثالوثيات Les thallophytes) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 14.

²نفس المرجع، ص 14.

³بوغديري العربي، مرجع سابق، ص 23.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

ج) تحديد مسار الطرق التجارية القديمة.

د) اقتراح وسائل وأساليب ومواد أخرى في المجالات الصناعية والطبية وغيرها، في الأوقات الحالية.¹

وقال هيرشبرجر: "إنه لمن الأهمية بمكان دراسة هذه القبائل البدائية بعناية والتعرف على النباتات التي وجدتها مفيدة في حياتها الاقتصادية، من منطلق أن بعض ما ثبت في حياتهم من الخصائص الجيدة لتلك النباتات، قد يُثبت أيضاً في حياتنا اليوم."²

وقد أيد هذا المفهوم كونكلان Harold C. Conklin (1926-2016). سنة 1954، وهو المفهوم الذي حمله مردوخ Murdock George Peter (1897-1985)، ما بين سنة (1950-1961)؛ فقال أن: "معنى Ethnobotany لا يكمن في بيانات التصنيف النباتي! ولكن في اتفاق أو تماشي مع المعرفة النباتية للشعوب وما ينظمها. أما الاعتبارات العلمية النباتية، فهي ثانوية وتؤخذ في الاعتبار أساساً من أجل تنوير المقارنة بين النظامين الداليين. فكولان Conklin هو من اقترح بأن يدمج مفهوم اثنوبوتانيك في العلوم الإنسانية أو العلوم الاجتماعية."³

كان لكولان تخصصات متعددة: في مجال الأثنوبولوجيا والأثنواكولوجيا واللسانيات، حيث ساهمت وسمحت له بأن يصل إلى هذا الشرح للمفهوم. ومن وجهة نظرنا فإن "توثيق معارف السكان الأصليين حول استخدام الموارد النباتية المحلية من قبل مجموعات أو مجتمعات عرقية مختلفة أحد الأهداف الرئيسية للبحث في علم النبات الاثني"⁴ بل حتى في بحوث العلوم الاجتماعية، قصد الكشف عن هذه المعارف ورصدها بطريقة علمية للأجيال القادمة.

ب. علم الأدوية العرقي Ethnopharmacologie

يمكن تعريفه حسب ج. فلورونتين J.Fleurentin على أنه "الدراسة العلمية متعددة التخصصات لجميع المواد النباتية والحيوانية أو المعدنية والمعارف أو الممارسات ذات الصلة، والتي تستخدمها

¹Roland Porteres. Cours d'ethnobotanique générale par le Professeur Roland, PORTERES. 3rd cycle. 1969. <cel-00654364>p8.

²Roland Porteres. Cours d'ethnobotanique générale par le Professeur Roland, PORTERES. 3rd cycle. 1969. <cel-00654364>p8.

³Roland Porteres. Op. cit ,p14.

⁴Shrestha, K.K. 1998. Ethnobotanical inventory and plant taxonomy: basic approaches for ethnobotanical research. In: Shrestha, K.K. et al. (eds.) Ethnobotany for Conservation and Community Development. Ethnobotanical Society of Nepal, Kathmandu, Nepal: 58-65.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الثقافات العامية لتعديل أجهزة الكائنات الحية للأغراض العلاجية أو الشفائية أو الوقائية أو التشخيصية.¹

الغرض من علم الأدوية العرقية هو دراسة الممارسات العلاجية "التقليدية" وهو أحد مجالات البحث التي يمكن "تطبيقها"، لأن الأدوية (بالمعنى الصيدلاني للمصطلح، هي أي مادة خام من أصل طبيعي يحتمل أن تتحول إلى دواء) والمعرفة القديمة هي مصادر محتملة لاكتشاف الأدوية. لذلك، هذا الانضباط هو في واجهة بين اثنين من الأكوان متباينة بشكل عميق.

ويعتبر هذا العلم "أحد الأساليب البحثية المختلفة المستخدمة لعزل الجزيئات التي من المفترض أن تكون ذات أهمية. وفي السبعينيات من القرن الماضي، أصبحت المختبرات مهتمة بعلم الأدوية العرقي، وهو مجال جديد، ثم تحولت عنه، وكانت النتائج غير فعالة بما فيه الكفاية، على الرغم من بعض الاكتشافات المثيرة للاهتمام والمرجحة بشكل خاص. ولكن منذ ذلك الحين، تم إجراء الكثير من الأبحاث وإنشاء بنوك البيانات، مما يجعل من الممكن إجراء عمليات فحص أكثر كفاءة."²

وقد بدأت بالفعل بعض البحوث العلمية في مجال الاثنوفارماكولوجي تهم بالتراث المعرفي بالتداوي بالأعشاب، وعلى سبيل المثال نذكر واحدة من هذه البحوث أو الدراسات:

- دراسة A. HELMSTÄDTER حول طب الأعشاب بمنطقة الأوراس الموسومة بـ:

"Ethnopharmacology in the work of Melville William Hilton-Simpson (1881-1938) historical analysis and current research opportunities."

علم الأدوية العرقي في أعمال ميلفيل ويليام هيلتون سيمبسون (1881-1938) - التحليل التاريخي والفرص البحثية الحالية. دراسة ساهمت "في التعرف على الفرص التي يمكن أن نستخلصها من مثل هذه البحوث والدراسات كما قال كاتب لمقال: أن سيمبسون في أطروحته، قدم على ما يبدو نتائج مفيدة. ومع ذلك، فإن ملاحظات Hilton-Simpson قد لا تزال تغذي الأبحاث الدوائية في القرن الحادي والعشرين، وقد تم تقديم بعض المقترحات الملموسة في الورقة البحثية للكاتب."³

¹Fleurentin J. (2003) « Ethics, regulations and development: new perspectives in ethnopharmacology for the next decade » Curare, Vol. 26, 3, 201-212.

²Elisabeth Motte-Florac, « Quelques problèmes posés par l'ethnopharmacologie et la recherche pharmaceutique sur les substances naturelles », Journal des anthropologues, 88-89 | 2002, 53-78.

³A. Helmstädter, Op.cit, p358.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

وهناك العديد من الدراسات في أدراج الأرشيف، بحاجة ماسة لنفض الغبار عنها لمعرفة مكنوناتها. كما هو حال الكثير من المخطوطات في الجنوب الكبير بحاجة إلى التحقيق والتمحيص والدراسة من أجل حماية المعارف الأصلية للجزائر.

في الوقت الحالي توسع الاهتمام بالمعارف العرقية للمجتمعات الأصلية خاصة من طرف المجتمعات المتقدمة أصبح- كما قال Elisabeth Motte-Florac "الجزء الأول يكون من مجتمعات تتجذر فيها الصحف اليومية في القيم والنماذج والأنظمة والخيال والمصالح وطرق إدراك وتصور متنوع للغاية. تقع هذه الشركات عادةً في البلدان النامية وتوجد غالباً في بيئات مدارية ذات تنوع بيولوجي كبير.

تشكل هذه الاختلافات الطبيعية والثقافية "مصدراً استثنائياً لا غنى عنه للمعرفة الغنية بأي اكتشافات تم الكون الثاني، وتكنولوجيات متقدمة، وعلوم "مرجعية"، ووسائل اقتصادية كبيرة، وقوى مالية هائلة، ونفوذ، وتأثير، علاقات دولية. تؤسس علم الأدوية العرقية جسراً بين هذين العالمين، بين الحقل والمختبر، وبين العلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة، وبين الأقليات والشركات متعددة الجنسيات، ولا يمكن الاستغناء عن الأسئلة الأخلاقية التي يطرحها هذا البحث ضمناً. هذه المشكلات أساسية ومعقدة ومتراصة، ويعزى حجمها إلى أهمية القضايا الاقتصادية، وخارجها، إلى القضايا السياسية وإلى حقيقة أنها تتعلق بجزء كبير من سكان العالم، في سجالتين من أهمية أن تكون الصحة والبيئة."¹

6. التعريف بميدان البحث

6. 1 ملحة جغرافية ديمغرافية عن ميدان الدراسة:

اعتمدنا في التوزيع الجغرافي للعينة على التقسيم الإداري للدوائر الخاصة بمنطقة تيديكلت، بحسب التقسيم الولائي للجزائر، وتم تحديد خريطين تحددان منطقة الدراسة. (خرطة رقم 1 و2)

أ. عدد السكان: خلال سنة 2014م، كما هو موضح في الجدول التالي:

¹ Elisabeth Motte-Florac, Op.cit.

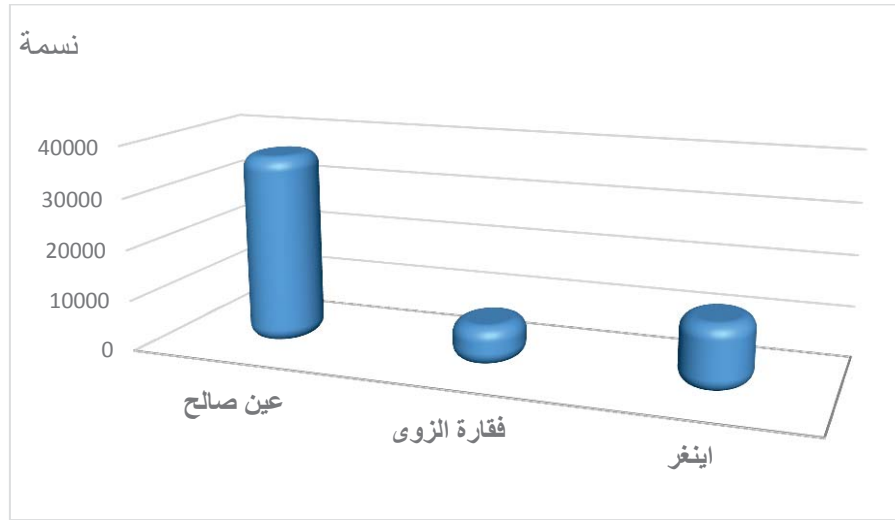
الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

الجدول رقم (1) عدد سكان منطقة تيديكلت سنة 2014م

النسبة %	عدد السكان (نسمة)	البلدية
64,5	36887	عين صالح
13,31	7612	فقارة الزوى
22,19	12690	اينغر
100	57189	المجموع

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية عين صالح (PDAU)، 2014.

من خلال ال رقم (1) والمنحنى البياني رقم (1) نلاحظ أن عدد السكان مرتفع ببلدية عين صالح بنسبة 64.5% بتعداد سكاني قدر بـ 36887 نسمة من مجموع عد السكان بالمنطقة تليها بلدية اينغر بنسبة 22.19% بتعداد سكاني قدر بـ 12690 نسمة، وسجلت أقل نسبة ببلدية فقارة الزوى بنسبة 13.31% بتعداد سكاني قدر بـ 7612 نسمة.



شكل رقم 1: سكان منطقة تيديكلت سنة 2014

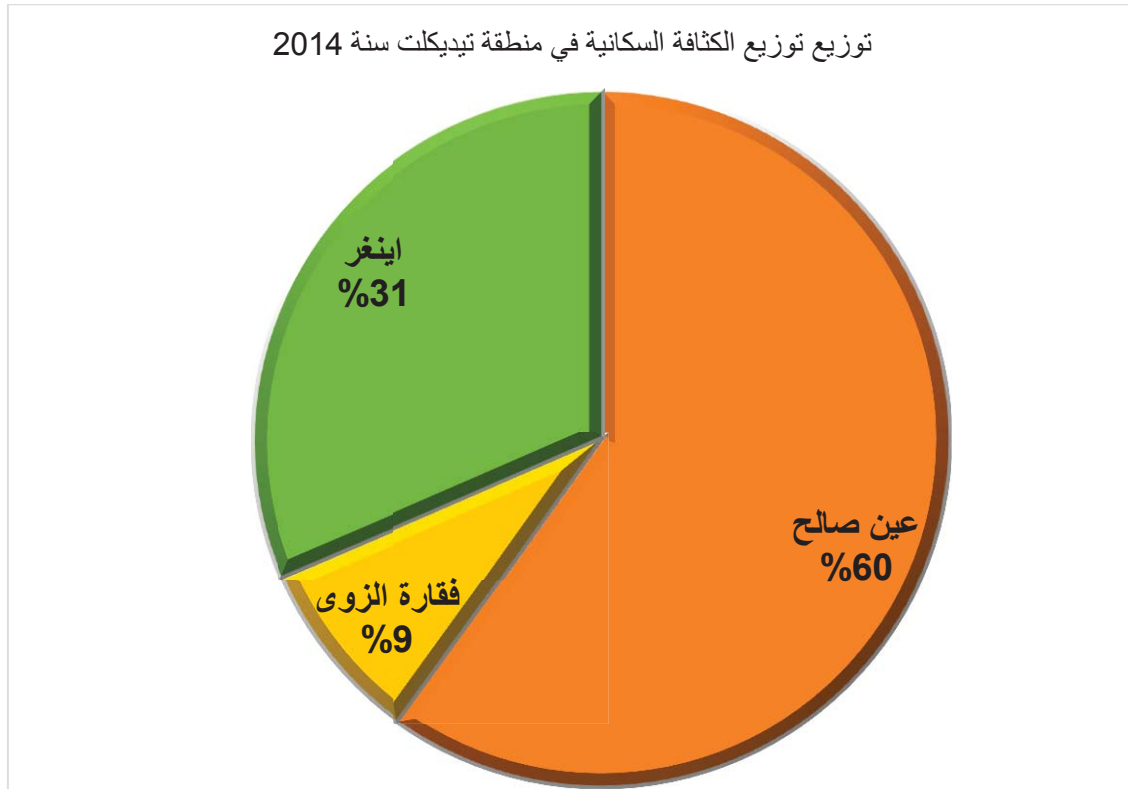
الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

ب. الكثافة السكانية: تعتبر الكثافة السكانية إحدى المقاييس الدالة على مدى التفاعل بين عدد السكان والمساحة الجغرافية.

جدول رقم 2: توزيع الكثافة السكانية في منطقة تيديكلت سنة 2014

البلدية	المساحة (كلم ²)	عدد السكان (نسمة)	الكثافة (نسمة/كلم ²)
عين صالح	43937,5	36887	0.84
فقارة الزوى	61312,5	7612	0.12
اينغر	28968,75	12690	0.44
المجموع	134218,8	57189	0,42

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية عين صالح (FDAU): 2014.



الشكل رقم (2) الكثافة السكانية 2014

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

من خلال الجدول رقم (3) والشكل البياني رقم (2) نلاحظ أن الكثافة السكانية ببلدية عين صالح مرتفعة، وقدرت بـ 0.84 (نسمة/ كلم²) سنة 2014. تلتها بلدية اينغر بـ 0.44 (نسمة/ كلم²)، لوحظت أقل كثافة في بلدية فقارة الزوى وقدرت بـ 0.12 (نسمة/ كلم²)، وهي كثافة منخفضة مقارنة ببلديات الوطن.

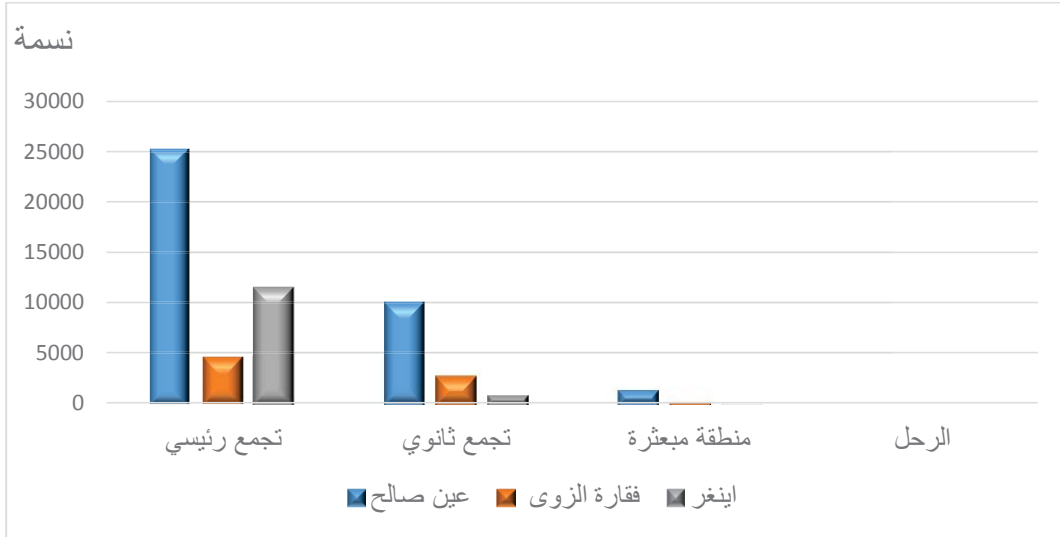
جـ. التوزيع الجغرافي للسكان: إن التوزيع الجغرافي للسكان يعتبر المرآة العاكسة للتفاعل الحاصل بين المركب الطبيعي والبشري. بالنسبة لتوزيع السكان حسب التجمعات حاليا فهو كما يلي:

جدول رقم 3: يوضح توزيع السكان حسب التجمعات السكانية لعام 2014

البلدية	تجمع رئيسي	تجمع ثانوي	منطقة مبعثرة	الرحل	مجموع عدد السكان (نسمة)
عين صالح	25142	10134	1490	121	36887
فقارة الزوى	4468	2713	335	96	7612
اينغر	11570	995	125	0	12690
المجموع	41180	13842	1950	217	57189
النسبة %	72	24,21	3,41	0,38	100

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية عين صالح (EDAU)، 2014.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة



شكل رقم (3) توزيع السكان حسب التجمعات السكانية لعام 2014

من خلال دراسة الجدول رقم (3) والشكل البياني رقم (3) نلاحظ تركيز قوي للسكان في مقر البلديات، حيث تبلغ 72% ومرد ذلك يرجع تقريباً إلى تركيز كل المرافق والخدمات فيها، مما جعلها قطب جذب لجميع سكان المنطقة، في حين تبقى المناطق المبعثرة ومناطق الرحل، ذات تركيز سكاني ضعيف جداً، حيث يقدر بـ 3.41% و0.38% على التوالي، على خلاف باقي التجمعات الثانوية ذات تركيز متوسط للسكان وقدرت النسبة به 24.21%.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

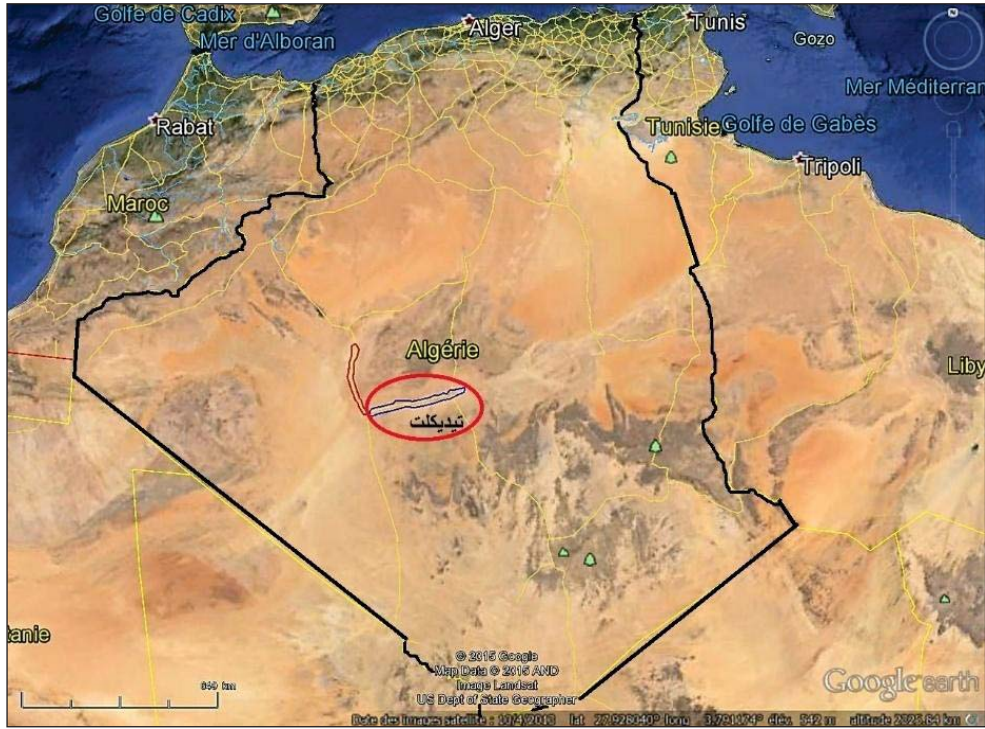
2.6 خصائص أفراد العينة

الجدول رقم (4): توزيع العينة حسب التجمعات السكانية:

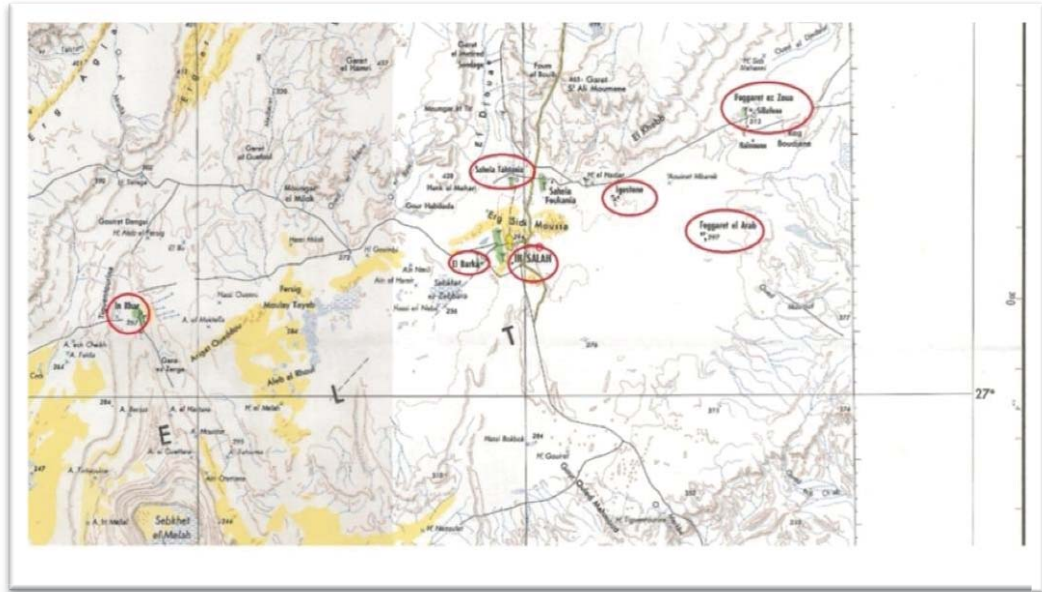
النسبة	التكرار	أماكن البحث الميداني
72.3%	225	عين صالح
10.3%	32	فقارة الزوى
6.8%	21	الساهالاتين
6.1%	19	إن غار
4.5%	14	إقسطن
100%	311	المجموع

من خلال الجدول يتضح لنا أن أغلب أفراد العينة هم من مدينة عين صالح، وذلك بسبة 72.3 بالمائة، وهذا يعود إلى الكثافة السكانية المرتكزة في المدينة، نظراً لمناصب الشغل التي تستقطب سكان القرى، مما يستدعي غالبية السكان البقاء حول هذه المراكز. ذلك يعني أن هناك مبحثين ينحدرون من المناطق المجاورة، إن غار، فقارة الزوى، الساهلة الغربية والشرقية (الساهالاتين)، إقسطن. وبالتالي تمثلت أماكن الاستطلاع الميدانية في: فقارة العرب، فقارة الزوى، عين صالح، البركة، الساهلة التحتانية، انغر، قصر المرابطين، قصر العرب، اقسطن. (انظر الخريطة رقم (1 و2)).

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة



خريطة رقم: المنطقة المخصصة للدراسة بعين صالح. المصدر: Google Earth 2015



خريطة رقم 2: توضيح مواقع الدراسة الميدانية، المصدر: Entré de la carte d'Afrique (Sahara) échelle 1/500.000 In Salah

تتوفر هذه المناطق على المعلومات التي تُخدم موضوع البحث من معالجات تقليديين وبائعي الأعشاب لذلك تم اختيارها.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

6. 3 المنهج المتبع:

إجرائيا، تمت الدراسة الاستطلاعية لمنطقة البحث في المناطق الثلاث بتدييكلت وهي، منطقة عين صالح، وفقارة الزوى وانغر. فكان لهذه الزيارات الميدانية دور في التعرف على مجتمع البحث وبيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية. وقمنا بمقابلات استكشافية حرة من أجل التحديد الصارم لموضوع متشعب ومنة في الأبعاد السوسولوجية للتداوي وكيف تستغل الأعشاب في بناء علاقات إجتماعية وإنتاج رموز التواصل بين أفراد المجتمع فحددنا من خلالها خطوات البحث الميداني، مع تصحيح بعض جوانب الإشكالية الأولية.

كما وضحنا الفرضيات المعتمدة في هذه الدراسة باجراء 10 مقابلات ذات طابع حر مع أفراد المجتمع، وبعض الأطباء، وبعض العشائين والمعالجين الشعبيين.

6. 4 العينة المختارة:

وقع الاختيار على عينة من المبحوثين لكل من منطقة عين صالح، منطقة فقارة الزوى وإنغر وكلها تعرف باسم إقليم تيدييكلت، تتوفر هذه المناطق على المعلومات التي تخدم موضوع البحث من معالين تقليديين وبائعي الأعشاب لذلك تم اختيارها.

مكنت هذه التحريات من تحديد عينة قصدية للبحث تمثلت في 311 مبحوث: 127 ذكور و184 إناث من الراشدين، وقد أجريت معهم استمارة مقابلة.

والعينة القصدية أو العمدية أو الغرضية: Purpsive sample: تعد من العينات غير الاحتمالية و"في هذا النوع من العينات يختار الباحث بعض الحالات التي يعتقد أنها تمثل المجتمع في الجانب الذي يتناوله البحث"¹ فرغبة منا في دراسة الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب بتدييكلت، اخترنا عينة من الراشدين، تمثل المجتمع البحث.

وتم إجراء استمارة مقابلة مع عينة أخرى مع المعالين التقليديين، وذلك باستخدام عينة كرة الثلج وهي عينة غير احتمالية "عينة كرة الثلج Snowball Sampling وهي طريقة غير احتمالية لأخذ

¹ زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، ط3، مطبعة السعادة، القاهرة، ص 174.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

العينات و تعرف وتعرف أحيانا بعينة الشبكة Net samling أو عينة السلسلة chain sampling وتستخدم في البحوث النوعية qualitative والتكنيك الذي يستخدم في اختيار العينة هو مقابلة الأشخاص، وبعد انتهاء المقابلة يسأل الباحث كل من اشترك فيها أن يذكر أسماء أشخاص آخرين لديهم نفس المعايير والذين يرغبون بالمشاركة في الدراسة.¹

فالإجراء بحث استكشافي نوعي مع مجموعة المعالجين قمنا في البداية مع معاينة إحدى المعالجات في قرية البركة بعين صالح، ومنها تم التعرف على معالج آخر بفقارة العرب، وقرية اقسطن ثم توصلنا إلى باقي المعالجين في منطقة تيديكلت، وكان عددهم 12 معالج، كل حسب اختصاصه.

وقد ساهم انتساب الباحثة إلى منطقة الدراسة من تذليل بعض الصعاب، وسهل عملية التواصل والحضور لمشاركة مجتمع الدراسة بملاحظات ميدانية أين أجريت علينا تجارب علاجية تقليدية في منطقة الدراسة، شملت: التدليك، الحجامة والتداوي بالأعشاب.

4.6. التقنية المعتمدة:

1.4.6 المقابلة: اعتمدنا تقنية المقابلة، كون الموضوع يمس عادات وتقاليد وأعراف لا يصرح بها الباحثين، كما أنها طريقة سهلة لجمع هذه المعلومات، مما جعلنا نقوم بمقابلة نصف موجهة، ومن جهة أخرى اعتمدنا الملاحظة بالمشاركة التي كان من الضروري ملاحظة السلوكيات التي يقوم بها الباحثين في مناسبات عدة لغرض مقارنتها مع تلك التي أدلى بها الباحثين، بالإضافة إلى خضوع الباحثة لبعض العلاجات التي يمارسها المعالجين لمعايشة ظاهرة التداوي وطقوسها، للتعرف أكثر عن هذه الظاهرة وممارستها.

تهدف الدراسة إلى محاولة التعرف على ظاهرة التداوي بالأعشاب بمنطقة تيديكلت وابرار الأبعاد الاجتماعية والثقافية لهذه الممارسة والسلوكيات التي تتخذ في المجتمع. وقد وظفت الدراسة منهجاً كفيماً لأن موضوع الدراسة الذي هو بطبيعته متشعب وأردنا من خلاله التعرف على حقيقة التداوي في المجتمع الصحراوي. وارتأينا من خلال فرضيات البحث، التعرف على ممارسات هذا

¹ منذر الضامن، أساسيات البحث العلمي، ط.1، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص 71.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

التداوي بمجتمع تيديكلت (عين صالح) وكيف يعيد إنتاج الوصفات العلاجية، التي أصبحت ثقافة تكتسب وتورث جيلاً عن جيل. لأنّ "التعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها."¹

يرى أدورنو تيودور فيزنجروند (Adorno 1903) أن معظم الدراسات الكيفية التي أجريت لفهم سلوك الأفراد والجماعات قد فشلت، بسبب عدم الانتباه إلى استحالة عزل الجماعة وقياس ديناميتها بهذا الشكل؛ لأن الأفراد الذين تتكون منهم هذه الجماعات، يختلفون فيما بينهم اختلافات بينية تماماً، كاختلاف الجماعات ذاتها بعضها عن بعض. ولذلك فإن الدراسة الناجحة للجماعة لا يمكن أن تتم إلا من خلال التعرف على علاقتها البنائية التي تظهر في وحدة تتمتع بالاستمرارية كالعائلة أو المصنع وغيرها من النظم."²

ولم نهمل في المقابل، المعطيات الكمية في البحث وذلك لإعطاء "وصفاً رقمياً مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر."³ يضيف أدورنو في هذا الإطار، أن "استخلاص نتائج الاختلافات الكيفية وتحويلها إلى نتائج كمية مما يسهل البرهنة على صدق بعض الفروض والنظريات أو دحضها وتفنيدها."⁴ ومن هذا المنطلق اعتمدنا على بعض التكميم والجداول، وذلك لإعطاء البيانات الكيفية الدقة والمقارنة الكمية.

2.4.6 المقابلة نصف الموجهة Semi directive: وهي التقنية "الأكثر انتشاراً في البحوث

السوسيولوجية المعاصرة."⁵

استعملت المقابلة الموجهة في هذه الدراسة، لغرض التعرف عن الوصفات والممارسات والتحضيرات والغرض منها ودلالاتها، في مجال التداوي الممارسات بالأعشاب في مجتمع تيديكلت (عين صالح).

وفي مثل هذا النوع من المقابلة "يقوم الباحث بتحديد مجموعة من الأسئلة بغرض طرحها على المبحوث، مع احتفاظ الباحث بحقه في طرح أسئلة من حين لآخر دون خروجه عن الموضوع."⁶

¹ ذوقان عبيدات، عبد الرحمن عدس، عبد الحق كايد، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، ط.5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1996، ص 224.

² محمد أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، الجزء الأول، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

³ ذوقان عبيدات، عبد الرحمن عدس، عبد الحق كايد، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، ط.5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1996، ص 224.

⁴ نفس المرجع.

⁵ نقلاً عن: ناصر بودبزة، المقابلة أداة لفهم الواقع الاجتماعي الجزائري: ما بين الضرورة الإستمولوجية ومجال لوجهات النظر؟، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، لبنان، طرابلس، العدد 45، سبتمبر، 2018، ص 110.

⁶ نبييل حميدشة، المقابلة في البحث الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8 جوان 2012، ص 102.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

اعتمدنا على دليل مقابلة لاستفءاء المعلومات المتعلقة بمشكلة البحث والتي تتطلب بحث ميداني معمق مع بعض فئات المجتمع لبحث. ومعرفة تمثلات المبحوثين اتجاه ظاهرة التداوي بالأعشاب. وهذه المعطيات تمكننا منها المقابلة، حيث أن "من المعارف عليه لدى المشتغلين بالبحث في علوم الإنسان أن سلوك هذا الأخير هو انعكاس لعدة عوامل، منها ما هو خارجي كالبيئة التي يعيش فيها أو عوامل اقتصادية، سياسية أو اجتماعية، ومنها ما هو داخلي كالمؤثرات النفسية والتجارب التي مرّ بها مند ولادته وأساليب تنشئته."¹

في هذه الدراسة، أجريت 45 مقابلة منها 30 مبحوث من كلا الجنسين، و10 مقابلات جماعية باختلاف المناسبات و5 مقابلات للمعالجين الشعبيين

ولهذه المقابلة محاوراً ندرجها فيما يلي:

1. محور البيانات الشخصية

2. محور خاص ببيانات الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب في المراسيم والمناسبات التالية:

- في مراسيم الخطبة والزواج في 5 خمسة مراسيم تمت ملاحظتها وتتبعها منذ انطلاق مشروع الأطروحة 2014 و2020 لدى أفراد من عائلي وعائلات أصدقاء.

- في 4 مناسبات الولادة والنفاس.

- في مراسيم الحتان، حضور 3 مناسبات.

- مراسيم الزيارة حضور مناسبتين 2.

فهذه المقابلة تمت أثناء مراسيم الحدث أو بعده وكانت مقابلات جماعية من 3 إلى 5 أشخاص من كلا الجنسين.

كما خصص محور للمعالجين الشعبيين، نظراً لأهمية التعرف على هذه الفئة من المجتمع التي يتجه إليها المبحوثين، وسمح لنا ذلك بتكوين دليل المقابلة نصف موجهة.

¹نبيل حميدشة، مرجع سابق، ص 99.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

أجريت مقابلة نصف موجهة مع 5 معالجين من كلا الجنسين (3 إناث) (2 ذكور) مختصين في العلاج: بالأعشاب، التمسيد، الكي، الحجامة، الرقية. وقد أجريت المقابلة في: 8 أوت 2016، 9 أوت 2016 أما محاورها فتمثلت في:

1. محور البيانات الشخصية.

2. محور خاص ببيانات حول موضوع التداوي بالأعشاب الممارس من طرف المعالجين الشعبيين.

وقصد تدعيم الدراسة بمعطيات أخرى، ارتأينا معرفة أهم هذه الأمراض من طرف لأطباء، لذلك أجرينا مقابلة مع 5 أطباء، (يعملون بعين صالح) الغرض منها تدعيم الدراسة بمعطيات حول الأمراض المتداولة بالمنطقة، لمعرفة علاقتها بأهم الوصفات المقترحة من طرف المبحوثين.

أجريت مقابلة استطلاعية في شهر جانفي 2018 بمسشفى عين صالح وبعض العيادات الخاصة بمنطقة الدراسة.

ولهذه المقابلة محاورا ندرجها فيما يلي:

1. محور البيانات الشخصية.

2. محور خاص ببيانات حول الأمراض المتواترة بمنطقة تيديكلت.

3.4.6 الملاحظة بالمشاركة: اعتمدنا على تقنية الملاحظة بالمشاركة لكونها من أهم وسائل جمع البيانات في مثل هذه المواضيع و"يستعملها الإنسان المعاصر لما لها من أهمية"¹ وكذلك لمعرفة دلالتها الرمزية عند المبحوثين.

يرى عبيدات وآخرون، بأن "دراسة الطقوس الدينية والعادات وبعض التقاليد الاجتماعية والاحتفالات والأعياد تتطلب أن يتصل الباحث مباشرة بهذه الظواهر حيث لا يكفي أن يقوم الباحث بتوزيع استبيان أو إجراء بعض المقابلات، فلا بد من أن يعيش الباحث هذه الظواهر."²

ومن رواد تقنية الملاحظة بالمشاركة في ميدان علم الاجتماع، مالنوفسكي، استخدمها في بحوثه الثقافية، لدراسة الثقافة من الداخل وبين أنه "لبس بالإمكان دراسة ثقافة من خارجها، فما بالك بدراستها عن بعد. ولعدم قناعته بالملاحظة المباشرة في الميدان، كان هو من أكسب الصفة النسقية

¹سلاطينية، مرجع سابق ص 66.

²زوقان عبيدات، عبد الرحمان عدس وكايد عبدالحق، البحث العلمي: مفهومه، وأدواته، وأساليبه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عماندار الفكر، 1984، ص 149

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

لاستخدام المنهج الإثنوجرافي المسمى (ملاحظة بالمشاركة)-لعبارة من ابتدائه- نمطاً وحيداً لمعرفة عميقة بالآخيرة الثقافية قادرة على الإفلات من المركزية الإثنية.¹

وقد مكن التحقيق الميداني للملينيوسكي من أن "يقاسم عالم الإثنولوجيا السكان حياتهم ويسعى جاهداً للنفاذ إلى ذهنيهم الخاصة، عبر تعلم اللسان المحلي ومن خلال الملاحظة الدقيقة لظواهر الحياة اليومية، بما في ذلك الأكثر تفاهة من بينها والأكثر افتقاراً (ظاهرياً) للدلالة. يتعلق الأمر أساساً بفهم وجهة نظر الأهلي. من شأن هذا التمشي الصبور، حصراً، أن يمكن من إبراز تدريجي للتعلق الموجود بين الظواهر الملحوظة وأن يمكن، بالتالي، من تعرف ثقافة المجموعة المدروسة."²

وقد ساهم انتساب الباحثة إلى منطقة الدراسة في تذليل بعض الصعاب، وسهل عملية التواصل والحضور لمشاركة مجتمع الدراسة بملاحظات ميدانية، أين أجريت علينا تجارب علاجية تقليدية في منطقة الدراسة، شملت: التدليك، الحجامة والتداوي بالأعشاب.

فأهمية الملاحظة هنا، تكمن "في أنها الوسيلة الأسهل والأبسط في مراقبة السلوك الإنساني وجمع بيانات حوله في بعض المواقف الحياتية التي يستطيع الإنسان أن يعطي فيها معلومات أو تلك التي ينجح الإنسان أن يصرح فيها بمواقفه كما أنها تفيد في تلك المواقف التي يرفض فيها المبحوثين إعطاء معلومات للباحث تتعلق بموضوع الدراسة."³

6. 4. 4 استمارة مقابلة: بناءً على ما سبق تم إضافة استمارة مقابلة كتقنية تدعيمية من أجل تحديد عينة قصدية للبحث مع أفراد عينة مكونة من 311 مبحوث من الراشدين، لفئة عمرية من 20 سنة فما فوق. وتناولت محاور الاستمارة تمثلت في أربعة محاور اشتملت:

-محور لبيانات الشخصية.

-محور الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب.

-محور المبحوثين ومدى تأثرهم بالمعالجين الشعبيين.

¹محمد أبوزيد، مرجع سابق، ص ص 60 و 61.

² نفس المرجع، ص ص 60 و 61.

³سلاطينة بلقاسم، حسان الجيلاني، أسس البحث العلمي، مرجع سابق، ص 66.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

5.4.6 الإثنوبوتانيك: كما استعنا بالدراسة الإثنوبوتانية، بهدف التعرف على النباتات المستعملة من طرف المبحوثين، لغرض التداوي والوصفات المرافقة لها، وهي دراسة تركز على علاقة الانسان بالنبات في بيئته الخاصة.

6.6. وصف العينة

1.6.6 توزيع المبحوثين حسب الجنس:

الجدول رقم(5): توزيع المبحوثين حسب الجنس

النسبة	التكرار	الجنس
40.8%	127	ذكور
59.2%	184	إناث
100%	311	المجموع

من خلال الجدول يتبين لنا أن أغلب أفراد العينة هم إناث بنسبة 59.2 بالمائة.

وذلك يفسر انجذاب الإناث لمثل هذه المواضيع أكثر من الذكور، نظراً للأدوار الحياتية التي تقوم بها المرأة؛ كتربية ورعاية أفراد الأسرة ونظراً للتغيرات الفيزيولوجية المصاحبة للولادة وما بعدها، مما يجعلها تبذل جهد أكثر لمسايرة هذه التغيرات كسب صحة أوفر، لتمكينها من ممارسة الأدوار المنوطة بها في الحياة الاجتماعية.

كما أن الإناث أكثر قرب لمجال التداوي بالأعشاب، وهن أكثر استعمال للنباتات في حياتهن الخاصة و العامة. وهي علاقة ترابطية قديمة، تعود لزمان استئناس البشرية للنباتات البرية بالزراعة.

وفي الوقت الحاضر تتجسد هذه الظاهرة في مختلف المجتمعات التقليدية على الخصوص، والتي تعتمد حياتها على الزراعة؛ وفي الموروث الشعبي، هناك مثل إفريقي يقول: "لولا النساء لمات الرجال جوعاً" حيث يرى روبرت بريفول Robert Briffault أن النساء هن المزارعات الأوائل للتربة "تأتي

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

النساء في كل الثقافات الدنيا ينظر إليهن كما أنهن أصحابها، وبالتالي فإن ملكية الأرض تتطور أولاً في أيدي النساء.¹

وقد عزز الوضع الأمومي للنساء ملكية الأرض ووراثتها بجهدهن وأصبغ عليهن صفة الكهانة فبحسب، روبرت بريفلول Robert Briffault فإن "تطور الحضارات الزراعية دون أي مرحلة رعوية سابقة، عززت الوضع الأمومي للنساء ليس فقط كملاك وورثات الأرض الصالحة للزراعة، ولكن أيضاً من خلال ارتباطهم التقليدي الزراعي بالسحر أو الدين، الذي افترض في المجتمعات القديمة تطوراً كبيراً مرتبطاً بالملاحظات الزراعية، حيث تحتفظ النساء لفترة طويلة: بشخصية الكاهنات."²

وهذا الكلام لم يأتي من فراغ، حيث أشار الفكر الأسطوري الإغريقي إلى الخصوبة أين تمثل "الأرض أم أكثر مما هي مادة. وتبدو المرأة في احتفاليات الزواج كما في المسرح المأساوي، حقلاً للحرث (القرآن الكريم يقول تعالى: (نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ))، وثلماً للبذار."³ بجرنا هذا التفسير إلى أصول الإنسان وأساطيرها التي تدور حول الأرض والحرث الرجل والمرأة " فالإنسان يأتي من الأرض (الدرجة صفر للأسطورة)؛ وهو مولود الأرض (Gegenis)، ابن التراب أو الوطن (Autochthon) كما هو مفطور/ مخلوق المرأة المفطورة بدورها، من التراب على يد فاطر مُبدع. الأرض حقل/ والأرض مادة: والانسان هو ابن الحرث (Glèbe) كما هو ابن الصلصال (glaise)."⁴

وأصل الانسان يجعله يرتبط بالغذاء والدواء من التراب، ويبرز دور المرأة باعتبارها المسعف الأول المبادر للعلاج والدواء، كتخفيف الحمى والإسهال والصداع وغير ذلك.

¹Robert Briffault, *The Mothers: The Matriarchal Theory of Social Origins*, The Macmillan Company New York 1931, p173.

² Ibid. p 247.

³ خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط.1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1984، ص 26.

⁴ نفس المرجع ص 26.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

2.6.6. توزيع المبحوثين حسب السن:

الجدول رقم (6): توزيع المبحوثين حسب السن

النسبة	التكرار	السن
%10.9	34	<20
%22.2	69	30-20
%27.7	86	40-30
%19.3	60	50-40
%14.8	46	60-50
%5.1	16	>60
%100	311	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلب أفراد العينة يتراوح سنهم ما بين 30-40 سنة وذلك بنسبة 27.7 بالمائة، ثم تليها نسبة 22.2 بالمائة للفئة العمرية 20-30، وتقترب من هذه الفئة ممن تتراوح أعمارهم ما بين 40-50 وذلك بنسبة 19.3 بالمائة. أما بالنسب للفئة العمرية 50-60 فبلغت 14.8 بالمائة. أقل نسبة شملت الفئة العمرية 20 فما فوق بنسبة 10.9 بالمائة وأخيراً فئة 60 سنة فما فوق بنسبة 5.1 بالمائة.

نلاحظ أن الفئة العمرية 50-40 و للفئة العمرية 60-50 مثلت أكبر الفئات وهي مرحلة عمرية مهمة لجمع البيانات بين الشباب والكهولة، يمكن الاستفادة من اجاباتهم ونحارهم في مجال التداوي. تحديدنا لهذه الفئة العمرية، كونها تمثل فئة من الراشدين الذين تسمح اجاباتهم بمتطلبات الدراسة.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

3.6.6 توزيع المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية:

الجدول رقم (7): توزيع المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية.

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة
أعزب	140	%45.0
متزوج	152	%48.9
أرمل	12	%3.9
مطلق	7	%2.3
المجموع	311	%100

من خلال الجدول يتبين لنا أن غلب المبحوثين متزوجين وذلك بنسبة 48.9 بالمائة، وهذا يفسر أن الزواج من الأمور الضرورية بالنسبة لمجتمع الدراسة، حيث تفرض التقاليد والأعراف التعجيل بالزواج كلما سمحت الفرصة للشباب خاصة إذا حصل على وظيفة وسكن، كما أن المجتمع يساهم في تيسيره من خلال التضامن الاجتماعي مثل الزواج بمساهمة الجمعيات المخصصة لهذه المناسبة قصد تخفيض تكاليفه ومتطلباته تحت إطار الزواج الجماعي، خاصة في العشرينات الأخيرة من هذا القرن.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

وليس بعيداً عن فئة المتزوجين، نجد فئة الأعزب بنسبة 45 بالمائة، وهي فئة تمثل ارتفاعاً في مجتمع البحث. وأخيراً وبأقل نسب للأرامل ب 3.6 بالمائة والمطلقين بنسبة 2.3 بالمائة.

4.6.6 توزيع الباحثين حسب المستوى التعليمي:

الجدول رقم (8): توزيع الباحثين حسب المستوى التعليمي

النسبة	التكرار	المستوى التعليمي
3.2%	10	لا يقرأ ولا يكتب
10.9%	34	يقرأ ويكتب
3.9%	12	ابتدائي
7.4%	23	متوسط
31.8%	99	ثانوي
42.8%	133	جامعي
100%	311	المجموع

يتبين لنا من خلال الجدول أن المستوى التعليمي الغالب هو المستوى الجامعي بنسبة 42.8 بالمائة وهذا راجع إلى أن غالبية الطلاب تمكّنوا من مواصلة التعليم في ظل وفرة الجامعات بالولايات الجنوبية المجاورة على غرار جامعة أدرار، غرداية وورقلة وكذا المركز الجامعي بتمنراست، وهي فرصة توافرت منذ التسعينيات، ساهمت بشكل أو بآخر بالانفتاح على الجامعة لكلا الجنسين لمواصلة التعليم العالي.

ثم نجد المستوى ثانوي بنسبة 31.8 بالمائة، ويرجع ذلك لتوفر الثانويات وحرص المجتمع على تعليم أفراد المجتمع. أما بالنسبة لأقل نسبة سجلت للمستوى التعليمي لا يقرأ ولا يكتب بنسبة 3.2 بالمائة.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

5.6.6 توزيع الباحثين حسب المهنة:

جدول رقم 9 : توزيع الباحثين حسب المهنة

النسبة	التكرار	المهنة
42.7%	133	موظف
22.1%	69	عامل متعاقد
27.9%	87	عاطل
7.0%	22	متقاعد
100%	311	المجموع

يوضح الجدول السابق أن معظم الباحثين يشتغلون بوظائف دائمة حيث مثلت فئة موظف أعلى نسبة 42.7 بالمائة، ثم نجد فئة عاطل عن العمل في المرتبة الموالية بنسبة 27.9 وهي تمثل نصف الفئة السابقة تقريباً، وتلتها نسبة 22.1 بالمائة ممثلة في فئة عامل متعاقد، في حين كانت أقل نسبة لفئة متقاعد بـ 7.0 بالمائة.

يتبين لنا مما سبق أن معظم أفراد العينة لهم وظيفة، وهذا سيساهم في فهم مدى إقبال الباحثين على التداوي ومدى استعمالهم للأعشاب في سلوكياتهم في ظل توفر الوظيفة، وتوفر الدخل من خلالها.

كما يبرز دور وظيفة الباحثين في علاقاتهم بالأعشاب وعلاقة أفراد المجتمع من خلال الوظيفة في مدى أهميتهم بالتداوي بالأعشاب. وهذا موضوع يمكن أن يكون له مجال بحث قائم بذاته لدراسة هذه العلاقة بأبعادها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لأن مكان العمل وما ينتج عنه من علاقات ستؤدي إلى اهتمام الموظفين بمجال التداوي بالأعشاب وما ينتج عنه من تبادل معلومات وأفكار ووصفات تتكرر من طرف الباحثين مما يكسبهم ثقافة خاصة حول هذه الصفات، قديمة كانت أم حديثة.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

ان منطلق هذا التبادل، هو الوسط الاجتماعي للموظفين، وبالتالي تكون إجابة المبحوثين نتاج التواصل بين الموظفين، حيث من الممكن تتحصل على إجابات متجانسة.

6.6.6 توزيع المعالجين المبحوثين حسب الجنس:

جدول رقم 10 توزيع المعالجين المبحوثين حسب الجنس

النسبة	التكرار	الجنس
25 %	(3)	ذكور
75 %	(9)	إناث
100	(12)	المجموع

الجدول يوضح أن أغل المبحوثين المعالجين، هم إناث بنسبة 75%، فيما تمثلت نسبة الذكور 25%.

وهذا يفسر أن المعالجين الشعبيين في منطقة تيديكلت يغلب عليها العنصر النسوي، وهذه الظاهرة نجدها في مختلف التراب الوطني. كما أن هذا النوع من المهن، تنجذب إليه النساء فيما بينهم، نظراً لتشارك أحاسيسهن ومشاكلهن، فيحاولن العثور على شخص من جنسهن يفصحن له عما يشغل بالهن من الأمور الصحية بكل أريحية.

انجذاب النساء للنباتات ظاهرة اجتماعية تميز مختلف المجتمعات، لأن " لدى النساء معرفة بالنباتات المستخدمة. الغسولات العلاجية للأمراض الأكثر شيوعاً. يستخدمون النباتات الموجودة في متناولهم، بالقرب من المنزل والحقول. غالباً ما يتم إرسال الأطفال لإحضارها. القطف لا يتطلب طقوس خاصة. وهو في الأساس أوراق ولحاء الأشجار والشجيرات. يتم استخدامها في النقع والاستخلاص بالإغلاء، وفي هذه الحالة يتبعها أحياناً فرك الجسم بالأوراق الدافئة. تنتقل هذه المعرفة بشكل طبيعي. على الرغم من أن بعض الأشخاص معروفين بمعرفة أكثر من غيرهم، فلن يتم اعتبارهم معالجين.¹

يبين ذلك أن المعالجين في الغالب لهم مكانة خاصة تميزهم عن غيرهم حتى أولئك الذين يعرفون أكثر منهم. النظام الاجتماعي يساهم في هذا التأطير بشكل واضح. يرى زمبلاي Zempléni في هذا الإطار

¹ Heidenreich F., Kalis S., Burtscher D. p339

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

"أن اتساع معرفة الدور المعالج المهم في مجتمعه كوسيط بين القوى الخارقة والإنسان. فلا يُنظر إلى المرض على أنه معاناة جسدية فحسب ، بل يُنظر إليه في نفس الوقت على أنه اضطراب اجتماعي"¹ يفسر انجذاب المريض للمعالج أو المعالجة إلى العامل النفسي، حيث تعتبر من أبرز الأمور التي تشعر المريض بالتحسن، خاصة عندما يتم الحوار بين المعالجة والمريضة أو المريض، بشيء من الفكاهة، للتخفيف من قلقهم وتوترهم. هذه الحركات والتربيتات من الامور التي تجلب المرضى للمعالجات أو المعالجين وهي بمثابة جلسات نفسية بالدرجة الأولى.

7.6.6 توزيع المعالجين المبحوثين حسب السن:

جدول رقم 11: توزيع المعالجين المبحوثين حسب السن

النسبة	التكرار	السن
8,3%	1	40-30
25%	2	50-40
25%	3	60-50
41%	5	>60
100%	1	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلب أفراد العينة يتراوح سنهم ما بين فئة 60 سنة فما فوق بنسبة 41 بالمائة. وبنسب متقاربة مثلتها لفئة العمرية 50-40 وكذا 60-50 بنسبة 25 بالمائة.

يلعب سن المعالج دوراً كبيراً في اكتساب الخبرة من خلال التجارب المستمرة التي يعايشها مع المرضى. كمت يمكن السن من تعميق الثقة بين المعالج والمريض. ومن الملاحظ أن في مختلف المجتمعات، يكون سن المعالجين كبار السن، قد توارثوا المهنة أباً عن جد، خاصة في المجتمعات التقليدية.

¹ Heidenreich F., Kalis S., Burtscher D. Op.cit, p 340.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

وقد لاحظنا في الفصل الخاص بسوسيولوجيا المعالجين الشعبيين مكانتهم في الثقافة الازباكستانية، وفي افريقيا وفي الوطن العربي.

8.6.6 توزيع المعالجين المبحوثين حسب المستوى التعليمي:

جدول رقم 12: توزيع المعالجين المبحوثين حسب المستوى التعليمي

النسبة	التكرار	المستوى التعليمي
8,33%	1	لا يقرأ ولا يكتب
58,33%	7	يقرأ ويكتب
0%	0	ابتدائي
16,66%	2	متوسط
16,66%	2	ثانوي
0%	0	جامعي
100%	12	المجموع

يوضح الجدول أن المستوى التعليمي للمبحوثين المعالجين بمنطقة تيديكلت مثلت فئة يقرأ ويكتب أعلى نسبة قدرت بـ 58,33% وبنسب متساوية للمستوى المتوسط والثانوي 16,66% ، بينما لا وجود للمستوى الجامعي والابتدائي.

وذلك يفسر أن المستوى التعليمي للمعالجين بسيط بالنسبة للتعليم الأكاديمي، إلا أن المكانة الاجتماعية لهذه الفئة تحظى قبول من طرف أفراد المجتمع، نظراً للبراعة التي اكتسبها عن سابقهم، أو نظراً لهبة رمزية لممارسين سابقين، أو نظراً لوراثة للمهنة أباً عن جد. وهذا ما سنراه في التحليل الخاص لكل معالج سمحت لنا الفرصة لمقابلته.

الفصل الأول: الجانب المنهجي للدراسة

9.6.6 توزيع الباحثين حسب المهنة:

جدول رقم 13: توزيع المعالجين الباحثين حسب المهنة

النسبة	التكرار	المهنة
8,33%	1	يعمل
75%	9	لا يعمل
16,66%	2	متقاعد
100%	12	المجموع

يبين الجدول أن غالبية المعالجين الباحثين لا يعمل بنسبة 75%، ومثلت أقل نسبة 8,33%.

وهذا يفسر أن المعالجين الباحثين يكتفون بمهنة التداوي التي ربما توفر لهم احتياجاتهم، خاصة في حالة حصول الشفاء فإن المرضى لا يبخلون على اكرامهم، وقد كانت لنا ملاحظة بالمشاركة في هذا الشأن عند معالجتين كيف حظين بمدايا مادية كانت سواء نقدية أو هدايا.

وفيما يلي توضيح أكثر حول أبرز المعالجين الشعبيين الذين تمت مقابلتهم للتعرف على مهنتهم، وأهم الأمراض التي يعالجونها. وهذا ما بينته الدراسة الميدانية والتقصي لهؤلاء المعالجين بتيديكلت.

الفصل الثاني:

التداوي بالأعشاب عبر الحضارات

القديمة

تمهيد

نعالج في هذا الفصل التداوي بالأعشاب عبر الحضارات والطب الشعبي، لمعرفة الجذور التاريخية والعميقة التي مارسها الإنسان عبر التاريخ، فمنذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الحاضر، ترك الإنسان أثراً واضحاً في العالم فيما يتعلق بالتداوي وطرق العلاج المختلفة، في سبيل الحصول على الصحة السليمة، حيث كان المرض من الأمور التي كانت تعكر صفو حياته، مما جعل تصورات الإنسان حول المرض تفسر بتفسيرات ميتافيزيقية أحياناً ورمزية أحياناً أخرى. كل ذلك لتبرير ما كان يواجهه الإنسان من صعوبات في تفسير المرض.

لم يبقى الإنسان مكتوف الأيدي بل بذل مجهودات متنوعة ومحاولات للتعافي من المرض. ففي كثير من الأحيان نوجد نقاط تشابه واتفاق في مجال التداوي تشترك فيها الحضارات على غرار الحضارة البابلية والمصرية واليونانية والرومانية والفارسية إلى الفتح الإسلامي. فكيف ما كان الاختلاف، إلا أن آثار بني البشر، لا تفتأ أن تبين هذا التشارك في التداوي.

يقول سارتون: قد يسأل المرء (وما شأن العلم القديم بالمدينة الحديثة؟) والجواب أنه شأن عظيم، فالمدينة الحديثة مركزها العلم والتكنولوجيا، وما العلم الحديث إلا امتداد للعلم القديم، وم كان يوجد لولاه¹ وكذلك بالنسبة للتداوي بالأعشاب فما هو إلا امتداد لمن سبقونا.

¹ جورج سارتون، العلم القديم والمدينة الحديثة، تر. عبد الحميد صبرة، أحمد فؤاد باشا، سلسلة ميراث الترجمة، القاهرة، 2010، ص24.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

قبل الحديث عن التداوي بالأعشاب عبر الحضارات نحاول بادئ ذي بدء فهم كلمة التداوي في حد ذاتها. فقد "خلق الله- سبحانه وتعالى- الإنسان وخلق معه الداء والدواء... وهو موجود على وجه الأرض منذ الأزل. فمنذ فجر التاريخ، حاول الإنسان أن يعالج نفسه بنفسه من الأمراض بتناوله أشياء غريبة ولا تزال بعض المجتمعات البدائية في أدغال إفريقيا وأمريكا الجنوبية، تحتفظ بأدويتها وعقاقيرها الخاصة بها، تتوارثها جيلا بعد جيل بالخبرة والتجربة."¹

فالداء في اللغة: المرض ظاهراً أو باطناً.² تَدَاوَى: تناول الدواء. والدَوَاءُ في اللغة: ما يُتَدَاوَى به ويعالج وجمعه أدوية.³ والدواء يسمى كذلك "عقار، (croque) تنحدر من كلمة فرنسية وتعني "عشب جاف".⁴ كما أن أصل اللفظ الإفرنجي Drug غير محقق ولكن قيل أنه مشتق من اللفظ الهولندي 'droog' الذي معناه 'يجف' أي أن العقار ناتج من الأصل النباتي أو الحيواني المحفوظ نتيجة تجفيف، ولكن سيولد C.F. Seybold، يرجعه إلى اللفظ العربي دواء 'Dowa'.⁵

والعقار كما "ورد في-معاجم اللغة ما يتداوى به من النبات والشجر وفي 'الصحاح' العقاقير هي أصول الأدوية وقال أبو الهيثم العقار والعقاقير كل نبت ينبت فيه شفاء، ولا يسمى شيء من العقاقير 'فوها'. والعقاقير هي المفردات الدوائية الخام، نباتية كانت أو حيوانية أو معدنية ولكن لا تشمل المفردات الكيماوية النقية."⁶

الدواء اصطلاحاً، يعرف "بأنمائي مادة تستعمل في تشخيص أو معالجة الأمراض التي تصيب الإنسان أو الحيوان أو التي تفيد في تخفيف وطأتها أو الوقاية منها".⁷

عرفت المنظمة العالمية للصحة سنة 1966 الدواء على أنه: "مادة، مواد أو منتجات تستخدم أو يراد أن تستخدم لتعديل أو استكشاف العمليات الفسيولوجية أو الحالات المرضية لصالح المتلقي".⁸

¹ نفس المرجع، ص 15.

² إبراهيم أنيس -عبد الحليم منتصر -عطية الصوالحي -محمد خلف الله أحمد، معجم الوسيط، المجلد 1، ط4، مجمع اللغة العربية -مكتبة الشروق الدولية 2004، ص 301.

³ نفس المرجع ص 306.

⁴ Salil K. Bhattacharya, Parantapa Sen and Arunabha Ray, Pharmacology, 2/e, Elsevier India, 1 janv. 2003 - 624 pages, p 1

⁵ محمد كامل حسين، عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، الموجز في الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، 1979، ص 272.

⁶ محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 272

⁷ رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ص 9- 10.

⁸ Salil K. Bhattacharya, Parantapa Sen and Arunabha Ray, Op.cit, p 1

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

أما العلاج لغة: فالعلاج لغة، نقول: "عالج الشيء، معالجه، وعلاجاً: زاوله ومارسه. وعالج المريض: داواه. وعالج فلاناً غالبه. عالج عنه: دافع."¹

العلاج (Therapy) اصطلاحاً، "فيعني العلاج معاملة الاضطرابات والأمراض، العقلية والجسدية على السواء، فيجمع فكرة الخدمة والانتباه إلى فكرة المداواة. وفي القرن العشرين صار العلاج يحتل مكاناً خاصاً في حياة الغرب. وهناك مئات الأنواع المختلفة من العلاج، تمتد من أشكال العلاج النفسي (Psychotherapy) إلى العلاج المهني (Occupational therapy) إلى العلاج بالفن، والعلاج بالدراما، والعلاج العائلي"² وغيرها كثير، حتى "صارت لفظة العلاج تطلق على الممارسات العصرية، العصرية، مثل العلاج البلوري أو أنواع التدليك مثل العلاج العطري (أو ببساطة العلاج بالتدليك). كما أنها تُستخدم في المعالجات الطبية مثل العلاج الكيميائي (chemotherapy)/(chémothérapie) أي استخدام المستحضرات السمية لمعالجة السرطان، والعلاج باستبدال الهرمون، أي استعمال الأستروجين والبروجسترون (الهرمون الأنثوي) لمعالجة أعراض انقطاع الطمث."³

فالدواء أو العلاج هو أي عقار يُستعمل في معالجة أي عرض من أعراض مرض ما و/أو تحسين الحالة العلاجية للمريض أو يمكن استخدامه كدواء وقائي يستفيد منه الجسم فيما بعد ولكنه لا يعالج مرض أو عرض حالي أو مرض عانى منه الفرد من قبل."⁴

في العقود الأخيرة حقق الإنسان إنجازات هامة في مجال الأدوية ومفعولها "وتأثيراتها يجعل منها أقوى وأهم الإنجازات العلمية... فمن المرعب أن نتصور عالماً خالياً من هذه الأدوية-إن كانت علاجية أو وقائية-لأنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان وسر بقاءه واستمراره تعينه على مقاومة الأمراض والأوبئة والوقاية منها."⁵

تاريخياً، تشير العديد من الدراسات إلى أن المعالجة بدأت "فعالاً مع الحيوانات، فعندما كانت الكلاب تشعر بالانحراف في صحتها، كانت تأكل أعشاباً معينة لتهدئة اضطراب المعدة. والقطط تبحث عن نبات النعناع وتأكله بنهم شديد عندما تشعر بالتخمة لطرد الرياح والغازات من المعدة

¹معجم الوسيط، ص 620.

²طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ ومغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر. سعيد الغانمي، المنظمة العربية العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 494.

³ المنظمة العربية للترجمة، المرجع السابق، ص 495.

⁴https://ar.wikipedia.org/wiki/site_visite_le_08/01/2017 .

⁵ رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 10.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

(وثبت فيما بعد أنه يحتوي على زيت طيار يطرد الأرباح).¹ من خلال ملاحظات الإنسان طرق العلاج المتخذة من طرف الحيوانات، جعله يفكر كيف يستفيد من هذه الغريزة ومن تلك الخصائص، وذلك بمرافقة هذه الحيوانات وتتبعها في أكلها ومشربها كلما احتاج إلى الدواء أو الغذاء، غير أن الخرافة والسحر كانا يمتزجان بالجهود الأولى التي كان يبذلها الإنسان.² وهذا ما ورد في التداوي عبر الحضارات التي مرت على الإنسان.

إن معرفة الإنسان بالأعشاب قديمة، وقد تجمعت من "تجارب عملية منذ آمام بعيدة، ومن محاولات وأخطاء استمرت مئات وآلافاً من السنين. ومن المستحيل علينا أن نفهم كيف- وإلى أي مدى- تكررت تلك التجارب الغامضة العرضية، وكيف لوحظت نتائجها، ونقلت من جيل إلى آخر، ولكنها الحقيقة الواقعة، أن أسلافنا فيما قبل التاريخ دأبوا كما دأب الأقباط البدائيين الذين نستطيع ملاحظتهم في العصر الحاضر وتمكنوا أن يجربوا كثيراً من أنواع النباتات والأشياء الأخرى وأن يصنفوها في مجموعات متنوعة تبعاً لمنفعتها وخطرها"³

ويعتقد أن الرعاة "تعلموا طرقاً بسيطة لتجبير العظام المكسورة أو المخلوعة، وبالضرورة استخدام التوليد، واستطاعت المولدات الذكيات أن يدخلن تحسينات في وسائلهن، يعلمنها للصغار من مساعديهن. وفي كل هذه الحالات كان المعلم الجيد الصارم حاضراً على الدوام."⁴

1. الدواء عند الصينيين القدماء

لا شك في أن الحضارة الصينية تعد من أقدم الحضارات، حيث تميزت بخصوصية كونها "من صنع الصينيين أنفسهم، فيذكر التاريخ أنهم لم يقتبسوا من غيرهم إلا القليل. ويعرف عن الصينيين أنهم أول من أعطى العالم فن الطباعة والورق والحبر والعملية الورقية والبارود والبوصلة وآلة تسجيل الزلزال، كما أنهم تفوقوا في الفنون الأخرى مثل الطلاء وحفر الخشب ونقش العاج وصناعة الحلي والتحف الفنية وغيرها، بالإضافة إلى أنهم حققوا تقدماً ملموساً في علوم الطب والصيدلية والفلك والرياضيات."⁵

¹ نفس المرجع، ص 17.

² المنظمة العربية للتنمية الزراعية، النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي، الخرطوم، السودان، 1988، ص 9.

³ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج 1، تر. نخبة من المترجمين، سلسلة ميراث الترجمة، مصر، القاهرة 2010، ص 50.

⁴ نفس المرجع، ص 50.

⁵ جورج سارتون، العلم القديم والمدينة الحديثة، نقلاً عن المترجم، ص 2

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وقد تبادل الصينيون المعلومات مع علماء العرب والمسلمين واستفادوا من عالم الصيدلة العربي. أما العرب فقد تعلموا منهم صناعة الورق.¹ "فمنذ حوالي 30000 سنة قبل ميلاد المسيح، عبر بضعة آلاف من السكان من شمال شرق آسيا القارة الآسيوية حيث استقروا في ألاسكا، يصحبهم السحرة، الذين أطلق عليهم فيما بعد رجال الطب ذو الجلود الحمراء. أما الجزء من السكان الذي استقر في هذا الجانب من آسيا فكان يعالج بواسطة الشامان (Chaman).²

الشامان ، لقب من أصل ماغولي اكتسب "على مدار الزمن، معنى عالمياً، بحيث يمكننا القول بأنه يوجد لدى كل التجمعات البشرية عبر العالم، فسحرة القرى الأوروبية يفتخرون حتى اليوم بهذا اللقب. كما توفر الشامانية حتى اليوم في التبت، حيث يمارسها أشخاص ذوو قدرات أسطورية غامضة، يستخدمون التعاويذ، والأعشاب، والاحتفالات الدينية، إضافة إلى بعض الممارسات الجسدية"³.

تتقارب ثقافات إفريقيا وثقافات الشامان، من حيث أن "الثقافات الشامانية حول الدائرة القطبية تحتفظ بملامح واضحة من ثقافات العصر الحجري القديم، وثقافات أفريقيا هي الأقرب إلى ثقافة الشرق القديم عندما كان ينسلخ عن طور العصر الحجري الحديث ويتيحاً للدخول في طور المدينة. وأن ثقافة الفوجين في أرض النار جنوب أمريكا الجنوبية، كانت تمثل ثقافة العصر الحجري القديم وقت الاكتشاف الأوروبي لها"⁴

يرى أكون من حيث تجربتهم الروحية والدينية أن: "الشامان هو أول اختصاصي بين البشر، وكانت حرفته أقدم الحرف الإنسانية، وليس هناك أدنى شك في أن الشامان قد وجد في عصر البلاي وسنين المتأخر في العصر الحجري القديم"⁵

تخبرنا المعتقدات الصينية: أن سر اكتشاف الأعشاب والطب والشفاء، أن هناك ثلاث شخصيات أسطورية عاشت بين العام 2500 و 4000 ق.م يعود لها الفضل في هذا الاكتشاف، وهم: 'إمبراطور

¹رياض رمضان العلمي مرجع سابق، ص19.

²جان شارل سورنيا، تاريخ الطب، تر. ابراهيم الجلاتي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002، ص 115

³نفس المرجع، ص 115.

⁴أسامة عدنان يحي، الطب والسحر في الحضارات القديمة، ط.1 اشوربانيبال للكتاب وبيت الكتاب السومري، بغداد، العراق، 2016، ص 18.

⁵نفس المرجع، ص 330.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

يعالج بطريقة وخز الإبر الفلسفية، ومزارع ناسك، وإمبراطور أصفر... (كان ذلك) عندما بدأت الحياة على الأرض.¹

بالنسبة للإمبراطور "الأول الذي يدعى (فو-زي) هو من أعطى الصينيين الحكمة الكونية ليحللونها ثم ليفسروا الظواهر الكونية الطبيعية، كان أول من عالج بالوخز بالإبر. خلف (نو-زي) (شين-نونغ) / المزارع الناسك، وكان أول من علم الجنس البشري كيف يزرع الحبوب، حيث كان يتذوق مئات الأنواع من الأعشاب ليتأكد من الخواص الشفائية لها. وكان الحاكم الثالث (هو أنغ-دي) أو الإمبراطور الأصفر أو الحاكم المطلق لكل الكون. وهو الذي قدم الموسيقى والطب والرياضيات والكتابة والأسلحة.²

كان تأثير هذه الشخصيات الثلاث في تاريخ الطب الصيني "وبقيت آثارها القديمة واردة في مختلف الوصفات الطبية العريقة، على غرار علم الغيبات (العرافة)، الوخز بالإبر والتداوي بالأعشاب. ودعمت بالفلسفة الطاوية التي كانت شائعة في تلك الحقبة، وهي فلسفة "مبنية على الفضيلة كطريقة مثلى للوصول إلى الرخاء وطول العمر. وتعني التوافق مع الطبيعة والعيش بتناغم ووثام مع كل شيء فيها.³

ومن خلال الطريقة الطاوية "كانوا ينسبون المرض والصحة إلى البيئة المحيطة بهم، وهو أشبه بما كان يفعله أبقراط في الغرب وهكذا كانوا ينظرون إلى الأمراض على شكل شرور خارجية وعدم توازن داخلي في طريقة تدفق الطاقة داخل قنوات أو خطوط طويلة (وتشبه نسبياً شبكة الدورة الدموية التي نعرفها الآن. وهذا ما تخيلوا وجوده داخل الجسم. وفي القرن الرابع قبل الميلاد وضع (كين يو إيرين) ويعرف أيضاً باسم (يا-كويه) لأول مرة طرق التشخيص الأربعة والتي لا تزال تستخدم من قبل كالعالجين لصينيين حتى يومنا هذا"⁴

1.1 الصيدلة الصينية

يعد مؤسس الصيدلة في الصين 'بن تسار' مؤلف كتاب الصيدلة الذي كتب حوالي 2735 ق.م. يتضمن العديد من المستحضرات النباتية والمعدنية وقليل من المواد الحيوانية.⁵ فهو أول كتاب طبي

¹ كتاب الطب الصيني، تر. محمد يوسف شهاب، ط. 1، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص 7.

² نفس المرجع، ص 7.

³ نفس المرجع، ص 7.

⁴ كتاب الطب الصيني، ص 7

⁵ Salil K. Bhattacharya, Parantapa Sen and Arunabha Ray, Op.cit, p 1

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

للأعشاب، والذي أصبح أساساً لجميع المعلومات الصينية التي كتبت بعد ذلك عن النباتات، وأشهرها كتاب 'الأعشاب الكبير' (The Great Herbal).¹

وعلى الرغم من تطور الطب الصيني خلال القرون، فإنه مبادئه الأساسية لم تتغير خلال ألفي عام. وفي الواقع حتى، إن كان (بين تس يو) (Pien ts io) قد ظل الأكثر شهرة بين زملائه حتى القرن الرابع قبل الميلاد؛ لم تتخذ تعاليم الطب الصيني شكلها النهائي إلا في عهد أسرة هان المجيدة، التي حكمت الصين بين 206 قبل الميلاد إلى 200 بعد الميلاد: استحق تشانج تشونج كنج (206-142) لقب أبوقراط الطب الصيني. أما 'هوانج فو مي' (218-215) فقد قنن الوخز بالإبر في دراسة شكلت الإطار الأساس لكل الدراسات التالية:²

2.1 أهم الطرق العلاجية الروحانية والطبيعية في الطب الصيني

من أشهر الطرق العلاجية في الصين، طريقة الوخز بالإبر. فالوخز بالإبر (Acupuncture) كما تعنيه الكلمة اللاتينية *acti* (إبرة) و *punctura* (ثقب). حيث يعتقد أن هذا العلاج "يعود إلى أربعة آلاف سنة أي منذ أن كانت طرق شق البثور واستخراج السوائل من المفاصل المتورمة شائعة. وفي العصر الحجري كانوا يستخدمون إبراً من الحجارة، لتحل محل العظام والبامبو في العصر الحجري الحديث"³. وقد خلد الإمبراطور الأصفر (هوانغ دي) بتدوينه لطرق العلاج بوخز الإبر في كتابه (ناي جنغ سوون)، وهو أول كتاب عرف بتدوينه لنصوص تصف طريقة الوخز بالإبر. وكانت الإبر المستعملة في ذلك الوقت من الصيوان⁴

يقول جان شارل سورنيا: "نظل هذه الطريقة، التي مازالت محل تساؤل عظيم، شديد الالتصاق بالصين. فالوخز بالإبر والعلاج بالموسكا ينطلقان من الفكرة نفسها: كل عضو، وكل معي، وعاء كان أو رجلاً، موجود تحت الغلاف الجلدي يتشابك مع منطقة ما من الجلد عبر قنوات غير مرئية ترجمها الفرنسيون، بشكل تقريبي إلى (مرديان) (Méridiens) ويقوم الطبيب الصيني بوضع إبرة رفيعة جداً، عند نقاط محددة على طرفي المريدان، الذي يختار طبقاً للعضو المقصود وبعمق لا يزيد على عشر المللتر."⁵ فهذه الطريقة تستخدم "منذ ما يقرب من ألفي عام، في علاج أمراض غير محددة

¹ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص 9.

² جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 146.

³ كتاب الطب الصيني، ص 95

⁴ كتاب الطب الصيني، نفس المرجع، ص 96.

⁵ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 145.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

الموضع داخل تجويف الصدر أو البطن أو الدماغ مثلما تستخدم في علاج آلام المفاصل الأكثر تحديداً، وأحياناً في علاج الكسور¹.

ويقصد بالمريديان (Méridiens): "المسارات التي تصل بين النقاط المحددة والتي يتم الوخز فيها. ويبلغ عدد هذه النقاط 365 نقطة، ازدادت إلى الألف بعد إضافة النقاط الموجودة بصوان الأذن وفروة الرأس. أما المريديان فيبلغ عددها 12 يضاف إليها خط التنصيف الأمامي والخلفي ليكون العدد الكلي 14، وقد أضيفت ثم أضيفت ثمانية مسارات جديدة حديثاً².

أما العلاج بالموسكا (Moxibustion): موكسا moxas من mogersa اليابانية: اسم النبات المستخدم في هذه الطريقة، وهو نبات عطري من الفصيلة المركبة يعرف بالأرطيميسيا أو (Artimisia Moxa). وقد نشأت هذه الطريقة في شمال الصين، ربما تكون استخدمت في البداية في علاج آلام الروماتيزم، ثم انتقلت منها إلى باقي دول شرق آسيا واليابان، حيث قام اليابانيون بتطويرها³.

فالعلاج بالموكسا بالنسبة لليابانيين "أكثر جدة وأصالته، فهو أسلوب غير معروف في الغرب، توضع على جلد المريض وتحترق هذه القطعة دون لهب مثل التبغ في السيجارة، ويؤدي هذا الاحتراق إلى جرح يتحول إلى قرحة مؤلمة تضمد حتى الشفاء، ولتجنب هذا الحرق توضع قطعة من الورق أو من حلقات البصل بين الموكسا والجلد⁴.

وعادة ما تستخدم هذه الطريقة "بالاشتراك مع الوخز بالإبر أو كبديل للوخز بالإبر أو كبديل للوخز بالإبر أو كبديل للوخز بالإبر في أماكن التي يستحب استخدام الوخز فيها مثل الأوعية الدموية الكبرى وحول العينين والأذنين. وبمرور الوقت ولتلافي آثار الحرق التي تسببها عيذان الأرطيميسيا استبدلت هذه العيذان، بأوراق ملفوفة من نباتات عطرية أخرى، مثل أوراق الثوم والتوت والزنجبيل. حيث تستخدم أوراق الزنجبيل في علاج آلام المعدة والقيء والإسهال، بينما تستخدم أوراق الثوم في علاج اضطرابات التنفس، والملح لتنشيط الأمعاء⁵.

في الطب الطاوي التقليدي، يعتبر الوخز بالإبر لوحة المفاتيح العلاجية الرابعة والتي تمر بعدة طرق:

¹ نفس المرجع، ص 145.

² نقلاً عن إبراهيم البجلاتي، مترجم كتاب تاريخ الطب، مرجع سبق ذكره، ص 144.

³ كتاب الطب الصيني، مرجع سابق، ص 144.

⁴ نفس المرجع، ص 144.

⁵ نقلاً عن إبراهيم البجلاتي، مترجم كتاب تاريخ الطب، مرجع سابق، ص 144.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

(1) علاج الروح، (2) ميزان الأنظمة، (3) جدول العلاجات. فعلى عكس الطب الغربي الذي يعتقد أن المرض هو كيان بذاته، ينطور من تلقاء نفسه ويمكن علاجه بشكل معزول يعلم الطب الطاوي التقليدي أن المريض جزء لا يتجزأ من الكل وأن المرض هو علامة على التنافر عن كل هذا. لذلك إذا كانت هناك رغبة في فهم شيء عن الوخز بالإبر الصينية الطاوية التقليدية، فمن الضروري معرفة الحد الأدنى من الفكر الطاوي وتصور الإنسان وعلاقاته بالكون.¹

العلاج بالوخز بالإبر لعب "دوراً رئيسياً في ابتكار تشريح تخيلي، لصيق بالثقافة الصينية. وهناك العديد من الكتب الطبية التي تعود إلى القرون الأولى من الحقبة المسيحية توضح بالرسم، الوصف التشريحي، حيث تتخذ المسارات والأعضاء أشكالاً ودوائر غير واقعية."²

وقد ظهرت "العديد من الدراسات التي تعني بالفيسيولوجيا العصبية والتي توضح أن الوخز في مناطق محددة من الجلد يؤدي إلى ظواهر حركية هي أساس طريقة العلاج الانعكاسي (Reflexiotherapie)، وربما يؤدي أيضاً إلى ردود أفعال غير محددة في الأعضاء الداخلية، عبر المشتبكات العصبية (Synaptique) ويعتبر ذلك مجرد افتراض"³

فكما "يتربط كل شيء في الكون، يتمثل كل عضو من أعضاء الإنسان، حشي عظمة، أو مفصل في منطقة محددة من الجلد، فالجلد ليس سوى انعكاس للحياة التي تُثور تحته، ويحتوي الجلد على نقاط محددة يمكننا من خلالها أن نؤثر على هذا العضو أو ذاك إذا ما وخرناه بدقة"⁴

قام الأوربيون بإدخال طريقة الوخز بالإبر "مع بداية القرن السابع عشر حتى الآن. حيث قام أحد الشراح الأكفاء وهو سيلييه دو موران (Soulie de Morant) (1878-1955)، بممارسة الوخز بالإبر وله مكانة كبيرة في الغرب."⁵ تعود حقبة إنشاء هذه الطريقة في فرنسا على إلى "القرن السادس عشر من قبل مختصين في علم الصينيات لدى اليسوعيين أو الرهبنة اليسوعية les sinologues de la Compagnie de Jésus (Maille, Movriac, Halde, Harvieu)."⁶

¹Louis Lecussan, ACUPUNCTURE. Les voies de l'énergie, Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. .Paris, Cedex, 1985, p36.

²جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 136.

³نفس المرجع، ص 136.

⁴نفس المرجع، ص 136.

⁵جان شارل سورنيا، مرجع سابق ص 136

⁶Ibid., p 36.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وهي طريقة ما تزال "مستعملة حتى الآن حيث وصلت إلى فيينا بالنمسا وبعض بلدان أوروبا وأميركا والكويت".¹

من أبرز المخلدين لطب الأعشاب الصيني "شيننونغ (المزارع الناسك) باكتشافه لطب الأعشاب"² وعلى غرار المدارس الطبية الأخرى في العالم القديم، والتي يظل نموذجها الأمثل أبوقراط، توصل الأطباء الصينيون إلى استنتاجات ذات طابع تنبؤي (Pronostique) أكثر منها تشخيصية (Diagnostic). لم تمنعهم رؤيتهم الجبرية للعالم، حيث لكل شخص مصيره الذي لا مفر منه، من التدخل من أجل تغيير هذا المصير. لذا لجأوا إلى الوسائل العلاجية.³ ركز الصينيون على إتباع نظام غذائي للحفاظ على التوازن.

3.1 العلاقة بين المعتقدات والتداوي في الصين

ارتكزت الصين على معتقدات أبرزها البوذية والطاوية والكونفوشوسية. وقد اعتقد الصينيون بمبدآن كونيان يحكمان الإنسان، وهما الين واليانغ "فالأول موجب، ذكوري، مظلم، ومبدع، أما الثاني فسلبى مضيء وأنتوي. وإن هذين القطبين متعارضان، فإن تكاملهما مع ذلك ضروري ليس فقط من أجل حركة الكواكب، لكن أيضاً للمناخ، وحركة الفصول وللحياة ذاتها"⁴. و"مفاهيم الين واليانغ، لها علاقة مركزية وثيقة بالفلسفة الصينية وتشكل الأساس لكل من طبها التقليدي، وهي قد تكون صعبة الفهم على العقلية الغربية، وهذه المفاهيم متوائمة بشكل كبير، وكل الأمور تتضمن أعراضاً عن كليهما."⁵

يتكون العالم من خمسة عناصر: التراب، الماء الحديد، الخشب، والمعدن. ويندرج التنسيق الثنائي للين-يانغ مع هذه العناصر الخمس، والإنسان ليس سوى جزء متناه في هذا الكون اللافتائي.

والجدول التالي يوضح ترتيب ووظيفة الأعضاء في الطب الآسيوي كما يرى هوارد وكول:

¹رياض رمضان العلمي مرجع سابق، ص 19.
²كتاب الطب الصيني، مرجع سابق ص 96.
³جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 142.
⁴نفس المرجع، مرجع سابق، ص 156.
⁵كتاب الطب الصيني، مرجع سابق، ص 10.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

جدول رقم 14: ترتيب ووظيفة الأعضاء (هوارد وكول، الطب الآسيوي)

ترتيب ووظيفة الأعضاء(يتركب الجسم بالطريقة نفسها التي يترتب بها المجتمع والعالم		
العضو	الترتيب	الوظيفة
القلب	الإمبراطور	الرعاية
الرئتين	وزير الدولة	الإدارة
الكبد	الجنرال	الفاعل
المرارة	الحاكم	اتخاذ القرار
الطحال والبنكرياس والمعدة	ضابط مخازن الغلال	الهضم وتحويل المواد
المعي الغليظ	مراقب كبار الضباط	الانتباه/ الانتصاب
الكلى	العمال	الإبداع
مأخوذ عن هوارد وكول، الطب الآسيوي، مطبوعات 1978 Le Seul		

يعود أحد أمثلة هذا النسق إلى زمن غاية في القدم، حيث تشكل الثلاثيات (Trigammes)، التي تتجمع اثنين اثنين، أربعة وستين سداسيا (Hexagrammes). لا تتركز هذه البيانية على وظيفة زخرفية مجردة، لكنها ربما تعود إلى جذور أقدم من الكتابة الصينية، ثم اكتسبت، مع مرور الزمن، وظيفة رمزية توضح الحياة الكونية.¹

وقد لعب رقم خمسة دورا أساسيا في حياتهم ومعتقداتهم. فالكرة الأرضية تتكون من خمسة عناصر هي الهواء والنار والماء والحجر والتراب. وجسم الإنسان يتكون من خمسة عناصر هي الدم والبلغم والألوان، الأحشاء والحواس. ولذلك تحتوي وصفات الأطباء الصينيين عادة على خمسة أدوية وتعطى لمدة خمسة أيام.²

4.1 نقاط الضعف في العضوية التي بها يعتمد الطب التقليدي الصيني.

كان التشخيص في الطب التقليدي الصيني "يتلخص في الجس البدائي للبطن عبر الثياب. لا يبحث الطبيب الصيني في فحصه هذا عن حجم الكبد أو الطحال، أو حتى عن تورم غير طبيعي فهو يقدر قبل كل شيء طبيعة القنوات المفترضة بين أجزاء الجسم."³ حيث "تمنعه اللياقة من أن يطلب من المرأة

¹جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 156.
²رياض رمضان العلمي مرجع سابق، ص 19.
³جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 139.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

أو الرجل... أن تتعري أو يتعري أمامه... فهؤلاء يشكلون الجزء الأكبر من زبائنه، إذ يستشير الفقراء عراف القرية.¹

وباكتشاف "مادة الإندورفين (Endorphines)، أو المورفين الداخلي الذي يكونه الجسم، يدل على عدم تماثل النقاط الجلدية الصغيرة، التي يمكنها أيضاً أن تقوم بتوصيل أوامر محددة ذات طابع عصبي... فالوخز بالإبر في مناطق محددة من الجسم يؤدي إلى التسكين-وليس إلى التخدير، الذي يسمح، لدى بعض الأفراد بإجراء عمليات جراحية في البطن على سبيل المثال.²

وبشكل عام، يمكن القول أن الطب الصيني الشعبي "مثل كل طب شعبي في العالم، أي أنه كان عملاً بسيطاً للغاية يؤخذ بواسطة وصفات بيتية تقدم للأفراد عن طريق العائلات والأطباء المتجولين وكل منهم له المهارة التي تميزه ويتجولون داخل القرى النائية تماماً كما هو الحال في أوروبا في العصور الوسطى، وكان هؤلاء الأطباء يسمون أطباء الجرس وذلك نسبة إلى الجرس الذي امتازوا بحمله تقليدياً ليلبغوا عن وصولهم إلى المدينة"³.

ولا يزال "بائعو الأعشاب الطبية والمجربون والمشعوذون تطيب الناس في القرى، باستخدام المنقوع والوخز بالإبر والتعاويد والتنجيم وجلسات السحر، كل الممارسات التي تجرمها جمهورية الصين التي تحافظ على تطوير منشآت الطب التقليدي، وفي الوقت نفسه تعمل على تطوير منشآت الطب الغربي الذي ينتمي إليه محترفون تعلموا لسنوات طويلة داخل الصين وخارجها. حيث يمارسون طباً غاية في التطور، ويستخدمون أدوية وآلات باهظة الثمن، ليست في متناول كل السكان."⁴

5.1 ميزات الأعشاب التقليدية الصينية

تتصل الأعشاب بنموذج العناصر الخمسة من خلال طعمها المميز وتنسب أيضاً إلى ين ويانع وتعمل على خطوط طويلة محددة وتتحرك باتجاه معين داخل الجسم الذي يقرر ماهية التأثيرات التي تقع عليها"⁵

كما في طب الأعشاب الغربي التقليدي كذلك في الطب الصيني، حيث تحدد النظرية الصينية أنواع الأعشاب العلاجية، من حيث التأثيرات التي تتركها على الجسد مثل البرد أو الحرارة أو الرطوبة،

¹ نفس المرجع ص 140.

² نفس المرجع، ص 136.

³ كتاب الطب الصيني، مرجع سابق، ص 8 و9.

⁴ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 148

⁵ كتاب الطب الصيني، مرجع سابق، ص 10

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وهذه الخصائص تقرر بشكل واسع عن طريق طعم العشبة وميزاتها (ين أو يانغ) وبدلاً من وصف النبتة يمثل هذه المصطلحات الطبية الحديثة مثل مضادة للبكتيريا أو مضادة للالتهابات.¹

تحدد الخصائص الجغرافية نوع المرض، حيث تميزت الصين بتنوع مناطقها الجغرافية وكان "الإمبراطور الأصفر في كتابه (ناي جنغ سو ون) أول من وصف هذه التباينات المنطقية."² وعلى غرار هذه الاختلافات، اشتهرت الصين بتنوع العلاجات والتي أبرزها، التدليك والحجامة بغرض تحفيز تدفق الدم (كي) وخلق توازن الجسم الذي يعد أساس فلسفة الطب الصيني. وعلى كل³ عرف الطب الصيني عدة تطورات تحتاج وحدها إلى مرجع كبير، وتفسير، فضلاً عن ذلك، وفرة الأدبيات التي اختصته بالدراسة.⁴

2. الدواء عند الهنود

تعد حضارة الهند من أعرق الحضارات وقد احتفظت "بثقافة مستمرة غير متقطعة. فشهدت تلاقي أجناس مختلفة تصادمت وتصارعت، ثم ما لبثت أن تآخت على أراضيها، فقد استوعبتها جميعاً في النهاية، ربما تبارت الثقافات المتباينة التي شهدتها الهند على النحو والكيفية التي اختطتها."⁵

وبهذا التمازج، أثرت هذه الحضارة "الفكر البشري، من خلال نجاحات العلماء الهنود في العلوم الطبيعة والرياضيات وتطبيقاتها في الطب والصناعة، كما برعوا في أعمال الصباغة وصناعة الصابون والزجاج والإسمنت وغيرها."⁶

تطور الطب الهندي "طوال ألفي عام قبل عصرنا. وكتبت النصوص باللغة السنسكريتية."⁷ فعرف الطب التقليدي القديم بالطب الأيروفيدي الذي يرجع تاريخه "إلى أقدم العصور-عصور تسبق زمن ميلاد المسيح عليه السلام بمئات القرون. وذهب كثير من المؤرخين إلى أن الهند عهدت بهذا الطب عندما وفد إليها الآريين من آسيا في فترة تسبق ميلاد المسيح من ثلاثة آلاف إلى ألفي سنة."⁸

¹ نفس المرجع، ص 11

² نفس المرجع، ص 102

³ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 115

⁴ كتاب الطب الصيني، مرجع سابق، ص 133.

⁵ همايون كبير، التراث الهندي، من العصر الآري إلى العصر الحديث، تر. ذكر كبير، ط. 1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، 2010، ص 47.

⁶ جورج سارتون، العلم القديم والمدينة الحديثة، تر. عبد الحميد صبرة، أحمد فؤاد باشا، سلسلة ميراث الترجمة، 2010، القاهرة، ص 3.

⁷ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 127.

⁸ ناصر الأنصاري، الطب في الهند القديمة وبلاد ما وراء النهر، 1970، ص 12

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وأقرب "السجلات الهندية حول" الطب التقليدي (الأيورفيدا) (Ayurveda) تعود لحوالي تاريخ 2500 ق.م¹ "وقد أضاف إليها الغازون المتعاقبون تقاليد جديدة في طب الأعشاب: الفرس في 500 ق.م والمغول في القرن الرابع عشر² حيث يقدر البعض أن هذه "النصوص تعود إلى خمسة عشر قرناً قبل ميلاد المسيح؛ وهي تتكون من قصائد شعرية فلسفية دينية وهي أكثر من الطب الهندي البديل، الذي يدرك استحالة الفصل بين المرئي، لأن الاثنين يعيشان بـ (أنفاس) من الطبيعة نفسها."³ نفسها.³

كان لهذا الطب تأثيراً كبيراً على الطب اليوناني والطب العربي. ويرجح البعض بأن الحضارة الهندية والفارسية كانت على اتصال "مباشر أو غير مباشر بالحضارة البابلية، وقد أثرا في الحضارة العربية وبخاصة في الطب والصيدلية."⁴

تمتع الأطباء والجراحون الهنود "بعظيم التقدير والتشجيع إبان مغامرة الإسكندر التي وقعت في القرن الرابع قبل الميلاد... وكان عدد غير قليل من الأطباء من بين الموظفين في بلاط الإسكندر. وكانت الهند واليونان إذ ذاك، ترتبطان بوثيق الروابط في عهده، ونتيجة لهذه العلاقات قام بزيارة للهند."⁵

مما دعي البعض يقول بأنه "إذا كان أبوقراط لم يتأثر بالطب الهندي، فإن الطب الهندي قد تأثر به، وترك بصمته واضحة على الطب العربي في العصر الوسيط، وأيضاً لم يتوقف التبادل بين الطب الهندي والصيني."⁶ والعربي واليوناني والفارسي.

وقد ذكر بن أبي أصيبعة "أنه كان للهند الكثير من العلوم الجليلة وعلوم فلسفية، ومن ثم وصلت إلى اليونانيين. وفي زمن الخليفة هارون الرشيد (-193هـ/809م)، كان الوزير يحيى بن برك قد أعار انتباهها لحضارة الهند وآثارها، حتى أنه أرسل إلى هناك المبعوثين ليتفحصوا ما بها من عقاقير وبهارات. كما أنه استدعى عدداً لا يُستهان به من العلماء والأطباء إلى بغداد"⁷

¹Salil K. Bhattacharya, Parantapa Sen and Arunabha Ray, Op.cit, p1

²بينيلوب أودي، الكامل في الأعشاب والنباتات الطبية، أكاديميا، لبنان، 1999، ص12

³جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 128.

⁴محمد كامل حسين، عبد العظيم حقني صابر وعبد الحليم منتصر، موجز تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج. 2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، 1979، ص301.

⁵ناصر الأنصاري، الطب في الهند القديمة، مرجع سابق، ص 12.

⁶جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 127.

⁷محمود عبد العزيز الزعبي، المحكم في تاريخ الطب، أمواج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2009، ص 603.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

ونجد في "كثير من كتب العرب ذكر الأطباء الهنود الذين جاءوا من الهند للعمل في بغداد أيام الخلفاء العباسيين فمن الفهرسات لأبن النديم عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة...ومن المصادر العربية في المادة الطبية التي أخذت عن الهنود كتاب 'فردوس الحكمة' للصيري".¹

2. 1 بعض المعتقدات والطرق الروحانية والطبيعية في العلاج

يرى البعض أن فن الطب الهندي "يبتدئ بعقائد الهندوس ويبنى عليها فالمزعوم أن الإله برهما هو الذي أوجد الطب ومن ثم انتقل هذا الفن إلى داكشن برجاباتي (Dakshin Prajapati) الذي تلمذ عليه أشفني كومار (Ashvini Kumar) وعلى الآخر تلق الإله إنديرا (Indira) هذا الفن الشريف. قسم الإله أندير هذا الفن إلى فن الجراحة وفن التطب. اختار الفن الأول الإله انفانتاري (Dhan Vantari) وأما الفن الآخر فقد ورثه الإله بهار ادفاج (Bhardawaj). علم الإله دهانفانتاري هذا الفن تلميذه...سوشوراتا (Shushurta) وبهار ادفاج نقل علمه إلى تلميذه...أتريا (Atrya) ومن هنا عم فن الطب كافة أرجاء الهند".²

وقد "اعتقد الهنود أن الإله أندرا، (أنديرا) قام بزيارة جبال الهملايا على أمر من الرهبان".³ حيث يعود أعلام الطب الهندي إلى "عهد 1000 ق.م. ويسمى في التاريخ الهندي بعهد البراهمة، الذي بلغ فيه الطب الأيورفيدا أوجه...أمثال تشاراكا وسوشوراتا وفاغابتا وناغا أرجوا".⁴

فعلى سبيل المثال نذكر: سوشوراتا (Sushruta) الذي عاش تقريباً في القرن الثامن قبل الميلاد والذي "تعلم في درافجينا Dravyaguna (ايورفيدا المواد الطبية)، ويسرد مئات من الأعشاب الطبية بما في ذلك مصدرها، وصفها، تحديدها، وخصائصها وطريقة استخدامها العلاجية"⁵ وهو أقدم وأكبر أعلام الطب الهندوسي قدما للغاية، لكن المؤرخين الغرب قرروا أن عصره في القرن الخامس المسيحي. ويكفي تقديرا لهذا الجراح الهندي كتابه سوشوراتا سمهيتا (Sushruta Samhita) ... وكتابه يحيط بكافة

¹ محمد كامل حسين، عبد العظيم حقني صابر وعبد الحليم منتصر، مرجع سابق، ص 304.

² نازش احتشام الأعظمي، سوشوراتا: جراح هندوسي شهير، تر. شبلي عالم، مجلة ثقافة الهند، المجلد 55 العدد 4 للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية، 2004، ص 229-238 ص 229.

³ صلاح الدين ناصر الأنصاري، الطب في الهند القديمة ومصر والصين وبلاد ما وراء النهرين، مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، المجلد؟ العدد؟ يناير، سنة 1970، ص 12. عن مدونة:

http://www.nidaulhind.com/2016/11/pdf_22.html

⁴ نازش احتشام الأعظمي، مرجع سابق ص 230.

⁵ Salil K. Bhattacharya, Parantapa Sen and Arunabha Ray, Op.cit, p1

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

شؤون الطب ولكن أسلوب إحاطته بالجراحة وتفصيله لها قد أثبتته 'كأبو الجراحة' وخُلد ذكره في هذا المجال.¹

أما تشاركا أو شاركا (Sharaka)، فقد اشتهر "في الهند في القرن الذي اشتهر فيه جالينوس الإغريقي)، وهو طبيب وفيلسوف وصاحب الموسوعة المعروفة بالسامهيتا الطبية، وترجم بعض كتاباته إلى العربية كمنكه أو (كانكيا) وغيره وشرح أسماء عقاقير هندية بأمر من إسحاق بن سليمان. وقد انتشرت في ذلك العهد مجموعة نيلانا مدهفانيدا² جاء في "كتبهم ذكر ما ينيف على 1000 عقار، كما أن ديسقوريدس في كتابه الأعشاب، ذكر عدداً من الأعشاب كانت تستورد من الهند."³ يتضح مما سبق ذكره أن الطب الهندي ينطلق من معتقدات هندية قديمة، كالبوذية والهندوسية. فهناك من يرى أن الطب الهندي القديم أساسه البوذية و"الذي نشأ وترعرع الطب اليوناني في ظلالة الفلسفة البوذية، التي زادت من اهتمام بالطب بواسطة تعاليمها القائلة بخدمة الإنسان واسته وأعانتته، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ومن أوضح الشواهد على ذلك أن نجد مبادئ فاتا وبتها وكانا، شائعة في الطب اليوناني نفسه."⁴

تأسست البوذية في الهند أسسها سدهارتا جوتاما ساكيا سي موني الملقب بـ (بودا) أي المستيقظ، 483-564 ق.م.⁵ وهي "فلسفة وضعية انحلت الصبغة الدينية... وقد ظهرت بعد الديانة البرهمية، وقامت على أساس أن بوذا ومعناها العالم هو ابن الله ومخلص البشرية من مأسيتها."⁶ وانتشرت هذه الديانة "في شرق آسيا (نبال والصين وكوريا... الخ).

أما معتقد الهندوسية فيصفها الكثيرون بأنها «ساناتانا دارما»؛ أي التقليد أو الدين الخالد. وهذا يُشير إلى الفكرة القائلة إن أصول الهندوسية تتجاوز بداية التاريخ البشري، وحقائقها قد أُوحيت من قِبَل الآلهة (شروتي) ثم انتقلت عبر العصور إلى وقتنا الحالي في أقدم النصوص المقدسة في العالم وهو «فيدا».⁷

¹انازش احتشام الأعظمي، مرجع سابق، ص 230.

²محمود عبد العزيز الزعبي، ص 636

³محمد كامل حسين وآخرون، مرجع سابق، ص 302.

⁴صلاح الدين ناصر الأنصاري، مرجع سابق، ص 15.

⁵هيثم عبد الرحمن عبد الجبار السامرائي، البوذية تعاليمهم ومعتقداتهم، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 19، العدد 79، ص 425.

⁶نفس المرجع، ص 438-438.

⁷كيم نوت، الهندوسية مقدمة قصيرة جدا، تر. أميرة علي عبد الصادق، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2016، ص 19

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

حيث يرى "الهندوس المتدينون أن «فيدا» كتاب منزل؛ ومن ثمة فليس لنشأته وقت محدد في التاريخ، بل هو أبدي وإلهي المصدر. واتفق عليه الفلاسفة الهندوس، من أمثال شانكارا ورامانوجا.¹ ومن بين النصوص الهندوسية المقدسة الأساسية: "نصوص شروتي: والتي منها فيدا: وتتألف من أربع مجموعات، وأسماء هذه المجموعات هي: «ريج فيدا»، و«ساما فيدا»، و«ياجور فيدا»، و«أثارفا فيدا». تحتوي المجموعات الثلاث الأولى على ترانيم ومانترا؛ بينما تتضمن المجموعة الرابعة تعاويذ وثمانم. وتعد هذه النصوص أول نصوص مقدسة هندوسية عرفت على الإطلاق.²

تعد الأيورفيدا "أقدم أنظمة صحية في العالم، للمبادئ الأساسية للممارسات القائمة على أساس النظرية. وتعني أيوالسنسكريتية حرفياً، الحياة. أما فيدا فتعني المعرفة أو العلم. فالأيورفيدا عموماً هو علم الحياة.³ حيث يركز هذا الطب على عرفة كيفية العيش، مع التشديد على أن الصحة الجيدة هي مسؤولية الفرد. كما يُنظر إلى المرض على أنه اختلال للتوازن فتستعمل الأعشاب وأنظمة الحماية لإعادة التوازن.

تطورت الصيدلة الأيورفيدية بشكل منتظم خلال خمسة عشر قرناً، في الوقت نفسه الذي اكتشفت فيه أصناف جديدة من النباتات. وحتى الآن، تدرس وتؤلف الكتب وينتشر باعة الأعشاب الطبية، الذين ينادون على بضاعتهم في الأسواق الهندية.⁴

ولدت اليوغا على هامش الأيورفيدا، التي لقيت عناية من طرف "الغربيون المعاصرون عناية كبيرة، والتي تشكل من جهة أخرى-خطأ-أسلوباً علاجياً. وتمثل اليوغا التي نظمت منذ القرون الأولى في نصوص موجزة (غالبا ما تتبدل)، نظاماً للجسم والعقل. وهي تفرض جسداً صحياً، وتقبض على أقصى ما يمكن من النفس والطاقة والسوائل الحيوية⁵. يقوم نظام اليوغا "على ثنائية نظام ساخيا، لكن مع التركيز على الانضباط الروحاني اللازم للذات كي تحقق التحرر.⁶

¹كيم فوت، مرجع سابق، ص 22.

²نفس المرجع، ص 29.

³Bhushan Patwardhan and Ashok D.B. Vaidya, *Ayurveda: scientific research and publications*, Current Science, vol. 97, NO. 8, 25 October 2009, p 1117.

⁴جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 131

⁵نفس المرجع، ص 133.

⁶كيم نت مرجع سابق، ص 123.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

يلاحظ، أن تاريخ وجود اليوغا، يرجع إلى "العصور الفيديّة، إلا أنه تمّ تجميع أسسها ومبادئها قبل حوالي قرنين من بداية التاريخ الميلادي. أحيّاها الحكيم الهندي باتانجلي وأخرجها في شكل رسائل أطلق عليها 'اليوغا سوترا' أي حكمة اليوغا.¹ و

السوترا من النصوص الهندوسية المقدسة، وهي نصوص سمريتي وهي تحتوي السوترات: التي "يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين عامي 500 ق.م و 100 ب.م) تمّ تأليف عدد من النصوص عن موضوعات مهمة، مثل الدراما واليوجا والفيديانا. واحتوت هذه النصوص على أقوال وحكم (تعني كلمة «سوترا» «الخيطة»). ومن النصوص المهمة التي ترجع إلى هذه الفترة «مانوسميتي» الذي تناول الشريعة وآداب السلوك الهندوسية.²

في نصوص سوسرتا "بجد العناصر الأربعة الرئيسية التي تحكم الكون: الهواء، التراب، النار، والماء ويضاف إليها أحياناً عنصر خامس وهو الفراغ. إضافة إلى العناصر الخمسة الرئيسية، يتكون جسم الإنسان من مواد حية هي الدم، الليمف، اللحم، الدم، العظم، المخ، والحيوانات المنوية. وتعتمد الحالة الصحية على التوازن بين هذه العناصر والمكونات، نفسها أو زيادتها يؤدي إلى العطب. ويستهدف كل الفن الطبي استعادة التوازن.³

فاليوغا إذن، هي 'فن وعلم وفلسفة ورؤية وطريقة، ابتكرها العقل الهندي للتغلب على المشاكل الداخلية والخارجية التي كان يواجهها الإنسان الهندي، وهدفها تحقيق النجاة والخلاص أو التحرر الروحي من قيود الولادة والوفاة؛ وفي نهاية المطاف التوحد بالذات الإلهي.⁴

في الوقت الحالي أصبحت اليوغا يوم دولي يحتفل بهذه الممارسة، في 21 حزيران/ يونيو 2014. حسب ما أقرته جمعية الأمم المتحدة في دورتها 69.

2. 2 نقاط الضعف في العضوية التي بها يعتمد الطب التقليدي الهندي.

يعتمد الطب الهندي على المعتقدات والطقوس حيث تعتبر الهندوسية أساس هذا الطب كم رأينا سابقاً، وهي تتمتع بالقدرة والتنوع الدين يسمحان لها باستيعاب تصورات الهندوس وغبر الهندوس على حد سواء، بالإضافة إلى قدرتها على تحدي لكل الأفكار المكونة سابقاً، عن ماهية الدين.¹

¹ إدارة التحرير لمجلة ثقافة الهند، مجلة علمية ثقافية، المجلد 66، العدد 2، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، 2015.

² كيم نوت، مرجع سابق، ص 29.

³ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 130 و 131.

⁴ حبيب الله خان، الاحتفال باليوم الدولي لليوغا، مجلة ثقافة الهند، مجلة علمية ثقافية، المجلد 66، العدد 2، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، 2015.

ص 15.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

كما هو الحال للبوذية بحسب معتقدات الهنود والتي "كانت آثار بوذا من أعظم الآثار في تاريخ الإنسان؛ ولعله أول من حاول تعليل سر الوجود على وجه منطقي دون الرجوع أو الاعتماد في ذلك على نظريات التصوف. فقد حث على حسن المعاملة أو السلوك كما رسم طريقاً ذات مبادئ ثمانية يتشئ بواسطتها للإنسان أن يعيش مع أخيه الإنسان بسلام واطمئنان. وخرج بوذا عن جادة الطقوس وصرامة النظام الطبقي التي غذت طبيعة ملازمة للمجتمع الهندي في ذلك الحين ولم يكن نفوذه ليقنصر على الهند فحسب بل تعداها مع مرور السنين إلى العالم بأسره."²

وعلى كل، فإن "الهند البلد الوحيد الذي يمارس فيه فن العلاج بشكل واضح ويجمع بين كل مبادئه وتقنياته منذ بداية وجوده وخلال مسيرته الطويلة وحتى الآن."³ ويذكر في فهرسات ابن النديم أن الهنود، "نصروا كثيراً في تسجيل أخبارهم وتاريخهم ولم يحافظوا على أسانيد مخرجاتهم لتكون في حلة قشبية تليق بسمعتهم الطيبة، حتى أن النسبة الساحقة الغالبة من أسماء علمائهم بقيت نكرة غير معروفة لدينا."⁴ حيث "عاش الإنسان وعاشت الأفكار منذ القدم في قارتي آسيا وإفريقيا الواسعتين."⁵

وقد "حكى السيوطي ألفاظاً هندية عربية، ووردت في القرآن الكريم؛ مثل: زنجبيل وكافور. ومما ورد في اللغة العربية من الألفاظ الهندية الأبنوس والبغاء والخيزران والفلفل والأهليلج، وغير ذلك من أسماء النباتات والحيوانات الهندية."⁶

وللإشارة، فإن كثيراً ما يعد "الغزو العربي لبلاد السند في أوائل القرن الثامن ميلادي أول ظهور للمسلمين على مسرح الهند وفي عام 712 للميلاد، تحولت السند في تلك الحقبة إلى مقاطعة تابعة للخلافة في بغداد"⁷ كما "كان أول اتصال بين الهند وأوروبا قد وقع في عام 1498. وذلك عندما انتهى المطاف بـ فاسكو دي جاما حول القارة الأفريقية إلى نزوله بمنا كاليكت Calicut، وهي التي أقام البرتغاليون لأنفسهم فيها، مركزاً تجارياً صغيراً."⁸

¹كيم نوت، مرجع سابق ص 121.
²همايون كبير، التراث الهندي من العصر الأري إلى العصر الحديث، تر. ذكر كبير، ط. 1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، 2010. ص 48.

³جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 134.

⁴رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق ص 48.

⁵جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 127.

⁶أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 227.

⁷همايون كبير، مرجع سابق، ص 47.

⁸نفس المرجع، ص 47.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

3. الدواء في بلاد فارس

يبدأ تاريخ لفرس وحكمهم في العصور الواجهة في القدم حيث كانت "أمة من الفرس تعرف بالأمة العيلامية أو العيلاميينسكن في الإقليم المعروف الآن بخوزستان المسمى قديماً ببلاد عيلام، وكان لها يوم ذلك منزلة رفيعة بين أمم الشرق، وقد سماهم العرب بسبني غليم(بلاد الأهواز أو هند العرب)، وكانت مملكتهم محاطةً ببلاد الكلدان وبلاد مادي (ميدية) وبلاد فارس، وتحتوي على عدة مدن أشهرها شوشن أو شوشان القديمة عاصمة تلك المملكة، كانت أحياناً تتوسع وأخرى تنقلص وآونة تخضع لسيادة جارقتها مملكة أور التي في جنوبي العراق."¹

كان ذلك "بعد سقوط دولة الكلدانيين (من حوالي 615-539 ق.م) هذه المملكة التي وصلت إلى أوج مجدها وعظمتها سرعان ما انقضى عهدها، بقيام مملكة أخرى هي دولة مادي وفارس"² - كما أشرنا سابقاً- أو كونت مملكة الفرس الأول والتي كانت تسمى "البرث أو الفرث، من سنة 3255 ق.م إلى 266 م."³

اعتقد الفرس كباقي الأمم القديمة بأن المرض عقاب كما ورد عن هيرودوت بأن الفرس "كانوا يعتقدون أن الأمراض كانت عقاباً يترل بالمرء، إن ارتكب خطيئة بحق الشمس التي كانوا يعبدونها."⁴ وقد ارتبطت الأمراض في إيران بروح الشر، وارتبط الطب بقوى الخير من الآلهة الزرادشتية، فالإله أهورا مزدا هو الذي خلق النباتات الشافية، التي تنبت بالمئات: بالآلاف وبأعداد لا تحصى وزراعتها جميعها حول كاوكيران... لهذا الإله الذي له عدة أسماء، واسمه الثامن عشر هو الشافي. وفي النصوص البهلوية المتأخرة يبقى الرب أهورامزدا مرتبطاً بالعلاج."⁵

بالإضافة إلى الأبطال الأسطوريين ارتبطوا كذلك بالعلاج، "فقد كان أول الشافين يدعى ثريتا من الأسرة البشداية، وهي الأسر المرتبطة بالتاريخ الأسطوري الإيراني. يتحدث الفردوسي من عصر متأخر عن أحد ملوك إيران الأسطوريين وهو جمشيد، ويقول عنه بأنه عرف أسرار الصناعة الطبية،

¹ علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدول الفارسية في العراق، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014، ص 11.

² رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 43.

³ أحمد أمين، مرجع سابق، ص 236.

⁴ أسامة عدنان يحي، السحر والطب في الحضارات القديمة، ط 1. آشوربانيبال للكتاب وبيت الكتاب السومري، العراق 2016.

⁵ أسامة عدنان يحي، السحر والطب في الحضارات القديمة، مرجع سابق، ص 157.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وما يتبعها من علوم كعلم الأدوية. وفي الديانة المانوية يعرف أن مؤسس الديانة ماني قد ارتبطت بفكرة الطب والعلاج. وهناك قول منسوب له فيقول: أنا الطاسي الذي جاء من أرض بابل.¹

وفيما يتعلق بالعلوم الطبية، فكانت في العهد الأول، "البيانات الخاصة بالعلوم الطبية والصيدلية وردت في الكتاب السادس من 'زندا أقيسا' والمسمى 'فانديدها' الذي يعرض للتطهير والذي يطرد الشيطان الخبيث مسبب العلل في جسم الإنسان... وتكاد مراسيم تكون مراسيم التطهر الواردة في 'الفانديدها' هي التي ورد ذكرها في التوراة... وكانت ممارسة الطب موقوفة على عباد(مازدا) أي المختارين من المؤمنين."²

أما العهد الثاني فهو "متصل اتصالاً وثيقاً بالحضارة العربية الإسلامية. فقد كان للأطباء والصابدة العرب المنحدرين من أصل فارسي إسهام عظيم في ازدهار العلم في البلاد العربية."³ وكان قبل ذلك، اتصال الهند بالفرس وما كان له من دوراً، في نشر الثقافة الهندية، حيث "اتصلوا بالهنود اتصالاً وثيقاً قبل الفتح الإسلامي، وأثروا فيهم وتأثروا بهم، وأخذوا كثيراً من الثقافة الهندية، وأدججوها في ثقافتهم، فلما نقلت الثقافة الفارسية إلى العربية، كان معنى هذا نقل جزء من الثقافة الهندية في ثناياها."⁴

وقد استعان الفرس بأطباء السريان الذين كانوا يدرسون في مدارس الرها (مدينة بين الموصل والشام) ونصييين (مدرسة دينية) وأنطاكية. ويعتبر ازداشير من أشهر ملوك الفرس وأكثرهم تشجيعاً للعلم، وحباً للعلماء وجمعاً للكتب. حكم ما بين 226-241.⁵

وأنشأ كسرى أنوشروان مدرسة بجنديسابور، و"كان يُدرس فيها الطب وما يتصل به من فلسفة، ويقول بروكلمن: إن الجزيرة والعراق كانا منذ أيام الإسكندرية متأثرين بالحضارة اليونانية، وكان في الأديار السريانية كثيراً من الكتب المترجمة، لا في الآداب النصرانية وحدها؛ إذ كان هؤلاء محور الدائرة العلمية لئوس وابقراط؛ إذ كان هؤلاء محور الدائرة في ذلك. أيضاً تراجم مؤلفات أرسطو العلمية في ذلك العصر، وكان السريان نقلة الثقافة اليونانية إلى الإمبراطورية الفارسية أيام الساسانيين... وأخذت هذه البذرة اليونانية في الازدهار حتى أيام العباسيين."⁶

¹ نفس المرجع، ص 158.

² محمد كامل حسين، مرجع سابق، ص 301.

³ نفس المرجع، ص 301.

⁴ أحمد أمين، مرجع سابق، ص 217.

⁵ حنيفة الخطيب، الطب عند العرب، ط 1. الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986، ص 181.

⁶ أحمد أمين، مرجع سابق، ص 424.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

هذا وقد "حكم كسرى أنشوروان (531-579) الذي احتل أنطاكية ولاذق وأخذ من كليهما المزيد من العلماء والأطباء ليضمهم إلى أمثالهم في جندسابور.¹" و"دامت الدولة الساسانية نحو أربعة قرون، خلّفت فيها علماءً كثيرًا، وأدبًا وفيرًا. وأكثر ما نقل إلينا في العصر العباسي (من الأدب والعلم، والأساطير والتاريخ) إنما يرجع إلى هذه الأسرة."²

استعاد الساسانية (226-652م) مكانتهم العلمية والأدبية بعد أكبر نكبة عرفها الفرس وذلك "بفتح الإسكندر الأكبر لبلادهم، وقد تلف في هذا الحرب كثير من خزائن كتبهم."³ وفي عيون الأنباء يقول فاتك: "أن الإسكندر عند دخوله فارس أحرق كتب المجوس، إلا كتب الطب والحكمة والنجوم، فقد عمد إلى نقلها إلى اللغة اليونانية وأرسلها إلى بلاده... وهذا يعني أن بلاد فارس كانت تشتمل على قدر معين من المعارف الطبية العلمية التي أفاد منها اليونان."⁴

وكانت لمساهمة ملوكهم في ذلك الدور الكبير، حيث أظهروا ميلهم للعلم وتشجيعه ومن ذلك أن "أردشير بابك (2260-241م)؛ قد بعث في طلب الكتب من الهند والروم والصين، وكذلك كان الشأن في عهد ابنه سابور، وعهد كسرى أنوشروان."⁵ فكانت للفرس "كتب في التنجيم والهندسة والجغرافية، وكانت تتوالى عليهم نكبات تذهب بكثير من كتبهم، ولكن كانت مدنيّتهم في حياة وعظمة، فكانت تسترد مجدها بتأليف كتب جديدة تسائر عظمتهم."⁶

وقد ذُك أن "لفرس في حملتهم على مصر واليونان كانوا يحملون معهم بعض الكتب وهم عائدون من الغزو."⁷ قال حمزة الأصفهاني: "فأما تواريخ من كان قبل الساسانية من ملوك الأشغانية، فلم أشتغل بها للآفات المعترضة فيها (كانت) في أزمنة أولئك الملوك وذلك، أن الإسكندر لما استولى على أرض بابل وقهر أهلها، حسدهم على ما كان اجتماعهم من العلوم التي لم تجمع قط لأمة من الأمم مثلها؛ فأحرق من كتبهم ما نالت هيده، ثم قصد إلى قتل الموابذة والهرابذة والعلماء والحكماء، ومن كان يحفظ عليهم في أثناء علومهم تواريخهم، حتى أتى على عامتهم، هذا بعد أن نقل ما احتاج إليه من علومهم إلى لسان اليونانيين"⁸

¹ رجب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 46.

² نفس المرجع، ص 172.

³ أحمد أمين، مرجع سابق، ص 170.

⁴ رجب خضر عكاوي، مرجع سابق ص 44.

⁵ أحمد أمين، مرجع سابق، ص 170.

⁶ نفس المرجع، ص 170.

⁷ نفس المرجع، ص 424.

⁸ نفس المرجع ص 172.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

كانت اللغة المستعملة في الكتب وفي بيمارستان جنديسابور هي "السريانية واليونانية بالإضافة إلى شيء من الفارسية. ثم دخلت بعد ذلك، اللغة الفارسية في كثير من الأدوية والعقاقير الطبية."¹ وأسس "النساطرة بمعاونة اليهود مدرسة للطب بجنديسابور، وأيدهم الخلفاء العباسيون، وقد كانت هذه المدرسة الطبية وارثة الطب اليوناني والفلسفة اليونانية في الشرق، وحول هذه الدراسة الطبية تكونت دراسة الطبيعة والكيمياء والهيئة، بل والمنطق والإلهيات، وكانت الثقافة الطبية تتطلب كل هذه الفروع، وبرنامجها يسع كل هذه الأشياء، كما نلاحظ هذا حتى في فلاسفة السلمين أمثال الفارابي وابن سينا؛ فكلاهما طبيب فيلسوف."²

ومما لا شك فيه أن العجم - وخاصة الفرس - كانوا في جملتهم أقدر على التدوين والتأليف للسبب الذي ذكره ابن خلدون، وهو تعمقهم في الحضارة، ولأنهم مروا من قديم على التأليف بلغتهم هم وآباؤهم، فلما دخلوا في الإسلام وتعلموا العربية كان تأليفهم بالعربية سهلاً يسيراً؛ لأنه ليس إلا احتذاء للمنهج، وإن اختلف الموضوع واللغة. إذن لا عجب من أن نرى في عصرنا الذي نؤرخه كثيراً من الفرس كانوا من السابقين الأولين في تدوين العلوم المختلفة."³

ساهم الانفتاح والتمازج الثقافي في انبعاث هذه الحضارة، حيث أنه "بحول القرن الخامس الميلادي التقى في جنديسابور علماء من أكاديمية أثينا بعد اضطهاد الكنيسة البيزنطية لهم. ومن النساطرة وكان من نتيجة هذا الاختلاط والتفاعل في الأراء والمذاهب الدينية والعلمية أن برز انفتاح وتعايشين حيث امتزجت علوم الغرب بعلوم الشرق، وانبعثت حضارة مثمرة بلغت، شأواً كبيراً في جوانب شتى من العلوم الطبية أيضاً. من أشهر الأطباء في هذه المدرسة الطبيب جبرائيل درستاباذ، الذي يقال إنه الجد الأعلى لأسرة البختيشوعيين."⁴

1.3 بعض المعتقدات والطرق الروحانية والطبيعية في العلاج

كما سبق ذكره، أن الطب في بدايته لدى الفرس بني على الأساطير والخرافات، لكنه تطور خاصة مع مدرسة جنديسابور. حيث كانت البوذية والزرادشتية من أبرز معتقداتهم ودياناتهم قديماً. يقول الجربوع عبد الله، أن البوذية "انتشرت في شرق إيران أي (بلخ وبخارى) وفيما وراء النهر كذلك قبل الإسلام، بأكثر من ألف سنة، وكانت لها صوامع ومعابد مشهورة، وكذلك معابد بلخ أكثر شهرة

¹ رجب خضر عكاوي، مرجع سابق ص 46

² أحمد أمين، مرجع سابق، ص 283.

³ أنفس المرجع، ص 183.

⁴ رجب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 46

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

بنوع خاص.¹ "كما سبق وأن أشرنا أن "بوذا حكيم هندي، أسس مذهب البوذية ضد الرهمية في القرن الخامس قبل المسيح عليه السلام.²

ظهر دين زردشت* بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد، حيث يقال إنه «ادعى النبوة وأنه مرسل من الله، وأنه جاء من عنده بكتاب سماوي. وقد جاء زردشت بقوانين دينية ونظامات سياسية ومدنية، ووضع لقومه كتاباً سمي «الزاندافسنا» ضمنه جميع تعاليمه وإرشاداته الدينية، وعلى توالي الأعوام أصبحت شريعته رسمية في بلاد فارس، وترك الفرس ديانتهم القديمة التي كانوا عليها منذ العصور الواعلة في القدم، وهي عبادة القوى الطبيعية المختلفة وخاصة الشمس.³ ومنهم المجوس.

وكلمة مجوس تاريخياً "كانت تستعمل دائماً في شأن معارضي دين زرادشت، وتظل بصفة أخص على أتباع الدين الوثني لأهالي مادا وفارس قبل مبعث زرادشت وعلى طوائف من الفرس من بعد مبعثه، أي على أولئك الذين ظلوا على دين آبائهم يؤمنون بما جاءهم به نبيهم، ولكن إدخال النار في صلب العقيدة التوحيدية واتخاذها قبلة للعبادة، والاهتمام بها إلى درجة التعظيم، جعل أغلب مظاهر الدين الزرادشتي لا تختلف كثيراً عن مظاهر المجوسية القديمة.⁴

فالنار عند المجوس لها صفة القداسة و"تظهر بإحراءات طويلة ومعقدة بعدما تستخلص من 16 حيث تضرم النار في مجموعة من خشب الصندل إلى أن تتوهج وتصل إلى علو كاف يمكن رجل الدين من إشعال قطعة صغيرة من خشب الصندل موزعة على ملعقة بها ثقب ... حتى تصل حد التطهير.⁵ بالنسبة للنار فهي تتبع طقوس معقدة حتى تصل إلى درجة التطهر بحسبهم.

وقد كثر أتباع هذا الدين حتى بعد ما "جاءت الدولة اليونانية، ثم الدولة البرتية، ثم الساسانية، ... وأتباع هذا الدين من الفرس لتوالي الدول الفارسية على هذه البلاد، فلما جاء العرب المسمون قرضوه بالتدريج كما قرضوا البقية الباقية من ديانة البابليين «الوثنية» التي قرضتها النصرانية تقريباً قبل الفتح الإسلامي.⁶

¹ هيثم عبد الرحمان عبد الجبار السامرائي، مرجع سابق ص 431.

² نفس المرجع، ص 431.

³ توفي حوالي 583 ق.م. مصلح ديني زرواستر أو زراطشت (رادشت في البهلوية) عاش في ميديا (بلخ) ونادى بمذهب فلسفي وأنشد مع قومه ترانيم الكاتاس المحفوظة في الأفيسا، وهي تعتبر مجموعة الديانة المازدية وكانت مذهب الدولة الساسانية حتى الفتح الإسلامي. (عكاوي، مرجع سابق ص 43).

⁴ علي ظريف الأعظمي، مرجع سابق، ص 20.

⁵ الشفيق الماحي أحمد، زرادشت والزردشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد 21، الرسالة 160 جامعة الكويت، 2001، ص ص 94 و95.

⁶ نفس المرجع، ص ص 107، 108.

⁶ علي ظريف الأعظمي، مرجع سابق ص 20.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

برز اهتمام طبقة الزرادشتية في فارس " بدراسة الطب وولعت في صناعته، وتكونت من هذه الطبقة فئات ثلاث من المعالجين، الأولى كانت تعالج بالأدوية والصلاة، والثانية بالأغذية والعقاقير، والثالثة كانت تستعمل الأدوات الدقيقة في إجراء العمليات الجراحية.¹

اعتمدت ممارسة الطب الفارسي "على الطب اليوناني الذي يتصف بنظرية الأخلاط والأمزجة. وطرق المعالجة بالسهلات والمقيئات والأدوية المدرة للبول والفصد والحجامة. العلاجات الطبيعية بالتدليك والحمامات والرياضة والتغذية. أما في مجال الطب الجراحي فإن أطباء جنديسابور لم يتوسعوا في نطاق فنونه، وكانت أكثر عملياتهم الجراحية محصور في الجراحات البسيطة كعمليات بتر الأعضاء وشق المثانة وقلع الأضراس.²

وفيما يتعلق بنظرية الأخلاط، فيمكن أن نبرر اكتسابها في الطب الفارسي من وجهة نظر أخرى، حيث يذكر أنه "كان دخول الطب اليوناني إليهم بواسطة تزويج أولينوس قيصر لسابور ملك فارس ابنته، فبنى لها مدينة جنديسابور، وكان في خدمتها أطباء يونانيون نقلوا الطب البقراطي إلى الشرق، ولقد استقدم بعض ملوك فارس أطباء مصريين ليعالجوهم، وعن هؤلاء تناول صناعته الطبية الحارث بن كلدة طبيب العرب.³

من أقوال بعض الحكماء الفرس، أقوال حكيمهم بزجمهر: "إن كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شيء مثلها فالغنى، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان شيء مثله فالفقر.⁴

ومن أبرز المعالجات، نذكر المعالجة بالمياه التي أولت لها أهمية كبيرة اعتباراً من كونها "أمر ينسجم مع ما ورد في كتاب الهند المقدس فيداس، الذي يعد الماء أساس الحياة.⁵

فحتى في العصر الساساني (229-637م)، كان الإيرانيون "لايزالون يؤمنون بقوة المياه الشافية، فقد قيل أن الملك الساساني يزدجرد قد مرض ذات مرة فأشار عليه المنجمين بالاغتسال بمياه عين ماء معينة فلما اغتسل فيها شفي في الحال.⁶

واستخدموا التحنيط حيث "كانوا يحنطون جثث موتاهم بطلائها بالشمع لتحفظ سالمه.⁷

¹ أرحاب خضر عكاوي، مرجع سابق ص 44

² نفس المرجع، ص 46

³ إسكندر عيسى المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014، ص 15.

⁴ نفس المرجع، ص 15.

⁵ http://au.edu.sy/images/courses/pharmacy/2-2/39_pharmacy-history.pdf site visité le 15/01/2020.

⁶ أسامة عدنان يحيى، مرجع سابق، ص 372.

⁷ إسكندر عيسى المعلوف، مرجع سابق، ص 15.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وقد ذكر أبو الكلام أزداد على لسان هيرودوت أن الفرس كانوا على حد تعبيره يطلون أجساد موتاهم بالشمع ثم يدفنونهم في التراب.¹

ومن الكلمات الفارسية التي نجدتها في العربية:

- "الجوارش من الأدوية تعريب كوارش، يعني: الهاضوم والهضام، والجلاب أو الجلاب العسل أو السكر المعقود من «كل» أي: ورد، و«لاب» ماء؛ لأنه كان يُعقد بماء الورد، والجلنجين معجون من الورد والعسل من «ك» أي: ورد، و«أنكبني» عسل، والزيرباج من «زيرا» وهو الكمون و«با» طيبخ وهو طعام يُطبخ من لحم طري سمين وكمون وخل للاستسقاء، و«المزر» نبيذ الشعير المعروف «بالبيرة»، والسكر تعريب «شكر»، والشهترج نبات للحرب والحكة تعريب «شاه تره» أي: سلطان البقول، والشيطرج دواء للمفاصل، والبهق تعريب «شيتره»، ومعناه مسواك الراعي، والفوتنج من «بودنه» أي: الحبق، والنهري تُسمى نعنن الماء والنعنن فارسية تعريب «ناناه»، والبرشت من البيض أصله «نيم» نصف و«برشت» مشوي، والزئبق معرب «زيوه» إلى كثير من هذه الألفاظ الطبية.²

تميزت أطباء جندسابور ببعض الخصائص، ذكرها خضر رحاب عكاوي: "بقصروا علمهم عليهم ولم تكن لديهم رغبة في أن يفضوا بعلمهم إلى غيرهم، ويستدل على ذلك بما لقيه حنين بن إسحاق في بدء عهد بالتعليم، وهو الذي قام بترجمة المؤلفات الطبية اليونانية إلى العربية."³

4. الدواء في بلاد ما بين النهرين

يسجل التاريخ أن الكثير من الحوادث التاريخية جرت في بلاد ما بين النهرين أي نهر دجلة والفرات أي "الإقليم الجبلي شرقي نهر دجلة، والأقاليم الممتد على طول ساحل البحر المتوسط الشرقي... يطلان على بلاد ما بين النهرين موصولان برقعة من الأرض شبه دائرية سماها المؤرخ بريسنده (الهلال الخصب)."⁴

¹ الشفيح الماحي أحمد زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد 21، الرسالة 160 جامعة الكويت، 2001، ص 82.

² إسكندر عيسى المعلوف مرجع سابق ص 16.

³ رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 47.

⁴ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج 1، تر. نخبة من المترجمين، سلسلة ميراث الترجمة، مصر، القاهرة 2010، ص 143.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

سمى السكان القدامى هذه لبلاد، ببلاد ما بين النهرين وسماه الإغريق ميزو بيطامي أما الروس فسموها ببلاد الرافدين. وظهرت في بلاد ما بين النهرين ثم زالت من وجه الأرض كلياً دولاً مثل سومر وآكاد وبابل وآشور¹. وبالنسبة "لفظ اليوناني لبلاد ما بين النهرين وهي مشتقة من Mesos وسط أو بين وكلمة Potamos أي لنهر"²

يمكن إرجاع المعرفة الطبية في بابل إلى الألف الثالث ق.م. "وفي وسعنا أن نفترض في الحالتين، أي في بلاد بابل ومصر، أن القسم الأكبر في المعارف الطبية يرجع إلى الألف الثالث ق.م. مع أن ثمة فرقاً كبيراً بينهما، وهو أن النصوص المصرية كتبت في مصر حول القرنين السابع عشر والسادس عشر في حين أنهما لم تكتب في بلاد آشور إلا بعد ذلك بألف عام."³

تشهد ألواح الآجر "التي يعتمد عليها في دراسة تراث حضارة ما بين النهرين على تفوق السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين وبراعتهم في عدد من فروع المعرفة، كما أن اتصافهم بالمصريين القدماء، سواء عن طريق التجارة أو الغزوات، ساعد على تبادل المعارف واقتباس الخبرات، وأسهم بدرجات متفاوتة في تطوير الأساس العلمي الذي أفادت منه كل حضارات العالمين القديم والوسيط."⁴

1.4 الحضارة السومرية

في الحضارة السومرية "تولّى طبيب سومري مجهول الاسم في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، جمع وتدوين أغلب وصفاته الطبية في أول دستور للأدوية 'فارماكوبيا' في العالم، لغرض فائدة طلبته وزملائه، وهياً لذلك لوح من الطين قياسه 15.9x9.5سم ونقش عليه بالخط المسماري اثني عشرة وصفة طبية من الأدوية المفضّلة لديه، حيث تعتبر هذه الوثيقة الطينية أقدم كتاب موجز في الطب معروف لدى الإنسان."⁵

وكانت هذه الصفات التي اعتمد فيها على المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية "تدل على مستوى عالٍ من التخصص، بحيث قام الباحث الأمريكي صموئيل كيرمر في قراءة العمليات والكتابة

¹ ك. مانفيلف وأ. سازونوف، حضارة ما بين النهرين. دار مجد، دمشق، سوريا، 1991م / 1411هـ.

² نفس المرجع، ص 7.

³ جورج سارتون، مرجع سابق ص 197.

⁴ جورج سارتون، العلم القديم والمدينة الحديثة، تر. عبد الحميد صبرة، أحمد فؤاد باشا، سلسلة ميراث الترجمة، القاهرة، مصر، 2010، ص 2.

⁵ سعاد الفتال، مرجع سابق، ص 2.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

السومرية، بينما تولى العالم الكيماوي مارتن ليفي حل رموزها للكيماوية والتقنية، وإعادة الحياة إلى أول دستور للأدوية في تاريخ الإنسان.¹

كان للسومريين شعاراً للطب "بمثلان الإله 'ننكشيدزيدا'، إله الطب السومري، أفعوانان يلتفان على عصا، وذلك منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. وتستطيع ملاحظة وجود هذا الرمز واستمراره حياً في الشرق القديم، من حكاية حية النحاس التي وضعها موسى في القفر لشفاء العبرانيين، فتلك الحية لم تكن سوى أفعواناً ملتفاً على العصا.²

بينما بلغت نراكيب الأدوية ودساتيرها "مرحلة متقدمة من التطور، كما عبرت عن معرفة واسعة بالطرق الكيماوية لتحضير الأدوية، حيث ذكرت في عدد منها الإرشادات بلزوم تنقية المواد الغريبة الداخلة في الدواء قبل السحق. كذلك لم تنص تلك الوصفات على تسمية الأمراض التي وضعت من أجلها؛ ولذلك كان من الصعب الحكم على نتائجها.³

2.4 الحضارة الآشورية

أما الحضارة الآشورية، فقد كان الآشوريون تحت سيادة البابليين ولما "تويت شوكتهم وصارت لهم دولة عظيمة اشتهرت في التاريخ، وقام منهم ملوك عظام أخضعوا لحكمهم بلاد بابل وغيرها. أما أصلهم فإنهم فرع من أهل «بابل» أو «الكلدان»، وكانوا قد نزحوا إلى ذلك القطر وظلوا قرونًا تحت حكم الكلدان، ثم استقلوا إدارياً وظلوا خاضعين لسيادة «الكلدان»، حتى إذا ما ضعف أمر البابليين استقلوا تماماً، ولم يمض زمن طويل حتى صارت لهم دولة كبيرة، أخضعت عدة أقطار، وخلدت لها ذكراً عظيماً في التاريخ القديم.⁴

تشابهت المعتقدات في حضارات وادي الرافدين، و"الاسيما في أسباب المرض وعلاجه. وفيما يتعلق بالأدوية التي استعملها الطبيب الآشوري، وخير ما يذكر في هذا الباب هو ما ورد في كتاب العالم تومبسون عن الأعشاب الطبية، فلقد أحصى المواد التي وردت في اللوائح الطينية التي ترجمها هو بنفسه.⁵

¹ نفس المرجع، مرجع سابق، ص 2.

² خزعل الماجدي، بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع-عمان 1998، ص ص 144-145.

³ سعاد الفتال، مرجع السابق، ص 2.

⁴ علي ظريف الأعظمي، مرجع سابق ص 12.

⁵ سعاد الفتال، المرجع السابق، ص 4

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

4.3 الحضارة البابلية

أعطت الحضارة البابلية صورة واضحة للانسجام والاختلاط والتجانس في العناصر التي شكلت الحضارة في وادي الرافدين بدء من جذورها النيوليتية الضاربة في العمق. فقد ظهرت عناصر الثقافة النيوليتية الشمالية، والكاثوليكية الجنوبية والسومرية والأكدية والآرامية (الكلدانية لاحقاً) في تجانس قل نظيره في مجتمعات الشرق، وبذلك نستطيع القول إن لحظة التوازن بين مجالات الطب والسحر والأسطورة والدين كانت في ذروتها.¹

وتعتبر أزهى "عهود الثقافة البابلية هو عهد الإمبراطور حمو رابي. وعهده قبل مئتي سنة تقريباً من ميلاد المسيح عليه السلام، وكان فن الجراحة مع جراحة الحيوانات شائعة في عهده ومعظم العلاجات واتخاذ العمليات الجراحية عند أطباء ذلك العصر مقتصرًا على العقاقير."²

في مجال الصيدلة، "يعتبر الصيادلة العراقيين أول من اشتغل في تحضير الأدوية والعقاقير، فضلاً عن الأدوية المركبة الجديدة. كما أنهم أول من قاموا بإعداد وتأليف دستور للأدوية، وظلوا يعتمدون عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيدلة، كذلك هم أول من أنشأ حوانيت للصيدلة، ومن الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التي أخذتها الحضارة الغربية عنهم، ولا تزال عندهم بأسمائها العربية والفارسية والهندية."³

من أسماء بعض النباتات التي وردت عنهم: "لقاسيا (القثاء الهندية)، هندباء (تسكوربا)، كمون، كركمن، حشيشة الزوفا، مر، ناردين، بحسب ما توصل إليه الأب شايل Father Srchil في بحثه لألواحاً، يرجع عهدها إلى زمن سيسو-ايلونا (1912-1901 ق.م)."⁴

وقد تطورت "المفاهيم العلمية أثناء العصر البابلي، حيث عثر علماء الآثار على عدد كبير من الوثائق الطبية وهي منقوشة على ألواح طينية ومكتوبة بالحروف المسمارية"⁵

حيث دلت هذه الألواح الطينية على لطريقة المتكورة "لدراسة الأعشاب إذ خصصوا عموداً لاسم العشب، وعموداً ثانياً لاسم المرض، أما العمود الثالث فكان مخصصاً لطريقة تحضير الدواء من العشب والعمود الرابع يحتوي على الإرشادات وكيفية استعمال الدواء."¹

¹خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص 163.

²صلاح الدين ناصر الأنصاري، مرجع سابق، ص 15.

³سعد الفتال، تاريخ الصيدلة في بلاد الرافدين، مجلة منظمة المجتمع العلمي العربي، موقع الكتروني، 2012، ص 2.

⁴جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، مرجع سابق ص 187.

⁵سعد الفتال مرجع سابق، ص 5

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

بالنسبة لطرق العلاج، فيتضح فيها "الأصل السومري لمعظم الوثائق الآشورية تمام الوضوح، إذ أنها مكتوبة في الواقع باللغة السومرية القديمة، وبنسبة كبيرة من العلامات التصويرية. ثم إن الأطباء الآشوريين من أهل القرن السابع عشر استعملوا صيغاً طبية سومرية، كما استعمل الفرنسيون من أهل القرن السابع عشر صيغاً طبية لاتينية، ولنفس السبب، أي بسبب التقاليد المتوارثة. ذلك لأن السومرية (أو اللاتينية) أعرف وأشرف، ولها الأفضلية في كونها مقصورة على الطبقة المثقفة المختارة، فلا يستطيع العامة فهمها، وهم يحترمون الأطباء كثيراً بسبب ذلك ... (فكل مجهول معظم)."²

وفيما يتعلق بالتعليم الطبي، فقد كان على ما يبدو شفهيّاً في الغالب "أن المعرفة الطبية انتقلت من المعلم إلى تلميذه، ولعله من الأب إلى الابن، وأن الألواح لم تكن تستعمل للدراسة بقدر ما استعملت للاستعادة والتذكير، أي من قبيل الخلاصات أو المذكرات."³

لقد لعبت المدرستان الطبيتان المتخصصةتان في أوروك وبارصيا دوراً عظيم الشأن في تهيئة الأطباء في بلاد بابل. هاتان المدرستان وغيرها من المدارس الأخرى كانت مفتوحة ومعتمدة على حساب الدولة. وكن يستخدم في تدريس الطلاب وتخصص الأطباء كتب وكراريس ومراجع طبية كما كانت تصدر موسوعات طبية خاصة، مما أتاح في تلك الأزمنة البعيدة الإمكانية للأطباء الآشوريين- البابليين في تصنيف علوم تحديد الأعراض والأسباب والتشخيص، والتبؤ بالأمراض وعلاجها (سيمبوماتولوجيا Symptomatologie، الإتيولوجيا Étiologie، والدياغنوزتيكا Diagnostique والبروغنوز (Prognose)."⁴

أما علم التشريح "فقد منع رسمياً في بلاد آشور وبابل فتح الجثة لغرض دراسة علم تصنيف الأعضاء (أنتوميا Anatomie) لدى الإنسان، إلا أن الأطباء هناك أوجدوا لأنفسهم طريقة أخرى لزيادة المعارف في تخصصهم، فقد كانوا يذهبون إلى ساحة الحرب حيث تمكنوا من دراسة أنتوما Anatomie) الإنسان على جثث القتلى، وفي الوقت ذاته قاموا بعلاج الجرحى وإجراء العمليات الجراحية لهم وتضميد الجروح وغيرها. وهكذا ولدت تدريجياً الجراحة الميدانية (الطب العسكري)."⁵

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 20.

²نفس المرجع، ص 196-197.

³جورج سارتون، مرجع سابق، ص 196-197.

⁴ك. مانفيل وأ. سارونوف، حضارة ما بين النهرين، تر. حنا آدم، دار مجد، دمشق، سوريا، 1991م / 1411هـ. ص 135.

⁵نفس المرجع، ص 135.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

4. 4 بعض الطرق الروحانية والطبيعية في العلاج

وصف هيرودوت أثناء زيارته لبابل لطريقة علاج المرض الذي يستعصي على الطبيب وذلك بعرض المريض في الشارع ثم (... بعد ذلك يقدم المارة النصائح للمريض ويشرحون له كيف أنهم تخلصوا من مثل هذه العلة، أو رأوا خلاص الآخرين منها. وكان يمنع المرور من جانب المريض بصمت، وكل من يمر بجانبه يجب أن يسأله عن العلة التي أصابته) إن هذه الطريقة كانت موجودة منذ القدم لدى الآشوريين والبابليين وكانوا يلجئون إليه في الحالات المستعصية جداً إذ كان الأطباء يقفون لا حول لهم ولا قوت في معالجة المرضى.¹

أعار الأطباء الآشوريون-البابليون اهتماماً كبيراً للأمراض الحمية، فقد كانوا يصفون لمرضاهم المحتاجين لطعام الحمية الفواكه كالتفاح والأجاص، والخضار كالبصل والثوم والشمندر والجزر الحنطة الرومية وك وكذلك مختلف أنواع السموم والعصير والشراب. والأدوية الأكثر رواجاً كانت الزيوت وسحلب الفواكه وشراب الخمائر والديبس وشراب مستخلص الشعير وغيرها. ومما سبق ذكره نرى أن الوصفة الدوائية إلى عمق المعاصرة تعود بجذورها إلى آلاف السنين.²

عرف استعمال "التعاويد في علاج الأمراض شائعاً في بلد الرافدين...، فقد كان البابليون في العهود المتأخرة يعزون الكثير من الأمراض إلى وجود الشياطين المضرة في جسم المريض"³ فقد ارتبط الطب والسحر في وادي الرافدين بالآلهة، فهي المسئولة المباشرة عن كافة الفعاليات العلاجية، فقد كان الإله اينكي وابنه الإله اسالوخي من الآلهة المرتبطة بالطقوس الخاصة بطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المرضى. فالإله إنكي/ايا هو إله الحكمة والحياة، الذي أوجد أعشاب الشفاء، ويده سلطة السحر العليا والمعارف السرية ومن ألقابه رب التعاويد (بيل شيتي)⁴

وكانت العرافة أساس تشخيص المرض. حيث كان الفلك والتنجيم من أهم الأمور عندهم. "فحين كان المريض يتلوى في سريره عللوا ذلك بأن الأرواح الشريرة الموجودة من حوله وفي جسمه تؤذيه بسحرها وكان واجب الساحر أن يطردها ومع ذلك فقد كان للطبيب دوره إذ كان يستخدم في حالات الرمد المنتشر في هذه الأقاليم نوعاً من المراهم للعين مكوناً من نباتات تطبخ في الدهن أو

¹ نفس المرجع، ص 134، 135.

² نفس المرجع، ص 137.

³ سعد الفتال، مرجع سابق، ص 8.

⁴ أسامة عدنان يحي، مرجع سابق، ص 135.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

خلاصة النحاس المطبوخة تشرب بالجمعة. وقد استخدم في دستور الأدوية كل أنواع العناصر سواء أكانت من أصل معدني أم نباتي أم حيواني.¹

وأما الرقم المفضل للبابليين "هو الرقم سبعة، فهناك سبعة أمراض خبيثة، وسبع طبقات سفلى للعالم، وسبع سموات وسبع رياح وسبعة كواكب."² ونلاحظ أن هذا الرقم ظل يحتفظ برمزيتته في مختلف الطقوس في عصرنا الحالي كالأسبوع في الميلاد، وكذلك 'تسبيع الملح' ضد العين وغيرها من العادات الباقية إلى يومنا هذا.

5. الدواء والمصريون القدماء

تعود حضارة قدماء المصريين إلى أكثر من 4000 سنة ق. م. "فعلى" مدى أكثر من خمسة آلاف عام وجدت مصر بحدودها الجغرافية المعروفة الآن واستمرت، وعاش على هذه الأرض شعبها وكانت لها حكومتها دون انقطاع في أي من حقب تاريخها.⁴ و"شمل موقعها بين قارة آسيا وأفريقيا مما مكنها من إطلالها على البحر المتوسط والبحر الأحمر بالإضافة إلى نهر النيل، النهر الوحيد في العالم الذي ينبع من الجنوب باتجاه الشمال.

واسم مصر ورد "مكثدا في النصوص السماوية والعبرية والآشورية وكذلك في القرآن الكريم. بينما النصوص المصرية القديمة كان اسمها كيم KEM وترجمتها بلاد الأرض السوداء أي الأرض الخصبة وعندما تعامل الإغريق مع الدولة المصرية القديمة أطلقوا عليها نفس الصفة... فأسموها إجيبتوس اسم مصر الحالي EGYPT"⁵

نبغ المصريون في الرياضيات حيث "بلغ علماء الرياضيات والأطباء أعلى درجات السلم والذي مازلنا نحن نصعده."⁶ و"كان الطب عندهم خليطا من السحر والشعوذة والطلاسم وكان لهم عدد من الآلهة منهم إيزيس وأوزيريس. أما أشهر من مارس الطب عندهم فهو أمحوتب عام 2900 ق.م."⁷

¹ ال. ديلاپورت، بلاد ما بين النهرين، تر. محرم كمال، ط.2، الهيئة المصرية للكتاب، مصر. 1418 هـ 1997 م. ص 238.

² رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 20.

³ نفس المرجع، ص 21.

⁴ أناصر الأنصاري، المجلد في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، ط.2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997 ص 6

⁵ نفس المرجع، ص 7.

⁶ جورج سارتون، مرجع سابق، ص 133.

⁷ نفس المرجع، ص 21.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

في مصر القديمة، "كانت هناك مدارس للطب ملحقة بالمعابد، ونالت المدرسة المصرية الطبية القديمة شهرة عالمية، وكان خريجوها موضع احترام العالم. وظل العالم كله يعالج مرضاه بنفس الطريقة الفرعونية القديمة، حتى حدثت ثورة الطب في بداية القرن التاسع عشر الميلادي."¹

الاكتشافات الهيروغليافية دلت على "أن حضارة قدماء المصريين كانت من أشهر الحضارات التي ازدهرت فيها علوم الطب والصيدلة فهناك مثلاً، سجل عظيم طوله 250 قدماً وعرضه 12 بوصة كتب في عهد النبي موسى عليه السلام، يحتوي على العديد من الأدوية الشافية وطرق تحضيرها وكيفية معالجة الأمراض بها... ولعل براعة الفراعنة في التحنيط أكبر دليل على طول باعهم في معرفة علمي التشريح والكيمياء."²

كان منهج المدارس صارماً. حيث "كانت المدارس تفرض شروطاً قاسية على الطلبة، أهمها أن يكونوا من ذوي الأخلاق الحميدة والسيرة المحمودة، وأن تكون عملية الختان قد أجريت عليهم. وهم أول من اكتشف أدوية التخدير لمع الألم كما برعوا بالعمليات الجراحية كالختان والخصي وتجبير الكسور والنقب (فتح الدماغ)، كما كانوا أول من مارس جراحة التجميل."³

وقد "شكلت البرديات جزء من تراث مكتبي ضخم، مكون من اثنتين وعشرين بردية منها ست في الطب، وكانت هذه المجموعة تعرف بالكتب المقدسة للإله توت، إله القصر ورب الكنانة. وكانت تحفظ عادة في المعابد وتعرض فقط أثناء الاحتفالات الدينية... ويتضح من أوراق البرديات أنها أنشئت على التخصص في الأفرع، وهي مدونة بالهيروغليافية."⁴

عرفت البرديات "منذ القدم باسم "القراطيس". كانت مكتبة الإسكندرية العظيمة تضم عدداً كبيراً من البرديات بعضها من زمن الفراعنة والبعض الآخر من زمن البطالسة. وقد احترقت المكتبة زمن يوليوس قيصر في القرن الميلادي الأول، فضاعت الآثار القيمة ولم يبق من البرديات سوى ثمان، أهمها مذكور أدناه مع العلم أن البرديات الطبية هي أكثر المصادر إسهاباً وتفصيلاً في وصف الأمراض والمواد الطبية:

¹ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص ص 9-10.

² رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 22.

³ رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص ص 22 و 23.

⁴ رحاب اخضر العكاوي، مرجع سابق، ص 17.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

1- بردية كاهون (Kahun Papyrus)، 2- بردية أدوين سميث (Smith Papyrus)، 3- بردية إيبرس (Ebers Papyrus) 4- بردية هيرست (Hearst Papyrus)، 5- بردية لندن (London Papyrus) 6- بردية برلين (Berlin Papyrus).¹

يمكن تأريخ ورق البردي "في حدود بضعة قرون، وتحليل أطول نصين فيها يكفي لمعرفة أسس الطب. وهما المعروفان باسم بردية سميث وبردية إيبرس"² "فبردية سميث وكذا بردية إيبرز/إيبرس تعطينا فكرة دالة على تقدم الطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء عند المصريين، ومدى ما وصلوا إليه في نظرتهم العلمية قبل هيبوكراتيس بألفي سنة على الأقل."³

مثالاً عن بردية إيبرز/إيبرس فهي "تحتوي على 877 وصفة طبية لأنواع متعددة من الأمراض أو أعراضها ومنها اثنتا عشر حالة علاجها الرقى. أما العلاج في غير هذه الحالات فلا يبدو سحرياً أو خرافياً، ولو أنه يندر أن نعرف حقيقية المرض أو علاجه. وأما محتويات هذه البردية فمرتبة على النظام الآتي:

-أدعية تقرأ قبل العلاج الطبي لتقوية مفعوله-الأمراض الباطنية-أمراض العين-الأمراض الجلدية (مع حاشية - لعدة أنواع من هذه الأمراض-أمراض الأطراف-متنوعات (وخاصة أمراض الرأس، مثل أمراض اللسان والأسنان والأنف والأذن) -المساحيق-أمراض النساء (والأمور الخاصة بتدبير المتزل) -معلومات ذات صفات تشريحية وفيزيولوجية وتفسير كلمات-الأمراض الجراحية."⁴

وهذه وصفة من بردية إيبرز أو إيبرس لعلاج الثعلبة (عن ج لو ففر) وهي وصفة تجمع بين تعزيم ومهزم (دواء لطرد الثعلبة: أنت المضيء الذي لا تتحرك من مكانك؛ الذي يحارب الخطيئة آنون، نجني مما أصاب قمة الرأس' تتلى هذه الأقوال على الصلصال الأصفر، والحنظل، والهيصم، وحبوب تسمى عين السماء، والعسل، ثم تسحق معا ويدهن به الرأس."⁵

أما بردية سميث 'فهي نسخة من نص أقدم منها، يرجع تاريخه إلى عصر الأهرام (...). وتحتوي على وصفات توائم غير جديرة بأن نقف عندها. أما القسم الأول وهو الرئيس، فهو بحث في الجراحة تشيع فيه روح علمية تفوق كثيراً عن الروح التي كتبت بها بردية إيبرز. والواقع أن ميدان الجراحة أقل مجالاً

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 23.

²جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، مرجع سابق، ص 196

³نفس المرجع، ص 120.

⁴نفس المرجع، ص 114.

⁵جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 35.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

للسعوذة من الطب الباطني، لأن سبب المرض في معظم الحالات الجراحية التي عاجلها الأطباء القدماء يكونوا في حاجة إلى إقحام المقدمات السحرية. وعلى العكس من ذلك يكون المرض الباطني خفياً دائماً، فيولد الأفكار الخرافية في ذهن المريض.¹

احتوت هذه البردية على "حالات معينة، مرتبة لعلاج الأمراض حسب ترتيب أجزاء الجسم، من الرأس إلى القدم، ولكنها للأسف تقف عند الكتفين بقليل. ولا يعرف السبب في ذلك هل راجع إلى توقف الكاتب أو ضياع نهاية المخطوط. وظل ذلك الترتيب -من الرأس إلى القدم- قاعدة مرعية خلال العصور الوسطى، وهي قاعدة طبيعية بديهية في الطب، وليس من الضروري أن تفترض أنها احتذاء للقاعدة المصرية الأولى.²

1.5 بعض المعتقدات والطرق الروحانية والطبيعية في العلاج

ليس هناك من شك أن المصريين مارسوا نوعاً من الطب منذ أبعد عصور ما قبل التاريخ، أي قبل عصر المسيح بعدة آلاف من السنين. مثال ذلك أن استعمال الملاحيت كحلا وطلاء للعين يرجع إلى عصر البداري، وأن استعمال الجالينا (خام الرصاص) لأغراض مشابهة جاء بعد ذلك في عصور ما قبل الأسرات أيضاً. وكان الختان طقساً من طقوس المصريين منذ عصر سحيق، دلت عليه آثاره في الجثث التي استخرجت من مقابر عصر ما قبل التاريخ (أي منذ عام 4000 ق.م) وفي مقبرة الأسرة السادسة (حوالي 2625-2475 ق.م).³

أما كيفية حفظ البدن 'فكانوا يحاولون حفظ البدن بعد الموت سليماً، حتى تتمكن الروح من العثور عليه في حالة جيدة عندما تسمح الآلهة بالاتحاد بين الروح والبدن في الحياة الأخرى. ودليل نبوغهم في عمليات التحنيط هذه هو الموميات التي وجدت بعد آلاف السنين في حالة جيدة'⁴

وكانت المواد الأساسية المستعملة في التحنيط: النطرون، شمع النحل، القرفة، والأكاسيا، البصل وأنواع من الراتنجات الصمغية كذلك حبوب العرعر وزيتته، زيت الأرز وزيت الزيتون المر والحناء وغيرهم من المواد وكل ذلك بنسب وطرق.⁵

¹ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، مرجع سابق، ص 115 و116.

² نفس المرجع، ص 115-116.

³ نفس المرجع، ص 111-112.

⁴ ناصر الأنصاري، مرجع سابق ص 51.

⁵ صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012 ص 494.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

ربما يكونوا قد استفادوا بملاحظاتهم وتجاربهم من كيفية تخنيط النحل للحشرات الدخيلة على خليته. كما "كان كهنة الفراعنة يمارسون الطب في المعابد، وسط التراتيل والتعاويد والممارسات الدينية حتى غلب الطابع الديني على الممارسة الطبية نفسها."¹

فقد الشعب المصري القديم "يؤمن بالسحر والشعوذة والتنجيم في حياته العادية، فنجده يؤمن يطرد لأذى، وصرف عين الحسود عن طريق نعليق عصا سحرية أو عين رمزية مرسومة على القماش أو على الخشب، كما كانوا يحملون بعض الأحرز الصغيرة للوقاية من الشر مثل الجعارين"² والجعارين هي نوع من الخنفساء.

وكانت "النساء تعملن توائم صغيرة في شكل تماثيل إله الطب المحوتب حملنها أثناء الحمل لتيسير الوضع. وهناك توائم تعرف بعين حورس أو تسمى في المصرية القديمة واجت (Utchat) وهي من أكثر التوائم شيوعاً. وكان استخدامها سائداً في كل العصور. وكانت تصنع من الذهب والفضة والغرانيت والعقيق والازورد والخزف والخشب على الرغم من أن كتب الموتى يشير إلى هذه التيممة بأنها يجب أن تصنع اما من اللازورد أو من حجر يدعى ماك (Mak). ومامت واجت من نوعين: واحدة تواجه اليسار والأخرى اليمين، وهما سوية يمثلان عيني حورس، أو تمثلان أحدهما الشمس وتمثل الأخرى القمر."³

كانت حكومة مصر "في معظم أيام الدولة القديمة حكومة منظمة قادرة على تسيير الأمور فازدهرت الحضارة... أما النهضة في مجال العلوم والرياضية والفلك والطب وألوان المعارف الأخرى فهي فحضة كبيرة، كما بلغت آداب المصريين الاجتماعية ومثلهم الروحية وتعاليمهم التربوية والخلقية درجة كبيرة من الرفعة والسمو"⁴ على قول جيكيوير Gustasve Jequier في هذا الإطار.

6. الدواء عند الإغريق

تعود تسميت قبائل الإغريق واليونان "إلى الرومان الذين اشتقوا الاسم من اسم قبيل غرايكوي أقرب القبائل اليونانية إلى ايطاليا ومنها اشتقوا اسم غرايكوي أقرب القبائل اليونانية إلى ايطاليا ومنها

¹محمد علي مكاي، فهد عبد الناصر ووسام أحمد العثمان، دراسات في علم الاجتماع الطبي في الوطن العربي، 1989، 14

²ناصر الأنصاري، مرجع سابق ص 53

³أسامة عدنان يحي، مرجع سابق ص 249.

⁴ناصر الأنصاري، مرجع سابق ص 24.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

اشتقوا اسم غريكي Greky، أما اسم ياوون فقد أطلق على المستعمرات التي أنشأها الأيونيون على الشاطئ الجنوبي من آسيا الصغرى، وحوار العرب الاسم إلى يونان.¹

قامت الحضارات الأولى في العالم حول حوض البحر الأبيض المتوسط، ومن بينها حضارة الإغريق، "ولعل أهم الحضارات التي أحدثت تأثيراً في الحضارة اليونانية هي بلا شك حضارة كريت، والحضارة المصرية، والحضارة الفينيقية."²

قبل استقرار اليونانيين وتحضرهم كانوا "بدوا رُحلاً، غزوا العالم الإيجي الذي كان مفتوحاً على العالم الشرقي بحضارته المزدهرة، وتحت تأثير عوامل الشرق نهضت بهم همتهم الشماء لإنشاء مدينة أسمى من كل المدن التي جاء بها الشرق"³

وكانت الأمم الأخرى تسميهم "بالإغريق واليونان أما سبب تسميتهم بالإغريق فتعود إلى الرومان الذين اشتقوا الاسم من اسم قبيل غرايكوي اقرب القبائل اليونانية إلى إيطاليا ومنها اشتقوا اسم غريكي Greky، أما اسم ياوون فقد أطلق على المستعمرات التي أنشأها الأيونيون على الشاطئ الجنوبي من آسيا الصغرى، وحوار العرب الاسم إلى يونان."⁴

وقد اختلف العلماء في "موطن اليونان الأصلي كما اختلفوا في الوقت الذي تمت فيه."⁵ وتعددت فروع الشعب الإغريقي "ولم يعد إلى وجود اختلاف بين في أنماط معيشتها وطرق تفكيرها وفي حضارتها إنما كان يشدها إلى بعضها أواصر وشيجة كصلة الدم واللغة والنظم والديانة."⁶

كما ساهمت حرية الفكر التي أدت إلى ظهور "عدد من العباقرة الأعلام في ميادين الأدب والفلسفة والتاريخ والفن."⁷ وضح فيها القول: "حيث تلتقي الطرق، تلتقي الآراء والعقائد. وامتازت علوم الإغريق بأنها لم تجعل لخدمة الحياة العلمية كما في الشرق، بل نجم معظمها عن إشباع للفضول العلمي واصطبغ بالصبغة النظرية، كل ذلك في سبيل تعليل الأمور والوصول إلى الحقيقة."⁸

¹ علي عكاشة، شحادة الناطور وجميل بيضون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1. 1991، إربد، الأردن، ص52

² نفس المرجع، ص9.

³ علي عكاشة وآخرون، مرجع سابق، ص9.

⁴ نفس المرجع، ص52

⁵ نفس المرجع، ص52

⁶ نفس المرجع، ص23.

⁷ علي عكاشة، شحادة الناطور وجميل بيضون، اليونان والرومان، مرجع سابق، ص23.

⁸ نفس المرجع، ص27.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

استفاد علماء الإغريق "مترات قدماء المصريين والبابليين وغيرهم من شعوب الأرض الذين سبقوهم"¹ وكانت علومهم بصفة عامة "تستند إلى الفلسفة وتقوم على منهج عقل استنباطي، بعكس علوم الشرق التي طوعت لخدمة الحياة العلمية. وتكمن خدمة الحضارة الإغريقية للإنسانية في أنها استطاعت أن تحدد الكثير من المفاهيم التي تعبر عن وقائع الحياة وحقائق الكون والمعرفة. وليس أدل على ذلك من الصيغ والمسميات الإغريقية التي يستخدمها عالم اليوم مثل: الفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك، الفيزياء والذرة وغيرها."²

لمعت في حضارة الإغريق "أسماء الفلاسفة سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، والعلماء الفلاسفة طاليس، وأناكسميندر، وفيثاغورس، وإقليدس، وأبقراط، وأرشيمدس، وأرسطارخس، وبطلميوس وغيرهم."³ كما لمع في مجال الطب إسكولاب الذي رفعه الإغريق "إلى مصاف الآلهة ودعوه إله الشفاء، وبنوا الهياكل على شرفه على قمم الجبال وقرب ينابيع المياه المعدنية الشافية، وقدموا له القرابين ومعها كتابات على الطين الجفف، فيها أسماء أمراضهم وآلامهم كي يشفيهم منها. وكثيرا ما يظهر إسكولاب في النحوت القديمة واقفا مرتديا ثوبا طويلا عاري الصدر مع ثعبان ملتف حول ساعده، وما زال هذا الثعبان، يستعمل كرمز لمهنة الطب. ولم تبدأ الصيدلة كعلم ذي أصول إلا منذ ظهور أبقراط الإغريقي الذي ولد في جزيرة قوس عام 460 ق.م."⁴

وقد سبق وأن أشرنا إلى أن السومريون وضعوا شعاراً للطب يمثلان الإله 'ننكشيدزيدا'، إله الطب السومري كحيث كانا أفعوانان(أفعى/حية) يلتفان على عصا.

أما علم النبات، فيرجح أن التأريخ لعلم النبات بدء منذ "ظهور المصادر المدونة على النحو السليم. ويمكن أن يحدد العصر الإغريقي -بهذا المفهوم- نشأة له، بدءاً من أرسطو ثيوفراستوس."⁵

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 25.

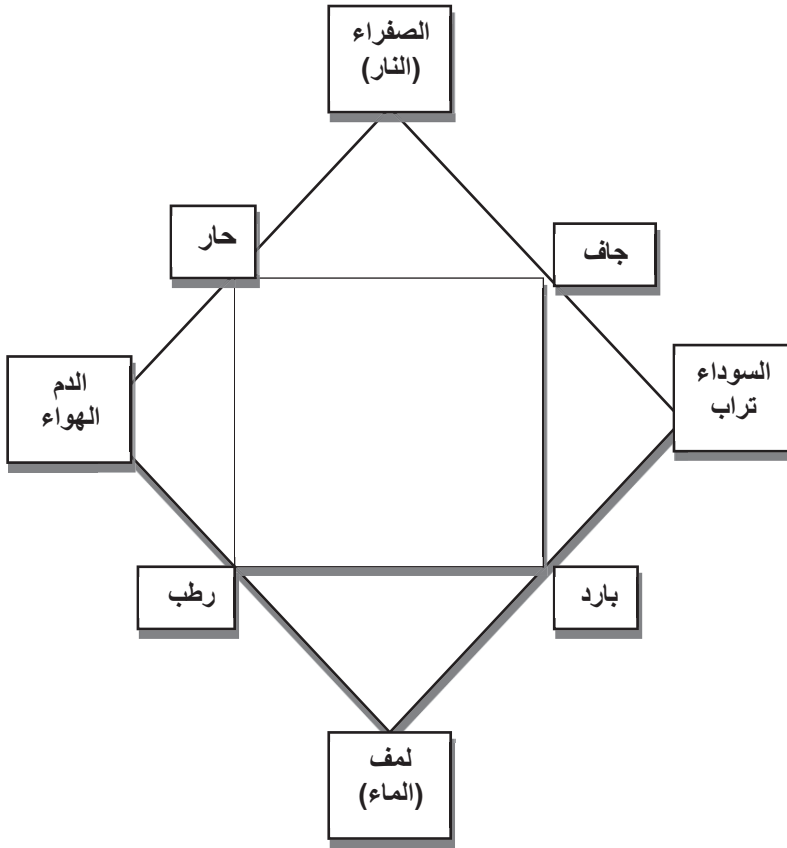
²جورج سارتون، العلم القديم والمدنية الحديثة، مرجع سابق، ص 2.

³نفس المرجع، ص 2.

⁴رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 25.

⁵عبد السلام محمد النويهي، تاريخ النبات عند العرب، موسوعة الحضارة العربية، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص 154.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة



من أبرز أعلام الإغريق، أبقرات (حوالي 460-370 قبل الميلاد) ولد في جزيرة كوس، بحر إيجه، الأسرة المرتبطة بعبادة إسكولاب Asclepius، إله الطب اليوناني، سوف يعطي قواعد عقلانية إلى الطب، مستقلة عن الدين؛ تصور ديناميكي للمرض فالمرض هو عملية/سيروورة له تأثير كبير.¹

في زمن أبقرات "كان التقليد الأوربي قد تشرب أفكاراً من آشور والهند وكانت الأعشاب الشرقية مثل الحبق والزنجبيل من أكثر الأعشاب اعتباراً عندهم، كما كانت النظرية المعقدة

القائمة على الأخلاط وعلى سوائل الجسم الأساسية قد بدأت تأخذ صيغة لها. وقد صنف أبقرات جميع المواد الغذائية والأعشاب بحسب خاصياتها الأساسية -حارة، باردة، جافة، رطبة- وتتم المحافظة على الصحة الجيدة بإبقاء الخاصيات في توازن تام وأيضاً بإجراء الكثير من التمارين الرياضية والخروج إلى الهواء الطلق.² أنظر الشكل في أعلاه: (شكل 1) يمثل الأخلاط الأربعة لأبقرات، المصدر: Vincent .

DANEL, Petite histoire de la Médecine Occidentale

اعتبر العرب أبقرات أبو الطب. كما كان "من بين رواد المصادر اليونانية في الصيدلة الذين تأثر بهم العرب، ونقلوا عنهم هم: أبقرات Hippocrates- وكتبوا عنه كثيراً كما ترجموا كتباً عديدة له-. وكذلك كديسقوربلس Discorites ت:60م" وهو أول من كتب كتاباً مسهباً في الأعشاب الطبية أسماه "كتاب الحشائش".³

¹Vincent DANIEL, **Petite histoire de la Médecine Occidentale**, Chapitre 1, Année universitaire 2011/2012 Université Joseph Fourier de Grenoble, p5.

²بينيلوب أودي، معجم الكامل في الأعشاب والنباتات الطبية، أكاديميا، بيروت، لبنان، 1999، ص 10.

³رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 25.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وجالينوس Galen، ت:201م، ويعتبر هذا العالم والطبيب البارع أول من أخذ عنهم العرب في الطب، إذ كتب عددًا كبيرًا من الكتب الطبية، وفي شتى فروع علم الطب، كما قام بتفسير كتب أبقراط وعلق عليها، وما زال اسمه لامعًا في المصادر العربية إلى يومنا هذا؛ لأن العرب ترجموا له كثيرًا من الكتب الضخمة والرسائل القصار، وأشار ابن أبي أصيبعة إلى ما ترجم إلى جالينوس بصورة مفصلة، وذكر أن أطباء الإسكندرية قد وضعوا كتبه الستة عشر المختارة، على سبع مراتب، من حيث التدرج في المعرفة الطبية، وشغف القارئ بالانتقال من مرتبة إلى أخرى.¹

ثيوفراستوس (أبو النبات) (317-387) ق.م، أول المؤلفين في علم النبات وظل حتى عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي²، وقد ألف ما ينوف عن 200 مجلد أشهرها كتاب تاريخ النبات.³

أرسطو (المعلم الأول) (322-384) ق.م، دعوه 'المعلم الأول'، وقد ترجمت جميع مؤلفاته إلى العربية. كان صديقًا ومرشدًا للإسكندر المقدوني ورافقه في فتوحاته الآسيوية مما أتاح له الفرصة للاطلاع على نباتات تلك المناطق. وقد اعتبره مايكل هارث، من أوائل المائة الأوائل إذ كان ترتيبه الرابع عشر.⁴

فقد كانت لفتوحات الإسكندر المقدوني "لكثير من بلاد آسيا وأفريقيا سببًا كبيرًا من أسباب انتشار الثقافة اليونانية في الشرق؛ فقد كانت مملكته بلاد اليونان ومقدونية في أوروبا ومصر وليبيا في أفريقيا، وسوريا وفلسطين والعراق وما إليه، وبلاد الفرس، وتركستان وأفغانستان وبلوخستان، وقسمًا من بلاد الهند في آسيا."⁵

والفضل في ذلك يرجع إلى السياسة التي انتهجها، وهي "التقريب بين هذه البلاد المفتوحة وبلاد الإغريق، ومزج الجنس الإغريقي بأجناس آسيا وأفريقيا في الحضارة والعمارة، ونظم الحكم والثقافة، ولهذا كان يحث اليونانيين على سكنى هذه البلاد، ومخالطة أهلها، وينظم مدنها تنظيمًا يونانيًا، ويشجع الأدباء والكتاب والعلماء على نشر أدبهم وعلمهم؛ فكان من ذلك ومن الولاة اليونانيين الذين ورثوا

¹ فاضل أحمد الطائي، علم الصيدلة عند العرب، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ط. 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، ص 61.

² عبد السلام محمد النويهي، مرجع سابق، ص 155.

³ رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 26.

⁴ نفس المرجع، ص 26.

⁵ أحمد أمين، ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص 236.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

الحكم من الإسكندر في الممالك الشرقية أن انتشرت الحضارة اليونانية والثقافة اليونانية من عنده. وكانت البلاد التي بين دجلة والفرات تُعَلِّب عليها الثقافة الإغريقية.¹

كما "ظلت هذه الثقافة تنمو وتأتي ثمرها، حتى بعد أن انسحب الجيش اليوناني من هذه الأقطار، واشتهرت في الشرق قبل الإسلام إلى ما بعده مدن كثيرة كانت منبعاً للثقافة اليونانية؛ من أشهرها جنديسابور، وحران، والإسكندرية."²

1.6 بعض المعتقدات والطرق الروحانية والطبيعية في العلاج

"اعتقد الإغريق أن بعض الآلهة قد ارتبطت بالمرض بشكل مباشر مثل الإله أبوللو (Apollo)، الذي كان إله الصواعق وكانت لديه الرماح فكان يسبب الأوبئة والطاعون."³ ولم "نكن الآلهة الإغريقية مثلها مثل آلهة البابليين تحاسب الإنسان على خطاياهم المقصودة فحسب، بل إنما تنزل عقابها على تلك الخطايا التي فد يرتكبها الإنسان عن غير قصد."⁴

وتبرز مكانة الآلهة لدى الإغريق في تجارة البخور حيث تذكر نايكل غروم أن "الإغريق في القرن 5 ق.م كانت قوافل كبيرة من الجمال تقطع 1700 من الأميال عبر شبه الجزيرة العربية على طريق البخور العظيم وهي تحمل هذه السلعة الثمينة وتوابل أخرى إلى المعابد والقصور وأسواق الشمال."⁵ كما اعتقدوا "بقدره الأفعى على شفاء الأمراض، وكانت هناك أفاع مقدسة تعمل على لعق الجزء المصاب من جسم المريض فتشفيه."⁶

اكتسب أسكليبيوس شهرة وسمعة طبية، لأعاجيبه الشفائية... ومن بنات اسكليبيوس الآلهات، هن هيغايا (Hygiea) (ربة الصحة، وكانت تقوم بتغذية الثعابين المقدسة التي كانت تقوم بمعجزات العلاج) وقد استمر تقديس هذه الآلهة حتى العصور المتأخرة، ففي القرن الخامس الميلادي تم إنشاء حمام خارج أسوار مدينة دبسي... تمثل آلهة الصحة هجابا⁷

¹أنفس المرجع، ص236.

²أنفس المرجع، ص236

³أسامة عدنان يحي، مرجع سابق، ص 51 و52

⁴أنفس المرجع، ص 66.

⁵تنايقل قروم، تجارة البخور واللبنان دراسة لتجارة البخور العربية، تر. عبد الكريم سحيم الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية

السعودية، 2008، ص 12.

⁶أسامة عدنان يحي، مرجع سابق ص 373.

⁷أنفس المرجع، ص 52.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

يرد هذا الاسم "دائماً في لغتنا المعاصرة: هايجي (Hygie) وهي تمثل الطريقة الأكثر طهارة لسير حياتنا، ومنها اقتبس الاسم هايجين (Hygiène)، والتي تعني مبادئ الصحة العامة"¹ وابنته "واسو (Iaso) ربة الشفاء وربما كان اسمها ذا تأثير سومري. وبناكيا (Panacea) ربة العلاج العام أو الدواء لكل داء."²

كما "ارتبط بعض الأبطال الأسطوريين بالطب ومنهم هرقل الذي كان يتمتع بقوى طبية، إذ كان يستحضر في حالة الأوبئة، في حين أن بعض الينابيع الشافية في هيميرا وثرموبيلي كانت مقدسة بالنسبة إله... كما كان هناك أصناف أخرى من القوى المألوفة للمعارف الطبية ومنها ما يعرفن في التقاليد الإغريقية بالحوريات ومنها حورية الجبل وتدعى أوبني (Oenoné) التي كانت ذا معرفة كاملة بجمع الأعشاب الطبية اللازمة لمداواة الجروح."³

وكما قال جان شارل سورنيا "فإلى جانب الأطباء الذين يدعون إلى ذلك، كان الأغنياء والأرسطوقراطيون يستخدمون عبيداً أو أحراراً ذوي خبرة في التغذية، أما الذين لا يستطيعون دفع أتعاب الطبيب فكانوا يلجئون إلى المشعوذين، وعراقي القرى، والحلاقين الذين يوزعون أدوية يقومون بتركيبها بالإضافة إلى التعاويذ، والأحجبة. فعقلانية أفلاطون لم تغز اليونان كلها، وظل السحر منتشراً بينهم دائماً."⁴

7. الدواء عند الرومان

كان لفتوحات الإسكندر الأكبر الأثر الكبير في "نهيار أثينا وأيونتيه. واجتذبت السياسة الثقافية للبطالة العلماء من مدن الأبيض المتوسط إلى مدينة الإسكندرية الجديدة. ونتج عن ذلك قرنين من السلام والتنظيم الجيد لوادي النيل. كما أقيم موزيوم (متحف) جديد مخصص لربات الفن التسع، أي مخصص للعلوم والفنون."⁵ لقد "استفاد الرومان من حضارات الإغريق وقدماء المصريين عن طريق مدرسة الإسكندرية التي كانت تضم 300 ألف مخطوطة مكتوبة على ورق البردي."⁶

¹جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 45.

²أسامة عدنان يحي، مرجع سابق، ص 52.

³نفس المرجع، ص 164.

⁴جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 54.

⁵نفس المرجع، ص 58.

⁶رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 27.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

فحل العصر الروماني "بمؤلفاته النباتية لكل من كاتو (النصف الأول من القرن الثاني ق.م) وبليني (النصف الثاني من القرن الأول) ديسقوريدس المعاصر لبليني.¹ حيث " بلغت النظريات الطبية اليونانية روما حوالي 100 سنة قبل الميلاد. ومع مرور الزمن أصبحت أكثر ميكانيكية، تنظر إلى الجسم على أنه آلة يجب تصليحها فعلياً عوضاً عن إتباع رأي أبقراط في السماح لمعظم الأمراض بمعالجة نفسها بنفسها. وأصبح الطب عملاً مربحاً يستعمل أدوية عشبية مركبة غالية الثمن. عارض كلاوديوس جالينوس (131-199 بعد الميلاد) هذه الطريقة في مزاوله الطب.²

ومن أشهر المشتغلين بالطب والصيدلة خلال عهدهم هم: أندروماك طبيب الطاغية نيرون اشتهر بتحضيره للترياق المعروف باسمه حتى الآن الذي يدخل في تركيبه حوالي 64 مادة منها: الأفيون، والبخور، والزعفران، والفلفل، والقرفة وغير ذلك. وكان الترياق يستعمل لمعالجة حالات التسمم كسم الأفاعي وغيرها، وامتاز بأنه أكثر الأدوية تعقيداً في التحضير وأطولها عمراً. وكانت تقام احتفالات سنوية لتحضير الترياق فيبلدان كالبندقية وجنوا والقاهرة والقسطنطينية خلال ازدهار تجارة التوابل. ومن الغريب أن هذا الترياق بقي مستعملاً في دستور الأدوية الفرنسي حتى عام 1837م.³

-ديوسقوريدس (50م) قال عنه جمال الدين بن القفطي: ديوسقوريدس العين زربي، حكيم فاضل كامل، من أهل مدينة عين زرب شامى، يوناني حشائشي، كان بعد أبقراط، وفسر من كتبه كثيراً، وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب، وهو العلامة في العقاقير المفردة وتكلم فيها على سبيل التجنيس، والتنويع، ولم يتكلم في الدرجات، وألف كتاب الخمسة مقالات، وقال جالينوس: تصفحت أربعة عشر مصحفاً في الأدوية المفردة لأقوام شتى، فما رأيت فيها أتم من كتاب ديوسقوريدس، وعليه احتذى كل من أتى بعده وخلد منها معنى نافعاً وعلماً جماً. ومعنى اسمه في اليونانية شجّار لله، أي ملهم لله على القول في الأشجار والحشائش.⁴

وقد "عاش ديوسقوريدس في نفس المدة التي عاش فيها السيد المسيح عليه السلام...وقد اشتهر بالدقة المتناهية في تحضير الأدوية وله الفضل في وضع أسس وصف عالم العقاقير (Pharmacognosy) الذي يعتبر بدوره أساساً لعلوم الصيدلة جميعاً. ويعتبره النقاد الرجل الأول في التاريخ الذي استعمل محلم النجاة كأداة علمية وعملية في تطوير مهنة الصيدلة وإغنائها.

¹ عبد السلام محمد النويهي، مرجع سابق، ص 155.

² بينيلوب أودي، مرجع سابق، ص 11.

³ رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 27.

⁴ أحمد عيسى، علم النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص ص 53-54.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

وهو عالم طبيعي من الدرجة الأولى اعتمد على الملاحظة والتجربة... وكان من نتيجة أبحاثه إحداه كرسى خاص لمادة العقاقير في كليات الصيدلة، أولها بجامعة بادوا الإيطالية عام 1533م.¹

-جالينوس (أبو الصيدلة)(130-201م). ولد جالينوس في بيرجاموم بشمالى آسيا الصغرى، وكانت بها جامعة تنافس جامعة الإسكندرية ثقافة وحضارة. ويعتبر جالينوس من أشهر المشتغلين بالمدواة والطبابة بعد أبقراط فقد تلقى علومه بكلية إسكوبيان؛ اختاره الامبراطور الرومانى ماركوس أوريلوس طبيبه الخاص فى روما² "ففى القرن الثانى الميلادى، كتب جالينوس الكثير من المؤلفات الطبية، وقد بقى المصطلح جالينوس (Galinal) يستعمل حتى الآن فى وصف المستحضرات المحتوية على مركبات عضوية دون الكيمياء الخالصة."³

7.1 بعض المعتقدات والطرق الروحانية والطبيعية فى العلاج

على غرار الإغريق، "أقيمت فى روما عبادة أبوللو، وكان لا يزال يدعى وقتئذ باسم ميديكوس، وقد جعل الرومان من الإله أبوللو مختصاً بالشفاء من الأوبئة. ثم ابنه اسكليبيوس الذى كان إله الطب. وقد خصص الرومان له أرضاً على جزيرة صغيرة مقابل سوق الثيران، وصاروا ينقلون العبيد المصابين إلى هناك حيث يعتنى بهم الإله اسكولابوس."⁴

وكانوا "يعتمدون على التعاويذ والخبرات العادية الشخصية التى تصل إليهم على لسان الأطباء الوافدين إليهم من الخارج. وقد كان من علامات هذا التخلف أن كان بعض الرومان يفضل الاحتفاظ بالأفاعى فى بيوتهم تميناً بما يفعله سدنة معابد السقليون فى العصور اليونانية القديمة من استخدام الأطباء لفحص المرضى فى البيوت"⁵ "يعتقد الرومان بوجود حيوانات معينة لها القدرة على الشفاء بمجرد النظر إليها. فالشخص المصاب باليرقان إذا ما أن ينظر إلى الكروان الجبلى بحدة، وبادله الطائر تلك النظرة فى الوقت نفسه شفى المريض من مرضه."⁶

بالنسبة للرومان فقد كانوا "حديثى عهد بالطب والعلوم، فلم يلتفوا باهتمام إلى مدرسة الإسكندرية ومكبتها ومعاهدها ولم يساعدوا من يعمل فيها، ولعل ذلك عائد إلى أنهم أرادوا إبراز

¹ بينيلوب أودى، مرجع سابق، ص 11.

² رياض رمضان العلمى، مرجع سابق، ص 28.

³ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق ص 11.

⁴ أسامة عدنان يحيى، مرجع سابق ص 165.

⁵ رجب خضر عكاوى، مرجع سابق، ص 54.

⁶ أسامة عدنان يحيى، المرجع سابق، 374

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

روما كعاصمة تليف بدولتهم الشاسعة، وهذا ما أدى إلى تأخر الحركة العلمية في الإسكندرية وقلّة الأدباء فيها. ثم برزت أخبار هذه المدينة على الصعيد العلمي مع ظهور جالينوس. وفي صدر القرن الثالث الميلادي-بعد وفاة جالينوس-أصاب المدرسة خمول في التدريس والبحث والتأليف من جراء التراع العقائدي بين النصارى والعلماء واليونانيين الوثنيين العريقين في علوم الطبيعة.¹

¹ رجب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 55.

الفصل الثاني: التداوي بالأعشاب عبر الحضارات القديمة

خلاصة الفصل

ان التداوي بالأعشاب بمثابة حجر الزاوية لكل ما نشهده من تطور حالي للعلاجات المختلفة. فكل حضارة وضعت أسس نابذة من تجاربها الخاصة أو من خلال احتكاكها بالمجتمعات الأخرى، في ظروف مختلفة ناتجة عن الحرب أو السلم.

كانت نتيجة تعاقب الحضارات القديمة أو تداخلها، تراكم تراث ثقافي متنوع جداً في فنون العلاج، التي تداخلت هي الأخرى وامتزجت بالمعتقدات والروحانيات وغيرها من الطقوس المصاحبة للتداوي بالأعشاب أو التداوي بفنون أخرى، فولدت ابداعات في هذه الصناعة تركت بصمتها الى يومنا هذا، وخلدت في وصفات دوائية تتداول إلى يومنا هذا، كأدوية العين التي انفرد بها الفراعنة وعرفت مصداقيتها.

كما تواصلت بعض الوصفات عبر الزمن، في الظهور ولكن مع تغيرات رافقتها واستمرت في طقوس وممارسات تشهدها المجتمعات إلى يومنا هذا، تتجلى في الغالب في بعض المناسبات الاجتماعية والدينية كالاقتقاد بالأولياء، وتصورات بعض الأمراض المستعصية، كالعقم وبعض الأمراض الجلدية، والسرطنات... الخ، وكيفية معالجتها بطقوس معينة، يعتقد أن جذور تلك الممارسات ضاربة في التاريخ.

في الفصل الموالي نواصل تطور التداوي في الحضارة الاسلامية وعصر النهضة وما تلاه. وقد خصصنا الدواء والتداوي بالجزائر ومسيرته عبر التاريخ.

الفصل الثالث:

الدواء سوسيو تاريخي عند العرب
وفي الجزائر

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

تمهيد

نعالج في هذا الفصل الدواء والتداوي عند العرب ومآثله من انجازات بعد الفتوحات الاسلامية، والتي كان لها دورا بارزا في عالمية التراث الإسلامي في مجال الطب والصيدلة على الخصوص. كما نعالج الدواء في عصر النهضة بدء من القرن العاشر الميلادي، وكيف استفادت أوروبا من المعارف العربية من الفتوحات الاسلامية والحروب الصليبية وتلاقي الغرب مع الشرق، وما أثمر عنه من ظهور جامعات أوربية عريقة أسهمت في تطوير الدواء والتداوي، الطب والصيدلة إلى عصرنا الحالي.

كما عالجنا في هذا الفصل الدواء في الجزائر بتسلسل زمني، الغرض منه التعرف على التداوي عبر التاريخ، ومختلف الممارسات الطبية منذ المغرب القديم إلى وقتنا الحالي.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

1. الدواء عند العرب: منذ فجر الإسلام، والعهد الأموي والعباسي

عرف العرب مراحل متنوعة في تاريخ الدواء والعلاجات، كما كانوا "في الجاهلية أقساماً وأصنافاً متغايرة، انقرض منهم كعاد وثمود وطسم وجديس، وانقطعت أخبارهم... أما غير العرب البائدة فقد تفرعوا من عدنان وقحطان... وهم عرب اليمن... كانت معارفهم على قسمين؛ منها ما هو عربي نشأ وترعرع في بلادهم كاللغة والشعر والخطابة والأنساب، ومنها علوم انتقلت إليهم من البلاد المتاخمة كالروم والكلدان والفرس والرومان، ومن ذلك صناعة الطب، فيما انتقل إليهم علوم وهمية أكثرها خرافي، ومنها العيافة والزجر والسحر والطلسمات والقيافة والفراسة والعرافة والكهانة وما أشبه ذلك."¹

بالنسبة لبني عدنان "ومن جاورهم من عرب اليمن فكانوا أيضاً على قدر من المعارف الطبية وغيرها، ثم نشأ الجهل فيهم وقل العلم فأضاعوا صناعتهم وتفرقوا في الأنحاء واستقرّ قسم كبير منهم في الحجاز... وكان يقال لهم عرب الجاهلية، لأنهم كانوا أهل بدَاوة ولم يسهموا في شيء من المدنية التي أنشأها جيرانهم الأنباط واللخميون والغساسنة والتدمريون."² ويرى المؤرخون المنصفون أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على زمن العرب قبل الإسلام ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم، ولكن من الجهل الذي هو الاستخفاف والتعبير والغضب والتجبر والمفاخرة بالأنساب.

أما العرب فيمكن تقسيم التاريخ الطبي عندهم إلى أربعة عصور:³

1- عصر ما قبل الإسلام (يرى المؤرخون المنصفون أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على زمن العرب قبل الإسلام ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم، ولكن من الجهل الذي هو الاستخفاف والتعبير والغضب والتجبر والمفاخرة بالأنساب)* 2- لعصر الإسلامي الأول، 3- عصر العباسيين، 4- العصر الأندلسي.

قال الألويسي: "كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحيّ وعجائزه، وربما يصح منه البعض؛ أي أنه ليس على قانون طبيعي، ولا على موافقة المزاج بعقاقير وأدوية من نباتات وأغذية، يحصل لغالبهم البرء العاجل

¹ رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 64.

² نفس المرجع، ص 64

³ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص 10.

* رحاب خضر عكاوي، ص 64.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

باستعمالها؛ وفي عرب البوادي اليوم كثير من ذلك، وقد سمعنا عنهم في هذا الباب عجائب نقلها من شاهدها منهم الثقات، وكذلك معالجة الجروح والعاهات، وقسم منهم يعالجون أدواءهم بالكي فيحصل لهم البرء مما يشكون بأقل زمان وأيسر وقت؛ وكذلك لهم العلم التام في معالجة الدواب من الخيل والبغال والحمير والإبل ونحو ذلك، ومعرفة تربيتها على أحسن وجه مما لا يبلغهم به غيرهم¹

وقد ذكر ابن خلدون أن العرب اعتمدوا "في علاجهم على نصائح شيوخ القبائل، ونالوا بعض المعرفة من البلاد المجاورة مثل الشام والفرس خلال رحلاتهم إلى هذه البلاد بقصد التجارة."² وبفضل النشاط التجاري الذي تميزوا به "أضافوا العديد من الأعشاب والتوابل القادمة من الشرق مثل جوز الطيب والقرنفل والزعفران والسنا، إلى مجموعة المواد الطبية التي ذكرها ديسقوريدس وجالينيوس."³

فلم يكن لدى العرب قبل الإسلام معلومات كثيرة عن الطب والتداوي فخيرتهم الطبية "منذ جاهليتهم وحتى عصر الخلفاء الراشدين، تقتصر على بعض المعطيات البدائية، فامتزجت الوسائل الطبية بالشعوذة واستعمال الطلاسم لتجنب الحسد."⁴ وقد استخدموا "الوسائل العلاجية نفسها التي تستخدمها كل الشعوب البدوية في الشرق الأدنى والأوسط. يتهلون إلى قوى الطبيعة العليا من أجل شفاء المرضى، ويقومون بترديد عبارات سحرية في أثناء الحج إلى مكة. وكان المتعلمون يجربون الكسور ويعدون المراهم وأدوية الشرب من أعشاب الصحراء بينما تشرف الدايات على الولادات."⁵

وقد استعملوا "العسل مداواة بعض الأمراض، كما اشتهروا بالحجامة والفصد وبعض الوسائل الأخرى التي عرفت بالطب النبوي."⁶ كما كانوا يعتقدون بقوة الماء الشفائية "يتحدث ابن الكلبي، أن سادناً للكعبة في مكة، يدعى عمرو بن لحي قد مرض مرضاً شديداً، فقيل له أن بالبقاء في بلاد الشام حمة إذا أتاه أشفي من مرضه، فأتاها واستحم بها وبراً"⁷ وقد ورد ذلك في كتاب أبو المنذر بن هشام.

اعتبرت المشاهدة والتجربة للأعراب أساس الوصول إلى المعلومات المتعلقة بالطب "فعرفوا بالمقارنة ببعض الأمراض إلى ما يظهر على ماشيتهم أو على صحرائهم من تغيرات غير معتادة. أطلقوا على

¹ محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 3، ط. 2، دار الكتاب المصري، مصر، 2007 ص 326.

² المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص 10.

³ بينيلوب أودي، مرجع سابق، ص 11.

⁴ حنيف، مرجع سابق، ص 183.

⁵ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 84.

⁶ حنيف، مرجع سابق، ص 183.

⁷ أسامة عدنان يحيى، مرجع سابق، ص 396.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

الحالة التي أسموها الجدري هذا الاسم، لأنهم لاحظوا أن بثور هذا المرض شبيهة باللسع التي تظهر على أعناق الإبل، أو التواءات التي تظهر على سطح الأرض إذا جدرت، أي ارتفعت في بعض مواضعها بسبب اندفاع النبات من تحتها. ثم عرفوا الحصبة فأخذوا اسمها من الأرض الحصباء وهي ذات الحصى الناتئة على أديمها، وعالجوا هذين المرضين ببذور الحشائش والحرمل والحنظل¹.

يعد سجل الأمراض وأسمائها واشتقاقاتها من التأليف التي خلدت هذا الإرث المعرفي إلى وقتنا الحاضر (أنظر في الملحق).

منها على سبيل المثال: "داء الفيل، النملة، الجرب، اليرقان، الباسور، المغصر أو المغص، الفالج، البرص، البهق... وأمام هذا السجل الضخم من الأمراض التي ألفوها وعرفوا أعراضها وأوصافها برزت أدوية للمعالجة تمثلت في شرب العسل وشرطة المحجم والكبي بالنار، وكانت الوسيلة الثالثة آخر ما يلجأ إليه التطب في علاج المرض، ومن هنا جاء المثل العربي المأثور: آخر الدواء الكبي، المنسوب إلى لقمان بن عاد (لقمان الحكيم)".² وعرفوا عملية الختان، حيث كانت أم عطية الأنصارية ممن كن يقومون بهذه العملية وكذا لحلاقين والحجامين.

الحرث بن كلدة الثقفي قال عنه ابن أصيبعة: في كتاب طبقات الأطباء، كان الحرث من الطائف، وسافر إلى البلاد، وتعلم الطب وعرف الداء والدواء... وبقي أيام رسول الله تعالى عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية، وقال معاوية: ما الطب يا حارث؟ فقال الأزم. يعني الجوع أي الحمية.

1.1 أبرز المعالجين في العصر الجاهلي :

فقد ذكر رحب خضر عكاوي:

لقمان الحكيم، الذي ذكره القرآن الكريم صراحة في سورة باسمه (سورة لقمان) ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الآية 13. أول ما ظهر من حكمته:

¹ رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 71.
² نفس المرجع، ص 62.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

- "أنه كان مع سيده، فدخل سيده الخلاء فأطال الجلوس، فناده لقمان: إن طول الجلوس على الحاجة تنجع منه الكبد، ويورث الباسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاقعد هويينا وقم. ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب عيش. وقال كل داء حُسم بالكي آخر الأمر."¹

كوسيم وداميان، وهما أخوان توأم عربيان عاشا حوالي السنة الثلاثمائة بعد الميلاد، وقد اعتبر أبوي الطب والصيدلة في ذلك العهد² وهما أخوان توأم عربيان عاشا حوالي السنة الثلاثمائة بعد الميلاد، وقد اعتبر أبوي الطب والصيدلة في ذلك العهد²

الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسى الثقفي: "الحارث بن كلدة الثقفي قال عنه ابن أصيعة: في طبقات الأطباء: كان الحارث من الطائف، وسافر إلى البلاد، وتعلم الطب وعرف الداء والدواء... وبقي أيام رسول الله تعالى عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية، وقال معاوية: ما الطب يا حارث؟ فقال الأزم. يعني الجوع أي الحمية"³ اشتهر بجاذبة أوردها ابن أبي أصيعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"؛ حصلت للحارث مع كسرى أنوشروان، أو كسرى الثاني (531-79 م) أحد أعظم ملوك الدولة الساسانية الفارسية وتخللها حوار فريد ومنه ما يلي: قال أنوشروان:

- "فما تقول في دخول الحمام؟ قال: لا تدخله شبعاناً، ولا تغش أهلك سكراناً، ولا تقم الليل عرياناً، ولا تقعد على الطعام غضباناً، وأرفق بنفسك يكن أرضى لبالك. وأكمل الحارث قائلاً: وقل من طعمك يكن أهناً لنومك. قال: فما تقول في الدواء؟ قال: ما ألزمتك الصحة فاجتنبه، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه، فإن البدن بمترلة الأرض إن أصلحتها عمُرت، وأن تركتها خربت."⁴

النضر بن الحارث بن كلدة "ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد سافر البلاد أيضاً كأبيه، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها، وعاشر الأخبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جلييلة القدر... وتعلم من أبيه أيضاً ما كان من الطب وغيره"⁵ وكان الكهنة قال الأصفهاني عند الكلام عن الكهانة: كان ذلك في العرب كثيراً، وآخر من وجد وروى عنه الأخبار

¹ رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 76.

² نفس المرجع، ص 76.

³ محمود شكري الألوسي البغدادي، ج.3، مرجع سبق ذكره، ص 328.

⁴ نفس المرجع، ص 329.

⁵ نفس المرجع، ص 335.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

العجبية سطيح وسواد بن قارب، قال: وكان وجود ذلك في العرب أحد معجزات النبي ﷺ لما كان يخبر به، ويحث على اتباعه¹

ابن حذيم² كانت له قدم راسخة في علم الطب. وله فيه أطول باع. قال الزمخشري في المستقصى: ابن حذيم رجل كان من أطباء العرب. وقال أبو الندى: ابن حذيم رجل من تيم الربا، كان أطب العرب²

وكذلك زهير بن خباب بن هبل الحميري، بنت عامر بن الظرب العدوانية وزينب طيبة بني أود (جرّاحة العيون).

2.1 فجر الإسلام

عُني العرب بصناعة الطب، حيث كانت هذه الصناعة موجودة "ومع بزوغ فجر الإسلام حدث انقلاب كبير في حقل الطب وحفظ الصحة، ذلك أن النبي ﷺ جاء كداعية عظيم لصناعة الطب والأطباء. وبعد أن كان اهتمام العرب وشغلهم الشاغل أمورهم المعاشية في الدرجة الأولى، ثم شغلهم في لغتهم في الدرجة الثانية، أصبح دينهم الجديد أول مشاغلهم الحياتية والفكرية، وأضحت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هي كل شيء لديهم.³

وقد حثهم الرسول على هذه الصناعة أي الطب "فقال عليه الصلاة والسلام: يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء، إلا وضع له دواء إلا واحداً وهو الهرم."⁴ وبين أهمية العلم بقوله صلى الله عليه وسلم: "(العلم علما علم الأبدان وعلم الأديان) ولا شك أنه نطق بهذه الكلمة القاطعة في معرض حديثه عن أصناف المعرفة فقدم علوم الطب على غيرها من العلوم، وبهذا أيضاً أضفى على هذه الصنعة بركته وشرفها بالاهتمام بها."⁵ كما جاء في مختصر تاريخ الطب.

من أشهر المتطببين الذين عاصروا الإسلام الحارث بن كلدة الثقفي وابنه النضر والشمر دنل وضماد والشفاء ورفيدة وأم عطية وكعبية.⁶

¹ نفس المرجع، ص 306.

² نفس المرجع، ص 337.

³ خضر رحاب عكاوي، مرجع سابق، ص 78.

⁴ أحمد عيسى، مرجع سابق، ص 52.

⁵ رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 79.

⁶ نفس المرجع، ص 79.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

في القرن الخامس مع سقوط روما "انتقل مركز المعرفة الكلاسيكية إلى الشرق وتركزت دراسة الطب الجالينوسي في القسطنطينية وبلاد فارس. وقد تبني العرب بكثير من الحماس مذهب جالينوس الطبي ودمجوه بالمعتقدات الشعبية وما تبقى من المعرفة الطبية المصرية. وهذا المزج من الأفكار والخبرة الناتجة عن الممارسة والتقاليد في مجال طب الأعشاب، هو الذي أعيد تصديره إلى أوروبا مع الجيوش العربية الفاتحة."¹

فبعد الفتوحات الإسلامية "التي امتدت من إسبانيا غرباً إلى حدود الصين شرقاً، جاب علماء العرب هذه الأقطار، والتحموا مع العلماء في هذه البلاد وجمعوا ودونوا ملاحظاتهم على الطبيعة عن النبات، كما ترجموا إلى العربية جميع الأعمال المصرية والفارسية. ويعزى إليهم الفضل في تأسيس مزاهر الأدوية (صيدليات) في بغداد التي كانت تمتلى بالأوراق والجذور والأزهار والثمار والبذور، التي كانوا يستخدموها لعلاج الكثير من الأمراض."²

ومن هنا يتبين أن معرفة العرب من الوجهة الطبية وباعتباره علماً للعقاقير "ببتدئ منذ بدأت الدولة الإسلامية تأخذ في أسباب المدنية والتحضر، وأخذوا ينقلون عن الأمم الأخرى، ولا سيما عن اليونان والهند، وكذل عن النبط."³

3.1 في العهد الأموي

كان العهد الأموي "عهداً بدوياً في الجملة، ظهرت فيه سيادة العرب على غيرهم من الأمم أوضح ظهور، والعرب في ذلك العصر لم يتأصل فيهم ميل الفلسفة؛ إنما كان يعجبهم الأدب العربي، والتحدث بأيام العرب، ولذة خلفائهم إنما هي في الإصغاء إلى قصيدة عربية، والاستفسار عن لفظ غامض، وما إلى ذلك."⁴

اعتمد الأمويين على جلب أطباء يستطبونهم أمثال "عبد الملك بن أبجر الكناني، وكان في أيام عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه، وابن آثال، وكان طبيباً لمعاوية بن أبي سفيان، وكان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وما منها سموم قاتل، وكان تياذوق Theodokos طبيباً فاضلاً في صناعة الطب، وكان في دولة بني أمية، وصحب الحجاج بن يوسف الثقفي، وله كتاب إبدال الأدوية

¹بينيولوب أودي، مرجع سابق، ص 11.

²المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص 11.

³أحمد عيسى، مرجع سابق، ص 52.

⁴أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر 2012، ص 242.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

وكيفية دفعها وإيقاعها Preparation des medicaments et des succedane. توفي سنة 708م، وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ وكان بصيراً بالطب والكيمياء، وكان يسمى حكيماً آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه.¹

بعد انتقال الأمويين للأندلس "وكونوا فيها مملكة عاصرت العصر العباسي الأول؛ لم يكن تشجيعهم للعلم والحركة الترجمة والتأليف أقل كثيراً من عمل العباسيين، وكذلك مدينتهم وحضارتهم، وأكبر فرق بينهما: نشأ مما أحاط بالعباسيين من مدينتي العراق القديمة، والفرس، واليونان، وما أحاط بالأمويين بالأندلس من مدينة لا تينية. فأما الميل إلى التوسع في الحضارة، ومنه العلم، والأخذ بأوفر حظ من النظم الاجتماعية التي تليق بهم؛ فكان حظّ الدولتين معاً.²

أما الترجمة، فكانت "محاولات فردية، تموت بموت الأفراد القائمين بها، أما في الدولة العباسية فكانت الترجمة عمل أمة لا عمل أفراد... كانت الترجمة مقصورة على العلوم العملية كالسنة والطب والنجوم، ولم يتعد ذلك إلى العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة والهندسة، وما إلى ذلك؛ فهذه لم تكن إلا في الدولة العباسية.³

4.1 العصر العباسي

فلما جاء العصر العباسي، وأمعن المسلمون في الحضارة، وسادت العناصر غير العربية رأوا أن حياة الحضارة لا بد أن تستند إلى العلم، فمالية الدولة تحتاج إلى حساب دقيق، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج إلى أدوية مركبة، وعلاج مركب. ومتى لجأ الناس إلى نوعين من العلوم، وأخذوا يعالجونه عن الأمم الأخرى؛ دعاهم الشغف إلى التعرف على ما عند الأمم المختلفة من العلوم جميعها، ولو لم يكن لهم بها حاجة ماسة مباشرة.⁴

فكانت "بغداد عاصمة الخلافة أكبر المراكز العلمية في العالم. وكان الخلفاء محبين للعلم والعلماء، وخاصة ما يتصل منها بالعلوم الطبية، فشجعوا العلماء على ترجمة المراجع إلى العربية. وفي عصر

¹ أحمد عيسى، نفس المرجع، ص 51.

² أحمد أمين، مرجع سابق ص 16.

³ نفس المرجع، ص 16.

⁴ نفس المرجع، ص 242.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

الرشيد أنشئت مدارس الطب التي كانت تحوي المكتبات الزاخرة بالمراجع الطبية¹. " كان في الدولة العباسية مدرسة كبيرة للترجمة، لا يضرها موت فرد أو أفراد منها."²

ومن اشتهر من أطباء العصر العباسي في مدرسة جنديسابور "جورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور، وابنه بختيشوع طبيب الرشيد، وجبريل بن بختيشوع طبيب المأمون... الخ، وكانوا نصارى نساطرة."³

وقد تأثر العلماء العرب المهتمين بعلم العقاقير بمؤلف ديوسقوريدس⁴ المادة الطبية والذي وضعه حوالي 70م. والذي ترجم تحت اسم الحشائش أو هيولى علاج الطب ونقله اصطفن بن بسيل، من اليونانية إلى العربية في عصر المتوكل على الله في أواسط القرن التاسع الميلادي.⁴

5.1 بعض المعتقدات والطرق الروحانية والطبيعية في العلاج

ركز أطباء المسلمين وعلمائهم في كتاباتهم على التغذية والطب الوقائي حيث "تضمن التراث الإسلامي لمحات تفصيلية حول الصحة الوقائية، بحيث ينظر الطب العربي إلى أبدان الأفراد على أنها دائمة التحلل لما فيها من الحرارة الغزيرة من الداخل، وحرارة الهواء المحيطة بها من الخارج. ولذلك حرص على توضيح نسق الأغذية من حيث أنواعها وشروطها، وكفايتها للجسم الإنساني، وأوقات الأكل والتغذية العلاجية"⁵

وقد دأبوا "خلال ممارستهم لمهنتهم، على تأكيد أهمية التغذية وصحة الفرد ونظافته وصحة البيئة، كما نصحو بفكرة الاستحمام، وبتعزيز الصحة العامة. وأوصوا بتوفير ما يكفي من المساحات الخالية عند تخطيط المدن للمحافظة على نقاء الجو، واهتموا بعزل المرضى، وعملوا على سرعة علاجهم."⁶

وتم كذلك تصنيف أمراض الجسم بحسب فصول السنة "حيث أوضحت العلاقة الوثيقة بين كل فصل، وما يناسبه من الأمراض، مما يدخل الآن تحت مبحث أسباب المرض Etiology، وعلم الأوبئة epidemiology... إلخ. في شهور الربيع تكثر الأورام والدمامل والسعال ووجع المفاصل والربو

¹المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص 11.

²أحمد أمين، ص 16

³أحمد أمين، مرجع سابق، ص 237.

⁴عبد السلام النويهي، مرجع سابق، ص 156.

⁵محمد علي مكاوي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 20.

⁶عبد الرحيم عمران، مرجع سابق، ص 53.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

والسكتة، وعلى حين يساعد فصل الصيف على ظهور وانتشار أمراض الحميات والرمد والجدري والحصبة.¹

أما فصل الخريف والشتاء فأوا فيه أنه "يزداد الجرب والأورام، ولاسيما السرطان، وأمراض الطحال وعسر البول وأمراض الرئة والسعال في فصل الخريف أما فصل الشتاء فتستشري فيه التلذات والزكام وذات الجنب والرئة والصداع المزمن والصرع. ومن هذه وتلك يتضح لنا أن جذور علم الاجتماع الطبي تمتد إلى بداية العصر الإسلامي الأول، وإن كان ازدهارها واضحاً منذ القرن التاسع الميلادي."²

ومن مآثور نظامي العرب "أنهم لا يرون التداوي بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها، وإذا اضطر إلى الأدوية فلا يرون التداوي بالمركبة ما وجد سبيلاً إلى المفردة، وإذا اضطر إلى المركب لم يكثروا التركيب بل يقتصرون على أقل ما يمكن، فقد ذكر المجوسي في كتابه 'كامل الصناعة الطبية' (الملكي): إن أمكنك أن تعالج العليل بالغذاء فلا تعطه شيئاً من الدواء، وإن أمكنك أن تعالج بدواء خفيف مفرد فلا تعالج بدواء قوي ولا بدواء مركب، ولا تستعمل الأدوية المجهولة... أما الرازي يقول في كتابه الحاوي (إن استطاع الحكيم أن يعالج الأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة)."³

هذا وقد صنف العلماء العرب خاصة في القرن السابع الميلادي، الأدوية من حيث تركيبها وفعالها في جسم الإنسان، وفي مجال تطبيقها إلى أدوية مفردة، وأدوية مركبة.

أ. **الأدوية المفردة**⁴: وهي المواد التي تُؤخذ من مصدرها النباتي أو الحيواني أو المعدني، دون خلطه أو مزجه بدواء آخر. وقد قسّم الأطباء العرب والمسلمون، ومن قبلهم اليونانيون*، الأدوية المفردة بحسب أمزجتها إلى بسيطة ومركبة. فالبسيطة أمزجتها أربعة هي حارة وباردة ورطبة ويابسة.

¹ محمد علي مكاي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 22.

² نفس المرجع، ص 22.

³ محمد كامل حسين، عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب موجز تاريخ الصيدلة، ج. الثاني المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، 197، ص 334-335.

⁴ المنظمة العالمية للصحة، محمد شحادة، صفحات من تاريخ التراث الطبي الإسلامي، سلسلة الكتاب الطبي الجامعي، EMRO Publications، 2005، ص 55-56.

* كتب جالينوس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد بشكل موسع حول 'أخلاق' humors الجسم الأربعة - الدم، البلغم، السوداء، والصفراء - وصنف الأعشاب وفقاً لصفاتهما الأساسية: فهي حارة أو باردة، جافة أو رطبة. وقد وسع فيما بعد الأطباء العرب الذين عاشوا في القرن السابع، كإبن سينا، جميع هذه النظريات، ولاتزال نظريات جالينوس تحكم إلى اليوم الطب الأوناني Unani، الذي يمارس في العالم الإسلامي والهند. وكان وصف جالينوس للأعشاب، مثل 'حارة من الدرجة الثالثة' أو 'باردة من الثانية'، لا يزال قيد الاستعمال حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر. ينظر: بينيلوب أودي، معجم الكامل في الأعشاب والنباتات الطبية، أكاديميا، بيروت، لبنان، 1999، ص 10.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

والمركبة أمزجتها أربعة أيضاً: حارة رطبة، وحارة جافة، وباردة رطبة، وباردة جافة. وهو تقسيم يتمشى مع نظرية العناصر التي اعتمدها عليها الطب في ذلك الزمان. كما قسّموها بحسب الأمزجة أو الطبائع إلى أربع درجات: دواء مفرد من الدرجة الأولى (لا يؤثر في البدن تأثيراً ملموساً)، ودواء مفرد من الدرجة الثانية (يؤثر ولا يضر)، ودواء مفرد من الدرجة الثالثة (يضر ولا يبلغ)، ودواء مفرد من الدرجة الرابعة (يكون ساماً). فالبايونج مثلاً حارٌّ جاف، يأخذ صفة النار في الثانية. والقرع بارد رطب، في الثانية يجمع الحرارة. والقرنفل حارٌّ يابس في الثالثة.

كما صنّفوها أيضاً بحسب تأثيرها في الجسم إلى عدّة مجموعات، وأعطوا لكل مجموعة منها اسماً تبعاً لتأثيراتها فمنها: الأدوية الملطّفة (المليّنة)، والمخسّنة، والمُرخية، والمنضّجة، والهاضمة، وكاسرة الرياح في البطن، والمقوية، والمخدّرة، والحامّة (المرمّمة)، والمسهلة، والمحرّقة، والمدرّة، والمقيّئة.

وكان أطباء المغرب والأندلس يُفضّلون استعمال الأدوية المفردة على الأدوية المركبة، وأفوا في ذلك عدداً كبيراً من الكتب التي تبحث في هذا الموضوع.¹ قال ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد حول ما اتفق عليه الأطباء في مجال هذه الأدوية على أنه "متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء، ومتى أمكن باليسيط لا يعدل إلى المركب، قالوا: وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية، قالوا: ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله أو يوجد داء لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه أو كميته تشبث بالصحة وعبث بها."²

وقد اعتمد الجوسي منحى آخر في تقسيمه حيث قسم المفردات إلى مجموعات بحسب طبيعتها ورتبتها في كل مجموعة بأسمائها كما يأتي³:

-مجموعة المفردات النباتية، وتشمل الحشائش، البذور والحبوب والأوراق، والأنوار ومر الشجر، والأصول، (وأضاف إليها القشور) والأدهان، والطبائع والعصارات.

-مجموعة المفردات الحيوانية: وتشمل الأدماء، الألبان، الزبد، الأنفحات، البيض، الإفرازات، المرات، الزبل، الخ...

-مجموعة المفردات المعدنية، وتشمل الأطيان، والحجارة، والملح، والأجساد.

¹المنظمة العالمية للصحة، محمد شحادة، ص57.

² نفس المرجع، ص 4.

³محمد كامل حسين، مرجع سابق، ص334.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

ب. الأدوية المركبة: فهي مزيجٌ من دوائين مُفردين أو أكثر، تُصنع على أشكال مختلفة تدخل في المجموعات التالية¹:

- 1- الأطريفلات: وهي معاجين تُستعمل لتعديل الأحلاط السّوداوية والبلغميّة.
- 2- الجوارشنان: وهي خليطٌ من الأدوية التي تُساعد على الهضم، وتقوي القلب.
- 3- الأيارجان: وهي تُستعمل لاستفراغ أحلاط البدن، وتفيد في الصّداغ والخيالات السود.
- 4- الأقراص: وهي تُستعمل في مجالاتٍ كثيرة.
- 5- السّفوفات: وتُستعمل في حالات الرّحير والإسهال.
- 6- الأشربة: وتُحضّر من الأزهار أو من عصير الفواكه غالباً.
- 7- المربّيات: وتُحضّر من لبّاب الفاكهة أو الأزهار.
- 8- اللّعوقات: وتؤخذ باللحس، وتُستعمل في حالات السّعال.
- 9- العراغر: وتُستعمل لأوجاع الحلق.
- 10- السّعوطات: وتُستعمل بطريق الاستنشاق.
- 11- الألكحال والشيّافات: وتُستعمل لأمراض العين.
- 12- الحُقن والفتايل والفرزجات: وتُستعمل لتلين الأمعاء أو لآلام القولون. وتكون الفتايل بحجم نوى التمر، وتُستعمل لأمراض الأمعاء.
- وأمّا الفرزجات فمركّبات تُحمّل في المهبل لإسقاط الأجنّة الميتة أو لمنع الحمل، أو لتسهيله، كما تُستعمل في أمراض الرحم.
- 13- الأظلية: وهي مركّبات تُستعمل في معالجة الجرب والسّعفة والبرص والكلف والنّمس والبّهق.
- 14- الضّمادات والنّطول والأدهان: وتُستعمل لعلاج الدّمامل وأوجاع المفاصل.
- 15- السنونات: وتُستعمل لتنظيف الأسنان وتقوية اللثة ومعالجة الأسنان.

¹المنظمة العالمية للصحة، محمد شحادة، ص 57.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى- "لم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم ولا هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى أقرباذين، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه أو يكسر سورته أي حدته وشدته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة، وإنما عُوِي بالمركبات الروم واليونان، وأكثر طب الهند بالمفردات."¹

يرى ابن خلدون أن "العلم يكثر حيث يكثر العمران؛ لأن العلم شأنه شأن الصنائع بل هو صناعة: والصنائع إنما تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترّف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة؛ لأنه أمر زائد على المعاش، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وفي العلوم والصنائع."²

وقد استخدمت الأدوية المفردة كثيراً لدى أرباب التجارب من الأطباء "طبهم بالمفردات غالباً، وهم أحد فرق الطب الثلاث، والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية، والأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات فأمرضها قليلة جداً، وطبها بالمفردات، وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة؛ الأدوية المركبة أنفع لها، وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة فيكفي في مداواتها الأدوية فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية."³

وقد ساهم تطلع العرب في الدوائيات وتراكيبها ونبوغهم في الكيمياء وعلم النبات إلى نبوغهم في الصيدلة.

6. 1 نبوغ العرب في مجال الصيدلة

نعد إنجازات العرب في الصيدلة من "أهم ما تم إنجازه في تاريخ الطب. فقد اكتشفوا وركبوا مئات الأدوية الجديدة، والبسيطة منها والمركبة، واختبروا العقاقير القديمة وأدخلوا عليها التعديلات، ومن بينها الكافور والسنا والعنبر والقرنفل والمن والمسك وزيت حب الملوك والفلفل والتمرحنة وخشب الصندل والراوند ومرهم الزئبق وغير ذلك من الأمزجة والخلطات الأخرى."⁴ كما أنهم

¹ هاني محمد مرعي، موسوعة الطب البديل، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، ط. 5، 2015، ص 4.

² أحمد أمين، مرجع سبق ذكره، ص 385.

³ هاني محمد مرعي، مرجع سابق، ص 4.

⁴ عبد الرحيم عمران، سكان العالم العربي: حاضرا ومستقبلا، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، 1988.

ص 50.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

"أول من أرسى قواعد مهنة الصيدلة على أسس علمية راسخة."¹ وهم "أول من أوجد مهنة الصيدلي، الذي ارتفع وضعه الاجتماعي إلى مركز مرموق بفضل علومه ومسؤولياته الخطرة."²

ففي عهد اليونان كان "الطبيب يقوم بمهام كل من الطب والصيدلة في آن واحد، غير أنه كان للطبيب من يساعده في جمع النباتات وحمله"³ لذلك، يعتبر العرب "المؤسسون الحقيقيون لعلم الصيدلة المستقل عن الطب، وهم الذين ارتقوا بالصيدلة من مستوى، مجرد تجارة العقاقير والتوابل إلى إنشاء مدارس للصيدلة وحوانيت للصيدلة، كما وضعوا الكتب الصيدلية الخاصة بالتركيب -أي الأقرباذين- وللدلالة على طول باعهم في هذا المجال هو تأليف دساتير الأدوية."⁴

وقد أخضعت الصيدلة "لرقابة الدولة لمنع الغش، فكان الصيادلة لا يزاولون مهنتهم إلا بعد الترخيص لهم. وقد افتتحو الصيدليات العامة في أواخر القرن الثامن للميلاد في عهد المنصور، كما ألحقوا بكل بيمارستان صيدلية خاصة به."⁵ وكانوا "أول من أدخل التقييم المهني للصيدلة فعينوا لكل مدينة عميدا للصيادلة، كما أدخلوا الوصفة الطبية وعلى الطبيب أن يحررها ويكتب الأدوية عليها، كما أدخلوا نظام إجازة الممارسة أسوة بما هو معمول بالطب، بحيث لا يسمح للصيدلي بممارسة المهنة إلا بعد اجتيازه الامتحان أمام المحتسب، وتقييد اسمه في جدول الصيادلة الخاص لذلك... وفرضوا تسعيرة للأدوية كما حذروا الصيادلة من بيع السموم الضارة."⁶

تجدر الإشارة إلى أن لفظ صيدلة لفظ معرب، من أصل فارسي جاء من " كلمة 'جندل' أو 'جندن'."⁷

وهو ما ذهب إليه البيروني إلى "أن كلمة 'صيدلاني' تعريب لكلمة 'جندلان' بقلب الجيم صاداً. وكلمة 'جندن' وصندل تدل على أفواه الطيب العطر أو ينسبون الكلمة أيضاً إلى الصندل. وفي كلا الحالتين يظهر جلياً أنها كانت تدل أصلاً عن الصيدلي، وهو الشخص الذي يجمع الأعشاب النافعة للتطيب. كما يرى البعض أن الصيدلة كان أساس بنائها خشب الصندل."⁸

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 34.

²رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 34 و35.

³نفس المرجع، ص 34 و35.

⁴نفس المرجع، ص 34 و35.

⁵عبد الرحمن مرجبا، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص 256 بيروت، 1989.

⁶رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 35.

⁷محمد كامل حسين وآخرون، مرجع سابق، ص 271.

⁸نفس المرجع، ص 271.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

كما يقابل كلمة عقار العربية الكلمة اليونانية 'فارماكون' pharmakon وكانت هذه الكلمة في الأصل تدل عند الشار هوميروس، على نوع من الفعل السحري لبعض الأعشاب التي لها أثر طبي ولكنه في نفس الوقت سام فانتزع منها هذا الضرر وأصبحت الكلمة تدل فقط على صفة الشفاء، وانحصر المعنى في الدلالة على التطهير بالمعنيين الحقيقي والمجازي.¹ وإلى هذا الأصل اليوناني ترجع الاصطلاحات في اللغات الأوروبية مثل: pharmacist; pharmacien; pharmaceutuist. كما تعرف الصيدلة على أنها علم وفن تعالج أمور الأدوية والعقاقير والمستحضرات الصيدلانية.

أما العقاقير هي (الأقرباذين). "والأقربازين كلمة فارسية الأصل بينما البعض يعتبرها من أصل إغريقي"² وكلمة اقربازين لا شك أنها أخذت عند العلماء العرب في القرون الوسطى مدلولاً دقيقاً هو 'الأدوية المركبة'. فالكتاب الخامس من 'القانون في الطب' مثلاً مخصص للأدوية المركبة وهو أقربازين... أما في العصر الحديث فقد أصطلح العلماء المتأخرون على أن يطلقوا كلمة 'اقربازين' لترجمة كلمة (pharmacology)* وهو علم طبائع الأدوية وخواصها. والفرق بين المعنى القديم والمعنى الحديث واضح.³

"كما صادف أن ظهرت كلمة 'فارماكوبيا' لأول مرة في تلك الحقبة عام 1548 عندما قام الدكتور جاك سيلفيو بتأليف كتاب عن الأدوية وطبعه وأطلق عليه اسم "فارماكوبيا".⁴

ومن أشهر دوائر المعارف العربية الخاصة بالأدوية والعقاقير 'كتاب الصيدلة' و'كتاب الأقربازين' لأبن سهيل (في القرن الحادي عشر). وكذا 'كتاب الأقربازين' لأمين الدولة ابن التلميذ (المتوفي في سنة 1164) و'جامع المفردات' لابن البيطار (المتوفي سنة 1248) وفيه أدرج 1400 عقار مستحدث والتذكرة لداوود الأنطاكي (المتوفي سنة 1600). وتجدد الإشارة هنا إلى أن جميع دوائر المعارف الطبية تضمنت أجزاء خاصة بالعقاقير وخاصة الأدوية وتأثيرها.⁵

¹ شحاتة قنواتي، مرجع سابق، ص 13.

* اعتباراً للإغريقي جالينوس (131-200م) "أبا للصيدلة قد سميت المستحضرات الجالينوسية المشهورة بالصيدلة نسبة إليه.

² رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 56.

* قالفارماكولوجيا Pharmacology علم الأدوية خواصها واستعمالاتها وتأثيراتها، دراسة تأثير الصيغ الكيميائية على الأنسجة الحية ودراسة العقاقير الطبية، خواصها الكيميائية والسمية.

³ شحاتة قنواتي، مرجع سابق، ص 15.

⁴ رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 47.

⁵ عبد الرحيم عمران، سكان العالم العربي: حاضراً ومستقبلاً، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية: صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية 1988، ص50.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

وعلى سبيل المثال اتخذ العرب العلاج بالاعطور من بين الوسائل العلاجية فكان أبرزهم في هذا المجال:

- "الرازي(841-924)، الكيمياء والطيب يعتبر أعظم طبيب في العصور الوسطى. كما أنه أول من وصف المركبات الكيميائية للدواء.

- أبو القاسم (936-1013)، طبيب وعالم من الأندلس، لديه عمل أصيلة في عملية التقطير و التسامي أدوية والمواد الكيميائية.

- ابن سينا (980-1037) أشهر العلماء، الذين أنتجوا أول زيت أساسي نقي يسمى

(*Rosa centifolia*). استخدم بشكل كبير الزيوت الأساسية في العلاج وسمي فيما بعد بأمير الأطباء، هذا الممارس الهائل نشر أكثر من مائة كتاب طبي، بما في ذلك الشهيرة منها: كالقانون في الطب، والتي تشير إلى العديد من الزيوت الأساسية. وقد استأنف المسلمون استخدام النباتات العطرية في العلاج بعد تناولهم طرق التقطير المثالية.¹

7.1 اللغة العربية ودورها في علم العقاقير: "إن جمع شتات اللغة وتدوين ألفاظها باعتبارها المدخل الصحيح إلى فهم القرآن والحديث ومعانيهما دعت العرب إلى التدوين، والتصنيف في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وقيل: إن أول المصنفين هو الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري المتوفى سنة 155هـ، وقيل: أبو النصر سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة 156هـ، وقيل: ربيع بن صبيح المتوفى سنة 160هـ، وتلاههم غيرهم في التصنيف في اليمن والمدينة والكوفة، ومصر وخراسان، واعتبروا الزرع والشجر والكرم والبقل، والنخل والنجم والنبت وغيرها مثل باقي حروف اللغة واجبة التدوين والتصنيف."²

في القرن التاسع الميلادي، اعتبرت اللغة العربية لغة العلم وشملت فروعاً عديدة منها: الطب والصيدلة والكيمياء والنبات والحيوان والفلك والرياضيات والفيزياء. وكان في كل عاصمة أو مدينة كبيرة مكتبة ضخمة غنية بالكتب والمخطوطات العديدة. كما ازدهرت القيروان بشمال إفريقية

¹P. Franchomme, R. Jollois, D. Pénéol, 2001. L'Aromathérapie exactement. Encyclopédie de l'utilisation thérapeutique des huiles essentielles fondements, démonstration, illustration et applications d'une science médicale naturelle. Éditions Roger Doloi 14.

²عبد السلام النويهي، مرجع سابق، ص 156.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

وقرطبة وغرناطة في الأندلس، وكان لقرطبة بالذات تأثير كبير وعميق على مسيرة الحضارة لما احتوت من المكتبات الكبيرة والمستشفيات والمساجد والمدارس ودور العلم.¹

أعظم النباتيين العرب لا بد من تأكيد الحقائق التالية:²

1. يطلق لفظ العلماء العرب على من عاشوا في العصر الإسلامي وفي الإمبراطورية العربية الممتدة، الممتدة من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً، وهم كل العلماء الناطقين بالعربية أو المؤلفين بها، أو الناقلين إليها؛ سواء كانوا عرباً خالصاً أو مستعمرين لغة، وبغض النظر عن أصلهم أو موطنهم -فارس، أو الحجاز أو الشام أو مصر، أو الأندلس أو المغرب العربي.

2. تعارف المؤرخون على العصرين الإغريقي وعصر النهضة الأوروبية عند تأريخ العلم. والأصدق أن تحدد عصور العلم بأربعة فيضاف إليها عصران، هما الإسكندري والعصر العربي الإسلامي، ويسبق كل ذلك بعصر الحضارات القديمة.

3. علماء مصر الفرعونية أساتذة العلماء الإغريق أمثال فيثاغورس، أبقرط، طاليس، سقراط، أفلاطون، أرسطو، وهؤلاء بدورهم أساتذة علماء العصر الإسكندري أمثال بطليموس، جالينوس، أقليديس، أرخميدس، ديوسقوريدس الذين تتلمذ العلماء العرب عليهم.

4. كان العلماء العرب موسوعيين في كتاباتهم، إلا أن كلا منهم تميز في ناحية أو أكثر من نواحي التخصص المعروف حالياً.

5. لا ينبغي أبداً أن نتطلب توافق كتاباتهم العلمية مع استكشافات العصر الحديث.

6. إن مختلف النظريات العلمية التي نادى بها علماء الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين إنما سبقهم إلى اكتشافها كثير من العلماء العرب.

7. توصل العلماء العرب إلى الطريقة العلمية ودعوا إليها.

ويعترف الدكتور كينث ووكر (K.Walker) أحد كبار الجراحين الإنجليز في كتابه 'تاريخ الطب'... أن الطب العربي ضم أساتذة من العرب والعجم، منهم الفرس واليهود والأتراك والإغريق

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 32.

²عبد السلام النويهي، مرجع سابق، ص 156.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

والإسبان ولم يكونوا جميعاً بالضرورة مسلمين بل بقي بعضهم على دينه لأن الدين الإسلامي دين
سمح.¹

وهذا يدل على أن "جذور الاجتماع الطبي تكمن بعيداً في أعماق القرن التاسع الميلاد وما تلاه
عند العرب المسلمين، ثم بدأ الاهتمام به في أوروبا وأمريكا خلال القرن التاسع عشر - أي بعد عشرة
قرون - حتى وصل إلى مستوى فائق على مدى ربع القرن الأخير (1950-1975). غير أن ازدهار العلم
قد انحصر في البلدان الصناعية، وبالتالي يمكن القول بأنه لم يجتذب اهتماماً كبيراً نحو مشكلات
الخدمات الصحية في بلدان العالم الثالث إلا في حدود ضيقة.²

2. الدواء في عصر النهضة

في القرن العاشر الميلادي استفادت أوروبا من المعارف العربية بفضل الفتوحات الإسلامية، وبفضل
التراجم اللاتينية في القرن الثاني عشر، 'فكان أشهر مترجم عربي هو جيرارد الكريمون الذي عاش فترة
في طليطلة ينهل من علومها وآدابها، وتعلم العربية وأتقنها تماماً. وقيل إنه تمكن من ترجمة 92
كتاباً عربياً إلى اللاتينية ففتحت هذه التراجم عالماً جديداً بمر رجال الفكر الغربيين وأذكى من
دهشتهم وحفزهم على المزيد من الاطلاع، ومن العوامل التي ساعدت على احتكاك الأوروبيين
بالعرب والمسلمين أيضاً الحروب الصليبية.³

1.2 جامعة سالرنو الإيطالية

أجمعت كتب التواريخ على أنه بينما كان التكهن والتدجيل سائدين في الدول الأوروبية، كانت
سالرنو في إيطاليا مركز طب علمي، وكان فيه مدرسة لتعليم الطب. وأما السبب في نهضتها العلمية
فهو قربها من جزيرة صقلية، وهي أحد أطراف العالم العربي في ذلك الوقت، وقربها أيضاً من ريجيو
وأوترانتو البيزنطيتين المتمعتين بالثقافة اليونانية، والجدير بالذكر أن العرب افتتحوها هذه الجزيرة سنة
877م.⁴

تعتبر سالرنو من أهم المدن التي استفادت من الفكر العربي الإسلامي إلى أوروبا منذ القرن التاسع
ميلادي "فقد عرفت أوروبا المستشفيات لأول مرة في تلك المدينة منذ القرن التاسع الميلادي حيث

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 34.

²محمد علي مكاوي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 22.

³رياض رمضان العلمي، مرجع سابق ص 44.

⁴رحاب خضر عكاوي، مرجع سبق ذكره، ص 334.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

أنشئ فيها مدرسة للطب عام 846م. وبقي الحال كذلك حتى القرن الحادي عشر، وكان للعرب فضل كبير في حقن الجامعة بالدماء الجديدة الشابة فانتشر إشعاعها عن طريق تلامذتها الذين توزعوا هنا وهناك في أوروبا بما في ذلك مدينة مونبوليه التي ورثت مدرسة سالرنو، فاضمحت بعد عام 1400م وبقيت كذلك إلى أن وجه لها نابليون ضربه قاضية عام 1818م وأقفلها. "فكانت سالرنو بذلك مركز التدريب الطبي حتى القرن الثاني عشر.

ومن "عجائب التاريخ أن حركة النقل وهي حركة على أكبر جانب من الأهمية في تاريخ العلوم والطب، دارت كلها حول رجل لا تؤهله كفايته وحدها لمثل هذا العمل. ذلك هو قسطنطين الإفريقي (1020-1087) ... أجل أعماله أنه ترجم كتاب علي بن عباس، وهو المعروف بكامل الصناعة."²

2.2 مدرسة مونبوليه لم تكن معلومات كثيرة حول مونبوليه قبل القرن الثامن "لكن وقوعها في جنوبي فرنسا على مقربة من شواطئ البحر المتوسط، وعلى الطريق الموصل بين إيطاليا وإسبانيا جعل منها محطاً لقوافل المسافرين بين مهد الثقافة اللاتينية وإسبانيا قاعدة الثقافة العربية. وعندما اكتسح شارل مارتيل في غزواته مدناً وقرى كثيرة منها 'ما غلون' اتجه السكان مونبوليه... وكان هؤلاء الفارون ذوي جنسيات ونحل مختلفة، آوهم مونبوليه، فازدادت قيمتها وارتفع شأنها وعظمت مكانتها"³. وظلت توافي العرب في مناهج التدريس بها، إلى أواخر القرن السادس عشر.

3.2 جامعة بادوقا (بادوا) الإيطالية التي تعد من جامعات أوروبا الشهيرة في تلك الحقبة جامعة بادوقا التي يقال أنه كان بها حوالي: (3000) طالب عام 1238م، ووصلت إلى قمة مجدها عام 1405م حين أصبحت تابعة لمدينة البندقية المشهورة بسياسة الانفتاح. وبقي الحال كذلك إلى أن سقطت هذه المدينة وزال عهداها."⁴

4.2 جامعة بولونيا الإيطالية، "كانت قائمة في القرن الثالث عشر، وكان فيها مدرسة طبية تأثرت بالعلوم العربية. اشتهرت بتبنيها آراء ابن زهر، مارس أساتذتها علم التشريح ومن بينهم بارتولوميو قارينيانا (المتوفي سنة 1318م) ودينوي غارلو (المتوفي سنة 1372م)، وقد اشتهر كل منهما

¹رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 47.

²محمد كامل حسين، مرجع سابق، ص 34

³رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 336

⁴رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 48.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

بشرح كتاب ابن سنا، وبلغ عدد طلاب هذه الجامعة في العام 1310م خمسة عشر ألف طالب من جميع الجنسيات، من بينهم عدد كبير من ألمانيا.¹

أما في القرن الثالث عشر فقد "امتاز بظهور الجامعات في أوروبا بتطور بطيء. وبدأت هذه الظاهرة في إيطاليا، وبولادة وتطوير الجامعات في بولونيا وباريس وأكسفورد ومونبوليه، أصبح من الضروري وضع برامج تعليمية. قراءات فيما يسمى على "العادية" في جامعة باريس، بين 1270 و1274، واتخذت أول من التقاليد السالرناتية *la tradition salernitaine*؛ وهي في الدرجة الأولى مستمدة من تراجم قسطنطين الإفريقي: نصوص أبقراط، وجالينوس، إسحاق الإسرائيلي، ابن الجزار، حنين بن إسحاق في علم الصيدلة، نيكولاس الأنتيدوتير *Nicolas l'Antidotaire* أو (صاحب الترياق) لفت الانتباه إلى العلم العربي واستخدامه كمرجع.

بعدها ترجمت النصوص إلى الإسبانية، ولا سيما من قبل جيرار دي كريتون *Gérard de Crémone*، انتشرت الجامعات في هذه العاصمة الجديدة بعد القسطنطينية. ومن ثمة كانت ضمن برامج جامعة مونبوليه في 1309 واستخدم كتاب القانون لابن سينا، على نطاق واسع كأساس للتدريس. وآخرون مثلاً ابن رشد... سوف تكون ولدت هذه العمليات العلوم الحديثة المشكلة ببطء على مر القرون.²

فبعدها كان علمي الطب والصيدلة "محصورين في أوروبا خلال العصور الوسطى في الأديرة ورجال الكهنوت وبقي الحال كذلك إلى أن وضع حد لتدخل القساوسة في مهنة الطب عندما تحولت إلى مهنة قائمة مستقلة بذاتها عام 163 م.³

وكان لاكتشاف الطباعة دوراً كبيراً في نشر الكتب، حيث يعتبر جوتنبرج (*Johann Gutenberg*) صاحب ثورة الطباعة باستخدامه آلة طباعة خشبية تحتوي على حروف طباعية متحركة. فكانت معظم الكتب تنسخ باليد "على شكل مخطوطات بواسطة الرهبان. انتشرت الطباعة في أوروبا في القرن الخامس عشر بسرعة مذهلة وانتقلت من ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وهولندا

¹رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 342.

²Joëlle Ricordel, *La Médecine « arabe » (IXe – XIIIe s.)* Société amicale des élèves et anciens élèves des écoles du service de santé des armées et de l'École du Val-de-Grâce n° 73 de la revue de la SEVG 2012.

³رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 44.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

وغيرها. ومن أوائل الكتب العربية التي طبعت كتاب 'وسائل اللغة العربية ومعرفتها' بقرنطنة عام 1505م.¹

ويمكن القول إن بداية الترجمة عن الغرب في العلوم الطبية بدأت في حلب خلال القرن السابع عشر.

إضافة إلى الدور الذي لعبه الرحالة في اكتشاف النباتات واستعمالها، كالحالة: ابن بطوطة، كولومبوس (1492-1498م) وفاسكو آجاما (1469-1524م)، وماجلان (1480-1521م).

5.2 رجال العلم في أوروبا²

نذكر روجر بيكون (1214-1292)، وليم هارفي (1578-1657م)، سيد الهام (1624-1689م)، أنتوني فان ليفون هوك (1632-1723م)، انطران لافوازييه (1743-1794م) جوزيف بريستلي (1733-1804م)، باراسيلسوز (1493-1541م)، كارل شيلي (1742-1786م). وكان هذا الطبيب "أول من حاول استخراج المواد الفعالة من النباتات، إلا أن أول من عزل مركبا كيمائيا بشكل نقي من التفاح كان الصيدلي السويدي شيلي (1742-1786م)، كما اكتشف الكلور والجلسرين وتنبأ، بل وساهم في اكتشاف الأكسجين عام 1773م.

فخلال نصف قرن امتلكت فرنسا "عددا من الأطباء المتميزين والملاحظين المدققين في الأحياء وفي الموتى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى امتلكت عدداً من التجريبيين المهرة الذين عرفوا كيف ينظرون لمنهجهم... وهي زيادة فقدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر."³

ويقول سورنيا عن تاريخ تحول الطب: "يبدو لنا هذا التحديد ضرورياً. فمن المعروف أن الطب بشكل عام، بدأ سحرياً ثم دينياً، ثم أصبح بالتدريج علمياً، أي أصبح نتيجة للملاحظة الدقيقة والمنطقية المؤسسة على التجريب. ويختلف الكتاب حول تاريخ هذا التحول. فبعضهم يرى أنه قد حدث في منتصف القرن التاسع عشر مع كلود برنار (Bernard Claud)، بينما يرى بعضهم الآخر أن هذا التحول قد حدث مع اكتشاف باستور (Pasture) للبكتيريا، وفي الوقت نفسه يرى فريق ثالث أن

¹ نفس المرجع، ص 47.

² نفس المرجع، ص ص 48، 49 و 50.

³ جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 248.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

هذا التحول لم يحدث إلا في الخمسينيات من القرن العشرين مع التطور المدهش للكيمياء الحيوية وعلم الوراثة.¹

وساهم العشابون بشكل أو بآخر في الصيدلة، حيث كانوا "فيما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، يخرجون الأدوية مع البهارات والتوابل، ومن ثم بيعها إلى البحارة والتجار والصليبيين. ولذلك كانت تجارة البقالة وتجارة التوابل متطابقتين مع بعضهما البعض. ثم زادت أنواع الأدوية الطبيعية، واتسع استعمال المواد الكيماوية في المعالجة مما أدى إلى ظهور مهارات متخصصة لازمة، لخلط الأدوية وتصنيعها. وقد وجد الصيدالون الأولون صعوبة في الجمع بين نشاطات البقالة والصيدلة ولذلك تم في عام 1617 شطب نقابة لندن، وتم تأسيس جمعية جديدة مستقلة للصيدالون.²

وقد أنشئت الجمعية الصيدلانية البريطانية في عام 1841 و"ضمت إليها الصيدالون والكيميائيين والعطارين وجميع المهنيين بمهنة الصيدلة. وانقلب عدد من هؤلاء الصيدالون والعطارين إلى تجار جملة ومن ثم صناعيين. وبالتدريج ظهرت بعض المهارات الميكانيكية واليدوية كتحضير الحبيبات وتحضير الأقراص بالضغط وتغطية الأقراص بطبقة من الذهب أو الفضة أو السكر أو حتى اللؤلؤ مما اتطلب وجود كفاءات مناسبة وماهرة لهذه الصناعات التي بدأت تكون على نطاق واسع."³ استمر أثر علم الصيدلة "حتى القرن التاسع عشر."⁴

أما أهم عامل أدى إلى اتساع النهضة الصناعية فهو قيام الثورة الكيميائية بظهور المعالجة الكيميائية التي كانت من سوء حظ الصيدليات العادية لأنها استولت على معظم فعاليات الصيدالون وبدأت بممارستها، فهي على نطاق عالمي واسع. وهكذا نرى أن مصانع الأدوية هي التي تسيطر على الأدوية وبدونها، لا يمكن لمهنة الصيدلة من البقاء.⁵

في حقيقة الأمر، فإن "الطب الغربي، الذي يعد اليوم الطب العالمي الوحيد، كان في يوم ما طباً إثنياً، مثله في ذلك مثل الطب الذي تمارسه البلدان النامية إلى اليوم دون انتهاج الملاحظة أو مشقة

¹ نفس المرجع، ص 14.

² رياض رمضان العلمي، مرجع سابق، ص 76.

³ نفس المرجع، ص 76.

⁴ عبد الرحيم عمران، مرجع سابق، ص 55.

⁵ رياض رمضان العلمي، ص 77-78.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

التجريب...فتحن لا نستطيع إنكار قيمة المناهج الأكثر بدائية وتركها لأنها تبدو تافهة في نظرنا، فهناك قبائل افريقية أو هندية مازالت تستخدمها إلى اليوم"¹

إن الإسهامات التي قدمها العرب لأروبا ترجع كذلك "لنك المجموعة من العلماء المستشرقين المتفانين في عملهم. ويرجع الفضل إليهم أيضا في حث العلماء المعاصرين من العرب على البحث والتنقيب في تراثهم. ويبدو أننا مازلنا في انتظار سماع القصة الكاملة للعبقرية العربية الأصلية."²

6.2 الدواء في عصرنا الحالي

في عصرنا الحالي، لا يزال علماء الأدوية يبهرون العالم ببحوثهم في مجال الأدوية "فقد نشر علماء الأدوية والصيدلانيين العرب منذ 1930 وحتى اليوم ما يزيد عن 7,920 بحثا محكما.

وقد كان من أوائل تلك الأوراق ما نشر من الجامعة المصرية في مصر والجامعة الأمريكية في بيروت ومن سوريا. ومنذ 1973 نشرت 7886 ورقة حصلت على 59,666 اقتباساً، أي بمتوسط 7.57 اقتباس للورقة، وهذا مؤشر جيد لنوعية هذه الأوراق...وتظهر زيادة ملحوظة خاصة في السنوات 15 الماضية. ولقد كان عدد الأوراق المنشورة في مجالات علمية عالمية محكمة خلال العام 2010 فقط، هو 500 ورقة. وتتصدر مصر قائمة الدول العربية النتجة لهذه الأوراق حيث يكاد يكون نصف الإنتاج العربي صادراً منها، تليها السعودية ثم الأردن."³

3. العقاقير ومصادرها النباتية:

إن الروح العلمية التي انتشرت خلال عصر الأنوار تنطبق أيضاً على طب الأعشاب الذي جرت محاولة عقلنته. "تم التوصل، في بداية القرن التاسع عشر، إلى عزل المورفين من الأفيون، الستريكين من الجوزة المقيئة والكينين من قشر الكينا. إن مبدأ العنصر الفعال وتطور الكيمياء العضوية الذي أتاح، في كثير من الحالات، تركيب المواد المعتمدة مسؤولية عن نشاط النباتات، سرعان ما قلب مفهوم التداوي بالنبات. أظهرت العناصر المعزولة إمكانية أن تجري معايرتها بسهولة، أن تؤثر بطريقة فعالة وأن تُنتج بكمية كبيرة. هكذا نشطت الصناعة الصيدلانية الجبارة، في حين أن النباتات الطبية التي اعتبرت قليلة الفعالية وقليلة الثقة استبعدت عن علم المداواة القائم."⁴

¹جان شارل سورنيا، ص 16.

²عبد الرحيم عمران، مرجع سابق، ص 52.

³موزه بنت محمد الربان، بحوث الصيدلة وعلم الأدوية في الوطن العربي، مقال متاح على الموقع، سنة 2016. ISI. Web of Knowledge

⁴كاترين دلبر، لاروس، النباتات الطبية العلاجية، دار عويدات، لبنان، 2012، ص 6.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

هناك "الكثير من العقاقير المركبة الهامة كالبنسيلين والايروغوتامين مصدرها نباتي لذلك فإننا نعتقد انه من العيب أن نسعى إلى نوع من المفاضلة بين نمطين من التداوي، التداوي بالنباتات والتداوي بالعقاقير إنما نسعى إليه هو الدعوة إلى احترام حقيقي وواقعي للطبيعة الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال معرفة عميقة ودقيقة بالنباتات الطبية من جهة وبالجسم البشري من جهة ثانية وبالفوائد التي يمكن هذه النباتات أن تقدمه لها.¹ حيث "أنه من الواجب الاستنتاج أن العناصر الفعالة المعزولة وجزئيات التركيب أدت إلى نتائج جانبية لم يكن ليحدثها، عادة، النبات المستعمل بكليته."²

درس بعض الأطباء النباتات الطبية دراسة علمية وسعوا إلى رد الاعتبار لها. نشر ف.ج. كازان سنة 1847 دراسة علمية وعقلانية عن النباتات الطبية التي ظلت، إلى مدى بعيد، الكتاب المرجع لدى المعالجين بالنبات؛ وزاد ابنه وخليفته هـ. كازانفي، الطبقات الأخيرة من هذا المصنف. عرف هنري لوكليير -زعيم المدرسة الفرنسية للتداوي بالأعشاب في القرن العشرين- أن يرسي التطبيق بالأعشاب على قاعدة علمية رصينة لا تقبل الجدل. ألفت عدة دراسات بينها موجز في طب الأعشاب، لا يزال مستعملاً إلى أيامنا هذه.³

4. الدواء والتداوي في الجزائر منذ عهد المغرب القديم إلى وقتنا الحالي

لا شك أن لممارسة الطب في الجزائر تاريخ عريق، تنوع بتنوع الوصفات العلاجية المختلفة الممارسة من ظرف السكان. وقد تنوعت طرق التداوي بتنوع الوافدين للجزائر والمتنافسين عليها. فبفضل موقعها الاستراتيجي وغنى ثروتها الطبيعية جعلها منطقة جذب للكثيرين. تشكل بذلك التمازج، فسيفساء مختلف الثقافات بما في ذلك طرق التداوي والعلاج على مر الزمن، لصد الأوبئة والأمراض التي حلت بها عبر الزمن، بسبب ظروف شتى، كالحروب والمجاعات.

ارتأينا في هنا أن نلقي نظرة عن الممارسات الطبية في الجزائر على مر المراحل التاريخية التي مرت بها. انطلاقاً من المغرب القديم إلى يومنا هذا.

1 حسان قبيسي، معجم الأعشاب والنباتات الطبية، منشورات ببيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002، ص 5.

2 نفس المرجع، 2002، ص 5.

3 كاترين دلبر، مرجع سابق، ص 6.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

1.4 الدواء في المغرب القديم

عرفت الجزائر قديماً بالمغرب الأوسط¹ وهي "إحدى بلدان إفريقيا الشمالية التي عرفت "منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة؛ فاليونان مثلاً كانوا يسمونها ليبيا في حين أن الرومان كانوا يطلقون عليها كلمة أفريقيا؛ على أن هذا اللفظ إنما وضع -أول الأمر- للمنطقة المعروفة الآن بالقطر التونسي؛ لكن سرعان ما عم استعمال هذه الكلمة؛ بلاد المغرب أصبح يفهم من هذا اللفظ بلاد المغرب بأسرها وبعد ذلك افتتحها العرب؛ فعرفت عندهم بجزيرة المغرب.²

سكن الأمازيغ هذه المنطقة التي أطلق عليهم اسم البربر، ثم توالت عليها فترات تاريخية متنوعة بما حملته في طياتها؛ من عصور مختلفة منذ العصر الحجري إلى عصر الفينيقيين متمثلاً في القرطاجيين، وكذا الرومان والوندال والبيزنطيين إلى الفتح الإسلامي. فالجزائر حباها بموقع استراتيجي، أسال لعاب القاصي والداني منذ القدم.

في العصر الفينيقي، كان لتأثير الحضارة الفينيقية على تطور الإنسانية "تأثيراً عظيماً فهم بفضل نزوعهم إلى التجارة والملاحة كانوا همزة الوصل بين الشرق والغرب في الألف الأول، وكانوا نقلة الوسائل الحضارية من كل ما هو مريح للفرد أو ما يُرفه العيش" ويعتبروا "هم الذين أذاعوا الحروف الهجائية."³

تعد مرحلة الاستيطان الفينيقي "في غربي البحر الأبيض المتوسط، تعد متممة للتاريخ الفينيقي في شرقه ذلك لأن هذه المستوطنات كانت تابعة للمدن الفينيقية، وخاصة مدين صور (لبنان) التي كانت تتلقى الضرائب والهدايا السنوية لمعابدها، وتعرف هذه المرحلة أيضاً في التاريخ المغربي بالعصر الفينيقي الذي يمتد حتى القرن السادس ق.م. عندما تسلمت قرطاجة زعامة المستوطنات الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط."⁴

تميز هذا العصر "بالتبادل الاقتصادي والحضاري الذي تم بين المستوطنين وسكان الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بصفة عامة، وسكان منطقة بلاد المغرب بصفة خاصة مما ساعد الفينيقيين على

¹ محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط.4، دار الكتب العربية، 1996، ص 8.

² منفس المرجع، ص 8.

³ ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، تر. محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق، مصر، 1948، ص 402.

⁴ ديوانغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1982، ص 71.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

الاستقرار في المنطقة.¹ وكانت المواد التجارية على الجملة "الفواكه المسكرة، نبيذ الشاطئ، الأقمشة والمطرزات، الجلود، خشب الصنوبر، قار يهودا، بجنور، عبيد، الأحمر الأرجواني، الأحجار الثمينة."² وقد أبدى الفينيقيون اهتمام بالزراعية، وبمعية أهل قرطاجنة اهتموا بزيت الزيتون، حيث كانوا "يستخرجون الزيت أولاً من أشجار الزيتون البرية، ثم زرعوا تلك الشجره لكيلا يحتاجوا إلى استيراد الزيت. وكذلك أدخل الفينيقيون إلى إفريقيا شجرة الرمان."³

2.4 الممارسات الطبية

كانت الممارسات الطبية كباقي الحضارات، ممزوجة بالمعتقدات السائدة آنذاك والتي مفادها أن المرض سببه روح شريرة وقد امتزج الطب بالحرافة والسحر على مر العصور. فقد عبد الإله أشمون على غرار الإله إسكولاب، للحصول على الشفاء حيث اعتبر "أفخم معبد في قرطاجنة كلها معبد الإله إشمون Eshmum فهو رب الثروة الصحة."⁴

كانت الأضاحي تقدم كقرايين لهذا الإله لهذا الغرض، ومما يؤخذ على الفينيقيين أنهم كانوا يعبدون الأوثان ويضحون بأولادهم عند الضرورة، في سبيل إرضاء آلهتهم المتعددة واستمطار رحمتهم.⁵ فجد في فكرهم "نقط شبيهة بأساطير الأديان اليونانية، ويرجع هذا التشابه إلى تأثير الأفكار الشرقية في تكوين مجموعة الأساطير اليونانية."⁶ وقد استعان الفينيقيون بالنظافة للوقاية من الأمراض من خلال الطقوس اليومية المستمدة من عند الكنعانيين كطقوس الاغتسال بالماء والتي كان "يقوم بها المتعبد أو الكاهن الكنعاني وكان الاغتسال والتطهير يجري وفق أربعة أنواع معروفة هي الماء: حيث التطهير بالمادة الأساس، وكانت من المعتقدات السائدة أن عملية التطهير بالماء ترضي الآلهة وترسل المطر إلى الأرض."⁷

وتتحلى أهمية الاغتسال بعد الحرب على الخصوص، حيث "كان الاغتسال والتطهير بعد الحرب ضروري جداً لأنهم يعتبرون الحرب جريمة لا بد من غسل أثارها. وكانت طقوس التطهير تجري

¹ محمد الصغير غانم، مرجع سابق، ص 71.

² ج. كوننتو، مرجع سابق، ص 328.

³ نفس المرجع، ص 307.

⁴ ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، تر. محمد بدران، المجلد 3 ج 1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1950 صص 88، 89.

⁵ ول وايريل ديورانت، مرجع سابق، ص 38.

⁶ ج. كوننتو، الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص 152.

⁷ خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص 255.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

لغسل البيت بجميع غرفه وجميع محتوياته وما تحتها. وكانت هناك أنواع أخرى من الاغتسال كانت تتم بقصد الوقاية من الأمراض ووضع حد للأوبئة والأرزاء، كما أن التكريس بالماء يساعد على طرد الأبالسة وإبعاد السرية (المحظية)، التي يبدو عليها الختل والكذب.¹

واستعملوا المساجات أو التدليك بالزيت، حيث "لم يكن طقس الدهان بالزيت (التمسيح) مقصوراً على الملوك، بل كان يقوم به الإله أيل شعب. كذلك كان اللون الأرجواني مفضلاً من ناحية سحرية ضد بعض الأمراض ولاسترضاء الآلهة"² و"لم يكن طقس المسح بالزيت طقساً مقتصرًا على الملوك والكهنة في بداية ظهوره عند الكنعانيين فقد كان طقساً عاماً لعامة الشعب يقوم به الإله إيل تبدياً هيئة الشخص لكيلا يقع عليه الشقاء. كذلك كان (دهان الرجوان) مفضلاً عند الكنعانيين سحرياً ضد بعض الأمراض أو استرضاء لبعض الآلهة... وكان الزيت يحفظ في أوعية خاصة وربما كان القرن يستخدم لحفظ الزيت وهو قرب حيوان كبير مجوف تماماً من الداخل."³

واستعانوا بالنار التي "كانت النار أعظم وسائل التطهير، فالذبائح تطهرها النار، والمعادن تطهرها النار عند ما تصهر فيها، وكانت النار وسيلة التبخير، وكان طقس التطهير بالتدمير يجري عادة عن طريق النار"⁴ وجعلوا أعياد (طقوس دورية للآلهة رشف وإشمون)⁵ و"تأثر الفينيقيين بالطبيعة وظواهرها المختلفة كالبرق والرعد والمطر والفيضانات والزلازل وغيرها مما جعلهم يتخذونها كآلهة يقدمون لها القرابين والأضحية البشرية تقرباً إليها وخشية ورهبة منها. ويلاحظ وجود فكرة الحياة بعد الموت في الديانة الفينيقية أسوة بباقي الأديان القديمة."⁶

في أوائل القرن الثالث ق.م. كانت تقدم الحيوانات كقرابين حيث "ررد في النقوش أسماء لبعض الحيوانات التي كانت تقدم كقرابين للإلهة مثل الثيران والخراف والكبش والأغنام والطيور أما الخنازير لا يصلح كأضحية لأنه غير نظيف."⁷

يرى البعض أنه في بداية قدوم الفينيقيين للمغرب القديم، كانت العلاقة بالوافدين الجدد "حتى القرن الرابع ق.م. مبنية على التعاون السلمي والاتصال الحضاري والاقتصادي. أما بعد هذه الفترة

¹ نفس المرجع، ص 255.

² نفس المرجع، ص 255.

³ نفس المرجع، ص ص 255 و 256.

⁴ نفس المرجع، ص 256.

⁵ سلمى السعيد، نفس المرجع.

⁶ أحمد الريفي الشريف، المعتقدات الدينية الفينيقية، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) المجلد السابع، العدد الأول 2008، ص 23.

⁷ عبد الحفيظ فضيل الميار ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية، مجلة آثار العرب، العدد (11). (12) مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة

طرابلس 1999 ص 17.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

المشار إليها فقد بدأت العلاقة السياسية بين القرطاجيين والسكان المحليين تسوء شيئاً فشيئاً¹ وسقطت بعد ذلك قرطاج.

وكان المغاربة "حتى القرن الثالث ق.م. لازالوا يعيشون على النظام القبلي. كما أنهم كانوا يفتقدون آنذاك إلى الوحدة السياسية، ولا يتقيدون بنظام سياسي ضمن المدينة الواحدة ولم يتوفر لهم ذلك عندما استبدلوا النظام القبلي بالنظام الإقليمي تحت زعامة الأقليد (الملك)."² ولا شك في أنهم استفادوا من العلاجات التي كانت تستخدم من طرف الفينيقيين الوافدين.

بعد سقوط قرطاج، اجتياح الرومان الجزائر بغرض الاستيطان، فكانت سياستهم "تعتمد على السيطرة وتهدف إلى تحويل المغرب القديم إلى مستعمرة، تخدم الاقتصاد الروماني وحده وتشبع رغبته العسكري الرومانية. ولذلك نجد أن الرومان كانوا قد نفذوا إلى المناطق الداخلية، وبنوا مدناً وقلاعاً عسكرية لا زالت آثارها تُشاهد حتى وقتنا الحاضر. وقد كانت بلاد المغرب في العهد الروماني تعرف بأهراء روما للقمح (Greniers de Rome)"³ أي مخازن الغلال.

وأنشئت شبكة للطرق والتي كان الغرض منها "النفع التجاري. كان الطريق الرئيسي يتجه نحو العرب من سرتة إلى القيصرية عاصمة موريتانيا (مراكش)؛ وهنا نشر الملك جوبا الثاني أساليب الحضارة بين الموري Mouri أي السود (المغاربة) الذين اشتق من اسمهم اسم الإقليم في الزمن القديم واسمه في هذه الأيام"⁴ حيث امتد حكم جوبا 48 عاماً، بفضل تعلمه للثقافة الرومانية بعدما عينه أغسطس على موريتانيا.

لا شك في أن الرومان حملوا معارفهم الطبية معهم، كما استفادوا مما خلفه الفينيقيين، واستفادوا من معارف السكان الأصليين. وكما سبق وأن أشرنا في الدواء عند الرومان والإغريق، أن الرومان قد تأثروا بالإغريق وتطور مفهوم الطب عندهم، وساهم ظهور المنطق العقلي والأفكار الهلينية في هذا التطور، أفكار تبرز "للدارس لأعمال الفلاسفة اليونانيين، ليصل إلى معلومة طريفة ذات صلة بالفكر

¹ محمد الصغير غانم، مرجع سابق، ص 120.

² نفس المرجع، ص 120.

³ نفس المرجع، ص 103.

⁴ أول وايريل ديوراننت، قصة الحضارة قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، تر. محمد بدران المجلد 3 ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1950، ص 35.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

الأثروبولوجي، وهي أن اليوناني ينقد أخذوا الكثير من الحضارات التي سبقتهم، حيث امتزجت فلسفتهم بالحضارة المصرية القديمة، وبالأخص ما يعرف عنها في التاريخ باسم الحضارة الهيلينية.¹ كان من المفكرين المتأثر بهم في تلك الحقبة، جالينوس وأبقراط، وقد تطرقنا لكلا المفكرين فيما سبق حيث انتشرت نظرية الأمزجة أو الأخلاط في عهدهما.

احتلت روما بلاد المغرب لمدة خمسة قرون، استفاد علماء المغرب من علوم الرومان في مجال التداوي ومنهم يوبا الثاني Juba II أكبر ملوك البربر (زوج الأميرة كليوبترا ابنة أنطون، وكليوباترا ملكة مصر) كان يوبا حاد الذهن، ثاقب الفكر، عارفاً بما له من الحقوق وما عليه من الواجبات نحو وطنه، وقد بذل جهوداً كبيرة-شأن الملك ماسينيسا من قبل-لتنشيط الحياة الاقتصادية واستثمار الأراضي الفلاحية بالوسائل العصرية... كان فناناً مولعاً بدراسة الهندسة، ميالاً إلى وضع التصميمات العمرانية الفنية الدقيقة. ولقد جعل من مدينة شرشال قاعدة ملكه، وسماها بالقيصرية Cesarea باسم الإمبراطور القيصر²

وقد ألف يوبا كتب عديدة ضاعت مع الأسف. للإشارة فإن بلين قد ألف كتاب، يبين فيه النباتات المستعملة في تلك الحقبة، حيث يرجع البعض إلى أن نبات ايفوربيا Euphorbia /Euphorbe* اكتشف من طرف يوبا الثاني.

كما وجدت تماثيل تجسد أطباء في تلك الحقبة "يعالجون مرضى، وفي نفس الوقت التقرب ببعض الطقوس من أجل الشفاء ودفع الشر، كما وجد هناك أطباء بربر حسب ما بينته إحدى الرسومات الفسيفسائية بجنوب باتنة، التي هي عبارة عن رسم لطبيب بربري يفحص نبض مريض آخر بيده."³

وتميزت هذه الحقبة، بالعلاجات الحموية، حيث كانت الحمامات كمرافق صحية تتميز بتقسيمات تراتبية وهي: قاعة خلع الملابس apodyterium، قاعة الاستحمام بالفاتر Tepiderium، قاعة التعريق، قاعة الاستحمام بالحر Cladarium لإزالة العرق، قاعة الاستحمام بالبرد Figidarium وهي القاعة الأكثر بذخاً. ولغرض شد العضلات وتقويتها، وتكون مسبوقة في كثير من الأحيان بقاعة الحركات

¹حسين فهميم، قصة الأثروبولوجيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 38.

²محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، 1996، ص ص 80 و81.

* ينظر: Leclerc L. L'euphorbe et le roi Juba. Revue Africaine, N° 27, 1861, pp239-240.

³Mostafa Khiati, la médecine en Algérie au cours de la période Ottomane (XVI-XIX siècle), édi. Houma, 2013, p20.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

الرياضية Palaestum. وأخيراً قاعة الدلك بالزيت Elaeothesium ويكون التدليك بزيت الزيتون لغرض جمالي وصحي.¹

العلاج بمياه العيون كان "واسع الانتشار وكانت العيون الحارة الكبرى معاهد للعلاج والاستشفاء. وقد جمع شارميس Charmis المرسيلى ثروة طائلة بإدارة حمامات باردة. وكان المصابون بالسل يرسلون إلى مصر أو شمالي إفريقية. وكان الكبريت يستخدم لعلاج الأمراض الجلدية ولتبخير الحجرات بعد انتشار الأمراض المعدية. وكانت العقاقير آخر ما يلجأ إليه الناس من وسائل العلاج، ولكنهم كانوا يلجئون إليه في كثير من الحالات، وكان الأطباء يصنعونها بأنفسهم بطرق يحتفظون بسريتها ولا يطلعون الجماهير عليها، ويبيعونها بأعلى الأثمان التي يطيقها المرضى.²

وكانت مثلاً بلدة تيمجاد Thomugadi، التي تكاد تحتفظ بآثارها "فيها الشوارع المرصوفة المعمدة، والمجاري المسقفة، وفيها قوس نصر ظريف، وسوق عامة، وبناء مجلس الشيوخ، وباسلقا وهياكل، وحمامات، وملهى، ومكتبة، وبيوت خاصة كثيرة. وقد عثر في أرض السوق على لوحة للعب الداما نقشت عليها هذه العبارة: Venari, lavari, rider, hoc est vivere ومعناها: الصيد، والاستحمام، واللعب؛ والضحك، هذه هي الحياة.³

من مساهمات روما مع ماسينيسا تطوير الزراعة فمثلاً "كان الوادي ينتج كميات من زيت الزيتون بلغت من الوفرة حداً أدهش العرب حين قدموا إلى هذه البلاد في القرن السابع، إذ وجدوا أن في وسعهم أن ينتقلوا من طرابلس إلى طنجة دون أن يتعدوا عن ظلال أشجار الزيتون"⁴

في القرن الخامس سقطت السلطة الرومانية و"ظهرت في الجزائر عدة وحدات سياسية كانت عبارة عن كونفدراليات قبلية، نجدها في ناحية تلمسان، في الونشريس، في الحضنة، في الأوراس والنمامشة وفي غيرها من الجهات. لقد ظل هذا التفكك قائماً رغم محاولة الوندال والبيزنطيين إعادة توحيد المنطقة تحت سلطتهم، بعد فترة وجيزة والتي تمت نتيجة الفتوحات الإسلامية.⁵ وللإشارة، فقد كان اجتياح الوندال للجزائر عام 431م، أما الغزو البيزنطي، فكان عام 543م. أثر هذا التفكك على الصحة العامة للسكان، بسبب تدني المستوى المعيشي والصحي.

¹ عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008 ص ص 267-268.
² ول وإيريل ديوران، قصة الحضارة قيصر، تر. محمد بدران 10 المجلد 3 ج 2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1950 ص 197.
³ ول وإيريل نفس المرجع، 11 ج 3، 3 ص.
⁴ ول وإيريل ديوران، قصة الحضارة قيصر، تر. محمد بدران 11 المجلد 3 ج 3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1950، ص 31.
⁵ صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي، الألفية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 14.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

كما ظهرت دول إقليمية بالمغرب الأوسط كالدولة الإدريسية العلوية ودولة الأغالبة والدولة الفاطمية. بعد الفتوحات الإسلامية، دخل الطب إلى حواضر افريقية على عهد الأغالبة وكان آنذاك أحد فروع الفلسفة كإسحاق بن عمران البغدادي وهو "مؤسس الطب في تونس شيخ أطبائها جميعاً، عرف باسم ساعة لسرعة إبرائه المرضى. كان من أطباء بغداد وسامراء في أيام الخليفة المعتمد على الله (870-892) ...عاصر من الأطباء في بغداد بختيشوع بن جبرائيل وحنين بن إسحاق وغيرهما."¹

لحق الضعف بالدويلات التي كانت الحروب مسرحاً لها كدولة بني حفص وبني زيان "وروابط محطاته التي كانت لا زالت تطبع المجتمع المغربي، قد أدت إلى انفصال العديد من القبائل وظهور إمارات ترفض الخضوع لأية سلطة مركزية. إن وضعية التفكك السياسي، التي عرفتها الجزائر في أوائل القرن السادس عشر، والتي وصفها بعض المؤرخين 'بالفسيفساء السياسية' ووصفها البعض الآخر 'بالفسيفساء الإقطاعية'، لا تختلف كثيراً عن الأوضاع التي عرفها المغرب في العديد من محطاته"² آنذاك. وهذا ما جعل تشابه بعض الصفات العلاجية عند معظم القبائل وذلك بعد انتقالها إلى منطقة أخرى.

لا شك في أن الهجرة من بلاد الأندلس، منذ 1492م، قد ساهمت في تنوع الطب في الجزائر. فبسبب الحروب الصليبية واجه المسلمين في الأندلس، صعوبات كبيرة، دفعت الكثير من العرب واليهود، أو ممن فروا من الحروب والمضايقات الإسبانية، إلى توجه بعضهم إلى الجزائر. وقد بلغت الهجرة الأندلسية أوجها، إثر قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك الإسباني، فيليب الثالث عام 1609، وبلغ عدد الفارين سنة 1611م، حوالي 275 ألف مهاجر، منهم من انتقل مباشرة إلى المغرب ومنهم من فر عبر جبال البرانس وفرنسا."³

من بين البلدان التي برز فيها هؤلاء المهاجرين وعلى الخصوص، بجاية وتلمسان، نظراً لمكانتهما العمرانية حيث أضحت المدينتان منارتين للإشعاع العلمي والحضاري بالإضافة إلى نشاطهما الاقتصادي بفضل الوافدين الجدد الذين كان أغلبهم من الفقهاء والعلماء وأصحاب الثروة والجاه"⁴، وقد سمي هؤلاء المهاجرون بالمورسيكيين الأندلسيين.

¹ رحاب خضر عكاوي، مرجع سبق ذكره، ص 274.

² صالح عباد، مرجع سابق، ص 14.

³ نفس المرجع، ص 30.

⁴ حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 12.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

فبعد سقوط غرناطة 1492 وهجرة الأندلسيين، أخذ التحرش الإسباني طابعاً دينياً، فكان من العوامل الخارجية التي أدت في الأخير إلى التدخل العثماني في الجزائر. تلك هي المعادلة التي عاشتها الجزائر أواخر القرن 15 ومطلع القرن 16م، تفكيك سياسي، وافتقار إلى سلطة مركزية وغزو أجنبي وأنعدام الأمن... مما استدعى الاستنجاد بالإخوة بارباروس، اللذان تمكنا من فتح مدينة جيجل¹.1514

فكان للمورسيكون الأندلسيون "دور فعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر وبتقديم المساعدات للأتراك وذلك من خلال التصدي للحملات الإسبانية المتكررة من جهة والمساهمة في القضاء على تمردات الإيالة المحلية بالجزائر من جهة أخرى"² وكذا وفي إثراء العلوم على وجه الخصوص.

من أبرز علماء تلك الحقبة، "ابن زهر بن عبد الملك الأشبيلي (ت 1161/هـ 557م)". فالجدير بالذكر أن معظم مصادر العلوم الطبية التي انتشرت في ربوع الأندلس، كانت من مؤلفات علماء بغداد في المشرق وحواضر الدولة العباسية، أي أنها كانت عربية المصدر من أعمال حنين بن إسحاق وأبي بكر الرازي والجوسي وابن سينا ومن طبقتهم، أو كانت مترجمة من أبقراط وجالينوس وروفس وديوسقوريدس، وهي الترجمات التي وضعت في بيت الحكمة.³

وبالرغم من أن علماء الأندلس لم يعرف أنهم "قد عملوا في ترجمة المخطوطات الأصلية إلى العربية عدا... كتاب ديوسقوريدس في الأعشاب. ولكن الأطباء الأندلسيين سرعان ما أضافوا إلى هذا التراث الضخم الوارد من المشرق العربي الإسلامي ما استحدثوه من أعمالهم وتجاربهم واكتشافاتهم وخصوصاً في علم النبات وعلم الجراحة والصحة العامة ومفردات الأدوية والأغذية."⁴

3.4 الجزائر في العهد العثماني

كانت "الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وهي فترة الحكم التركي في الجزائر، فترة تحولات جذرية في أوروبا، نقلت معظم بلدان هذه القارة من ركود العصور الوسطى إلى حيوية العصور الحديثة، بنهضتها وثورتها الصناعية، التي مكنت

¹صالح عباد، مرجع سابق، ص31.

²حنيفي هلايلي، نفس المرجع، ص12.

³رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص308

⁴نفس المرجع، ص308

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

القارة من السيطرة على كل أرجاء العالم تقريبا.¹ أما في الجزائر فكان الوضع مختلف كما أشرنا سابقاً، وبتلك الأوضاع السائدة في تلك الحقبة، نكونت إيالة الجزائر بعد دخولها تحت الحماية العثمانية، التي كانت حكومتها عسكرية بالدرجة الأولى. وأصبحت الجزائر تابعة للدولة العثمانية.

في مجال الصحة والطب "لم تخطط السلطات العثمانية بداية لتوفير خدمات صحية سكانية واسعة (رغم أهمية ذلك في التعاليم الإسلامية، فقد أصبحت المستشفيات مجرد مؤسسات خيرية بدلا من أن تركز إمكاناتها لفن الشفاء). وبدلا من ذلك ركزت السلطات على الإصلاحات الصحية والحجر الصحي لحماية الجيوش من الأوبئة."²

عرفت الرعاية الطبية توسعا في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909) "كتدابير الصحة العامة في الأقاليم العربية-فزادت على سبيل المثال-عدد المستشفيات على مستوى البلديات، وضاعفت وظائف أطباء الصحة المدنية، ومواقع عملهم، لتجنب الكوليرا والأوبئة المعدية الأخرى التي تأتي بها السفن الأجنبية."³

وخلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ظهرت المستشفيات المجتمعية التي أنشأها المبشرون المسيحيون، وعززت هذه المستشفيات بشكل كبير في توفير الرعاية الصحية، وخاصة في الجزء الجنوبي من بلاد الشام، وبذلك يقدم المشرق الأصالة التي أدخلت الطب الحديث والصحة العامة من دون ضغط من قوة خارجة.⁴ يقول أبو القاسم سعد الله عن هذه الفترة "كانت العناية بالعلوم الطبية أكبر من العناية بالعلوم الأخرى، ما عدا الفلك خلال العهد العثماني."⁵ وكان من اهتم بصحة الأهالي الباي محمد الكبير.

ومن بين تلك الفنون لممارسة العلاج، يمكن التمييز بين:⁶

- الطبيب من الممارسين العاديين.

- الحكيم، وهو طبيب عالم، اكتسب سمعة واسعة وتوفر له التعليم في الصنعة.

- الجراح، الذي يمارس الجراحة.

¹حنيفي هاللي، مرجع سابق، (ملخص الكتاب).

²اليزابيت لونغنيس، سيليفيا شبقولو، نبيل قرنفل وعمر دوه جي، الصحة العامة في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 419، 2014 ص 10.

³اليزابيت لونغنيس، نفس المرجع ص 11.

⁴نفس المرجع، ص 11.

⁵سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1500، ط.1، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 416.

⁶Larbi Abid.La pratique médicale de 1830 à nos jours, Édition : ANEP Algérie, 2008, p 8.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

- القابلة: غالباً ما تعامل المرأة كطبيبات أو (القابلات التقليديات). يمكن للرجل الطبيب معالجة امرأة لكن إلا في حالات استثنائية كالعجز الجنسي. كما أن هناك نساء طبيبات وذلك يتم بناءً على طلب من زوجها.¹

"إن خبرة هؤلاء النسوة كانت بالغة بخصوص عمليات الولادة فهذه الطرق كانت بدائية محضة، والملفت للانتباه أن جميع النسوة كن على دراية بالعقاقير والأعشاب الطبية المستعملة، فكل واحدة منهن تتعلمها من والدتها ومن نساء أخريات كبيرات في السن."²

يقول ابن خلدون عن القابلة "وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة (...). وما ذلك إلا لأن بدن الإنسان في تلك الحالة إنما هو بدن إنساني بالقوة فقط، فإذا جاوز الفصال صار بدنًا إنسانياً بالفعل، فكانت حاجته حينئذ إلى الطبيب أشد فهذه الصناعة كما تراه ضرورية في العمران للنوع الإنساني."³ ويصف أيضاً كيفية تدبيرها للحالات المقلقة أثناء الوضع وبعض الوصفات المتعلقة بالأمومة والطفولة، "كأن لا يظهر الطفل في موقف رأسي، فضلاً عن معالجة تشققات الثدي بمسحوق ناعم جداً من الحناء أو الشب (الشبة) التي تضاف إليها بضع قطرات من ماء الزهر البلدي."⁴

4.4 الممارسة الطبية

وعن طرق العلاج الناجعة في الجزائر قديماً، يصف يورغن يوهان البريشت فون شونبيرغ (طبيب دنماركي ولد عام 1782 بجزيرة سييلاند) طرق علاجية كانت تتخذ في غداة الاستعمار 1830:

"لا شك وبشكل مطلق، أن للعرب طرقاً وأدوية ناجعة في معالجة أمراض معينة بالجزائر وفي مناطق أخرى من البلاد. وقد تأكد الدكتور أسانسي (Assensi) من ذلك، ولا سيما فيما يتعلق بأمراض النقرس والمفاصل وأوجاع الحصوة. وروى لي بإخلاص أنه عالج عدداً من المرضى لفترات طويلة، لكنه لم يصل إلى أية نتيجة محسوسة، فانقطع عنه المرضى، وذهبوا للعلاج في المناطق الجبلية... وقد شفوا كلهم تماماً... ولم يكن في وسع الدكتور أسانسي إلا أن يعترف، بما للمناطق الجبلية من أثر في العلاج."⁵

¹Ibid. p9.

²أبو القاسم سعد الله، مرج سابق.

³عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط.1، دار الفكر، بيروت، 1978، ص 412.

⁴Larbi Abid. Op.cit. p11

⁵أ.ف. شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، تر. أبو العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2004، ص59.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

كما يصف طريقة الحروز بوصفه لها بالأدوية السرية بقوله: "بفضل الأتراك والعرب والحضر القسم الثاني في الطب، فالأدوية السرية هي الأهم عندهم، حيث تمثل الأدوية الداخلية وفي مثل هذه الحالة فالمريض يصف مرضه فتقرأ تعاويذ معينة، وكلمات مهمة قد صبغت بألفاظ غامضة تلفظ، وآيات قرآنية تختار وتكتب أو تطبع وتقطع قطع صغيرة ثم توضع في حرز يعلقه المريض حول عنقه."¹

وهذه الأدوية السرية من أهم الطرق العلاجية التي وردت في الطب القديم وفي مختلف الحضارات كما رأينا سابقاً، حيث كانت "أدوية القدماء العوذ والأحجبة والتائم، والرقي من أنواع السحر والطلاسم التي لا تزال نرى بعضها شائعاً إلى اليوم."² ويعرف بول غليونجي (1987-1908) (Paul Ghalioungui) التعاويذ "بأنها الصيغة اللفظية التي يتلوها سادن السحر عند القيام بخدمته وأنها بشكل عام تتصف بالجمود وعدم القابلية على التغير. وقد عدت أهم أركان السحر ومركز القوة الفعالة فيه، وتلك القوة منحصرة في صيغتها اللفظية"³ وهذه الطرق العلاجية التي يرى البعض من أنها تندرج في الطب السحري بطقوسه السحرية حيث "يتناول كافة أشكال المعالجة غير المنطقية للعقل الحديث التي لا تقوم على أسس علمية (تعاويذ-تائم-طقوس سحرية-صلوات-ترايين-عقاقير سحرية من هذا المنطلق كانت المادة المقدسة ستغطي حيزاً مكانياً زمانياً واسعاً"⁴

فكان "للمصريين والآشوريين واليونان رقي وخرافات هي غريبة في باهما، واتصل كثير منها بالعرب، وكانت عوذة الرومان ضرباً من الفطر يعلقونه على صغارهم وقاية لهم. ولقد قال الشاعر فيرجيل الروماني يصف نحول قطع لبعض رعاة عصره أصيب بالعين إن عيناً شريرة رمت خرافي بسهامها، فأصابتها وغادرتها قضافاً لم يبق منها غير جلد على عظم"⁵

كما "كانت التعاويذ والرقي (siptu) من الوسائل الناجعة في وادي الرافدين وكانت توضع لطرد الأرواح الشريرة المؤذية والشياطين التي تسبب الأمراض الجسدية والعقلية للأفراد، كما كان يقصد منها إبطال أثر السحر الذي يمارسه السحرة... ووجرت العادة في التعاويذ أنها تتلى في أثناء إجراء بعض العمليات السحرية أي مصاحبة لمثل هذه العمليات مثل التبخير وسكب الماء ورشه."⁶

¹ أ. ف. شونبيرغ، مرجع السابق، ص 51.

² إسكندر عيسى معلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مرجع سابق، ص 46

³ أسامة عنان يحيى، مرجع سابق، 224.

⁴ نفس المرجع، 19.

⁵ إسكندر عيسى معلوف، مرجع سابق، ص 47.

⁶ أسامة عنان يحيى، مرجع سابق، 225.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

وكانت تنقش على هذه التعاويذ نصوص كثيرة "بهيئة عوذ من الحجر تعلق بهيئة دلايات في رقاب الأفراد وخصصت طائفة منها للأطفال درءاً لخطر أضرار الشياطين"¹ و"كان الكنعانيين على غرار العراقيين والمصريين القدماء رأوا وجود التعويذة إلى جانب العلاج كفيل بزيادة فاعليته العلاجية"² اعتبرت هذه الوسيلة، من الوسائل التي كانت "تستخدم في علاج الأمراض لاسيما التي تسببها القوى الشريرة من الأرواح الشريرة والعمفارية والشياطين هي الرقى والتعاويذ والتمايم."³

لكن الرقية الشرعية التي جاء بها الإسلام، والتي تعتمد على القرآن والسنة، تختلف عن غيرها، فهي مبينة وموضحة وتحتاج لبحث خاص يتناولها. "استرشاداً بقول الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الإسراء الآية 82 وكذلك بعموم إجازة النبي صلى الله عليه وسلم الرقي بما ليس فيه شرك، كما في قوله ﷺ «لَا بَأْسَ بِالرَّقِيِّ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ» (أخرجه مسلم (2200)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَا أَرَى بَأْسًا مِّنْ اسْتِطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»⁴ أخرجه مسلم (2199).

أ. العمليات الجراحية:

وكان للجراحة العربية سمعة كبيرة في علاج الجروح والكسور، وكذلك في عمليات البتر. حيث كانت "تعالج الأمراض الجراحية بطرق ثلاث، فكسور الرجل إما أن تحجر بضمادة خاصة، وإما أن تقطع الرجل، وإما أن تكوى بالحديد الساخن. وقد عرفت الطريقة العربية في معالجة الكسور عن طريق المجلة الطبية اللندنية عدد 61 ص 175.⁵ حيث تصف المجلة طريقة التجبير على النحو التالي:

- "يصب الجبس أولاً تحت الرجل إلى أن يرتفع، بعد ملء الأماكن غير المستوية ويلاسر الجانب الأسفل من الرجل ويصبح بمثابة سند لها، وتوضع في الوقت نفسه قصبات، تتعد عن بعضها بعداً متناسباً، بحيث تستطيع بواسطة الجبس أن أي مجرى سائل يمكنه أن يجتمع في غلاف الجروح أو غيره. وعندما يبس بعد فترة قصيرة، تغطي الرجل كلها بالجبس، فيتكون غشاء جبسي، يتيح للرجل أن

¹ نفس المرجع، ص 225.

² نفس المرجع، ص 303.

³ نفس المرجع، ص 224.

⁴ الجريسي، خالد بن عبد الرحمن بن علي الرقية الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، سلسلة زاد المؤمن، ط9، الرياض 2013، ص 12

⁵ أ. ف. شونبيرغ، نفس المرجع، ص 52.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

تكون في وضع طبيعي قدر الإمكان. وبعدئذ يحدث شق أو مجرى في سطح الجبس يسمح للسوائل بالمرور.¹

ويبدو "أن البارون لاري Larry قد تأثر بالطريقة العربية عندما دعا في باريس قبل... إلى معالجة العضو المكسور عن طريق الضمادات المشبعة بمادة لاصقة، فالطريقتان تقومان على الأقل على فكرة واحدة"²

ب. الفصد: يرى البعض أنه "في الحقيقة ليست فصدًا، وإنما هي نوع من التشريط، ويستعملونه في أماكن مختلفة من الجسم وخاصة على الجنب وفي الصدغين والرجلين بل القدمين ويجرون هذه العملية بواسطة موسى حلاقة حادة."³

ج. المعالجة المائية⁴ Le thermalisme

يقول الدكتور عبيد: منذ القدم، استخدمت الينابيع الساخنة من قبل السكان الأصليين في الجزائر كما أشار إلى ذلك Dunod Pinat، إلى استخدام المياه المعدنية سنة 1911، فكانت هذه المصادر الحرارية، التي يعود استخدامها إلى العصور القديمة كما ورد في أعلاه في عهد الرومان. فهذه المعالجة الحموية بدائية واستخدمت بحكمة. ومن بين هذه الحمامات الأكثر شعبية في الجزائر: حمام برواقية، حمام برادعة، حمام بوحجر، حمام بوقرة، حمام حنيفية، حمام ببيان، حمام قرقور، حمام أولاد مسعود قرب ولاية قالمة، حمام ملوانة، حمام المسخوطين حمام أو لاد المضلم بالقرب من الحدود التونسية، حمام ريغ، حمام الصالحين، حمام سيدي بو عبد الله على، وما إلى ذلك. وقد استخدمت بالفعل بعض من قبل الرومان كما يدل على ذلك العثور على رفات في الموقع، كانت معروفة من قبل السكان المحليين الآخرين فقط.

وهناك العديد من الممارسات في الطب الشعبي في الجزائر، كالتدليك أو المساج (التكياس، التفراك) وغيرها لا يتسع المجال لذكرها كلها، نظراً لتعددتها وتنوعها، لذلك، أشرنا للبعض منها.

¹ نفس المرجع، ص 51-52.

² نفس المرجع، ص 51-52.

³ نفس المرجع، ص 53.

⁴Larbi Abid. Op.cit. p

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

إلا أن هناك ادعاءات وأراء ترى بأن "الطب الحديث هو وريث للطب الاستعماري الذي بدأ مع الجيش الفرنسي، والذي قام بتثبيت المستشفيات للمرة الأولى في 1831 وخصوصاً مع إنشاء كلية الطب في الجزائر، شهر أغسطس 1857، لتصبح كلية في شهر يونيو 1909.¹" ولكن بنظرة شاملة عن المخطوطات الطبية في الجزائر، تثبت بأن أسلافنا ساهموا في ميدان العلوم الطبية من خلال مما تركوه لنا سواء في المكتبات الخاصة أو في المكتبات العمومية وفي ما يلي أبرز علماء الجزائر في ميدان التداوي

—عبد الرزاق بن محمد بن حمدوش الجزائري² Abd AL-Razak AL-Gazaeri ولد نحو 1107 هـ 1195/1695م 1780م، وهو مؤلف كتاب (كشف الرموز في بيان الأعشاب). الذي قال فيه المستشرق لوسيان لكلكارك Lucien Leclerc: إن كتاب كشف الرموز اختصره مؤلفه من كتب المفردات وزاد عليه بعض الأدوية الجديدة التي أدخلها الأوربيون بأسمائها المعروفة أو المحلية، فقد نقل عن داود الأنطاكي، وعن ابن البيطار، وابن سينا، بل يمكن القول بأن كشف الرموز، هو مختصر تذكرة داود، ورتبه على حروف المعجم. ثم قال لكلكارك مترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية: إن عبد الرزاق لم يكشف بالنقل، بل إنه ذكر المفردات التي لم يذكرها غيره، وهي التي أدخلت إلى الجزائر بمعرفة الأوربيين مثل:

1. عود الأنبياء عود الصليب Le Gayac 2. بلو صانوصا صفراس Le Sassafras

3. صبرين، وهي المسماة عشبة Salspareills 4. ينكيه Quinquine.

وقد أطل المؤلف الكلام على هذه المفردات، مما يعد صفحة مفيدة في تاريخ مفردات الأدوية، وقال: ومما ينسب إلى عمل المؤلف عبد الرزاق نفسه، ذكره أيضاً لبعض المفردات التي لم تكن معلومة، بعضها محلي، والبعض مستعار من التركية، أو البربرية، بل من الأوربية نفسها، وذكر جميع مفردات الأدوية المستعملة في العلاج في عصره عند العشابين الوطنيين

¹Ibid. p.5

²نفس المرجع، ص 113.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

يحتوي المؤلف، على ألف مفرد. وقد طبع الكتاب بالجزائر طبعة حجر، وترجمه لكلاارك إلى الفرنسية، أولاً في باريس سنة 1874 في 397 صفحة، كما طبع على القاعدة المغربية على ذمة احمد بن مراد التركي، ومعه فهرست ألفاظه وترجمتها إلى اللغة الفرنسية في الجزائر سنة 1321 في 191 صفحة. طبعته مطبعة ديلورد بوهيم ومرنيال باعتناء المستشرق جريب كولين سنة 1905م.

-أحمد ابن قاسم بن محمد -لساسي البوني التميمي 1653-1726 في مؤلفه (العلم أهل القريحة في الأدوية الصحيحة) و(مبين المسارب للأكل والطب مع المشارب)؛ خليل بن إسماعيل الجزائري (الذخائر النفيسة لدفع الأمراض العويصة)؛ احمد بن بلقاسم وغيرهم من المعروفين في هذا المجال.

وقد اعتمدوا في مؤلفاهم على ما جاء من هدي النبي ﷺ في الطب النبوي، وكذا نظرية الأمزجة "اعتمد الأطباء على نظرية أبقرات في الأخلاط والأمزجة، وهي ترتبط بنظرية يونانية طبيعية هي نظرية العناصر الأربعة التي ترجع إلى الفيلسوف أنبادوقليس، الذي يرى أن العالم يتألف من النار والهواء والماء والتراب، وكان هو نفسه طبيباً ومؤسساً لمدرسة صقلية الطبية كما نجد عند متأخري الفيتاغوريين، النظرية الأنبادوقلية في العناصر الأربعة مرتبطة بالأضرار وهي: الحار والبارد، والرطب واليابس وقد لخص أحد أطباء الإسلام وهو الأزرقى* هذه الكليات الفلسفية."¹

كما ذكر الأخلاط الأربعة التي نلاحظ وورودها في مختلف مؤلفات الأطباء المعتمدين على أبقرات في معالجاتهم للصحة. فقال الأزرقى "عن ارتباط الأخلاط، وهي أربعة، بالعناصر الأربعة، فقال:

- الأول خلط الصفراء، وهو حار يابس، أصله متولد من عنصر النار الطبيعي، ومسكنه في الإنسان المرارة، والثاني خلط الدم، وهو حار رطب متولد من عنصر الهواء الطبيعي، ومسكنه في الإنسان الكبد، والثالث خلط البلغم، وهو بارد رطب متولد من عنصر الماء، ومسكنه من الإنسان الرئة، والرابع خلط السوداء، وهو بارد يابس أصله متولدا من عنصر الأرض، ومسكنه من الإنسان الطحال."²

* وهو إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر الأزرقى توفي بعد 890هـ/1485 م له مخطوط بعنوان: تسهيل المنافع في الطب والحكمة.

¹ وليد شريف عبد القادر، الإطار الفلسفي للطب، صحيفة أخبار اليوم السودانية الالكترونية، 06-08-2011. الساعة، 12:40.

² وليد شريف عبد القادر، مرجع سابق.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

ما يمكن قوله في فترة الحكم العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي "أن التغلغل الاقتصادي والاستعماري من قبل القوى الأوروبية الذي واجهته أدى إلى ظهور نموذجين من الممارسة الصحية الأوروبي والعربي، حيث أن الأوربي لم يؤدي إلى انفصال حاد عن التقاليد الراسخة."¹

فكلا الطبين العربي والأوربي كما ترى لونغينيس "من أصل واحد، وهو الطب اليوناني القديم. وقد اعتمدت التصورات عن الجسم والمرض في الوطن العربي في بداية القرن التاسع عشر على نظرية اعتدال الأمزجة والأخلاط (Tempers)، التي لا تكاد تختلف عن تلك النظريات التي كانت سائدة في أوروبا ابان النظام القديم (المعروف بانه النظام الاجتماعي السياسي القديم قبل ثورات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا وانشاء الدولة الوطنية الحديثة). وكان لدى الشعوب العربية عدد وافر من خيارات الرعاية الصحية. وكان الخيار المهيمن فيها هو الطب الشعبي، وهو شكل معدل من الطب العربي التقليدي (الكلاسيكي)."²

وذلك لأن الممارسة الطبية في أوروبا والإمبراطورية العثمانية كانت "متشابهة إلى حد ما، لكن الأسس المفاهيمية التي استندت إليها هذه الممارسات كانت مختلفة، إذ اعتمد الأطباء الأوروبيون الطرق التجريبية لتحليل أسباب الأمراض، في حين ركز الأطباء المسلمون على الملاحظات التي تستند إلى الملاحظات الامبريقية. ومثل الأطباء الأوروبيون الذين دخلوا قصور الخلفاء العثمانيين-ابتداء من القرن الثامن عشر-المصالح الغربية، وخاصة مصالح التجار، مدافعين عن أهمية دور الصحة في تطوير التجارة."³

وقد اعتمد كثيرا في ممارسة الطب الشعبي على كتب ابن البيطار، داوود الأنطاكي، الأسيوطي، ابن سينا. ولا تزال هذه المؤلفات متداولة إلى يومنا هذا، في بعض محلات بيع الأعشاب.

5.4 الطب بعد الاحتلال الفرنسي

كانت الصحة العامة "اداة رئيسية في مشروع التحديث الذي نظر اليه كمشروع فكري واجتماعي-سياسي) الذي ظهر في أواخر عهد الدولة العثمانية، وخضع بعدها لاهتمامات ومصالح القوى الاستعمارية."⁴

¹ اليزابيت لونغينيس وآخرون، ص 10.

² نفس المرجع، ص 10.

³ نفس المرجع، ص 15.

⁴ اليزابيت لونغينيس وآخرون، مرجع سابق، ص 7.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

يسأل الطبيب أمير بن عيسى عما إذا كانت هناك مؤلفات حول الصحة في الجزائر فيقول: "أنا لا أعرف ما إذا كانت لا تزال توجد كتب لإعلامنا، حول الصحة في الجزائر قبل 1830. هل كانت مكتوبة، أم هل أتلقت؟ فيجيب: "أن أثر الطب العربي في الأسرة الجزائرية قبل الثورة، وجدناه في العائلات الجزائرية القديمة في وثائق طبية كاملة، وجعلتنا نعتقد أن أجدادنا يكونوا قد استوحوا من ذلك.

وهذا من الممكن التعرف عليه في المجتمع، على الرغم من قطيعة دامت 130 عاماً، فلدى جداتنا وكذا أمهاتنا، بعض الحركة والممارسات، وبقايا من الطب العربي، التي تؤكد هذه الفرضية: الأدوية العشبية تحتفظ بمصداقيتها، ولدينا الكثير لتعلمه من عائلاتنا، في فضائل بعض نباتاتنا، وحول أهمية التبخير وفعالية الكبريت. ولا يزال يمارس الكي في أجزاء كثيرة من الجنوب. تقريبا كل الطرق المشهورة معروفة. تجبير الكسور بالجص، خلع الأسنان، التشريط saignées ويمارس الختان من قبل الحلاقون، هؤلاء جراحين القرون الأخيرة.¹

يقول جان شارل سورنيا عن هذا الأخير، أي الختان: "من بين هذه الفروض الصحية، يبرز الختان الذي يوثق نحالف الشعب مع الرب. يحاول البعض أن يرى فيه نوعاً من الوقاية التي تنتقل ضد الأمراض التي تنتقل عن طريق الممارسات الجنسية، وضد سرطان العضو الذكري (القضيب)، ...

إن الختان يخلد طقساً قديماً، يعود إلى ما قبل التاريخ، وما زال شائعاً بين شعوب كثيرة في أفريقيا وغرب آسيا. إضافة إلى ذلك ينظم التمييز الجوهري بين الطاهر والمدنس مجمل السلوك في الحياة كل الأنشطة الإنسانية، بما فيها علاقة الإنسان بالطبيعة وبالنباتات والحيوانات. فكل إفرازات الإنسان، حتى الناتجة عن عمليات فسيولوجية، أي مقصودة من قبل الخالق، مثل الدمع، والبول، ودم الحيض هي دنس. تحكم هذا المفهوم في الطب الغربي لقرون عديدة وأدى إلى تكاثر الوسائل المفرغة، والحقن الشرجية، والملينات والفصاد²

6.4 هيكل الصحة في الجزائر بعد الاستعمار

يرى علي مكاوي أن الأبعاد الاجتماعية للخدمة الصحية "تعكس الدور البارز الذي يمارسه المجتمع في الخدمة الصحية. ويتوزع هذا الدور على مجموعة من المتغيرات الاجتماعية كالبناء الاجتماعي

¹Mohamed Amir Bennis, *Contribution à l'étude, de l'histoire de la santé en Algérie, autour d'une expérience vécue en ALN Wilaya 5*, réflexions sur son développement, OPU, Algér, 1986.

²جان شارل سورنيا، مرجع سابق ص77.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

السائد، ونمط السلطة الأسرية، والسياق الاجتماعي للصحة والمرض وانعكاسه على أداء الخدمة الصحية. بالتالي نقصد بالأبعاد الاجتماعية هنا بناء المجتمع، وعناصره الأساسية التي تحدد ملامح الخدمة الصحية ومدى فعاليتها.¹

أما عن الأبعاد الثقافية للخدمة الصحية، فيرى بأن هذه الأبعاد تدور "حول علاقة الثقافة السائدة بالخدمة الصحية في المجتمع، من خلال استعراض علاقة الثقافة بالصحة والمرض بما تتضمنه من العادات والتقاليد (كالعادات الغذائية، وعادات زيارة المرضى)، والمعتقدات والأمثال الشعبية والقيم والدين.² في هذا الإطار "نقصد بالأبعاد الثقافية مجموعة العناصر الثقافية العامة ذات العلاقة الوثيقة بالخدمة الصحية، بحيث تحدد طبيعة أدائها، ومدى فعاليتها ومدى وصولها إلى مستحقيها، ودرجة نجاحها. وعلاوة على أن هذه العناصر تلعب دورها البارز في نجاح أو فشل الخدمة الصحية الرسمية، وبالتالي ينعكس أثرها بوضوح على المستوى الصحي في المجتمع"³

فمن ناحية النظام الصحي "نقد كان في الجزائر عدة ملاحئ ومصحات من بينها ملجأ في ناحية باب عزون خاص بالأمراض العقلية، وملجأ آخر يأوي بعض العجزة من الأتراك والجيش الانكشاري، كما كانت هناك مستشفيات خصصت للأسرى المسيحيين حيث تم إنشاء أول مستشفى عام 1551م من طرف الراهب سيستيان Sébastien ومستشفى آخر في عام 1575.⁴

يقول اف شونبيرغ "بني المستشفى الإسباني في ايام فيليب الثاني، والذي أنشئ من التبرعات التي أرسلها أغنياء اسبانيا إلى العبيد المسيحيين، ومن الوصاية ورسوم السفن المقرر لذلك... كان آخر طبيب هو الدكتور أسانسي مع ثلاثة او خمسة رهبان وطبيب وجراح وصيدلي"⁵ كما كان هناك مستشفى فرنسي -بضيف اف شونبيرغ أنشئ من طرف البارون الفرنسي ايجيون Eguillon، وكانت لهم علاقة طيبة برهبان المستشفى الاسباني وحين انتهى عهدا حدهما انتهى عهد الآخر.⁶

أما الصيدليات فهي "شبه منعدمة ما عدا صيدلية واحدة كانت بمدينة الجزائر، كما جاء ذكرها سابقا، وكانت قرب قصر الداوي ويشرف عليها" باش جراح" والذي كان صيدلي وجراح وطبيب في

¹ علي مكاري، فهد عبد الرحمان ناصر ووسام أحمد عثمان، دراسات في علم الاجتماع الطبي والوطن العربي، وكالة الأهرام للتوزيع، مصر، القاهرة، 1998. ص

² نفس المرجع، ص

³ نفس المرجع، ص

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في أواخر العهد العثماني، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص55.

⁵ اف شونبيرغ، مرجع سابق، ص 80.

⁶ نفس المرجع، ص 81.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

نفس الوقت، ولكن ما يميز هذه الصيدلية هو أنها تحتوي على بعض القناني والكؤوس المحتوية على العقاقير والتوابل، وبعض الدكاكين المخصصة لبيع الأعشاب والنباتات الطبية كالحلبة والقرنفل.¹

وقد "كانت موارد المؤسسات الاجتماعية قبل عام 1830، من عائدات الحبوس أو الوقف، وهي مؤسسة خاصة للقانون المدني الإسلامي الذي يجعل الملكية غير قابلة للتصرف من خلال إعفاءها من قواعد القانون العام... والحبوس تدار من قبل الدولة، فمن خمس الأراضي الجزائرية خصصت للتعليم وأعمال المرافق العامة."²

وعن الأطباء المتواجدين في الجزائر فيما "ما بين 1830 و 1845، كان العديد من المسؤولين في مصلحة الصحة العسكرية في الجزائر كورسيكيون (من مدينة كورسيكا):

Antonini, Stefanopoli, Marchai de Calvi, Ceccaldi."³

بعد الاحتلال قام الفرنسيون بتطوير المستشفيات العسكرية في المناطق العامرة بالأوروبيين حيث "تفاوتت آثار التدخلات الاستعمارية إلى حد كبير باختلاف المناطق والبلدان العربية، وتبعاً لخبرات التحديث في فترة ما قبل الاستعمار، وطبيعة و سياسات القوى الاستعمارية لكن -في كل مكان- كانت السياسات الاجتماعية و الصحية تحدها قبل كل شيء مصالح المستعمرين، الذين تمثلت أولوياتهم بالتجارة وتصدير المنتجات الزراعية، وقد نفذت هذه السياسات بطرق استبدادية، وأصبح تعزيز الصحة العامة وسيلة للسيطرة على شعب اعتبر متخلفاً وجاهلاً وخطراً."⁴

فتم في سنة 1832م 'إقامة مستشفى في كل من الجزائر، وهران، عنابة (بونة سابقا) وفي 1834م مستشفى في بجاية وأخر في الدويرة وفي مستغانم في عام 1835، وفي عام 1837م أخر في قالمة وفي البليدة عام 1839م وفي عام 1843م سجلت قائمة المصحات المتنقلة والمستشفيات المفتوحة للمدنيين وكذا العسكريين (مدينة بوغار، ننس، ثنية الحد)، وفي عام 1845م، كانت الجزائر برمتها تعد 38 مستشفى.⁵

مستشفى.⁵

¹نور الدين حاروش، إدارة المستشفيات العمومية الجزائرية، ط1، دار كتامة للكتاب، الجزائر، 2008، ص95.

²Mohamed Amir Bennis, Op.cit. p15.

³Léonard Jacques. *Médecine et colonisation en Algérie au XIXe siècle*. In : Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest. Tom, 84numéro 2, 1977. pp. 481-494.doi : 10.3406/abpo.1977.2889

⁴اليزابيت لونغلينس وآخرون، مرجع سابق، ص 12.

⁵فون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر. محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة، الجزائر، 2007، ص17.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

كان "العديد من الأطباء الشباب في الغرب، الذين دخلوا خدمة الطب العسكري أو البحري أو الاستعماري في القرن التاسع عشر، جلبوا إلى السكان الأصليين في الجزائر "بنظرة طبية" ... من غرب الارموريك Armorique".¹

وقد بقي "الطب الحديث مدة طويلة حكراً على الأطباء الأوربيين، فقد أنشئت أول مدرسة للطب في الجزائر العاصمة عام 1857، ومنح عدد ضئيل فقط من السكان المحليين امتياز دخول هذه المدرسة، وكان ذلك أواخر القرن التاسع عشر".²

ساهم الجزائريين في تطور الطب في الجزائر، و"كتابات كثيرة تشهد على هذا النشاط بشكل جيد قبل الاستعمار الفرنسي".³ ومع ذلك، "يدعي الأوروبيون أن الأطباء الجزائريين لا يوجدون بالجزائر، وهذا ادعاء خاطئ كل الخطأ. فقد كان للداي الأخير طبيب أول، كان يتردد عليه كثيراً".⁴

لكن بالمقابل، لم يتقبل الأهالي المدنيين هذا العلاج حيث "رفضوا ونفروا من الاستفادة من العلاج والإسعاف الذي يقدمه العسكريون، الذين اعتبروا أعداء دائماً".⁵ يقول إيفون تورين Yvonne Turin في كتابه المعنون "الاشتباكات الثقافية في الجزائر المستعمرة؛ المدارس والطب والدين؛ سنة 1830-1880" يذكر فيه كيف أن الطب، مثل التعليمات، يدمج في السياسة العامة للاستعمار، ويثير، الشكوك الدينية بين المسلمين إلى حوالي 1880.⁶ وقد تم توزيع الأطباء في أكبر المدن الجزائرية، لصالح الأوروبيين والجزائريين. ومنذ 1945 تمت إجراءات جديدة تبناها المستعمرون، إنشاء كلية الطب بجامعة الجزائر ومعهد باستور.

لقد شكلت الجزائر "الحالة الأكثر ايلاماً، إذ كانت الظروف الصحية -بعد عقدين من الاحتلال الفرنسي- يرثى لها (عندما اكتمل ما يسمى "اخماد الثورة")، حيث فنكت أو بيئة الجدرى والكوليرا والتيفوس وامراض الزهري والعين بالناس، كما أدى العنف في اخماد الثورة ومصادرة أراضي الفلاحين إلى مجاعة وجذب، مع ما تلاه من ضعف في المقاومة".⁷

¹Léonard Jacques. Op.cit

²اليزابيت لونغلينس وآخرون، مرجع سابق، ص 15.

³Larbi Abid., **La pratique médicale en Algérie**. Op.cit, p4.

⁴أف شونبيرغ، مرجع سابق، ص 47.

⁵Ministère de la Santé, **L'organisation de la distribution des soins durant la période colonial, séminaire sur le développement d'un système national de santé : l'expérience algérienne**, Exposé. n°1, Alger les 07 et 08 avril, 1983, p 24.

⁶Léonard Jacques.. Op.cit

⁷اليزابيت لونغلينس وآخرون، مرجع سابق، ص 13.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

7.3 الثورة التحريرية والتنظيم الصحي.

إبان الثورة التحريرية، استدعت الضرورة لقيام المواطنين بتضحيات في سبيل الوطن، وكان الاهتمام بالجانب الصحي من الأولويات الحتمية، لمساعدة الجرحى والمرضى، ومن ثمة كان «التنظيم الصحي الذي أوجده هياكل الثورة خاصة على ضوء مقررات الصومام 20 أوت 1956 قد أعطى للثورة دعماً واضحاً سيما بعد التحاق الطلبة بالثورة، الشيء الذي عزز القدرات وتعزيز الولايات بالإطارات؛ من أطباء وممرضين وصيدالة ومساعدين طبيين سواء في الداخل أو في القواعد الخلفية للثورة في المغرب وتونس»¹.

بالرغم من العدد القليل للأطباء نسبياً، كان في وضعهم، أساسياً لخدمة "المصالح الصحية للثورة في علاج المرضى والجرحى وإسعاف المعطوبين، وظلوا مجندين لخدمة القضية الوطنية في تأدية مهامهم الثورية برغم التحديات والتحديات والمخاطر التي طالتهم بسبب المطاردة وسلسلة الاعتقالات الاستعمارية، والقتل والتعذيب وكذلك الأمر بالنسبة للممرضين والمرضات والمساعدين الطبيين الذين اثبتوا كفاءتهم مهام الإسعاف والمتابعة الطبية، ومنهم الكثير من الشهداء."²

وفي سنة رحيل المستعمر الغاشم، أعطوا الجزائريين "المحاصرين من قبل أواس O.A.S. واللفيف الأجنبي، في عام 1962، فقد أعطوا للعالم، دليلاً على بقاء هذه التقاليد-الصحية-النبيلة. ففي أقل من 24 ساعة، تم تجهيز المستشفيات التي كانت قادرة على أداء دورها بالكامل، من قبل المواطنين الذين جلبوا من المجتمع."³

8.4 الوضع الصحي بعد الاستقلال:

بعد الاستقلال اهتمت الجزائر بالقطاع الصحي من خلال توعية السكان وتعليمهم، حيث ساهم التعليم المجاني في تنمية العقول البشرية وتوعيتها، مما سمح للكثيرين من أن يصبحوا أطباء وممرضين. كما أنشئت هياكل قاعدية واسعة، لتلبية احتياجات المواطنين. لأن المستوى المعيشي ورفاهية المجتمع تقاس على فعالية ودرجة الخدمة الصحية. لكن التداوي بالأعشاب كان موجوداً بالتوازي مع الطب الرسمي، نظراً لعدة اعتبارات والتي كان من أبرزها نقص التغطية الصحية على كامل التراب الوطني الواسع الأرجاء.

¹ عبد المجيد بوجلة، التنظيم الصحي للثورة التحريرية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 5، عدد 2 ص ص 185-195.

² Mohamed Amir Benaissa: Op.cit. p 215.

³ Ibid. P 215.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

حيث تركز أهم المؤسسات الصحية، -خاصة المؤسسات المتخصصة- تركزت بالجزائر العاصمة، كما هناك مؤسسات صحية بالمدن الكبرى، على غرار ولاية وهران وقسنطينة، عناية فقط. وذلك بحسب ما حدده صناع القرار لهذا القطاع الحساس.

وكمرحلة أولى من 1962-1974 نشأ النظام الصحي الجزائري والذي تكفلت به الدولة. تضمنت المراكز الصحية

أما المرحلة الثانية 1974-1989، تشييد الهياكل الصحية

المرحلة ما بين 1989-1999 قد عرفت وضع متدهور- بالرغم من مساعي الدولة لتحسين الوضع الصحي في الجزائر.

وفيما بين سنة 1999-2009 عرفت محاولة إعادة الأمن "والخريطة الصحية الوطنية.

تتميز هذه الخريطة الصحية "الجديدة" من خلال إنشاء مؤسسات عمومية للصحة الجوارية المستقلة في تسييرها (EPSP) والتي تتمثل مهامها في ضمان تنفيذ برامج الوقاية وتقديم الرعاية الطبية الأساسية وإنشاء مؤسسات عمومية استثنائية مستقلة أيضا في تسييرها ومهامها هي تقديم مجموعة واسعة من خدمات من الرعاية الطبية للسكان وكذا محو الفوارق الجغرافية.¹

وقد عملت وزارة الصحة والسكان خطة عمل ممتدة من 2005 إلى 2009 لإعادة التغطية المحلية للتخصصات الطبية عبر الوطن. وكانت هذه التغطية² على النحو التالي:

- المنطقة الصحية، الوسط وتشمل الولايات التالية: الجزائر، البليدة، بومرداس، تيبازة، تيزيوزو، بجاية، البويرة، المدية، الجلفة، برج بوعرييج وعين الدفلى.

- المنطقة الصحية الشرق، وتشمل الولايات التالية: قسنطينة، قالمة، عنابة، سكيكدة، الطارف، تبسة، خنشلة، ميلة، سوق أهراس، أم البواقي، سطيف، جيجل، باتنة، المسيلة.

- المنطقة الصحية الغرب، وتشمل الولايات التالية: وهران، غليزان، معسكر، عين تيموشنت سيدي بلعباس، تلمسان، سعيدة، مستغانم، تيسمسيلت، تيارت، الشلف.

¹ الوكالة الوطنية للاستثمار الخارجي الجزائر.

<http://www.andi.dz/index.php/ar/secteur-de-sante>, site visité le 26-11-2017.

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة الصحة والسكان، ميثاق الصحة، الجزائر: الجلسات الوطنية للصحة، قصر الأمم . 26، 27، 28 ماي 1998 م، ص 5.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

- المنطقة الصحبة، الجنوب الشرقي وتشمل الولايات التالية: ورقلة، غرداية، إيزي، تمراست الأغواط والوادي. - المنطقة الصحبة الجنوب الغربي، وتشمل الولايات التالية: بشار، تندوف، أدرار، النعامة، البيض.¹

ولتقليل خلل التوازن الجهوي في البلاد الذي سبب معاناة المرضى من تكاليف التنقل والمبيت، تم توفير التجهيزات اللازمة لإعادة هيكلة التغطية المحلية للتخصصات الطبية والمستشفيات عبر القطر الجزائري. لتحقيق المساواة في توزيع الموارد البشرية والمادية، تم إنجاز 454 هيكلا صحيا جديدا على مستوى الوطن بمختلف التخصصات الطبية، متمثلة في مستشفيات، مراكز صحية، عيادات طبية، عيادات التوليد مخابر.

حيث نسجل فوارق كبيرة إذ نجد في لشمال طيب 1 واحد لكل 800 ساكن يقابله 1 طيب لكل 1200 نسمة في الجنوب، فبينما يتمركز الأطباء في الجزائر العاصمة بمعدل طيب واحد لكل 318 نسمة، يوجد في ولاية أدرار طيب واحد لكل 2103 نسمة، أي 50/من الأطباء موجودين في منطقة الوسط في حين 1/6 من المؤسسات العمومية للصحة لا تتوفر على طيب مختص.²

وساهمت هذه المخططات، في فتح مناصب جديدة منها منصب أستاذ وأستاذ محاضر، أستاذ مساعد. أما المراكز الاستشفائية الجامعية بحسب الأقاليم: الغرب، الوسط الشرق، الجنوب، ويتم توزيع الأطباء الأخصائيين في المستشفيات الكبرى فقط ويعمل البعض منهم ساعات إضافية في العيادات المتعددة الخدمات، نظرا لنقص الأطباء الأخصائيين في المناطق الداخلية والجنوبية خاصة.³ كما تستفيد المراكز الاستشفائية الجامعية من وسائل متطورة لتطوير التعليم والبحث العلمي في مجال الطب ويساير العولمة.

وقد تم التركيز على الولايات الداخلية فيما يتعلق بالهياكل الصحية لإعادة التوازن الجهوي في هذه المناطق. فمنذ 2009 إلى 2017 فإن النظام الصحي الجزائري "مسير من طرف وزارة الصحة، السكان وإصلاح المستشفيات (MSPRH)، والتي تقوم بدورها بإدارة مؤسسات العلاج الاستشفائي والقطاع الصحي العمومي. وتوجد خمس مناطق صحية عبر جميع أنحاء الوطن مع 05 مجالس إقليمية للصحة

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، العدد 47، الصادرة بتاريخ 11 ربيع الأول 1418 هـ الموافق ل 16 يوليو

1997 م، ص 14.

² نفس المرجع، ص 59.

³ نفس المرجع، ص 59.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

(CRS) و 5 مرصد إقليمية للصحة (ORS). أما على الصعيد الولائي فيوجد 48 مديرية للصحة والسكن (مديرية في كل ولاية).¹

وقصد تطوير هذا القطاع الحساس وفي إطار "برنامج الاستثمارات العمومية للفترة الممتدة ما بين 2010-2014، استفاد قطاع الصحة من غلاف مالي قدر بـ 619 مليار دينار جزائري. تعتمد الخطوط العريضة لهذا لبرنامج إنجاز 172 مستشفى، 45 مجمع صحي متخصص، 377 مستوصف، 1.000 قاعة علاج، 17 مدرسة للتدريب شبه الطبي وأكثر من 70 مؤسسات متخصصة للأشخاص ذوي الإعاقة. وفيما يخص القطاع العام، فإن هذا الأخير يعرف نمو هائل في المكانة التي احتلها في النظام الصحي.² كما أن "توقع المخطط التوجيهي للصحة للفترة 2009-2025 استثمارات تقدر بـ 20 مليار أورو لبناء مرافق صحية جديدة وكذا تحديث المستشفيات الموجودة. في هذا الصدد تم الشروع في الإصلاحات المتعلقة على تفريد وظيفة صيانة البنى التحتية ومعدات المستشفيات وتدريب الهيئات الصحية."³

كما عملت الدولة على توسيع مراكز التكوين في مجال الصحة، وتمثل في مدارس ومراكز التكوين⁴: "فهناك 27 مدرسة و مركز تكوين في القطاع العام و 17 في القطاع الخاص و الموزعة عبر 48 ولاية منها: المعهد الوطني للتدريب المتقدم للشبه طبي للجزائر العاصمة بالجزائر؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بأدرار؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بالشلف؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بالأغواط مدرسة تدريب الشبه طبي بباتنة؛ مدرسة تدريب الشبه طبي لأوقاس بجاية؛ المعهد التكنولوجي للصحة العمومية بوهران؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بسكرة؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بشار؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بالبليدة؛ مدرسة تدريب الشبه طبي بتمراست."⁵

وفي مجال الصناعة الصيدلانية، فتعتبر الجزائر أول سوق للمواد الصيدلانية في جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط، بـ 1967،75 مليون دولار من الواردات في عام 2011. حيث حددت هذه الصناعة

¹الوكالة الوطنية للاستثمار الخارجي، الجزائر، مرجع سابق.

²نفس المرجع.

³الوكالة الوطنية للاستثمار الخارج، مرجع سابق.

⁴نفس المرجع.

⁵نفس المرجع.

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

هدف لتحسين آلياتها من أجل تحقيق جلب للاستثمار المحلي والأجنبي بهدف ضمان تغطية السوق من الإنتاج المحلي لتصل إلى 70٪ في عام 2014، والذي عرف معدل نمو قوي سريع وثابت.¹

إضافة إلى ذلك، وضعت وزارة الصحة نظاماً جديداً لتمويل المؤسسات بالمواد الصيدلانية الموجهة لضمان التوفر "الكامل والدائم" للأدوية. يضاف هذا النظام إلى التدابير التي اتخذتها الحكومة لتصفية قطاع توزيع الأدوية وتطوير وتحديث المنتجات الحساسة. وتشمل نشاطات فرع المواد الصيدلانية مجالات: التصنيع؛ توضيب السلع؛ بائعون بالجملة مستوردين؛ موزعون بالجملة؛ موزعون بالتجزئة (صيدليات وغيرها).²

5. النباتات الطبية في الجزائر

تتوفر الجزائر على ثروة معتبرة من النباتات الطبية والعطرية، والتي تمكنها من تطوير منتجاتها الصيدلانية بما هو متاح من هذه الموارد الطبيعية. فعلى سبيل المثال "نقطير النباتات هو معروف بما فيه الكفاية لكنها لا تزال غير مستغلة إلى حد كبير، على الرغم من توافر الجزائر مساحات كبيرة من الغابات والحقول والتي تغطي الموارد النباتية الهامة وزعت على السواحل والسهول الأراضى الجبال، السهول، الصحراء وحول نقاط المياه."³

فوفقاً لوثيقة الاستراتيجية الوطنية وخطة العمل للتنوع البيولوجي في الجزائر (SPANB) والتقارير الوطنيين الرابع والخامس يحتوي التنوع البيولوجي العالمي (الطبيعي والمزروع) على حوالي 16000 نوعاً من فئات الأصناف مجتمعة، بما في ذلك 3139 نوعاً من البذريات (5402 أخذ التصنيف في الاعتبار الأنواع الفرعية والأنواع وغيرها من الأصناف الفرعية المحددة) و1438 الأصناف المزروعة (الحبوب وأشجار الفاكهة والخضروات والمحاصيل الصناعية).⁴

¹نفس المرجع.

²الوكالة الوطنية للاستثمار، مرجع سابق.

³Reguieg L. **Using medicinal plants in Algeria**(American journal of food and nutrition Print: ISSN 2157-0167, Online: ISSN 2157-1317, doi:10.5251/ajfn.2011.1.3.126.127© 2011, ScienceHuβ, http://www.scihub.org/AJFN

⁴N.Yahi-Guenafdi, **Les ressources phytogénétiques en Algérie Note introductive**, Congres national « Les ressources phytogénétiques en Algérie : évaluation, conservation et valorisation.

INRAA Alger 22, 23 et 24 October 2018

الفصل الثالث: الدواء سوسيو تاريخي عند العرب وفي الجزائر

خلاصة الفصل

تشهد الجزائر عودة قوية في مجال البحوث العلمية المتعلقة بالدوائيات من المصادر النباتية، من خلال الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث التي خصصت فروع وتخصصات قامة بذاتها حول النباتات الطبية، ومنذ الثمانينات تشهد الجامعات تنظيم العديد من الملتقيات حول النباتات الطبية والعطرية لتوثيق التراث الثقافي والأدبي والعلمي المعزز بالبحوث العلمية لتثمين وتقييم هذه النباتات.

الفصل الرابع

سوسيولوجيا المعالجين

الشعبيين

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

تمهيد

عرفت منظمة الصحة العالمية الطب التقليدي (الشعبي) على أنه مجموعة المعارف والمهارات والممارسات، القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات والتي تُستخدم سواء أمكن تفسيرها أو لا، للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها¹ فهو إذن "جزء من القيم والمعرفة الثقافية التي تشكلت منذ أحقاب بعيدة لنظاماً طبيّاً علاجياً، يُبنى على أشكال تقليدية من المعتقدات والممارسات التي هدفها مقاومة المرض، طلباً للشفاء."² كما يقوم بهذه الممارسة في الغالب المعالجون التقليديون أو ممارسي الطب التقليدي.

وتجمع منظمة الصحة العالمية كل هذه الأسماء في مصطلحات "معالج تقليدي" أو ممارسي العلاج الشعبي". حيث جاء اهتمام منظمة الصحة بهذا المجال، بعد الأشواط التي قطعتها في مجال الطب الشعبي الذي استطاع "أن يفرض نفسه كطريقة من طرق التكيّف، وبغضّ النظر عن أسباب اللجوء إلى الارتفاع الشرس في معدلات انتشار الأمراض غير السارية المزمنة أحضان الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي طلباً للاستشفاء فإن ما من شك كبير في أن الاهتمام به قد تنامي كثيراً وسوف يواصل تناميه على ما يظهر في مختلف أنحاء العالم."³

¹ منظمة الصحة العالمية، الاستراتيجية 2014-2020.

² https://www.who.int/topics/traditional_medicine/definitions/ar

³ ديبجي مرسي عيد بدر، أصول علم الأنثروبولوجيا، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، ج2، 2007، ص295 و296.

³ منظمة الصحة العالمية، مرجع سابق، ص16.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

1. المعالجون التقليديون والأعراف

بينت منظمة الصحة العالمية على أن "لدى العديد من البلدان أعرافاً تقليدية متوارثة تخص شعوبها في مجال التداوي والاستشفاء من الأمراض والأوجاع، ولهذه الأعراف جذورها في أعماق ثقافة هذه الشعوب وتاريخها. وبعض هذه الأعراف أو الأشكال العلاجية في مجال الطب التقليدي (الشعبي) كالأيورفيدا الهندية (Ayurveda) والطب التقليدي (الشعبي) الصيني، وطب الأوناني (Unani) لا يزال شائعاً في طول البلاد وعرضها، بالإضافة إلى استعمال هذه الألوان من الطب في شتى أنحاء العالم.¹ إضافة إلى الأشكال الأخرى لهذا الطب "كطب الطبائع البشرية (anthroposophic) والمعالجة اليدوية (chiropractic) والمعالجة المثلية أو التماثلية (homeopathy) والمداواة الطبيعية (naturopathy) والمعالجة الهيكلية العظمية (osteopathy)".²

ومنذ القدم كان أبرز المعالجون التقليديون هن ربات البيوت، فيعتبرن المسعفات الأوليات لمعالجة المريض الذي يعاني من وعكات صحية، كالصداع، والحمى والإسهال ونزلات البرد وغيرها، أي التي يمكن معالجتها ببعض نقعات الأعشاب أو بعض المساحيق العشبية... فارتباط المرأة بالزراعة ربما يكون من الأمور التي أكسبت المرأة ثقافة النباتات وكذا التداوي بالأعشاب. حيث يرى البعض أنهن أول من مارسن مهنة الطب، لقرهن من الأرض.³

إذن، هي "علاقة تبادل أخذ وعطاء، منحتها تلك العلاقة معارف عن هذه النباتات، وكشفت لهن النباتات عن بعض أسرارها العلاجية بهذه الخبرة. فوجد الطب الشعبي الطبيعي، وهو الجانب الذي يتضمن العلاج النباتي أو طب الأعشاب، وهو يمثل ردود الفعل المبكرة لاستجابة الإنسان لبيئته الطبيعية في شكل سعيه لعلاج أمراضه عن طريق الأعشاب والنباتات وما إلى ذلك من موارد البيئة الحيوانية والمعدنية والمحيطية به."⁴

كل ذلك تم بمعرفة تعود إلى عشرات الآلاف من السنين عندما أتخذها غذاء وكساء وعقاراً. حيث تميز النبات بقوة الشفاء، يصفها جون ويتمان بالغامضة والخارقة فيقول: "إن قوة النباتات على الشفاء هي قوة غامضة، وهي في حالات كثيرة محيرة كالقوة المغنطيسية-شيء لم يستطع بعد العلماء الحديثون تفسيره. وطالما أنها بقيت سرّاً ولغزاً مطبقاً، فمن السهل إدراك لماذا اعتبرت الثقافات البدائية

¹ منظمة الصحة العالمية، الاستراتيجية 2014-2020.

² نفس المرجع، ص 25.

³ نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي، مكتبة الانجلو المصرية، 2006، ص 314.

⁴ نفس المرجع، ص 314.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

نباتات الشفاء مقدسة.¹ و"في معظم الثقافات القديمة، احتلت النباتات والأشجار محل صيدلية الزاوية."²

في ثاني مقام يأتي خبير العائلة أو القبيلة أو العشيرة، وهو معالج ذلك المجتمع. قد يكون اكتسب خبرة العلاج من تجربة خاصة، أو توارث المهنة أباً عن جد أو اكتسب الصفة بفضل وبقدر ما أوصله لتلك المرتبة.

اكتسب المعالج أو الممارس للعلاج، العديد من التعريفات فهناك من يرى بأنه "الشخص المعترف به من قبل الجماعة التي يعيش فيها على اعتبار انه شخص مؤهل لأداء عملية العلاج والتطبيب، من خلال استعمال النباتات والحيوانات والمواد المعدنية ووسائل أخرى معينة، تعتمد على خلفيات دينية وثقافية واجتماعية، بالإضافة إلى المعرفة السائدة في المجتمع والاتجاهات والمعتقدات المتعلقة بالسلامة الاجتماعية والعقلية والجسمية وأسباب المرض والعجز في الجماعة."³

ومن الناحية التأهيلية، فإنه في العادة الممارس أو المعالج هو شخص "ليست له شهادة في الطب، فهو يشفي، أو يدعي علاج، بصرف النظر عن الممارسة القانونية للطب، من خلال الوسائل التجريبية أو السحرية، بتقديم عطايا خاصة أو باستخدام وصفات شخصية."⁴ أو اكتسبها من معارف تراكمية لخبرات متنوعة، ساهمت في زيادة كفاءتهم المهنية بمرور الزمن ومكنتهم من حصولهم على مكانة اجتماعية من طرف أفراد المجتمع.

ونلاحظ أن وراثه هذه المهنة بالوراثة أو بالمنح (العطية) أو بظروف أخرى، أن لها علاقة بالظروف البيئية والوراثية فهي "علاقة تفاعل وتأثير متبادل فالوراثة تعطي المواد الخام على شكل استعدادات وقدرات فطرية، والبيئة تتناول هذه الاستعدادات بالتنمية والتطوير والتعديل بحيث تعطى شكلها النهائي."⁵ وتعتبر الأسرة أساس هذه التنشئة. وهذا رمز على المكانة المتميزة لهؤلاء المعالجين لأننا نجهد سر هذه العطية فتجد أنفسنا أمام الحكمة أو المثل: (كل مجهول معظم).

1جون وبتمان، قوة النبات الخارقة للطبيعة، تعريب سمير شيخاني، المكتبة الثقافية، الطبعة الأولى، 2002، ص 104.

2نفس المرجع، ص 103

3نجلاء عاطف غيث، في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002، 353.

4Camara Mohamed Karfalla *Médecine traditionnelle*, DEA de Phytothérapie et Plantes Médicinales, université Gamal Abdel Nasser de Conakry, Guinée, 2011, p11/13

5عبد الرحمن العيسوي، مرجع سابق ص 30.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

في كتاب الحيوان ذكر الجاحظ قال أبو اليقظان (عامر بن حفص) وغيره: كان الأسود بن أوس بن حمرة أتى النجاشي ومعه امرأته وهي بنت الحارث أحد بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة، فقال النجاشي: لأعينك شيئاً يشفي من داء الكلب. فأقبل حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت فأوصى امرأته أن تتزوج ابنة قدامة بن الأسود (زواج أو نكاح مقت) وأن تعلمه دواء الكلب ولا يخرج ذلك منهم إلى أحد، فتزوجته وعلمته دواء الكلب فهو إلى اليوم فيهم.¹

ومن بين الخصائص التي تميز بها العرب في الفراسة وهي القيافة التي كانت تتوارث لدى فئة معينة من العرب، ممن قال عنهم الرازي أنهم يتميزون "بالكمال والتمام في القوة الباصرة، والقوة الباطنة وهذا العلم موجود في العرب فقط، وفي قبائل معينة منهم مثل بني مدلج وغيرهم. وهذا النوع من العلم لما كان مداره على حصول الكمال مما لا يمكن اكتسابه ولا شرحه بالتعليم والتصنيف، بل الناس يقولون: إنه علم متوارث في أعراق -أي في بيوت يتوارثه الأبناء عن الآباء- مخصوصة من العرب لا يشاركونهم فيه غيرهم فقد رأى جمع من أكابر الفقهاء التعويل عليه في تصحيح الأنساب -أي إثبات صحة النسب-"²

ومن هنا نجد أن أسماء المعالجين تعتمد على ثقافات وأماكن إقامتهم.

كما هو الحال في الجزائر، عرفت عائلات مختصة في معالجة أمراض معينة من خلال العطية، على أن تحافظ العائلة على سر هذه المهنة. على سبيل المثال يوجد في منطقة أدرار عائلة هوارى بقصر أولاد ابراهيم، عرفت بممارسة الطبابة، الجبر، والختان، والتداوي بالأعشاب. تمارس هذه المهنة إلى يومنا هذا لنفس العائلة عن طريق العطية. وغيرها من الأمثلة المتنوعة في الجزائر والتي تدعو لدراسات خاصة لمعرفة أغوارها.

أما من الناحية النظامية للمعالجين التقليديين، نجد أنه على سبيل المثال "في الولايات المتحدة، لا يجوز أبداً أن يصف أي شخص علاجاً بالأعشاب للآخرين. أما في الصين فيمارس العلاج بالأعشاب في مستشفيات خاصة للطب البديل. بينما نلاحظ في فرنسا، أن العشابين هم الذين درسوا طب الأعشاب في معاهد وكليات متخصصة."³

¹ أرحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت لبنان، 2000، ص70
² محمد الرازي، الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكنهم كتاب مفتوح، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص 39.
³ داود جاسم الربيعي، العشاب من هو؟ مرجع سابق.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

وفي فرنسا، "يمكن مقاضاة المعالجين من قبل المحاكم بسبب الممارسة غير القانونية للطب."¹ كما نجد في ألمانيا أن "في حين نجد أن اللذين يعالجون بالأعشاب في ألمانيا لديهم إجازات خاصة لممارسة هذه المهنة، بينما تخضع بريطانيا من يرغب أن يكون عشاباً لدراسة وتدريب وامتحان لفترة أربع أو خمس سنوات، وكذلك الحال في استراليا."²

أما في الغرب، فإن "المعالجين، والممارسات التقليدية فهي وريثة المجتمعات التقليدية. فيمكن أن يكون نمواً مغناطيسياً، عرفاً، معالجاً، طارد للأرواح الشريرة... في المجتمعات التقليدية لآسيا وأفريقيا وأمريكا وأوقيانوسيا، فيعتبر ساحرا أو مرابطاً، أو دونزوساً، وفي العادة المعالجين هم الشامان. ويسمى الفلبينيون والبرازيليون المعالجون أحياناً بالجراحين النفسانيين."³

في أوزباكستان-على سبيل المثال- للمعالجين عدة وظائف "دينية وعلاجية وسحرية واجتماعية، وهم يظهرون بشكل لا يمكن إنكاره. كأطباء الروح في منطقتهم حيث يلعبون -علاوة على ذلك- دوراً اجتماعياً كبيراً للحياة اليومية للسكان. يمتلك المعالجون بعداً رمزياً حقيقياً، وهو من الفضاء المجتمعي (mahalla) ويستمدون شرعيتهم من متانة التقاليد التي تم نقلها إليهم في معظم الأحيان من قبل أسلافهم."⁴

ويعود اهتمام الأوزباكستان بالمعالجين لغرض رئيسي، وهو إعادة بناء "هويتها حول دولة قومية تتحول إلى أصولها، لكي تتمكن من تقديم ضمانات الأصالة. وقد ينطوي ذلك على ممارسات علاجية أخرى، خاصة عندما يكون هناك شكوك لفاعلية نظام الصحة العامة. يبدو أن الطلب على الطقوس أصبح أكثر تكراراً منذ الاستقلال، كما أننا نشهد ظهور طوائف جديدة للقدسين. بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من الافتتاح القانوني الحقيقي للغاية لايزال الأوزبك يفضلون استشارة المعالج أو المعالج التقليدي في منطقتهم وبالتالي خارج المجتمع الطبي."⁵

وفي أفريقيا "يتمتع المعالجون التقليديون باحترام وإعجاب من طرف سكانهم المحليين لأنهم يخدمون على أساس العلم الأصلي الذي تم تمريره من جيل إلى جيل. وقد أظهرت الدراسات الجادة والمصادقة

¹Camara Mohamed Karfalla, Op.cit 15

²Ibid. p 15.

³Ibid., p13.

⁴Sophie Hohmann, **Instrumentalisation politique de la médecine traditionnelle**, Dans Le Courrier des pays de l'Est 2008/3 (n° 1067), p24

⁵Ibid. p 27.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

أن العلاجات التقليدية فعالة. وكثيرا ما يكون المعالجون هم الملجأ الوحيد للسكان الذين يعانون من عدم الاستفادة من المشورة والرعاية والدعم النفسي الاجتماعي اللازم لإعطاء صحة جيدة.¹

أما في دول الوطن العربي فلا يوجد أي عشاب يحمل شهادة رسمية لممارسة العلاج بالأعشاب إلا نادرا.² وقد وصف رحب خضر عكاوي الممارسات الطبية عند العرب بالشرح والتفصيل فئات مختلفة لأنواع هذا الطب على غرار: العرافة والكهانة والزجر السحر والطلسمات، الحجر والخرز. إضافة إلى "القيافة وهي صناعة يستدل بها على معرفة الإنسان كما يستدل بها على حصول النسب، وكذا الاستدلال بآثار الأقدام، فمنها قيافة البشر ومنها قيافة الأثر. الريافة وتعريف الرائف للماء المستجن في الأرض أقرب هو أم بعيد؟ العيافة: عبارة عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف. الزكافة إصابة الظن وصدقه"³

وكانت المعلومات الأساسية عن العقاقير "فقد تجمعت طيلة قرون عديدة على يد جامعي الأعشاب ومقتلعي الجذور (rhizotomoi)."⁴ وقد وصفهم سارتون بالأذكفاء فقال: "الأذكفاء من أصحاب الجذور لم يكونوا مجرد جامعي جذور وأعشاب، بل كانوا يعملون الفكر فيها."⁵

ففي بادئ الأمر "لم يكن الباعث على تحصيل المعلومات من النبات شيئا سوى تحصيل الطعام والدواء. ولكن ثيوفراستوس كان قد جاوز هذا الدور، وكان همه النبات لذاته، أي تفهم حياة النبات في كافة صورها، ولكنه مع ذلك لم يفقد شغفه بالناحية العلمية، ناحية استعمال النبات في حاجة الإنسان؛ فالباب التاسع من كتاب تاريخ النباتات أغلبه طبي، وفيه بيان جيد للعادات الخرافية لدى أصحاب الجذور والأعشاب... فيعرض لما يسميه التغيرات الذاتية في طبيعة الأشجار وعجائب معينة."⁶

¹Camara Mohamed Karfalla, Op.cit, p11.

²Ibid. p12.

³ محمد الرازي، مرجع سابق، ص 118.

⁴ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان الجزء الثاني، تر. نخبة، إبراهيم بيومي مذكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين رزيق ومحمد مصطفى زيادة، ج.2، المركز القومي للترجمة والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 2010، ص211.

⁵ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان الجزء الثالث القرن الرابع تر. ليف من العلماء المركز القومي للترجمة، 2010، ص 292.

⁶ نفس المرجع، ص 289.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

وقال فيتاغورس عن تفسير العرافين للتغيرات الطبيعية للنبات: "إن العرافين يسمون مثل هذه نذراً وهو لم يستطع أن يعلل كل حالة، ولكن يفرض وجود العلة، فالتغيرات عنده أمور طبيعية لا خوارق."¹

أما بشأن الأعشاب فإنه "قد اختبر عدد عظيم من النباتات وعرفت بعض منافعها وكشفت أخص مؤثراتها، ثم استنبطت الوسائل الفعالة لجمع ما كان منها أكثر نفعاً. وإن لم يمكن تعليل منافعها تعليلاً معقولاً وجدت الخرافة والسحر مكانهما إلى استكمال ذلك. ولذا يتعذر علينا أن نخوض في هذا دون أن نتوه في مجاهل الخرافات، ونضل في شعابها الكثيرة. وإزاء هذا نكتفي بإيراد الحقيقة التالية: وهي أن تأثير كثير من أنواع النبات كان معروفاً لدى مقتلعي الجذور قبل نشأة علم الطب بزمن طويل."²

وفي زمن أبقرات "تلقى الأطباء الأبقراطيون من أسلافهم المجهولين كنوزاً من العقاقير. وكل ما احتاجوا إليه من الأعشاب جمعه عشابون محترفون تقيدوا في عمالهم هذا بجمع الطقوس الخرافية المعهودة. وكان عليهم مثلاً في غضون عملهم هذا، أن يكونوا في حالة من الطهر ناتجة عن قيامهم ببعض الشعائر الدينية، وإلا فلا تنفع الأعشاب المجموعة. وكان يشترط في بعض أنواع الأعشاب أن تجمع في الظلام، أو في أوان ازدياد القمر أو تناقصه. وأن ترتل أثناء جمعها بعض الآيات السحرية، وتستخدم لذلك أدوات خاصة، وناول الأعشاب المجموعة بحسب مراسيم معينة، ويجري ذلك على وجوه شديدة التنوع، ويهيمن على كل مرحلة من مراحل ضرب من المعاني السحرية."³

يوضح مؤلف كتاب العشاب ديالات أرماند Delatte Armand "أن الإيمان بفضيلة النباتات قديم جداً وأن ممارسة الانتقاء معقدة بشكل خاص، بسبب الطقوس التي تصاحبها والتي من المثير للاهتمام معرفتها."⁴

وكما ذكر كونواي زيركل (Conway Zirkle) "أن جمع الأعشاب أو اقتلاع الجذور من صدر الأرض الأم يشبه إجمالاً اقتلاع الشعر من ظهر نمر راقد، وهي مهمة خطيرة ما لم تتخذ لها الاحتياطات اللازمة) وعلى كل لم يكن لزاماً على أطباء العهد اللاحق أن يستكشفوا الأعشاب أو

¹ نفس المرجع، ص 289.

² جورج سارتون، نفس المرجع، ص 212.

³ جورج سارتون، مرجع سابق، ص 212.

⁴ Gessler Jean, Delatte (Armand). *Herbarius. Recherches sur le cérémonial usité chez les Anciens pour la cueillette des simples et des plantes magiques* [compte-rendu] Revue belge de Philologie et d'Histoire Année 1937, 16-3-4 pp. 736-738.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

الجدور، بل كان يؤتى بها إليهم، وكانت مهمتهم تقتصر على إعادة استطلاع خصائصها وتعيين طريقة الاستعمال ومقدار الجرعة، على نحو أقرب إلى مقتضيات العلم.¹

لذلك كان "اعتناء العلماء المسلمين بعلم النبات اعتناءً كبيراً، وكان أنصاره أكثر من أنصار علم الحيوان. ولعل ذلك يعود في المقام الأول للعلاقة الوثيقة بين النبات والطب حيث كان ما لا يقل عن تسعة أعشار العقاقير المتداولة في العلاج من النباتات أو من خلاصات نباتية؛ حتى كان يطلق على الصيدلة في وقت من الأوقات اسم العشابين."² أما لنباتيون الذين يشتغلون في صناعة الأدوية كانوا يسمون "الشجاريين والحشاشين في المشرق، بينما يعرفون بالعشابين في المغرب، ومنهم ابن العشاب المعروف بابن الرومية."³

2. مجالات المعالجين الشعبيين.

من بين مجالات المعالجين الشعبيين المتعددة والمتنوعة والتي حرمها الإسلام "الكهانة وهي ادعاء علم الغيب، ومستقبل الزمان وأسرار الإنسان. العرافة وهي الاستدلال على الأمور الماضية، أو الحاضرة أو المقبلة، والإرشاد عن الضالة، والشيء المسروق. النجامة وهي نسبة التأثيرات من خير أو شر، والأمراض إلى النجوم، والإخبار عنها بالغيب.⁴ السحر وهو إرادة الباطل في صورة حق والزعم بأن الرقى تقتل أو تمرض أو تفرق بين المرء وزوجه أو الإتيان بخوارق العادات. التطير وهو التفاؤل بالطير، والتفاؤل والتشاؤم بصفة عامة."⁵ سنتطرق إلى البعض منها بشيء من التفصيل.

1.2 الكهانة: أما الكهانة فكانت تمارس في الغالب من طرف كهنة الهياكل الدينية حيث تولوا العلاجات "فبنوا الطب على أوهامهم وأهوائهم وخرافاتهم؛ فلذلك جعلوا العلاقة بين الإنسان والأجرام الفلكية والظواهر الجوية أساس طبهم؛ لتأثرهم بها، فشبها الإنسان بالفلك زاعمين أن مخارجه كالبروج تبلغ اثني عشر عدداً، والحمل والعقرب للعينين، والثور والميزان للأذنين، والجوزاء والسنبله للمنخرين والسرطان للفم، والأسد للسرة، والقوس والحوت للثديين، والجدي والدلو للسبيلين. وجعلوا حواسه الخمسة للمتحيرة الخمسة كقسمة البروج، ونفسه كالشمس بجمع عدم

¹ جورج سارتون، مرجع سابق، ص 212.

² الموسوعة العربية العالمية - <http://www.mawsoah.net>، 2009.

³ عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1988، ص 292

⁴ عائشة بلامة، الثقافة الصحة والأعشاب، دراسة سوسيوولوجية لعينة من سكان توات، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 2، 2012.

2013، بإشراف الأستاذة الدكتورة، مخداني نسيمية.

⁵ رجب لطفي عاشور محقق كتاب، محمد الرازي، مرجع سابق، ص 119.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

التغير، وعقله كالقمر في النقصان والزيادة والكمال، وعروقه كالدرج ومفاصله كالدقائق، وحالاته كالجهات.¹

كما عرف كهنة الهياكل "أن الدواء يكون إما بالإسهال وله زمن الربيع والخريف، أو باستفراغ الدم وله الربيع فقط، أو بالأشربة ولها الصيف، أو بالمعاجين ولها الشتاء؛ ولذلك كانوا يتحينون للعلاج الأوقات المناسبة المبنية على سعد الطالع للمعالجة، خاصين كل نوع من المرض بحالة تناسبه، وراصدين الكواكب وواضعين التقاويم، يتطيرون ويتفاءلون، وهم أسرى الطبيعة والظواهر الجوية، يؤثر فيهم أقل تغيير، ويخيفهم أدنى طارئ مثل اقتران وكسوف وخسوف ومذنب ونيزك وطالع."²

وكثيراً ما نرى في وقتنا الحاضر لدى بعض الممارسين للعلاج، تركيزهم على هذا النمط من التشخيص، الذي أساسه في الغالب نابع من نظرية الأخلاط والأمزجة. "وهي نابعة من تشخيص لبيئة عرفت "بالمالاريا والأمراض الصدرية، أوسع الأمراض انتشاراً في عهد الأباطريون وفي مواطنهم. وكانت الأخلاط في كلتا الحالتين من أوضح ما تتجلى فيه الأعراض المرضية. والأخلاط هي: البلغم (في المخاطيات، والنخاميات) والدم في (حالة التزيف) والمرارة السوداء والمرارة الصفراء (في نوبات القيء في الملاريا الدورية-المتردة) ... وهذا يساعد في اهتمام أبقراط بالتكهن (في مقابل التشخيص)."³

شمل ذلك، مصطفى عاشور في رباعيات حيث يرى أن "العناصر الأربعة وهي الدم، والصفراء، والسوداء، والبلغم. أما الأمزجة الأربعة فهي الدموي، والصفراوي، والسوداوي، والبلغمي. وبالنسبة للطبائع الأربع، الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. والعلل الأربع وهي العلة المادية والعلة الفعلية، والعلة الصورية، والعلة الغائية. والأسنان الأربع وهي سن النشوء، سن الجدالة، سن الكهولة، سن الشيخوخة. والأمم الأربع، الفرس والروم والهند والترك."⁴

وثبت في اعتقاد هؤلاء الكهنة فيما يخص هذه الأخلاط والأمزجة "أن البلغم كقطع لم ينضج، والدم كمعتدل النضج والصفراء، كمجاوز الاستواء ولم يحترق، والسوداء كمحترق (أي كقطع احترق). وقال بعضهم في أخلاط الإنسان: الصفراء كالطفل يغضب من كل شيء ويرضى من لا

¹ عيسى إسكندر معلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2014، ص 46

² عيسى إسكندر معلوف، مرجع سابق، ص 46.

³ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، تر. نخبة، ابراهيم بيومي مذكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين رزيق ومحمد مصطفى زيادة، ج. 2، المركز القومي للترجمة والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 2010، ص 226.

⁴ مصطفى عاشور محقق كتاب الفراسة للرزق، ص 122.

الفصل الرابع: سوسويولوجيا المعالجين الشعبيين

شيء، والدم كالعبد وربما قتل العبد مولاه، والبلغم كالملك الجائر إذا غضب لا يرضى إلا بقتل عضو شريف، والسوداء كاللص الحاذق إذا دخل البيت لا يرضى إلا بسرقة أجل شيء وهو العقل.¹ وهكذا فسر تشخيص المرض على هذا النحو.

وقد نهي الاسلام عن اتيان الكهان ومنه ما جاء في

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجِنُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ لِلْبُخَارِيِّ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَيَسْتَرْقِي الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوجِّهِهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ. - وَعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. - وَعَنْ قَبِيصَةَ بِنِ الْمُخَارِقِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْعِيَافَةُ وَالطَّيْرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ. رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ، وقال: الطَّرْقُ: هُوَ الزَّجْرُ، أَي: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَهُوَ أَنْ يَتَيَمَّنَّ أَوْ يَتَشَاءَمَ بِطَيْرَانِهِ، فَإِنْ طَارَ إِلَى جِهَةِ الْيَمِينِ تَيَمَّنَ، وَإِنْ طَارَ إِلَى جِهَةِ الْيَسَارِ تَشَاءَمَ. قال أبو داود: وَالْعِيَافَةُ: الْخَطُّ.

قال الجوهري في "الصَّحاح": "الجِبْتُ" كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَمِ وَالكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

2.2 السحر: أما السحر، فيشغل السحر وطقوسه حيزاً كبيراً في أدبيات المجتمعات القديمة² كما له عدة تعاريف، حيث يعرفه البعض "بأنه إظهار أمر مؤذ خارق للعادة من روح شريرة، لأن السحر يقوم على فعل الشر غالباً. والسحر أنواع 1- النيرنج وهو التخيل والتمويه. 2- الخلقطريات وهي خطوط تعقد عليها حروف وأشكال. 3- الشعبة أو الشعوذة على اسم رجل تنسب إليه، وهي أخلية مبنية على خفة اليد أو أخذ البصر في قلب الأشياء."³ والمعروف حالياً لدى مؤرخي الحضارات القديمة أن السحر يقسم إلى نوعين هما السحر النافع. وهو يهدف إلى مساعدة الإنسان في مواجهة

¹ عيسى اسكندر معلوف، مرجع سابق، ص 46.

² أسامة عدنان يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، ط 1، آشوربانيبال للكتاب وبيت الكتاب السومري، العراق بغداد. 2016، ص 250.

³ رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 68.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

الشر. والنوع الثاني السحر الأسود، وهدفه بشكل رئيس الإيذاء، وهكذا يكون سحرة النوع الأول من السحر هم المسؤولون عن القضاء على شرور السحرة الذين يتعاطون السحر الأسود، كما أن من أبرز أهداف السحر النافع هو شفاء الناس من الأمراض التي يصيبهم بها العفاريت والأرواح الشريرة.¹

ويفسر مفهوم السحر من الناحية السوسولوجية على أنه "ليس مجرد نمط من الاعتقاد أو قطعة من الجهاز العقلي للإنسان، بل هو فن مترجم فيه النظرة والاعتقاد في ك خطوة إلى فعل، وهو أيضاً شيء عملي جداً، كما أنه فن إنساني بمعنى أنه يمارس فقط بواسطة الإنسان. وتعود جذور السحر إلى تعدد الأنشطة الإنسانية وهو طريقة للسيطرة على الطبيعة. يضيف السحر على ممارسيه والمشتغلين به قوة اجتماعية كبيرة، ففي كل المجتمعات تقريباً نجد أن الساحر هو الشخص الوحيد، الذي يمكن أن يقارن بالحاكم من ناحية النفوذ، والتفكير والسلطة، وهكذا يلعب السحر هنا دوراً وقوة أهم من قوى الضبط الاجتماعي."²

وكما قال مارسيل موس: إن السحر "عبارة عن طقوس خاصة وسرية، خفية وغامضة، لا تدخل في نطاق عبادات وشعائر منظمة، وهي طقوس أقرب إلى الممنوع والحرام"³ وقد "يصاحب كلمة سحر أسماء ومعاني كثيرة، نذكر بعضاً منها: الكهان، العراف، الجن."⁴

أما عن العراف فكما قال عنه جان شارل سورنيا "العراف على دراية جيدة بالمجتمع الذي يطببه بما أنه نشأ فيه. عالم بدواليبه وتركيبه الطبقي وآلياته وسلوكياته الجمعية وبالتالي لا يطبق أسلوب العلاج نفسه على كل أفراد الجماعة."⁵ ويضيف قائلاً: "بممارسة العراف نوعاً من العلاج النفسي بحسب المريض وتقدير دوره الاجتماعي، وروابطه العائلية ومزته داخل العشيرة. وهو يقدر بشكل حقيقي العطب البدني أو العقلي ويصل إلى التشخيص الكامل لحالة مريضه ربما بشكل أفضل من الطبيب الغربي المهموم جداً بمشاكل عضو واحد من أعضاء الجسم، أو المستغرق في جرعة كبيرة من الكيمياء الحيوية. أما الشعراء السحرة في السنغال، على سبيل المثال، فيعملون منهاجاً قريباً من العلاج النفسي الحديث بالإيحاء والتنويم المغناطيسي."⁶

¹ أسامة عدنان يحي، مرجع سابق، ص 250.

² مخداني نسيم، السحر كممارسة اجتماعية، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 26، ج 1، الجزائر، نوفمبر 2014، ص 300.

³ نفس المرجع، ص 301.

⁴ نفس المرجع، ص 302.

⁵ جان شارل سورنيا، مرجع سابق ص 15.

⁶ نفس المرجع، ص 15.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

ومن الناحية الشرعية نورد حديث شريف عن السحر، "فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ التُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ"¹

هذا وقد "سيطرت طرق العرافة على الحياة البابلية، وفي وسعنا أن نفترض أنها اختراعات بابلية (أو بالأحرى سومرية)، مع العلم بأن الإيمان بالعرافة لم يقتصر عليهم، إذ نجده في جميع العالم القديم، ... ولا تزال هذه الحال بين طعام الناس في العصر الحاضر. إذا سلمنا بمقدمات العرافة وأسسها، فأساليبها لا يمكن أن تختلف اختلافاً أساسياً من أمة إلى أمة أخرى."²

3.2 التمام: قال في النهاية في غريب الحديث³: التمام جمع تيممة وهي خرزات كانت العرب تُعَلِّقُهَا عَلَى أَوْلَادِهِمْ يَتَّقُونَ بِهَا الْعَيْنَ فِي زَعْمِهِمْ، فَأَبْطَلَهَا الْإِسْلَامُ. وَعَنْ الْخُرَزَاتِ "فَمِنْهَا التَّمِيمَةُ وَهِيَ خُرْزَةٌ رِقْطَاءٌ نَنْظُمُ فِي السَّيْرِ ثُمَّ يَعْقُدُ فِي الْعُنُقِ، قِيلَ إِنَّهَا قِلَادَةٌ يُجْعَلُ فِيهَا سَيُورٌ وَتَعَاوِيذٌ كَانَ عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْطِقُونَهَا عَلَى أَوْلَادِهِمْ وَالْمَصَابِينِ بِالْحَمَى وَالصَّرْعِ لِاتَّقَاءِ الْمَرَضِ وَالْعَيْنِ. وَالْعَقْرُ وَهِيَ خُرْزَةٌ تَشْدُو الْمَرْأَةَ عَلَى حَقْوِيهَا-مَوْضِعُ شِدِّ الْأَزَارِ عَلَى الْخَاصِرَةِ-فَتَمْنَعُ الْحَمْلَ وَالْخِصْمَةَ وَهِيَ خُرْزَةٌ حُمْرَاءُ مِثْلُ الْعَقِيْقِ تَعْلُقُ لِتَقِي مِنَ الْأَمْرَاضِ. وَكَثِيرَةٌ الدَّخُولُ عَلَى السُّلْطَانِ. وَالْوَجِيهَةُ وَهِيَ خُرْزَةٌ تَعْلُقُ لِتَقِي مِنَ الْأَمْرَاضِ. وَكَثِيرَةٌ هِيَ أَسْمَاءُ الْخُرْزِ الَّتِي كَانَتْ تَعْلُقُ وَيَسْتَعَانُ بِهَا عَلَى الْمَرَضِ وَالْعِلَاجِ."⁴

ولا نزال نلاحظ هذه الظاهرة في وقتنا الحاضر وفي مجتمعات مختلفة، ونشهدتها في الجزائر وخاصة في المناطق الصحراوية، فيما يتعلق بالأحجبة، فعلى سبيل المثال تصنع الأحجبة من الجلد وهي تحتوي على آيات قرآنية لتحفظ الطفل المولود أو المختن أو المريض، لدرء العين والحسد والمرض، وتعد في العنق أو في اليد، وتضاف لها خرزات رقطاء بالأسود والأبيض تسمى بعن النعجة، وربما أضيفت خرزات خضراء أو ودعة. والغرض من ذلك الوقاية ودرء المرض. وهذه دلالة على تواصل المعتقدات التي كانت سائدة لدى العرب فهي مستمرة في وقتنا الحالي.

وكما سبق وأن أشرنا اعتبرت التمام وكذلك الودائع من الأمور التي حرمها الإسلام، كما جاء في الحديث الشريف: "عن عقبة بن عامر: من علق تيممة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله

¹ يحيى بن شرف النووي دمشقي أبو زكريا، مرجع سابق، ص 555.
² جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج 1، تر. نخبة من المترجمين، سلسلة ميراث الترجمة، مصر، القاهرة 2010، ص 201.

³ مجد الدين المبارك بن محمد/ابن الأثير الجزري النهاية في غريب الحديث والأثر، خرَجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ صَلَاحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَوِيضَةَ 1-5 مع الفهارس ج 1، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 192.

⁴ رجب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص 69.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

له^{*} قال بن الأثير الجزري "والحديث (من علق تميمه فلا أتم الله له) كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، وإنما جعلوا شركاً لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه."¹

لكن بعض هذه الطقوس لاتزال تمارس في طقوس الولادة والزواج رغم طابعها الوثني، دون أن ننتبه غالباً إلى شرعيتها في ديننا الحنيف، بل هي متوغلة في تقاليدنا. حيث تعقد الودعة في رجل العروس أو في رجل النفساء، أو في عنق الصغار. وهذا بدل على استمرار هذه المعتقدات خاصة في المناطق التي لاتزال متمسكة بعاداتها وتقاليدها بشكل صارم.^{*} وكما يرى زيدان عبد الباقي أن "الجماعات لا تقوم على اشباع حاجات الفرد، ولا تحقق رغباته دون قيد أو شرط، بل أنها تضع له القواعد والأسس التي يتم في نطاقها إشباع دوافعه وتحقيق رغباته (نظم اجتماعية)."²

4.2 الرقية: فحسب قاموس المحيط: العوذ: الالتجاء، كالعياذ والمعاذ والمعاذة والتعوذ والاستعاذة، والرقيّة، بالضم: العوذة. أما التشرّة: بالضم: رقية يُعالجُ بها المَجْنُونُ، والمريضُ، وقد نَشَرَ عنه. وفي لسان العرب: والعوذة والمعاذة والتعويدُ: الرقية يُرقي بها الإنسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها.

والمعوذتان، بكسر الواو: سورة الفلق وتاليتها لأن مبدأ كل واحدة منهما قل أعوذ. وأما التعاويذ التي تُكتب وتعلق على الإنسان من العين فقد نهي عن تعليقها، وهي تسمى المعاذات أيضاً، يُعوذ بها من علقت عليه من العين والفرع والجنون، وهي العوذ واحدها عُوذَةٌ.

5.3 الأخذة: بالضم: رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر أو خرزة يُؤخذُ بها النساء الرجال، من التأخير.

قال ابن حجر في الفتح: والرقية كلام يستشفى به من كل عارض أشار إلى ذلك ابن درستويه؛ وبوب البخاري في كتاب الطب^{*} باب الرقي بالقرآن والمعوذات.

وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

(1) أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته،

^{*} (المنذري 656 هـ)، الترغيب والترهيب 239/4 • إسناده جيد • أخرجه ابن حبان (6086) واللفظ له، والطبراني (297/17) (820)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (470/6) عن موقع حديثي أطلع عليه يوم 2020/03/24.
¹ مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر 5/1 مع الفهارس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ص 193.

^{*} ونلاحظ ذلك مثلاً في المناطق الصحراوية والتي تنتمي إليها الباحثة، حيث تتم هذه الطقوس بقولهم إنها قال 'ربما يعني تفاؤل بالخير ودرء العين.
² زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، ط.1، مكتبة السعادة، القاهرة، 1980، ص 29.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

(2) وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره،

(3) وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى.¹

فكثيراً من الرقى والتعاويذ تتخذ لدرء العين والحسد حيث نجد في الثقافة الشعبية الكثير من الممارسات التي تتداول بين أفراد المجتمع في هذا الخصوص. ففي الجزائر "حسد" مثلاً أفراد المجتمع يترددون على العرفات والشوفات ليزعوا العين التي أصيبوا بها، فيدخلون بالتالي إلى فضاء اللامعقول تستعملوهذا يشير إلى أن الإيمان بالعين الشريرة، والحسد من بين المعتقدات الأكثر انتشاراً في البنية الاجتماعية مختلف شرائحها عمقاً وعرضاً. وهذا الاعتقاد واسع الانتشار بين الشعوب المختلفة²

ومن بعض الأساليب المتخذة لإبعاد العين في الجزائر استعمال الملح كوقاية من العين الحاسدة "يوضع قليل من الملح في كيس يعلق في عنق الأطفال، وكذلك ناب الذئب أو الضبع أو رأس الهدهد عليه ريش يوضع في قطعة من الكتان الأحمر ويخاط عليها كذلك من بين الطرق وضع قليل من الملح (على الجمر)، ويقف المحسود، ويجعل الجمر بين رجله، وتتلى بعض الرقى الشعبية، وكما يعرف أيضاً في بعض المناطق الجزائرية بالتسبيح بالملح (وضع الملح بين أصابع اليد وتحويطها على الرأس سبع مرات) وأحياناً تأتي بعض العجائز فتوقد ناراً؛ وترمي فيها شيئاً من الشب (Alum) وتذكر أسماء الذين يُظن أنهم الحسدة، وتأخذ إبرة فتضعه في عين الصورة التي تحول إليها الشب³ "من الممكن أن تعتبر هذه الممارسات خرافة" ولهذا كانت الخرافة مجموعة الأفكار والممارسات والعادات التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي ولا تخضع إلى أي مفهوم علمي سواء أكانت ذلك في حيز التطبيق والممارسة أو في المجال النظري فإن الذهنية الخرافية تمثلت في نقل المعلومات أو تمثيلها أو تفسير الأحداث أو تعليلها، لكن بالمحصلة النهائية ليست على أساس علمي أو عقلي، ولقد تداخلت الخرافة منذ قديم الزمان مع المعتقدات والطقوس الدينية مما جعلها ثقافة مجتمع بأكمله.⁴

يعتبر حمل الملح من الأساليب التي نجدها مثلها في "تقليد يهودي يرجع إلى العصور الوسطى، يقضي بحمل الخبز والملح إلى البيت الجديد. وهناك تقليد بريطاني مشابه، لكنه يقتصر على حمل الملح

¹ السيد كمال. الرقى والتمايم. متاح على موقع صيد الفوائد: www.said.net/Doat/alarbi/25.htm/ يوم 2011/08/29

² مخداني نسيم، السحر كممارسة اجتماعية، مرجع سابق، ص298.

³ نفس المرجع، ص298.

⁴ البتهال عادل إبراهيم هشام سوادي هاشم، من صور التواصل الاقتصادي لطرق الحج بين العرب المسلمين وسكان إفريقيا- تجارة الملح آمنونجا، مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، الكتاب 06 الآثار الاقتصادية ووصف الطرق، مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية، السودان، الخرطوم، 2016-11، ص3.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

وحده إلى المتزل الجديد"¹ ولا زال إلى يومنا هذا يرش البابانيون الملح على خشبة المسرح قبل بدء العرض ليحمي الممثلين من الأرواح الشريرة."² في جبال البيرينيه، يذهب الزوجان إلى الكنيسة محمليين بالملح في جيوبهم اليسرى لكي يتقيا شر ضعف القدرة الجنسية. وفي كثير من مناطق فرنسا، تحمل العروس وحده الملح. وفي ألمانيا ينثر الملح على حذاء الرجل."³

وكان الملح يستخدم في "طقوس المباركة والأعياد الدينية، وفي حفظ سمك المزلين الضخم، وفي الدواء، وفي غايات التطهر خلال فترات الصوم"⁴ "واعتماد المصريون القدماء، كما اليونانيون والرومانيون، استخدام الملح في تقديم القرابين والأضاحي. ورمزوا إلى أهتمام القديمة بالملح. ويعتقد أن تقليد الماء المقدس في المسيحية، يجد جذوره في مثل تلك الطقوس. والحال أن المسيحية ربطت الملح مع الحياة المديدة والبقاء، وكذلك مع المعرفة والحكمة. وتهب الكنيسة الكاثوليكية، الملح المقدس (Salsapietia) الذي تسميه ملح الحكمة."⁵

يصعب التفكير في أي مادة أخرى نالت نصيباً موازياً من الأهمية في فكر الإنسان ومعيشته بأكثر مما فعل الملح فقدرتة على المحافظة على الأشياء ووقايتها من التحلل وكذلك قدرته على حفظ الحياة البشرية أعطته رمزية كبيرة على الرغم من كونه مادة متوفرة بكثرة وشائعة لكن الوعي البشري (يربط بينه وبين الديمومة والحياة الطويلة وتلك المسائل أعطاها الإنسان دلالات وطقوساً مهمة."⁶

"يشير مارك كير لانسكي صاحب كتاب «تاريخ الملح في العالم» إلى أن أول استخدام تاريخي لافيت وكثير في رمزيته قد يكون هو استعمال الفراعنة القدماء للملح في التحنيط... والمعالم أن معتقدات الفراعنة تتركز بقوة على فكرة الخلود، وقد جاء اصطناع الموميات في إطار اعتقادهم بضرورة حفظ الجسد في انتظار بعثة حياة أخرى، وانطلاقاً من هذه المعتقدات، فإن قدرة الملح على حفظ الجسم أعطته حالة أسطورية لا يصعب أبداً فهم أبعادها."⁷

¹ مارك كير لانسكي، تاريخ الملح في العالم، تر. أحمد حسن مغربي، ط. 1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، ص 14.

² نفس المرجع، ص 7.

³ نفس المرجع، ص 11.

⁴ نفس المرجع، ص 10.

⁵ نفس المرجع، ص 11.

⁶ نفس المرجع، ص 14.

⁷ علياء دريك ومحمد أبو الوفا علياء دريك ومحمد أبو الوفا، الملح أسطورة كل الحضارات جسر الفراعنة للخلود وطريق غاندي للاستقلال، مجلة اليمامة، مجلة اسبوعية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 14/07/2012

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

الملح "في علم الكيمياء: مركب يحصل - من حلول معدن مكان الهيدروجين في أحد الحوامض... وفي التزليل العزيز: {وهذا ملح أُجَاجُ} [الفرقان: 53] ماء ملح فيه ملوحة."¹

وجاء في شمس العلوم نشوان بن سعيد الحميري -توفي: 573هـ/1177م عن الملح: "والمُح: معروف، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، يُصلح الأجسام ويصفي الذهب والفضة، ويذهب الرطوبة الغليظة، وينقي القروح الخبيثة ويمنعها من الانتشار، وإذا خلط بالعسل نفع من وجع النغانغ واللهاة، وإن خلط بالزبيب وتمسح به أذهب الإعياء، وإن خلط بدهن الورد ومسح به البدن في الشمس أو في الحمام أو قرب النار أذهب الجرب والقواهي وسكن الحكّة الحادثة من الرطوبة، وإذا اكتحل به قلع الظفرة واللحم الزائد في العين، وإن حمل مع الزيت على الدمّل أنضجه، وإن جعل على حرق النار لم يتنفط."²

يعتبر الملح معدن أساسي في غذاء الإنسان وفي حياته الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية. وقد لعب دوراً بارزاً في تشكيل ميثولوجيا الشعوب قاطبة ويميل كثيراً من شعوب الأرض إلى الاعتقاد بان الأرواح الشريرة لا تتحمل الملح الذي يقدر على طرد تلك الأرواح. وكما مادة اقتصادية مهمة كان سبباً في وقوع مئات الحروب بل يعتبره مؤرخو الحضارات المادة الضرورية لنشأة الإمبراطوريات وانهارت أخرى. وكسلعة تجارية كان للملح أثره البارز في القارة الإفريقية وخصوصاً في سواحلها الشرقية منذ عصور ما قبل التاريخ إلى أواسط القرن العشرين وقد أدى دوراً مهماً في انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء تلك التجارة التي كانت تتم على ظهور القوافل.³

ونظراً لدور الملح في حياة سكان المناطق الحارة "إلى كميات أكبر من الملح، خصوصاً إذا مارسوا أعمالاً جسدية شاقة، للتعويض عن الكميات التي يفقدونها في عرقهم، ولذا، أطعم العبيد الذين جلبوا من الهند الغربية، أطعمة مملحة، وفي المقابل، إذا لم يبذلوا عملاً شاقاً فإن الملح الموجود في اللحم الأحمر يكفي احتياجاتهم."⁴

أورد أرنست جونز* أنه في كل العصور، أعطى الملح دلالات فاقت مواصفاته الطبيعية، على رغم أهمية تلك الخصائص وإثارتها وسماء هوميروس المادة الإلهية ووصفه أفلاطون بأنه المادة العزيزة على

¹المعجم متاح على 18/03/2020 أطلع عليه يوم <https://www.almougem.com/mougem/search>

²نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: يوسف محمد عبد الله مطهر بن علي الارياني وحسين بن عبد الله العمري -ج.9: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1420.

³ابتهال عادل إبراهيم وهشام سوادي هاشم، مرجع سابق، ص 1.

⁴مارك كيرلانسمي، نفس المرجع، ص 17.

*أحد مؤسسي مدرسة التحليل النفسي في الولايات المتحدة وبريطانيا

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

قلوب الآلهة إلى اليوم الأهمية التي ستسمنها الملح في الطقوس الدينية والمواثيق وأعمال السحر ولقد تكرر ذلك في كل بقاع الأرض. وعبر كل العصور، مما يدل على أننا نتعامل مع ميل إنساني عام، وليس مجرد عادة أو ظرفاً مفهوماً محلياً.¹

وكما قال المحمداوي: "آمن الإنسان بالمعتقدات لدينية التي دخل في تركيبها ضمناً الخرافات، السحر، الجن والعين الحاسدة."² وقال سارتون بشأن التنجيم والخرافات أن: "التنجيم الحديث فلا يزال في جوهره كالتنجيم القديم. إن الخرافات قد تتغير ولكنها لا تتقدم، والحق أنها لا تتغير كثيراً لأنها شديدة الحفاظ على نفسها."³

وللإشارة، فقد وردت أحاديث نبوية عن الملح⁴ ومنافعها ومنها فائدة ماء البحر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في البحر: هو الطهور ماؤه، الحجل ميتته. أي صيده وطعامه حلال. وعن سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم: كنت عند رسول الله ﷺ يوماً جالسة إذ أتى إليه رجل فشكى وجعاً يجده في رأسه فأمره بالحجامة وسط رأسه وشكى إليه ضرباًناً يجده في قدميه فأمره أن يخضبها بالحناء ويلقي في الحناء شيئاً من ملح. ابن الجوزي (597 هـ)، العلل المتناهية 878/2. لا يصح. وعن سمرة بن حنبل: أن رسول الله ﷺ كان يقول لنا إنكم توشكون أن تكونوا في الناس كالملاح في الطعام ولا يصلح الطعام إلا بالملح. الهيثمي (807 هـ)، مجمع الزوائد 21/10. إسناده حسن. وعن أنس بن مالك: سيّد إدامكم الملح. الطبراني (360 هـ)، المعجم الأوسط 354/8. لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به مروان بن معاوية.

مما سبق، نرى توارد أمور متشابهة بين الثقافات وقد تنبه الباحثون منذ وقت طويل إلى تشابه الأفكار بين أصحاب الحضارات الكبرى، والقبائل البدائية في جوانب عدة منها الأفكار الدينية، إذ يرى بعض المهتمين بتاريخ الدين إن تشابه الظروف يولد ثائلاً في الآراء والأفكار والعادات من الناحيتين النظرية والعملية، والإنسان الحديث حسب هذه النظرية مر عبر تاريخه الطويل بمراحل عديدة تطور بعضه وأشأ الحضارات المتقدمة وتأخر البعض الآخر وبقي محافظاً على تراثه القديم فأصبح يعد من الأقوام البدائية.⁵

¹ مارك كير لانسمي، نفس المرجع، ص ص 10-11.
² ينظر المحمداوي، عبد الكريم خليفة حسن: الإصابة بالعين والحسد، دراسة نفسية - اجتماعية - دينية، ملتقى الزمن للثقافة والفنون، كركوك، 2000.
³ جورج سارتون، العلم القديم والمدنية الحديثة، تر. عبد الحميد صبرة، أحمد فؤاد باشا، سلسلة ميراث الترجمة، القاهرة، مصر، 2010، ص 131
⁴ موقع الباحث في الحديث (<https://sunnah.one>)
⁵ أسامة عدنان يحي، مرجع سابق، ص 16.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

6.2 زيارة الأولياء: يلجأ البعض إلى زيارة الأضرحة الخاصة بأولياء الله الصالحين طلباً للشفاء، وذلك ما يشير إلى امتداد هذا الطقس عبر العصور حيث كانت المعابد تزار لغرض الحصول على الشفاء. بمجئ الإسلام بقيت مزارات أولياء الله الصالحين تلقى مكانة لدى أفراد بعض المجتمعات. وفي شأن أولياء الله الصالحين يقول تعالى جل من قائل في شأن أولياء الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62-63] فأولياء الله هم أحبابه الذين آمنوا به، وراقبوه في السر والعلن. ويصير المؤمن ولياً لله وحبیباً إليه بأن يؤدي ما فرض الله عليه من العبادات، ثم يتودد إلى الله بفعل النوافل. وقد تناول الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد جاء فيه: (... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...)".¹

ويقصد بذلك "أنه يجعله ينتفع بما سمع من العلم والحكمة والمواعظ الحسنة، والتجارب النافعة لذوي العقول والمواهب. وكان البصر الذي يبصر به؛ فيجعله يرى بنور الله ما في السماوات والأرض من آيات؛ فيزداد إيمانه ويقينه، ويرى مقدمات الأمور، فيبصر بنور الله نتائجها!"²

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة "أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ... إلى قوله... لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 101]. وروى سعيد بن جبیر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: من أولياء الله؟ فقال: الذين يذكر الله برؤيتهم."³

وقد خصهم الله بميزة مرموقة تبرز لنا في هذا الحديث، كما ورد في جامع القرآن للقرطبي عن الآية السالفة الذكر حيث "قال عمر بن الخطاب، في هذه الآية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من عباد الله عبادة ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى. قيل: يا رسول الله، خبرنا من هم وما أعمالهم فعلننا نجبهم. قال: هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"⁴ وقد وصفهم علي بن

¹ محمد الرازي، الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكانهم كتاب مفتوح، تحقيق رجب لطفي عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، بولاق، القاهرة، ص 32.

² نفس المرجع، ص 32.

³ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. 1، جزء 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006، ص 16

⁴ نفس المرجع، ص 16

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

أبي طالب رضي الله عنه بقوله: "أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من العبر، خص البطون من الجوع، يبس الشفاه من الذوي."¹

وخص المولى تعالى الأولياء الصالحين بالكرامات، و"الكرامة هو ظهور أمر خارق على يد أولياء الله الصالحين إلا أن هذا لا يجعلها بمثابة المعجزة أن، فالفروق بينهما واضحة ذلك أن المعجزة في مفهومها: أمر خارق للعادة داعي للخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة قصد به اظهار صدق من ادعي انه رسول الله."²

تتميز هذه الكرامات بالاستمرارية، فنجد في واقعنا المحاضر أن "كرامات الولي لا تموت بموته، حيث أن الأولياء والصالحين يتمتعون حتى وهم موتى، باحترام وتقديس أكثر بكثير مما يناله الأحياء منهم. ولذا نجد الجماهير الشعبية تتردد على مقاماتهم وأضرحتهم تلمس منها البركة وقضاء الحاجة وفي كثير من الأحيان لا تكتفي الجماهير بزيارة قبور الأولياء بشكل بسيط بل تقام كثير من الطقوس والعبادات والاحتفالات المختلفة لإحياء ذكرى ذلك الولي، ومن اعتقادهم بأن التقرب من هؤلاء الأولياء يبعد عنهم الأذى سواء بالقول أو بالفعل."³

ولعل ذلك ما يفسره البعض بقولهم "لا خوف عليهم في ذريتهم؛ لأن الله يتولاهم. ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله إياهم في أولاهم وأحراهم لأنه وليهم ومولاهم."⁴

ومن بين أضرحة أولياء الله الصالحين بالجزائر 'الأقطاب أمثال سيدي أحمد التيجاني، سيدي مولاي عبد الله الشريف الوزاني وسيدي الشيخ مؤسس الزاوية الشيخية أو علي النفطي، ناشر السنة النبوية في منطقة الجريد التونسية."⁵ سيدي عبد الرحمان بالجزائر، سيدي الهواري، سيدي بومدين، يدي بلال، سبعين صالح بن عزي صالح وزاوية مولاي عبد القادر بفتوغيل وملاي عبد الله بن عيشة برقان ولاية أدرار.

فعلى سبيل المثال قبة الولي سيدي الشيخ بالأبيض سيد الشيخ "مؤسس للمنطقة وعشائرها زيارة النساء له من كل الأنساب مستمرة وبدون انقطاع يومي الإثنين والجمعة بشكل اعتيادي وتعتبر

¹القرطبي، مرجع سابق، ص16

²علي بن محمد شريف الجرجاني، التعريفات، ط.1، ج.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985، ص 258.

³مخداني نسيم، السحر كممارسة اجتماعية، مرجع سابق، ص 306.

⁴القرطبي، مرجع سابق، ص16

⁵Salim Khat, *La confrérie noire de Baba Merzoug: la sainteté présumée et la fête de l'équilibre*, Insaniyat /

إنسانيات، 31 | 2006، 113-134

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

الحضرة التي تقام عند قبة سيدي الشيخ تجمعا عموميا تشارك فيه النساء والرجال خلال المناسبات الكبرى: الدينية والوطنية. قبة عبد القادر الجيلالي، تجتمع النساء من كل العشائر عند مقام الولي الذي يبعد عن البلدة بعدة كيلومترات في الخلاء حيث تقطع النساء هذه المسافة مشيا على الأقدام بدون تعب وتصارع كل الظروف للوصول إلى هذا المكان المقدس.¹

تحمل كل ثقافة "بداخلها نموذجا لتفسير نظم الحياة الاجتماعية فهي الإطار الواسع الذي يتشكل من: المعتقدات، القيم والطقوس، هذه الأخيرة التي تعد عنصراً هاماً في تفسير مجتمعاتنا.² والطب الشعبي يلجأ إلى هذا النوع من الرموز العلاجية طلباً للشفاء أو العافية أو لدفع البلاء ببركة ذلك الولي.

وعلى العموم لطب الشعبي إطار علاجي تقليدي "مؤسس على قواعد و قوانين فيسيولوجية و بيولوجية قديمة جداً للمحافظة على قوى الجسم و صحته في ظروف الحياة السائدة و لكن صدق هذه الأسس و القوانين ليست مقيدة بحدود جغرافية بل يصح تطبيقها بنجاح في مختلف الأماكن و يزعم البعض أن كلمة طب شعبي لا تدل على أكثر من مجموعة من الحكايات تقصها المرصعات والواقع أنه لا يمكن الحيلولة دون تسرب مثل هذه الحكايات و المعتقدات الخرافية أحياناً إلى وصفات الطب الشعبي، ولاشك أن تلك الوصفات و الحكايات و المعتقدات تشكل جزء من التراث الشفاهي الذي ينتقل من جيل إلى آخر والذي يكتسب قوته من الجزاء الفعال الذي يتسم به.³

7.2 العلاج بالنباتات والأعشاب:

أ. الأعشاب وتُعرف بحسب منظمة الصحة العالمية هي: المواد النباتية الخام مثل الأوراق أو الزهور أو الفواكه أو البذور أو الجذوع أو الخشب أو اللحاء أو الجذور أو الجذامير أو الأجزاء النباتية الأخرى، التي قد تكون في شكل مكتمل أو مجزأ أو مسحوق.⁴

تقول مارغريت شان* المديرية العامة لمنظمة الصحة العالمية: "أن الأدوية العشبية التي ثبتت جودتها ومأمونيتها ونجاعتها تسهم في تحقيق ضمان حصول كل الناس على الرعاية اللازمة؛ وتعتبر الأدوية

¹ خديجة زاوي، البعد السياسي لتجمع النساء عند الأولياء الصالحين في منطقة الأبيض سيد الشيخ، مجلة إنسانيات، 11، الجزائر، 2000، ص 67-

76

² خديجة زاوي، مرجع سابق.

³ ميرفت العشماوي عثمان، نفس المرجع، ص 12.

⁴ منظمة العالمية للصحة، مرجع سابق.

* منظمة الصحة العالمية، المؤتمر الدولي لبلدان جنوب شرقي آسيا حول الطب التقليدي (الشعبي)، شباط/فبراير 2013 (كلمة مديرة المنظمة).

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

العشبية، والمعالجة العشبية، والممارسون التقليديون (الشعبيون) المصدر الرئيسي للرعاية الصحية، بالنسبة لملايين البشر، بل إنها في بعض الأحيان المصدر الوحيد لهذه الرعاية.¹

وأشار جاسم الربيعي إلى مثال على ذلك فيقول: "لا ننكر فاعلية وأمان العلاج بالأعشاب بل يجب أن يكون على أيدي ماهرة ومجازة علمياً. ويجب ألا نبخس قدرات العشابين المهرة منهم. وخير مثال نورده عن هؤلاء، هو الدكتور أبالكا من نيجيريا، الذي صنع علاجاً عشبياً لقتل فيروس الإيدز. ولكن لم يعترف به، فطلب من نقابة الأطباء إرسال عشرين مريضاً لعلاجهم بالعقار الجديد. وفعلاً أثبت نجاحه، بل طلب منهم حقن دم مريض بالإيدز في جسمه، وفعلاً تم ذلك وعالج نفسه وبعد فترة وجيزة أثبت خلوه من المرض. نحن لا نطالب عشابين بهذه المهارة العالية ولكن نريدهم مجازين من قبل السلطات الصحية."²

كما أشارت إلى نقطة مهمة وهي قولها، أن هذه الرعاية "قرية من البيوت ويمكن الحصول عليها بسهولة ولا تكلف الكثير. كما أنها مقبولة ثقافياً وتثق بها أعداد كبيرة من الناس. ويُسر تكاليف الحصول على معظم الأدوية العشبية يجعلها أكثر جاذبية في وقت ارتفعت فيه تكاليف الرعاية الصحية ارتفاعاً جنونياً، وساد فيه لتكشف معظم أنحاء العالم."³

في الجزائر ر' بالنظر إلى العوامل البنائية التاريخية للمجتمع الجزائري نجد أنها قد تركت مناخاً مناسباً لانتشار العديد من المعتقدات حول المرض ومسبباته والتي عجز الطب الحديث عن الإجابة عنها، في الوقت الذي قدمت فيه الثقافة بالمقابل أساليب علاجية مختلفة لمواجهة المشكلات المرضية التي يقوم بها الأفراد أنفسهم أو بمساعدة المعالجين.⁴ فكانت أهم المعالجات الشعبية في الجزائر:

-العلاج بالأعشاب والنباتات الطبية. - العلاج بالكي. - العلاج بالحجامة. - العلاج بالوصفات العلاجية الشعبية. - المعالجة بالتجبير (الجباز). - معالجة اللوزتان (الجياف). - العلاج بالقرآن الكريم. تقدم هذه الخدمات العلاجية مقابل مبلغ رمزي وفي بعض الأحيان يحدد المقابل بشكل عيني.

¹ منظمة الصحة العالمية، مرجع سابق، ص 16.

² داود الربيعي، الأعشاب، مرجع سابق.

³ منظمة الصحة العالمية، استراتيجية الصحة العالمية 2014-2025، منظمة الصحة العالمية، 2013، ص 16.

⁴ علي عمار، ملامح العلاج الشعبي في منطقة حوض التافنة، دراسة ميدانية في الغرب الجزائري، مجلة الطبي الإلكترونية، 2015.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

وهي تمثل حلقة وصل لأنواع "المعالجات في الطب القديم الكي والفصد والحجامة والإسهال، والمعرقات والمخدرات، المنبهات والمهيجات، والمسكنات من الزرائع البسيطة والتدابير البيتية والوسائط الطبية."¹

ب. العلاج بالنباتات: يعتمد الكثير من الجزائريين على التداوي بالأعشاب، نظراً للثروة الطبيعية التي يتمتع بها بلدنا من تنوع بيولوجي لمناخاتها المتنوعة، التلية والسهبية والصحراوية، لذلك كانت الاستعانة بما هو متاح في المجال البيئي للإنسان من أبسط التدابير المتخذة لعلاج الأمراض، بدون تعقيد في تراكيب الدواء. ففي العادة تؤكل عشبة ما أو تشرب كشاي (تيزانة) أو توضع كلبخة (كمدة) وغير ذلك من التدابير البسيطة كبساطة معيشة السكان. كما يمكن القول بأن العلاج كان بالأدوية المفردة أكثر منه من الأدوية المركبة.

فبغض النظر عن النباتات المزروعة والتي منها الطبية، هناك نباتات طبيعية وفيرة، حيث نجد "في الجزائر، عدد الأصناف المسجلة للنباتات البرية وغير المزروعة من قبل كيزال Quezel وسانتا Santa عام (1962-1963)، 3139 نوعاً (5402). بما في ذلك الأنواع الفرعية والأصناف: حسب آخر الأرقام تقرير استراتيجيات التنوع البيولوجي وخطط العمل الوطنية (SPANB، 2016-2030). وفي ضوء أساليب التعريف الحديث في البيولوجيا الجزئية تم زيادة هذا العدد، فقدّر حالياً بنحو 4000 نوع، بحسب الباحثان دوبيقراد Dobignard وشاتلان Chatelain (2010-2013)."

كما تزخر الجزائر بنباتات متوطنة خاصة بها، وتشارك مع أخرى لجيرانها، وهذا التنوع البيولوجي يساهم بشكل أو بآخر في تشابه الوصفات العلاجية المغاربية والصحراوية وكذا مناطق الساحل كمالى والنيجر. وقد بلغت نتائج تقرير استراتيجية التنوع البيولوجي (2000-2016) السالف الذكر في "التقريران الوطنيان الرابع والخامس، أن النباتات الجزائرية تضم أكثر من 600 نوع متوطن بما في ذلك: 197 نوع جزائري خالص، 104 جزائري مغربي، 50 جزائري تونسي، 165 مغاربي و64 صحراوي."²

¹ عيسى اسكندر معلوف، تاريخ الطب القديم، مرجع سابق، ص 46.

² N. Yahi-Guenafdi, **Les ressources phytogénétiques en Algérie. Note introductive.** Actes du Congrès national sur les ressources phytogenétiques en Algérie, INRAA - Alger, les 22, 23 et 24 octobre 2018, p18.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

ومن بين النباتات الشائعة الاستعمال في الجزائر¹: "شبح شائع *Artemisia vulgaris*؛ زعرور *Crataegus Oxycantha*؛ حبق *Ocimum basilicum*؛ لسان الحمل *Borago officinalis*؛ كزبرة *Coriandrum sativum* L؛ حلبة *Trigonella foenum-graecum*؛ بقلة الملك *Fumaria officinalis*؛ الضرم المكور (الحلحال) *Lavandula stoechas*؛ خبازة برية (الخبيز) *Malva sylvestris*؛ نعناع فلفلي *Mentha piperita*؛ مردقوش (زعتر) *Origanum vulgare*؛ حريق *Urtica dioica*؛ فرجح البقلة الحمقاء (الرجلان) *Portulaca oleracea*؛ اكليل الجبل *Rosmarinus officinalis* L؛ المريمية *Salvia officinalis*؛ الزعيترة شائع (زعيترة) *Thymus vulgaris*؛ الحممام *Verbena officinalis*... الخ.

8.2 العلاج بالكي: الكي: والمعروف هو إحراق الجلد الجديد لتجديده ونحوها، ويقال: اكتوى الرجل اذى كوي واستكوى إذا طلب ان يكوى²

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار. وأنا أنهي أمتي عن الكي».

عن عطاء بن السائب: أتيت أبا عبد الرحمن، فإذا هو يكوي غلاماً قال: قلتُ تكويه؟ قال: نعم، هو دواء العرب. قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل لم يُزل داءً إلا وقد أنزل معه دواءً، جهله منكم من جهله، وعلمه منكم من علمه أحمد شاكر (1377 هـ)، مسند أحمد 134/6 إسناده حسن. أخرجه أحمد (4267).

والكي في الجزائر، منتشر في مختلف مناطق البلاد تقريباً. أما الأداة المستعملة به ففي بعض المدن يكون بأداة معدنية، كالمنجل مثلاً أو بأغصان بعض النباتات كعود نبات الرتم (*Retama raetam*) أو بأعواد الثقاب. وهذه أبرز الوسائل التي تستخدم للكي. وفي الغالب يكون الكي لعلاج الأمراض المستعصية، ويتم في مناطق معينة من الجسم، فعلى سبيل المثال يتم كي الأظافر بأعواد الثقاب، (للخلعة) أو الصدمات النفسية بتعبير آخر. ولعرق النساء، تكوى مناطق معينة على الرجل.

ويتردد على لسان كثير المعالجين حديث الرسول ﷺ "إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لدعه بنار وما أحب أن أكتوي" (أخرجه البخاري 10/130 في

¹Reguieg L. Using medicinal plants in Algeria, American journal of food and nutrition Print: ISSN 2157-0167, Online: ISSN 2157-1317. doi:10.5251/ajfn.2011.1.3.126.127© 2011, Science Huß,

يرجى النظر في مؤلفات كتب النباتات الطبية بالجزائر لحليمي عبد القادر، بلواد عبد القادر، بابا عيسى فريد. وكذلك كشف الرموز لإبن حمدوش الجزائري.

²، لسان العرب: 235/15 (مادة نحوي).

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره 10/6583، 5072، 4/2205 لكل داء دواء (ومسلم). وتأتي كلمة الشراطة المتداولة في مجتمعنا من شرطة محجم، حيث تمارس الحمامة بالمجتمع الجزائري كعلاج لمختلف الأمراض كالصداع والروماتزم لتخفيف الآلام.

9.2 الحمامة: والحمامة قديمة العهد في الحضارات حيث أكتشف في سنة 1973م "أقدم سجل للحمامة في بوشو وهو كتاب أثري مكتوب بالحرير، في معبد أثري في هان دانيسي، وذكر فيه: أنه استبدلت بقرون الحمامة كؤوس الفخار ثم السراميك ثم كأس الزجاج.¹ وبالنسبة للعرب فقد "عرفت كحرفة قبيل الإسلام، ولم يكن لها شأن كبير، حيث إنها لم تدون، ولم يثبت تدوينها في أي من الكتب القديمة. ومع بزوغ الدين الإسلامي، أصبح لها شأن عظيم لأنها وردت في أحاديث كثيرة حث عليها الرسول ﷺ لما لها من فوائد جمّة لحفظ صحة الإنسان كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة كثيرة."²

"فعن عبدالله بن عباس: كان لابن عباس غلّمة ثلاثة حجّامون فكان اثنان منهم يُعلّان عليه وعلى أهله وواحدٌ يحجمه ويحجم أهله قال نبيُّ الله ﷺ نِعَمَ العبدُ الحجامُ يُذهبُ الدّمَ ويخفُّ الصّلبَ ويجلّو عن البصرَ وقال إنَّ رسولَ الله ﷺ حين عُرِجَ به ما مرَّ على ملاء من الملائكةِ إلا قالوا عليك بالحمامة وقال إنَّ خيرَ ما تحتجمون فيه يومَ سبعِ عشرةَ ويومَ تسعِ عشرةَ ويومَ إحدى وعشرينَ وقال إنَّ خيرَ ما نداويتم به السّعوطُ واللّدودُ والحجامَةُ والمشيُّ وإنَّ رسولَ الله ﷺ لَدَه العباسُ وأصحابه فقال رسولُ الله ﷺ من لدني فكلّهم أمسكوا فقال لا يبقى أحدٌ من في البيتِ إلا لدَّ غيرَ عمّه العباسِ (الترمذي ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي ٢٠٥٣ حسن غريب)."³

وقد ذكر ابن سينا "في قانونه الأوقات التي يفضل بها الحمامة فقال: "يؤمر باستعمال الحمامة في أول الشهر لأن الأخلاط تكون قد تحركت أهاجت، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت، بل فيوسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة تابعة فتزايد بها لزيادة النور في جرم القمر، وأعلم أن أفضل أوقاتها في النهار الساعة الثانية والثالثة."⁴ ونلاحظ أن نظرية الأخلاط واردة في تقدير عمل الحمامة، وهذا يعني أن التشخيص يكون مرتبط بهذه الأخلاط ووضعها في الجسم البشري.

¹ يحيى بن ناصر خواجي، الحمامة في ضوء الحديث النبوي والممارسة الطبية، بحث قدم في ندوة رعاية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرورة النبوية فندق الميريدان المدينة المنورة، 17 ربيع الأول 1425 هـ. 2004، ص 4.

² يحيى بن ناصر خواجي، مرجع سابق، ص 8.

³ موقع الباحث الحديثي <http://sunnah.one>

⁴ يحيى بن ناصر خواجي، مرجع سابق، ص 12.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

ولا بد من الإشارة إلى أن للحجامة أنواع، فمنها الجافة والرطبة حيث يفسر الدكتور بيمين ناصر خواجي ذلك كما يلي:

أولاً: الحجامة الجافة المتحركة (المترحلقة)، وهي المساج بالحجامة.

الطريقة:

1. وضع قليل من زيت النعناع (أبو فأس) مع زيت الزيتون الجيد على مكان الألم.

2. وضع كأس الحجامة على مكان اللم وسحب الهواء سحباً متوسطاً ثم تحريك الكأس حركة دائرية على أماكن الروماتزم واللم مدة خمس دقائق يومياً. ثانياً: الحجامة الجافة الثابتة (كؤوس الهواء) الطريقة: وضع كأس الحجامة على موضع اللم مع الشفط الجيد مدة خمس دقائق يومياً وبدون تشريط، وعادة تكون بعد الحجامة المتحركة مدة أسبوع أو أسبوعين. ثالثاً: الحجامة الرطبة (المبزغة) ويجب أن يقوم بها أطباء أو متخصصون في الحجامة: الطريقة: 1. اختيار النقاط والمكان المناسب بعد تشخيص المرض. 2. تطهير المكان بالمطهرات الطبية. 3. وضع المحجم على النقطة الموضحة وعمل حجامة جافة لمدة ثلث دقائق لتجميع الخلط الرديئة.¹

الحجامة الجافة في الجزائر تتركز في الغالب على وضع الزير (جرة صغيرة من الطين) على السرة بعد تمسيد البطن بالزيت ثم توضع صرة بها ملح ونبات الشيح وتبلل بالزيت، ثم توضع على السرة وتشعل فيها النار، ثم يوضع الزير مباشرة فوق الصرة والسرة ليحرق الأكسجين المتواجد بالزير، فيحدث جذب جلد البطن إلى داخل الزير.

وتقوم المعالجات التقليدية بهذه الطريقة لمن حدث لها مشاكل في أسفل البطن، ولإعادة النشاط والحيوية والتوازن للجسم. (ويسميه العامة بالسرة الطايحة أي الهابطة أو النازلة). باعتبار أن السرة هي محور التوازن، لذلك تتركز عليها الحجامة الجافة. أشار إلى هذه الطريقة C. Ramès² عند دراسته لمنطقة بني عباس- في الجنوب الغربي بولاية بشار-، وذلك عند تطرقه للعلاج التقليدي بالمنطقة.

أما الحجامة الرطبة، فكما سبق وأن أشرت، أن الشرط كانت من بين الطرق التقليدية للحجامة السائدة في الجزائر، ولاحظنا بعض المعالجين يستعملونها في الجبهة والركبة، كما كانت تمارس بالطرق

¹ يحيى بن ناصر خواجي، مرجع سابق، ص12

²C. Ramès, **Béni-Abbés (Sahara oranais) : Étude historique, géographique et médicale**, V19 (1), Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, 1941, pp 80-157

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

القديمة، وباستعمال قرن الحيوانات بدل الكؤوس، وهي طريقة كانت موجودة قبل ظهور كؤوس الحمامة في الأسواق، وكانت متداولة في منطقة أولف بالجنوب الغربي وكذلك بمنطقة تمرناست بحسب ما لاحظناه في أواخر التسعينيات إلى بداية الألفينيات.

وأصبح من الواجب أخذ الحيطه والحذر في استعمال الحمامة الرطبة، خاصة في ظل انتشار الأمراض المعدية الخطير. ولا بد من عملها لدى أطباء متخصصين.

3. العشاب في المجتمعات العربية:

للعشاب مكانته في المجتمعات العربية منذ القدم حيث أن بائعي الأعشاب في تزايد مستمر. يرى الدكتور الربيعي أن هناك "تزايد فتح دكاكين العلاج بالأعشاب يوماً بعد آخر في معظم الدول العربية، من قبل أناس توارثوا خبرتهم من الآباء أو الأجداد، دون أية معرفة تامة بطبيعة العشبة ومركباتها الكيميائية والعنصر الفعال فيها وطريقة عملها داخل الجسم ومحاذير استعمالها. ليس هذا فحسب، بل إن كثيراً من شركات الصيدلة الرديئة تتلقف عدداً من هذه الخبرات وتصنع أدوية من الأعشاب الخام أو المصنعة وتكتب عليها (أعشاب طبيعية) كي تطمئن المريض عن استهلاكها. وهدف مثل هذه الشركات معروف لدى الجميع!"¹

كما أصبح الاهتمام بمؤلفات العلاج بالأعشاب، من أبرز المؤلفات وقد صنفها داوود الربيعي هذه الكتب إلى مجموعتين:²

- مؤلفات العرب والمسلمين وغيرهم، وهي كذلك تقسم إلى:

أ. كتب تناولت المرض، باسمه القديم، دون التعريف بأعراضه ومسبباته... وتوصف له علاجات عشبية وحيوانية الأصل.

ب. كتب توصف الأعشاب ذاتها وفوائدها، دون الوقوف على مركباتها الكيميائية وطرق تحضيرها وتكرار استخدامها اليومية، وذلك لكل مرض من الأمراض التي تعالجها. وجميعها تستخدم اسم العشبة في البلد الذي يسكنه المؤلف، دون الاهتمام بأسمائها في الدول العربية الأخرى.

- الكتب الحديثة: وهي أفضل بكثير من سابقتها، حيث تضع وصفاً لكل عشبة وصورتها والأجزاء المستخدمة منها ومركباتها الكيميائية واستعمالاتها ومحاذيرها. ولكن الذي ينقصها هو:

¹داوود الربيعي، العشاب، مرجع سابق.
²نفس المرجع.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

أ. عدم تضمين التحليل الكيماوي الكامل للعشبة وتحديد كمياتها.

ب. عدم التأكيد على العنصر أو العاصر المعالجة في العشبة.

ج. عدم أوردة وصفها لطريقة إعداد العشبة والاستعمال لكل مرض من الأمراض التي تعالجها.

د. ذكر الاسم العربي للعشبة في بلد المؤلف، دون الاهتمام بأسمائها في دول الوطن العربي، مما يحد فائدة الكتاب على سكان ذلك البلد.

هـ. تجاهل العناصر التغذوية في العشبة من فيتامينات وأملاح معدنية، والتي تشكل عناصر علاجية مهمة، سيما إذا أخذنا بالاعتبار أن العناصر العلاجية في العشبة لا تعالج المرض ذاته، بل تعمل سوية مع العناصر التغذوية على رفع قدرة جهاز المناعة في الجسم للقضاء على المرض.

4. المعالجين الطبيعيين الأكاديميين ومجالاتهم:

شهد السنوات الأخيرة عودة قوية للعلاجات الطبيعية وحقيقة هذه العودة من آثار الثورة الصناعية والتطور الكبير في مجال الصيدلة من جهة وتلازم هذا التطور مع تنامي البشرية.

نجم عن هذا التسارع والزيادة، "عدم كفاية الأعشاب المتوفرة للأعداد المتزايدة من السكان من جهة ثانية، أن اتجه معظم سكان المعمورة إلى استعمال الأدوية الكيماوية الحديثة. لسهولة استخدامها وحملها، وسرعة تأثيرها في المرض. إلا أنها أعلى سعراً من الأعشاب من جهة، وذات تأثيرات جانبية سلبية على جسم الإنسان من جهة ثانية. واستمرت الحالة هكذا، إلى أن اكتشف الجنس البشري التأثيرات السلبية لهذه العقاقير الكيماوية، وذلك منذ الخمسين سنة الماضية، عاد معظم سكان المعمورة إلى ثدي الطبيعة ثانية، الذي عالج أسلافهم الأوائل."¹

لكن العودة إلى الطبيعة رافقها كذلك تطور في العلاجات بطريقة أكاديمية، حيث من الممكن أن نسميهم المعالجون الطبيعيون الأكاديميين بغض النظر عن مجالات تخصصهم.

وتنضوي ضمن العلوم الطبية الموازية. يقول دافيد لوبروتون¹ لقد استفاد هؤلاء الأشخاص المتحدرين في أغليبتهم من الطبقات الوسطى المدنية من أسلوب الهمسة في الآذن الشديد الفعالية في جذب زبائن العلوم الطبية الموازية وبنفس الوقت امتلاكهم لشهادة جامعية، الوخز بالإبر، الطب

¹ داود جاسم الربيعي، العشاب من هو؟، مجلة الجزيرة الإلكترونية.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

التجانسي أو غير جامعية طب العظام المعالجة الفقارية التدليك. ان العلوم الطبية الموازية تجمع شروط إجماع اجتماعي واستثمار شخصي قوي لدى أولئك الذين يلتمسون الشفاء، لديها كلفة مرتفعة لا يأخذها الضمان الاجتماعي بالاعتبار.¹

يرى Yves Pelicier أن الأدوية تستحضر بعض هذه الأدوية مبدأً عالمياً: "فعلى سبيل المثال، عندما يحدث انزعاج الأحشاء بسبب اضطراب عظمي عضلي، فإن تطبيق حركات معينة على المفاصل والتلاعب بها، ستؤدي إلى شفاء المعدة المضطربة. كما في حالة اعتلال العمود الفقري، العلاج بتقويم العمود الفقري، (في حالة) اعتلال العظام. وهي تستند إلى تعميم اختزالي يحتوي على شيء يغوي."² هكذا تبدوا المعالجة التي تنهاها الأطباء أو البيولوجيين أو الفزيائيين والمهتمين بهذه العلاجات.

وفيما يلي نورد بعض هذه العلاجات:

لقد وفرت "لواحق الكلمة المركبة لكلمة علاج اليونانية: تيرابي (thérapie) التي تعني العلاج، عائلة كبيرة من العلاجات، حيث تبدأ بالعديد من السوابق: (auriculo)، (meso)، (phyto)، (halo)، (bio)، (iso)، (organo)، (lithe)، (gemmo)، (aroma)، (reflex)، (nosodo)، (hydro)، (thalasso)، (creno)، وربما آخرين. نادراً ما بذلت كل هذه الأدوية جهداً لتحديد مبادئها وأساليبها، ولا للحد من مجال عملها. يدعي البعض أنهم يستخدمون مملكة الخضروات فقط؛ لا شك أن العلاج بالأعشاب يختلف اختلافاً عميقاً عن الأدوية العشبية والعلاج العطري، اللذين لا يزالان تحت رعاية الديوسكوريديز، الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي، بينما يحاول الآخرون استخدام المعادن، مثل العلاج بالليث. والعلاج بالحرارة"³

وتعني هذه العلاجات كما يلي: (auriculothérapie) العلاج بالأذن، (mesothérapie) التي تعني العلاج بوسط حُفَنَات علاجية من نباتات أو أدوية صيدلانية (phytothérapie) العلاج بالنباتات، (halothérapie) العلاج بالملح، (biothérapie) العلاج البيولوجي، (iso) نوع من المعالجة المثلية، (organothérapie) العلاج العضوي بمشتقات أنسجة نباتية أو حيوانية، (lithothérapie) العلاج بالحجارة والكريستال، (gemmo) العلاج بالبراعم والبراعم الناشئة، (aromathérapie) العلاج بالعطور،

1 دافيد لو بروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. 1417 هـ-1997 م. ص 191

² Yves Pelicier, **Les exigences de l'objectivité**. Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. paris cedex.

³ Jean-Charles Sournia ; **L'introduction aux médecines non expérimentales**. Edi. Science et vie 1985 : les médecines 'Parallèles'. Numéro hors - série n° 150 - Édition trimestrielle n° 150 Paris, p 6-7.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

(reflex) العلاج الانعكاسي بإجراء منعكس منير، (nosodothérapie) العلاج الأنفي، (hydrothérapie)، (thalassothérapie) المُعالِجَةُ بِمِياهِ البحر، (crenothérapie) المُعالِجَةُ بِالمِياهِ المُعدِنِيَّة. كما أن هناك العلاج بتسلق الأشجار لمرضى الرئة او المتماثلين للشفاء وهو العلاج الحرجي (Sylvothérapie).

يقول جان سورنيا أن البعض يدعي "أنهم يستخدمون مملكة الخضروات فقط؛ لا شك أن العلاج بالأعشاب يختلف اختلافاً عميقاً عن الأدوية العشبية والعلاج العطري، اللذين لا يزالان تحت رعاية دِيسْقُورِيدس، الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي، بينما يحاول الآخرون استخدام المعادن، مثل العلاج بالليث، والعلاج بالحرارة...¹" كل هذه الأسماء، مأخوذة من اليونانية، هي تلك المستخدمة من قبل الأطباء وغير الأطباء، لتعيين فنههم.²

1.4. العلاج بالنباتات الطبية Phytothérapie:

يرى دنيز باسو أن "العلاج بالنباتات معروف في جميع أنحاء العالم منذ آلاف السنين، لكن العلاج العلمي' بها حديث جداً."³ وحسبه أن الفضل في هذا النهج الجديد يرجع "الفضل فيه إلى الطبيب ه. لوكلير (Dr. H. Leclerc). نذكر هنا التجربة المميزة التي قام بها الدكتور أ. شنيدر (Dr. E. Schneider) أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما كان أسير حرب في معسكر روسي، إذ نجح في الإبقاء على حياة العديد من زملائه الأسرى بفضل أبحاث واسعة أجراها على النباتات قبل وقوعه في الأسر. نذكر أيضاً خيرة وحيوية الدكتور جان فالنيه (Dr. J. Valnet) واضع العديد من الأبحاث في هذا الموضوع، ومؤسس الجمعية الفرنسية للعلاج بالنباتات وزيوها العطرية"⁴ كما أن "روجر مواتي Roger Moatti الذي أسس في عام 1981 معهد العلاج الطبيعي وتعليم الطب العالمي، والذي حقق نجاحاً كبيراً."⁵ يرى أنه "إذا ما تم استخدامها بشكل صحيح، فإن النباتات خالية من الآثار العلاجية، ويمكن في بعض الأحيان، أو يساء استخدامها، أو جرعة مهمة للغاية بالنسبة لبعضها، لتكون خطيرة للغاية.

¹Jean-Charles Sournia. *L'introduction aux médecines non expérimentales*, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p7.

²François Le Corre. *L'art de faire "craquer les os" et ses dangers*, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p60

³دنيز باسو، إرشادات عملية فعالة لمعالجة أمراض الأطفال، أمراض النساء...، تر. محمد كامل ضاهر، ط1 دار البيروني للطباعة والنشر، 2001، ص12.

⁴دنيز باسو، مرجع سابق، ص5.

⁵ Roger Moatti, *L'enseignement de la Phytothérapie en France*, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p76.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

من ناحية أخرى، بدءاً من المبدأ الأساسي للحس السليم، وهو أنه قبل وصف أي شخص لأي شيء أو تقديم المشورة إليه، يجب أن يعرف المرء ما لديه (أي، التشخيص)، يجب أن يظل هذا العلاج، مثل كل العلاجات الأخرى، في مجال الطب.¹

وهذا ما ذهب إليه أن الطبيب السويسري باراسيلز Paracelse (1463-1541) على أن: "كل شيء هو سم؛ كما أن لا سم إطلاقاً، فقط الكمية التي تحدث التسمم. لقد قتل سقراط بسم الشكران ciguë لأنه تناول جرعة كبيرة منه، أما إذا أخذ الشكران بجرعات مدروسة، وبعناية، فإنه مفيد جداً في معالجة أمراض عديدة تشمل حتى الحالات السرطانية."² كما ورد ذلك على لسان جان غاليني:

فالنباتات تمتلك "خصائص علاجية مدهشة ومتنوعة، بفضل عناصر ومواد تصنعها النبتة، وهي عناصر ومواد تصنعها النبتة، وهي عناصر عطرية، ودبغية، وراتنجية، وحوامض عضوية، ومواد فينولية وغير ذلك. تستخرج العناصر الفعالة من النبتة ذاتها بأساليب مختلفة: إما بواسطة التدوير بالماء فيما يتعلق بالنقاعة، وإما بالكحول فيما يتعلق بالصبغيات، وإما بالضغط أو العصر أو بالتقطير للحصول على الزيوت الأساسية أو المياه المقطرة، أو ماء الخزامى، أو ماء الزهر أو مواد كحولية."³

يمكن أن تستعمل النباتات استعمال خارجي كاللبخات والمطهرات، كما لها استعمال داخلي.

من خلال التجارب التي تمت على العلاج بالنباتات، اتضح أنه يمكن استخدام النباتات للعلاج في أربعة اتجاهات:⁴

أولاً العلاج المناعي: نباتات تقاوم عمل السموم وتدعمه بالمواد اللازمة للقيام بالعمليات الحيوية الطبيعية الجسم يقاوم الأمراض ومفعول الأجسام الغريبة.

ثانياً: علاج يزيل المرض بإذن الله تعالى: وهي النباتات التي تستطيع إزالة السموم الناتجة عن المرض، وذلك بفضل تركيبها الكيميائي، وثبت ذلك في أمراض كثيرة كالسمنة، الربو، التهاب المفاصل، التشنج، الإسهال.

¹ Ibid., p76.

² دنيز باسو، مرجع سابق، ص12.

³ دنيز باسو، مرجع سابق، صص12-13.

⁴ عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، ط4 دار ألفا للطبع والنشر، عمان، الأردن، 2010، ص ص 20 و21.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

ثالثاً: علاج توازني: تلك النباتات التي تقوم بتعويض الجسم بالمواد الأساسية التي فقدتها خلال مقاومة المرض لاستعادة الوظائف الحيوية.

رابعاً علاج مساعد: مجموعة النباتات التي تساعد في علاج بعض الأمراض ويكون لاستخدامها إيجابيات كثيرة بجانب الأدوية التقليدية حيث أن للنباتات قابلية منع امتصاص المواد التي تنتج عن الأدوية العادية.

من هذا المنطلق "نفهم تماماً خواص النباتات التي نستخدمها، لأنه تم إجراء دراسة كاملة للغاية حول التركيب الكيميائي لمكوناتها النشطة. كل هذا يدلنا على مستقبل الطب العشبي المثير للاهتمام، وهو جزء من العلاج في هذا الدواء الرائع الذي يشكل كلاً فريداً."¹

ويطلق البعض على العلاج بالنباتات العلاج الطبيعي، حيث يرى جان سورنيا فيما يتعلق بالأدوية الطبيعية أنه "لا يزال يتعين علينا الاتفاق على الأدوية التي تطلق على نفسها طبيعية. فليس هناك ما يفعله الإنسان لمعالجة نفسه، فهو أمراً طبيعياً؛ فلا يوجد دواء أكثر طبيعية من أي دواء آخر، لأن اختيار نبات وإجراء مستحلب لعلاج مريض يعتبر ذلك 'مصطنعاً' بالمعنى اللغوي للمصطلح مثل تحضير اللقاح: العمليتان هما نتيجة الفن والتقنية، فهي ناتجة عن براعة الرجل ورغبته في الطبيعة المناسبة لخيره."²

تتلخص براعة الانسان في استخلاص الدواء كذلك بحسب البعد الثقافي والبعد الاجتماعي للمجتمع "فكل جماعة من الناس تعمل على صياغة نظامها الطبي بما يتفق وثقافتها، ومعتقداتها، وتركيبها الاجتماعي، ورؤيتها للعالم."³ في كل لأحوال 'فإننا لا نستطيع أن ننكر أنها تشكل جزء من تاريخ الطب."⁴

كما يرى جان سورنيا أن الإنسان المعاصر يرتابه "في هذه الممارسات التي وصفت فيما مضى بالشیطانية من قبل المسيحيين والمسلمين على السواء. ومع ذلك، ورغم ثقته تفوق طبه، فإنه يلجأ أحياناً إلى بعض المناهج الشبه الطبية خاصة حين يشعر أنه ضائع لا محالة، لأنه من الصحيح أيضاً أن

¹Roger Moatti , **les vrais domaines des plantes- médicaments.**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines

'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p77.

²Jean-Charles Sournia ; **L'introduction aux médecines non expérimentales.** Edi. Science et vie 1985 : les médecines "parallèles". Numéro hors - série n° 150 - Édition trimestrielle n° 150 Paris, p 6-7.

³جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص21.

⁴Jean-Charles Sournia, Op. Cit, p7.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

الإنسان أضفى قوة سحرية على ما لم يستطيع فهمه وعلى ما يفزعه وعلى كل ما لم يستطيع إدراكه عقلياً بشكل كامل. وعلى هذا فإن الطب المسمى بالطبيعي ما زال يحتفظ ببعض الحظوة، كما لو أن استغلال الإنسان للطبيعة لم يكن اصطناعياً. ومن هنا جاءت موضة استخدام التعاصر البيولوجية، وبعض الينابيع الحارة التي كانت موضوعاً للعبادة في زمن الغال، وبعض الأعشاب المنقوعة أو المغلية، بديلاً عن الأدوية المخترعة"¹

يتضح من كل هذا "أن الإنسان الغربي يتقبل بصعوبة تعايش منطق آخر مختلف، والعقلية الديكارتية ليست بالضرورة عالمية، فكل جماعة من الناس تعمل على صياغة نظامها الطبي بما يتفق وثقافتها ومعتقداتها، وتركيبها الاجتماعي، ورؤيتها للعالم، تلك الرؤية التي تتطور مع مسيرة الزمن جامعة بين السحر والعلم. فالناس وهم يعالجون في أضخم المستشفيات يتضرعون إلى الله راجين معجزة، بينما يضع آخرون في معاصمهم أساور ضد الروماتزم على غرار البوشمان في صحراء كلهاري متنازلين عن كل منطق أمام لغز الكون."²

2.4 العلاج بالعطور /العلاج بأريج النباتات: أروماثيرابي Aromathérapie

وهو "معالجة الأمراض بواسطة خلاصات النباتات أو الزيوت الأساسية، وهي العناصر التي يتم الحصول عليها بالتقطير."³ واستخدامها "خاصة الزيوت العطرية، في العلاجات المصممة لتعزيز الصحة البدنية والنفسية. قد تتساءل عن مصطلحالطيّار، ففي الروائح، هذه الكلمة تشير إلى قابلية الزيوت الأساسية إلى التبخر بسرعة."⁴

أ. الاستخدامات التاريخية للعلاج بالروائح: يعتبر تاريخ استخدام العطور كعلاج، قديماً جداً"فعلى الرغم من استخدام مصطلح العلاج بالروائح العطرية خلال القرن العشرين، إلا أن أسسه تعود إلى العصور القديمة."⁵

تعد "المهود الجغرافية الثلاثة العظيمة للحضارة العطرية: الهند والصين وحوض البحر المتوسط، لقد ورثنا العمليات والمعرفة التي لا تزال صلاحيتها سارية. ويبدو أن الإنبیق (جهاز لتقطير السوائل) في

¹جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص21.

²نفس المرجع، ص21.

³دانيز باسو، مرجع سابق، ص 15.

⁴Anne Kennedy, *Aromatherapy for Natural Living THE A-Z.*, Althe press, Berkeley, California, 2016, p13.

⁵Ibid. p14.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

باكستان 5000 سنة قبل عصرنا.¹ كما أن "لوحات كهف سيبودو (Sibudu)، التي تقع في جنوب أفريقيا بالقرب من خليج ريتشاردز (Richards Bay)، تكشف أن النباتات الطبية مع مبيد حشري وكذا خصائص اليرقات، لعبت دورا مهما في الحياة اليومية للبشر فيما قبل التاريخ. حيث يعود تاريخ هذه اللوحات إلى حوالي 75000 سنة قبل الميلاد.²

وقد استخدم الحضارات القديمة النباتات العطرية "فمنذ أربعين ألف عام، كان على الشعوب الأصلية التي تعيش في القارة الأسترالية أن تتعلم التكيف مع الظروف المعيشية القاسية لبيئتها. وقد نجحوا بشكل ملحوظ، لا سيما من خلال تطوير معرفة استثنائية للنباتات الأصلية. وهكذا، استخدموا أوراق *Melaleuca alternifolia* (Arbre à thé)، أو شجرة الشاي الذي له أهمية أساسية في ترسانة حديثة للعطور النباتية.³

كما هو الحال لدى الإغريق والرومان والفرس، واستخدم لمصريون النباتات الطبية؛ كما فعل الصينيون الأطباء وغيرهم الكثير. تظهر الأدلة والتاريخ المسجل أن المصريين كانوا يستخدمون زيوت عطرية منذ 4500 سنة قبل الميلاد، تحويلهم إلى مراهم، تحاميل، كعك، مساحيق وحبوب طبية.⁴

فقد احتوت البرديات الطبية التي يرجع تاريخها إلى أكثر من 1500 ق.م على أنه من العلاجات لبعض الأمراض بإتباع وسائل تطبيق مشابهة لتلك التي تستعمل في وقتنا الحالي العلاج بالعطور Aromatherapy، فكلنا نعلم قدرة الروائح العطرية على مزاج الشخص عندما يستنشقه عبيرها أو شذاها، وأكبر دليل على ذلك الكميات التي تحرق سنوياً للحصول على الانتعاش والراحة النفسية، وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه يرتاح لاستنشاق عطر معين حينما يشعر بالخمول أو التعب⁵

تقول باتريكا دافيس Patricia Davis: الإنسان الأول أدرك ربما بملء الصدفة، بأن بعض الأوراق والجذور العنبات، التي يطبخونها للغذاء، تشعر المرضى بتحسن، أو أن الجروح تلتئم بسرعة. كما أنه من المرجح أيضاً ملاحظته للنباتات التي اختارتها الحيوانات عندما كانت تمرض. فهذه المعارف، التي لا تقدر بثمن لهؤلاء الأفراد الذين يعتمدون اعتماداً كاملاً على موارد بيئتهم المباشر، انتقلت من جيل إلى جيل داخل القبيلة.

¹Pierre Franchomme, Roger Jollois, Daniel Péroël, Op.cit. p13.

²Anne Kennedy, Op.cit. p15.

³Ibid. p13.

⁴Anne Kennedy, Op.cit. p15.

⁵عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، ط.4 دار ألفا للطبع والنشر، عمان، الأردن، 2010، ص 25.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

وتضيف باتريسيا، أنه: "حدث أن بعض فروع الشجيرات أو الأشجار، الملقاة في النار للحصول على الغذاء، انبعث منها الدخان والروائح التي لها تأثير منوم مشهية خبرات صوفية. فإذا كان كل الناس المجتمعين حول النار شعروا بنفس الإحساس، المتكرر بإضرار فروع -النبات الذي يفرز-الزيت نفسه، الذي تعزى إليه قوى سحرية مماثلة كلما انبعث (الدخان)".¹

فعملية التبخير للمرضى على سبيل المثال، تعد أحد الأشكال الطبية الأولى، وحتى الدينية. وعادة التبخير لا تزال قائمة أو سائرة إلى يومنا هذا في بعض المناطق.²

فيمكن تلخيص تاريخ العلاج بالنباتات وأريجها أو عطورها بطريقة أخرى حيث "في أربعة عصور رائحة: فالعصر الأول تم خلاله استخدام النباتات العطرية على هذا النحو: في الطعام ثم النقع: ثم تسريب أو مغلي. العصر الثاني، حيث تم حرق النباتات العطرية أو الاستخلاص بالإغلاء أو التنفيع في زيت نباتي. في ذلك الوقت، ظهر مفهوم النشاط المرتبط بالمادة ذات الرائحة. خلال العصر الثالث، يتم البحث عن استخراج هذه المادة ذات الرائحة. إنها ولادة مفهوم "الزيت العطري" الذي يؤدي إلى إنشاء وتطوير التقطير. وأخيراً، الفترة الحديثة، التي تؤخذ فيها معرفة مكونات الزيوت العطرية بعين الاعتبار لتوضيح الأنشطة: الفيزيائية والكيميائية والبيوكيميائية، ومؤخرًا الإلكترونية، الروائح النباتية".¹

لقد صيغ مصطلح العلاج بالعطور، في سنة 1920 من قبل الكيميائي الفرنسي رينيه موريس جاتفوسي (René-Maurice Gattefossé)، الذي أصيب بحروق شديدة في المختبر حادث. بعد تطبيق زيت اللافندر الأساسي لتبريد الحرق، كان مندهشا لاكتشافه أن إصابته شفيت بسرعة وبدون ندبات.²

واكتشف جاتفوسي بذلك (قوة الشفاء بالزيوت النباتية المركزة).³

وميكانيكية العلاج بالعطور تكمن في كون أنه "يوجد في أغلب الأعشاب والنباتات نسبة مميزة من الزيت الطيار Volatile Oil، أو الزيت الثابت Fixed Oil، تحمل أغلب الجواهر الفعالة، وتتميز تلك الزيوت بأنها تحمل خواص النبات وتعطي ذات التأثيرات العلاجية للأعشاب والنباتات الطبية. لذلك فإن تدليك الجسم بزيوت النباتات يعطي تأثير مباشر على كل من: الدورة الدموية، الجهاز الليمفاوي

¹Patricia Davis, *Aromathérapie de AàZ : Le guide le plus complet jamais publié sur le sujet*, édi.Vigo, 2007 p5

²Patricia Davis, *Aromathérapie d'AàZ*, Vigo 2007 p5.6.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

شبكة الطاقة الحيوية التي تعمل كموصلات للطاقة عبر الجسم، حيث أن الزيت ينفذ من الجلد عبر ملايين المسام الموجودة به أثناء عملية التدليك.⁴

هناك محاذير تتخذ بعين الاعتبار في استخدام الزيوت الأساسية حيث أن بها "مواد فعالة للغاية، فمن الضروري الالتزام بوصفة الطبيب بدقة، نظراً لاحتمال بلوغ جرعات سامة بسرعة."⁵

3.4 العلاج بواسطة الأذن الخارجية Auriculothérapie: تقنية العلاج فهي طريقة قديمة جداً

وتعتبر هذه التقنية، من العلاجات التي اعترفت بها منظمة الصحة العالمية، وكانت تستخدم في الصين بوخز الأذن بالإبر المحروقة حيث تقول "سجلات ناي جنغ حول هذا العلاج: أن الأذن هي المكان الذي تلتقي فيه جميع القنوات"⁶ فهو العلاج الذي "أحدث شكل من أشكال التداوي التي تطورت في الخمسين سنة الأخيرة. وفي مقاربة جديدة لهذا العلاج 'فإن الطريقة التي تستخدم فيها الأذن كمرآة لأعضاء الجسم للعلاج بوخز الإبر قد أنشئت في فرنسا في العام 1950 بواسطة الدكتور بول نوجيه ومنذ العام 1959 استعملت الطريقة في الصين بشكل واسع. يوجد ما يقارب 54 نقطة تتركز أكثرها على الصيوان الخارجي للأذن وكل منها يتصل مع أحد من أعضاء الجسم وبعضها يعكس رؤية حديثة لتشريح الجسم. بمرافقة نقطة الوخز 27 والتي تشير إلى العصب الوريكي بينما تعكس النقاط الأخرى المفاهيم الصينية التقليدية."⁷

اكتشف الدكتور بولنوجي Paule Nogier (1908-1996) (طبيب فرنسي من مدينة ليون. تعتمد هذه الطريقة على استخدام الأذن الخارجية لتشخيص المرض. حيث أن بالأذن إسقاطات حيث أن بالأذن إسقاطات لنقاط مقابلة لأجزاء الجسم المختلفة (كما هو في القدم واليد) هذا السموتوبي somatotopy لها وصلات الأذن الجينية تساعد على تفسير وفهم موقع النقاط وفعاليتها.

إلا أن هذه العلاج له محاذيره حيث أن "العلاج بوخز الاذن غير ملائم للأكبر سناً والأضعف بنية ويستعمل بحذر مع الذين يعانون من زيادة ضغط الدم"⁸

¹Pierre Franchomme, Roger Jollois, Daniel Pénoël, Aromathérapie exactement, édit Roger Jollois, 2001, p13.

²Anne Kennedy, Op.cit. p15.

³Ibid. p15.

⁴عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين مرجع سابق، ص 26.

⁵دانيز باسو، مرجع سابق، ص 15.

⁶كتاب الطب الصيني، تر. محمد يوسف شهاب، ط. 1، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص 100.

⁷نفس المرجع، ص 100.

⁸كتاب الطب الصيني، مرجع سابق، ص 101.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

4.4 الميزوثيرابي la mésothérapie طريقة علاج تكميلي، تتم بحقن بعض الأدوية كوسيط للعلاج وهي في العادة عقاقير وهذه الطريقة ليست قديمة جداً في مجال الطب: لقد وُلد قبل ثلاثين عاماً على يد طبيب ريفي شاب اسمه بيستور (Pistor)، في قرية متواضعة في فيكسين (Vexin). ظلت الميزوثيرابي معروفة لفترة طويلة ولم تلقى إلا القليل من الاهتمام حتى السنوات القليلة الماضية... والمعروف بأنه وسيلة لإدارة العقاقير.¹ حيث يرى بيار فيتوس Pierre Vitoux أن "الميزوثيرابي من البدائل الأكثر عقلانية-بالنسبة للعلاج الموضوعي-لأنه يميل إلى التصرف بشكل انتقائي في المنطقة المريضة، عن طريق الحقن الدقيقة تحت الجلد للعقاقير المفيدة."² لقد أصبحت هذه التقنية تمارس وبشكل ملحوظ في التجميل وللقضاء على التجاعيد بواسطة حقن العقاقير تحت الجلد، ويقوم بذلك في الغالب مختصين في ذلك.

5.4 المعالجة المثلية أو الطب التماثلي أو الهوميوباثي، (بالإنجليزية: Homeopathy) (بالفرنسية Homéopathie)، ويسمى أيضاً بالطب التجانسي، هو نظام علاجي وشكل من أشكال الطب البديل يستند إلى المبادئ التي صاغها صامويل هانيمان (1755-1843) (Christian Samuel Hahnemann) في عام 1796، أسس الطب التجانسي وقد نجح في استعمال مادة الكينين مثلاً "في مكافحة وباء الملاريا، بإعطاء المريض جرعات ضئيلة منها. البصل مثلاً يسيل الدمع، لكنه إذا أعطي بجرعة خفيفة يمكنه أن يوقف تماماً أعراض الزكام الذي يسبب سيلان كثير من دموع المصاب به."³ فقد لاحظ "على نفسه، بعد تعاطيه لعصارة الكيناكينا، ارتفاعاً في درجة حرارته، وهو تأثير يماثل ما يعالجه الدواء، فاستنتج أن الأمراض يمكن علاجها بأدوية تحدث نفس الأعراض التي يسببها المرض. شكلت هذه الفكرة ما يعرف بقانون التماثل، الذي عبر عنه أبوقراط من قبل، إلا أنه لم يعمم على كل الأمراض."⁴

يقول عنه الطبيب جيرارد باكو Dr Gérard Pacaud "نعتقد أننا مدينون للقارئ باحترام معين وأن المعلومات يجب أن تكون صادقة أو لا تكون كذلك. وكطبيب، نحن مدينون لمرضانا أو مرضى

¹Pierre Vitoux, **Les bonnes piqûres du Dr Pistor**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985,

²Ibid., p53.

³دانيز باسو، مرجع سابق، ص 10.

⁴جان شارل سورنيا، شارل سورنيا، تاريخ الطب، تر. ابراهيم الجلاتي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2002، ص 231.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

المستقبل بالحقيقة حول معرفتنا وجهلنا.¹ يقيم الطب التجانسي ومؤسسه كأسلوب علاجي موضعي، على أن هانيمان هو "مخترع الطب التجريبي قبل مواطننا كلود برنارد، أول طبيب يمارس الطريقة التجريبية. فهو المخترع. فكلود برنارد يقوم بتجارب على الحيوان، بينما يختبر هانيمان على الإنسان فقط (وخاصة على نفسه)."²

وحسب جان شارل سورنيا فإن هانمان وفق في رأيه بأن "الدواء يؤثر بطبيعته (ما يسمح بتعاطي أقل تركيز من الدواء)، وليس بكميته. حظي هذا المذهب التماثيلي والذي ينتمي إلى أفكار القرن الثامن عشر الوهمية بنجاح كبير وسريع في الأوساط غير الطبية. وبعد مائة وخمسين عاماً من وفاة صاحبه، لم ينجح هذا المذهب في إثبات عمليته، لا من حيث مبادئه ولا من حيث فاعليته."³

لقد وصل إلى هذه الطريقة العلاجية نتيجة لخيبة أمله في علاج مرضه، "ففي 1780، يؤسس هانيمان نفسه كمارس طبي. بسرعة كبيرة، يشعر بخيبة أمل بسبب الإخفاقات المتتالية في علاجاته. من الواضح أن الدواء الذي علمه أساتذته غير فعال: إنه لا يزال دواء مولير. بعيداً عن أن يكون راضياً عن هذا الفشل، فإنه يتخلى عن الممارسة الطبية ويكرس نفسه، لمدة 6، للبحوث التجريبية. يمكننا أن نرى أن هانيمان، بعيداً عن أن يكون رجلاً مستنيراً، هو باحث حقيقي. دعونا نضيف أن قراءة كتاباته بسرعة تجعل من الممكن أن نكون مقتنعين، بالنظر إلى مستوى المعرفة في وقته، أن صلته العلمية ليس لديه ما يحسد عليه الكثير من الباحثين الحاليين لدينا."⁴ وبذلك يرى جيرارد أنها "نظرية مبنية على حقائق تجريبية بشرية وتم التحقق منها لمدة مائتي عام من خلال الحقائق السريرية."⁵

لكن هناك وجهة نظر حول هذا العلاج، حيث يُرى أن توصل إليه هو "تأثير الدواء الوهمي وهو التأثير العلاجي الملحوظ لمادة محايدة لا تتمتع بجد ذاتها بجودة دوائية. لقد كان هذا التأثير معروفاً لفترة طويلة، خاصةً بالنسبة للأدوية الوبائية، حيث أظهرت العديد من الدراسات أنه حتى في بعض الحالات يكون هناك تأثير مضاد حيوي وهمي، والذي يختلف مع اختلاف لون الكبسولات المستخدمة. لذلك من المعقول الاعتقاد أنه، كما هو الحال مع جميع الأدوية، هناك تأثير وهمي جزئي في حالة الأدوية التجانسية. لكن هذا الاكتشاف لا ينبغي أن يعوق استخدام المعالجة التجانسية. في هذا الصدد، فإنه

¹Gérard Pacaud, *L'homéopathie et la recherche fondamentale*, Revue Science et vie hors-série Les Médecines

'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p18

²Ibid.,p21

³جان شارل سورنيا، شارل سورنيا، نفس المرجع، ص231.

⁴Gérard Pacaud, Op. Cit,p21

⁵Ibid., p20

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

على قدم المساواة مع جميع الأدوية الأخرى الممكنة. (تبرير العلاج والاعتقاد) لكنه يعتبره "هو سجل دائم في تاريخ العلوم والمجتمع."¹

ويرى أوليفييه Olivier Postel-Vinay حول أدوية الطب التجانسي أنه "ينتهي الاتفاق هنا للطب الكلاسيكي، الذي قال للتو بصوت عال وواضح بصوته الأكاديمي، أن العلاج التجانسي لا يخلو من الضرر فقط، بل يخلو من أي شكل من أشكال النشاط. لا يوجد فرق بين دواء المثلي وكأس ماء؛ وهذا لسبباً بسيطاً، أن المبدأ الفعال للدواء، - كما تقول جميع أدوية الصيدلة - هو الجزيء المحدد الذي يحتوي عليه. على سبيل المثال، يدين الأسبرين في نشاطه بالجزيئات الحمضية حمض الأسيتيل - ساليسيليك (مشتق من مادة اصطناعية لحاء الصفصاف)."²

ويضيف أوليفييه "الآن، تعلمنا الكيمياء والحس السليم أن الجزيئات الأكثر نشاطاً مخففة، كلما انخفض نشاطها. كلما نزيد التركيز الجزيئي أكثر، كلما زادت فعالية الدواء. وعلى العكس الطب التجانسي يحتجزون على ما يبدو السبب المعاكس: كلما زاد التخفيف، زاد نشاط الدواء. فهي تخفف وتعيد إلى معدلات تتجاوز بكثير الحد الحاسم...، وبعدها يبقى احتمال بقاء جزيء واحد من المكون النشط في المحلول صفرًا. فمن النظرة الأولى، التناقض لا يمكن التغلب عليه."¹

خلاصة القول أن الطب التجانسي يعالج "الداء بالداء بجرعات ضئيلة للغاية، وبدلاً من وصف دواء يحارب تأثيرات المرض، يصف الطبيب للمريض جرعة ضئيلة جداً من مادة تولد تأثيراً مماثلاً للمرض بحيث لا تؤدي إلى التسمم، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنهما غير فعالة مع أن التجربة أثبتت أنهما تحفز الجسم، وتثير فيه ردود فعل إيجابية."²

6.4 علاج العظام Osieothérapie وهي تقنيات تدليك تستخدم لعلاج العظام، "الأغراض اللياقة اليدوية الجهاز العضلي العظمي، وبشكل أكثر تحديداً على العمود الفقري."³ وتقوم العمليات المستخدمة في علاج العظام تقوم في الأساس حسب فرونسوا لو كور François Le Corre على ثلاث نقاط وهي:⁴

التدليك، التحريك المفصلي، والمعالجة: تهدف تقنيات التدليك إلى علاج جميع الاضطرابات الجلدية أو العضلات أو الأربطة التي يمكن أن تكون مصدراً للألم. وفقاً لموقع الضرر، يستخدم ذلك بلطف

¹Ibid., p20

²Olivier Postel-Vinay, *Les pilules de l'homéopathie et la loi*, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p28.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

ولفة جس، والعجن (للجلك)؛ عجن، وتمديد، وفرك (العضلات)؛ صَنْفَرَة ponçage احتكاك مستعرض عميق (الأربطة). كما يفسر عمليات أخرى كالتحريك المفصلي والتلاعب بالمفصل.

يعتبر التدليك "أحد أهم العلاجات التي يستعملها الطب التكميلي في علاج حالات المفاصل والروماتيزم، وآلام العمود الفقري ويأتي بنتائج باهرة، وإذا أضفنا التأثير الفعال لزيوت عدد من الأعشاب والنباتات الطبية إلى تأثير التدليك على الجسم بالكامل نجد أننا نحصل على علاج ناجع لحالات قد لا تؤثر فيها العقاقير الطبية المعروفة."⁵

وبشير إلى أنه يحظر قانون "قانون عام 1962 من هو الطبيب عدم ممارسة التلاعب بالفقرات على المريض. ولم يمنع ذلك العديد من المعالجين-تحت غطاء تركيبات المصطلحات المشكوك فيها-لممارسة هذه المناورات، أكثر أو أقل تجريبياً. بالنظر إلى المخاطر التي تحدث على مستوى العمود الفقري، يتطلب الحذر الوثوق بالأطباء المؤكدين فقط."⁶

وعموماً "يعد التدليك من أهم الوسائل الطبيعية لإزالة التوتر العضلي والعصبي والنفسي الذي يصيب الإنسان، فعندما يقع الإنسان تحت ضغط ذهني، أو تأثير التوتر يتكون في العضلات حمض اللاكتيك (اللبنيك) الذي يزيد من التوتر، والأرق، والشد العضلي العصبي، فيعمل التدليك على تخفيف حدة التوتر، وتنشيط ردة فعل الاسترخاء، كما يعمل على تنشيط الدورة الدموية، ويعتبر برسالة واضحة للمخ للإقلال من إفراز هرمونات الضغط العصبي، وهو ما يؤثر على الجسم بالكامل."⁷

7.4 العلاجات الحرارية Therapeutiques thermales أو إستشفاء بمياه الينابيع، إستشفاء بمياه الينابيع، إستشفاء بمياه الينابيع، حسب قاموس المعاني. فهو نظام علاجي وشكل من أشكال الطب البديل يستند إلى العلاج بالمياه الحارة أو الباردة، وهو علاج قديم. حيث "انجذب الإنسان لدرجة حرارة الماء من مصادر معينة أو بسبب رائحة المياه الكبريتية."⁸

¹ Olivier Postel-Vinay, Op. cit, p28.

²دانيز باسو، مرجع سابق، ص 10.

³François Le Corre, **L'art de faire "craquer les os" et ses dangers**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p58.

⁴François Le Corre, p 59.

⁵عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق، ص 26.

⁶François Le Corre, p59.

⁷عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق، ص 25.

⁸Jean Canellas, **Thérapeutiques thermales**. Revue Science et vie hors-série Les Médecines "Parallèles" publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p 80.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

وكما سبق وأن ذكرنا في الفصل السابق أنه "كانت العيون الحارة الكبرى معاهد للعلاج والاستشفاء. وقد جمع شارميس Charmis المرسيلى ثروة طائلة بإدارة حمامات باردة. وكان المصابون بالسل يرسلون إلى مصر أو شمالي إفريقيا. وكان الكبريت يستخدم لعلاج الأمراض الجلدية ولتبخير الحجرات بعد انتشار الأمراض المعدية."¹

جان كانيلاس Jean Canellas يقول بشأن هذه المياه: أن "المياه الطبيعية ذات الأهمية العلاجية، تم الاعتراف بهذه الخصوصية من قبل أكاديمية الطب ووزارة الصحة. فيستخدم "المعدن" بغض النظر عن أهمية المعدنة ومهما كانت درجة الحرارة. بالمقارنة مع ماء الصنبور، تتميز المياه المعدنية بحقيقة أنه يجب ألا تخضع لأي علاج: يجب أن يتم تسليمها-أي المياه المعدنية-في الحالة التي تكون فيها على مستوى الظهور."²

كما أن "المياه المعدنية لا تخضع لمعايير القابلية للشرب الكيميائي (يمكن العثور على عناصر معينة بكمية غير مقبولة لمياه الإمداد، على سبيل المثال: الزرنيخ والفلور...)؛ من ناحية أخرى، يجب أن تستوفي المعايير البيولوجية الدقيقة للقدرة على الشرب، حتى عندما يتم استخدامها فقط للاستخدام الخارجي."³ ويضيف جان أن "هناك أيضاً منتجات مجمعة تحت مصطلح المشتقات، وهي ثلاثة: الغازات التي يتم جمعها أثناء الظهور (أو حتى الأبخرة)، ورحل/حمأ حرورية أو اللقيقات التي يتم الحصول عليها من تركيز المياه المعدنية لمحطات كلوريد الصوديوم، التي تم الحصول عليها عن طريق تركيز المياه المعدنية."⁴

في الجزائر يعتبر العلاج بالمياه قديماً قدم الحضارات التي مرت بها، حيث اشتهرت مناطق منابع المياه بتواجد الفينيقيين والرومان وغيرهم ونشيدهم لمرافق سياحية علاجية بالقرب منها" كانت مثلاً في بلدة تيمجاد Thomugadi بولاية باتنة حالياً "حمامات، وملهى، ومكتبة، وبيوت خاصة كثيرة. وقد عثر في أرض السوق على لوحة للعب الداما نقشت عليها هذه العبارة: Venari, lavari, rider, hoc

¹ أول وإبريل ديورانت، قصة الحضارة، تر. محمد بدران، المجلد الثالث، ج 2 المجلد 1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الجبل للطبع والنشر والتوزيع 1985، ص 197.

² Jean Canellas, **Thérapeutiques thermales**. Revue Science et vie hors-série Les Médecines "Parallèles" publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex. 1985, p 80.

³ Ibid. p 80.

⁴ Ibid. p 80.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

estvivere ومعناها: الصيد، والاستحمام، واللعب، والضحك، هذه هي الحياة¹ وبعد الاستعمار تم استخدام المياه حسب ما قاله "أشار إلى ذلك Dunod Pinat، إلى استخدام المياه المعدنية سنة 1911.²"

وهذا ما تضمن مشاريع الجزائر المستقلة لتطوير ما يعرف السياحة العلاجية التي تشمل مياه البحر المياه المعدنية وكذا الطمي والرمال والتي تساهم في تطوير الاقتصاد من خلال عائداتها كما يمكن أن تسمى بالسياحة الحموية والتي "أو ما يعرف بالسياحة لاستشفائية من بين أهم المجالات السياحية التي يمكن للجزائر إذا استغلتها أحسن استغلال، أن نرتقي إلى مصاف الدول الرائدة، كون أن هذه الأخيرة تمتلك ما لا يقل عن 200 منبع حموي جوفي معظمها قابل في هذا المجال 7 منها فقط حمامات معدنية ذات طابع علاجي كما أنها تزخر بشريط ساحلي يقدر بـ1200 كم يمكن استغلالها في إنشاء مؤسسات العلاج بمياه البحر التي تفتقر إليها الجزائر، فالمؤسسة الوحيدة في هذا المجال هي مركز العلاج بمياه البحر بسيدي فرج.³"

وأصبحت محطات التداوي بالمياه المعدنية الرسمية في الجزائر "بالغرب الجزائري: حمام بوغرارة (تلمسان) حمام بوحجر (عين تيموشنت) حمام بوحنيقية (معسكر). بالوسط الجزائري: حمام ريغة (عين الدفلى) بالشرق الجزائري: حمام قرقور (سطيف) حمام المسخوطين (قالمة) حمام الصالحين (بسكرة)⁴ وهناك زيارات لهذه المرافق العلاجية خاصة لمن يعانون من الأمراض الجلدية والروماتيزم.

من الناحية الأكاديمية فإن "أقدمية هذا العلاج بالنسبة للأطباء المقتنعين بمصلحته تشهد فاعليته/نشاطه وعلى العكس من ذلك، بالنسبة لأولئك الذين يرفضون هذا الوضع من الرعاية يستدلون على أنه يدور حول "شيخوخة تخطاها/عفا عليها الزمن."⁵ أي طريقة علاج قديمة. وكما قال كلارنس ج غلاكين عن عبارة تخطاها الزمن، 'لا تعني أصابه التعب أو تنقصه القدرة أو النشاط. كما أن هذا العالم يموج بالأفكار التي تخطاها الزمن ولكنها لا تزال قوية جداً ولا يوجد أي دليل على أنها قد اندثرت.⁶"

¹ أول وإبريل ديوران، قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين، تر. محمد بدران، ج. 4 المجلد 1 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع 1985، ص 196.

² Abid L. *La pratique médicale en Algérie de 1830 à nos jours*, édition ANEP, Algérie, 2008, 5.

³ لياشيش سهيلة، امتياز استعمال واستغلال المياه الحموية، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد 8، مجلد 1، ديسمبر 2017، ص 187.

⁴ الصندوق الوطني للتأمينات الاجتماعية للعمال الأجراء . جويلية 2018 /https://cnas.dz/ أطلع عليه يوم 2020/03/22.

⁵ Jean Canellas, Op. Cit. p 80.

⁶ كلارنس ج غلاكين، الانسان في مواجهة الطبيعة، مقال في كتاب لاستر بنشيف، الأشباح الأربعة : مشاكل اجتماعية معاصرة؛ ترجمة فاروق بريك، سوريا، وزارة الثقافة، مجلد؛ ج. 1. التلوث-الفقر. 1985، ص 25

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

8.4 العلاج الغذائي Diétothérapie: أصبح العلاج الغذائي من أبرز العلاجات المتخذة في عصرنا الحالي، الذي نوفرت فيه حاجات الإنسان، وانتشرت بالتوازي أمراضه ومشاكله الصحية. حتى صار ما يعرف بالتغذية العلاجية وأصبحت "تخصص طبي بحد ذاته".¹ حيث "يتوسع اعلاج الغذائي العلاج الغذائي يوسع مفهوم النظام الغذائي لنمط حياة صحي: غذائي، جسدي وعقلي، يهدف إلى الحفاظ على الإنسان في أفضل حالاته 'ذو بشرة جيدة' كما نقول اليوم. هذا هو المعنى الذي أعطاه أبقراط، أب الطب، إلى حمية diaita".²

وبحسب مصنفات أبقراطية "علم العلاج أمر أقرب إلى تنظيم الغذاء منه إلى وصف العقاقير، والضمان الرئيسي للعافية في تدبير صالح يجمع بين كمية معتدلة من الغذاء ومقدار موافق من الرياضة. مع العلم بأن المشي من خيرة أنواع الرياضة لمن ألف الجلوس".³

فعلم التغذية، يتجاوز "بالمعنى الدقيق للكلمة، لأنه يهتم بكل من الخصائص الكيميائية الحيوية للأغذية، وتحولاتها في الكائن الحي، وآثارها على الصحة والتغذية. وبأليات الأمراض التي تعتمد على النظام الغذائي، ناهيك عن علم الاجتماع وعلم النفس من المواد الغذائية".⁴

فإذا "قل محتوى الطاقة في الغذاء عن حاجة الجسم، أدى ذلك إلى حدوث عمليات هدم Catablism، للمواد المختزنة بالجسم تفقد الانسان جزء من وزنه، وعند حدوث العكس يؤدي ذلك إلى عمليات بناء Anabolism، وتخزين للمواد الزائدة عن حاجة الجسم، مما ينتج عنه زيادة في الوزن، ويسبب السمنة... والأمراض المختلفة. وتسمى عمليات الهدم والبناء التي تجري داخل الجسم على مراحل للمواد الغذائية، بعمليات الأيض metabolism تبدأ بدخول الطعام إلى المعدة ليتم تحويله إلى عملية الهضم Digestion إلى مواد غذائية ذائبة"⁵

"جاء الاسلام فوضحت قواعده ما يجب أن يكون عليه حياة الإنسان، من أجل سلامته وقوة بنيانه ما رواه الإمام أحمد، عن المقدام بن معدي كرب الكندي قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا

¹Bruno Fourier, **Les vrais régimes naturels**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines "Parallèles" publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985, p 90

²Bruno Fourier, Op. Cit., p 90

³جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، تر. إبراهيم بيومي مذكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين رزيق ومحمد مصطفى زيادة، ج.2، المركز القومي للترجمة والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

⁴ج. المركز تون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان تر. إبراهيم بيومي مذكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين رزيق ومحمد مصطفى زيادة، ج.2، المركز القومي للترجمة والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

⁵ عبد الباسط السيد، وعبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق، ص ص، 36 و37.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه. وأتت الأبحاث الحديثة عن التغذية، بنتائج باهرة لتثبيت وتؤكد العلاقة بين التغذية Nutrition وبين ما يصيب البشر من أمراض، وسبق بيان ذلك في علاقة السرطان بالغذاء، وأثبتت هذه الأبحاث: أهمية وصول الإنسان إلى حالة الاتزان Energy Balance، بين ما يحتاجه الجسم من طاقة، وما يتناوله من غذاء، وهي التغذية السليمة للجسم.¹

ورد حديث شريف يبرز كيف كان الرسول ﷺ يتدبر في غذائه: عن عائشة أم المؤمنين: نَعَمْ الأُدْمُ، أو الإِدَامُ، الخَلُّ. وفي رواية: نَعَمْ الأُدْمُ وَلَمْ يَشْكُ*. في هذا الحديث يُبَيِّنُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ نَعَمْ الأُدْمُ أو الإِدَامُ الخَلُّ، ومعنى هذا الكلام الإقتصادُ في المأكَلِ، ومنعُ النَّفْسِ عَن مَلَاذِ الأَطْعَمَةِ، كأنه يقول: ائْتَدِمُوا بِالخَلِّ وما كان في معناه مِمَّا تَخْفُ مُؤَنَّتُهُ، ولا يعزُّ وجودُهُ، ولا تَتَأَنَّقُوا في المَطْعَمِ، فإنَّ تناوُلَ الشَّهَوَاتِ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، مَسْقَمَةٌ لِلبَدَنِ. وفي الحديث: فَضْلُ الخَلِّوفِيهِ: أَنَّ مِنْ هَدِيهِ ﷺ إِذَا أَعْجَبَهُ الطَّعَامُ أَتْنَى عَلَيْهِ.

إن كثير من هذه العلاجات كانت تعتمد على دراسات لمختلف فنون العلاج خاصة القديمة منها وكان من أسس هذه البحوث والدراسات، الدراسات الاثنية لاستعمال النباتات والدراسات أو البحوث الفارماكولوجيا. محاولة لإيجاد أفاق بحث صيدلانية جديدة وتطويرها من أبرز الدوافع للبحث في مجتمعات اعتمدت على ما هو تقليدي وطبيعي مما ورثوه عن الأجداد.

5. الإثنوبوتانيك Ethnobotany /Ethnobotanique

يقول جان شارل سورنيا عن الطب الاثني: "الطب الإثني: في نظرة، على تقنيات تجريبية مقارنة بمثباتها في الطب الحديث. لكن كل الوسائل الطبية التي يستخدمها الإنسان في كل مكان أيا كان قد استلهمت من تقليد ما مد جذوره في غفلة من الزمن وتأسس على مناهج مختلفة، ولدت في قرون متفرقة مناهج كثيرا ما تعارضت، لكنها طبقت على نحو متماثل."²

إن العلاقة التي تربط الإنسان بالنبات، اصطلح عليها بالإثنوبوتانيك Ethnobotanique أو الاثنوباتي.

¹ عبد الباسط السيدو عبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق، ص 37
² مسلم (261 هـ)، صحيح مسلم 2051 • [صحيح] • أخرجه مسلم (2051) عن موقع الباحث في الحديث.
جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 14.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

والإثنوبوتاني " لفظة مُرَحِّمَة: (بمعنى حَذَفَ بَعْضَ حُرُوفِهَا لِتَخْفِيفِ) وهي مركبة من كلمتين هما: "إثنولوجيا" و"علم النبات". وهو ما يقابل دراسة العلاقة التي يمكن أن تحافظ عليها مجموعة إثنية معينة مع النباتات، والموجودة بشكل مباشر في بيئتها. وهذا العلم يساعد على فهم العلاقات بين ثقافات معينة والنباتات التي تحيط بها.

يعتبر أندريه جيورجيس هودريكورت Haudricourt André-Georges (1911-1996) وهو: لغوي وعالم نبات، أنثروبولوجي وجغرافي، أول من استخدم هذا المصطلح في كتابه "الإنسان والمحاصيل"¹ (1943).

بينما يرى البعض أنه في عام 1874 صاغت ستيفن باورز Stephen Powers مصطلح "نباتات السكان الأصليين" "Aboriginal botany" لدراسة استخدام النباتيين المجتمعات التقليدية. وبقيت هذه التسمية سائدة ومقبولة لمدة ربع قرن. وبعده جاء جون و. هارشرجر John W. Hershberger، وهو أستاذ في علم النبات في جامعة ولاية بنسلفانيا، بحكم عمله في بيئة المجتمع النباتي، استخدم لأول مرة هذا المصطلح اثنوبوتانية في عام 1895. ونشره في العام التالي. ويقول عن هذا العلم بأنه: "الدراسة التي تساعد في توضيح موقف ثقافة القبائل الذين استخدموا النباتات للأغذية أو المأوى أو الملابس. المعرفة الجيدة لتصنيف الإنسان في الوحشي into-savage، الرعوي، الزراعي والمتحضر التي يخدم هدفنا تقريبا."²

ويعتبر "روبرون Rochbrune (1876) أول من أنشأ مصطلح الأثنوجرافيا النباتية، للمعرفة وهي نتمم بالتعرف/التحديد النباتي، وتأويله من خلال بقايا شظايا، وأواني، أقمشة، حلي، والجدوى من المركز البحثي في علم الآثار، هو تسليط الضوء على مجموعات معينة من النباتات التي استخدموها أو لرمزيتها التي كانت لها خصوصية ما من قبل مجتمع الهوكين، والتي تمثل أحد جوانبها الثقافية."³ خلال

* André-Georges Haudricourt, Louis Hédin, Auguste Chevalier, *L'Homme et les plantes cultivées*, avec une préface d'Auguste Chevalier Gallimard, Paris, 1943.

¹ Harshberger, John W.: "The purposes of Ethno-botany". Botanical, Gazette, Vol. 21, Nr. 3 (Mar. 1896), pp. 146-154 (publ. by University of Chicago Press). Curare 30(2007) 88-92, p 88.

² Ibid., p 88.

³ للمزيد من التفصيل، ينظر:

Roland Porter. *Cours d'éthno-botanique générale*, par le Professeur Roland. PORTERES. 3rd cycle. 1969. <cel-00654364>HAL Id: cel-00654364 <https://cel.archives-ouvertes.fr/cel-00654364>. Submitted on 21 Dec 2011

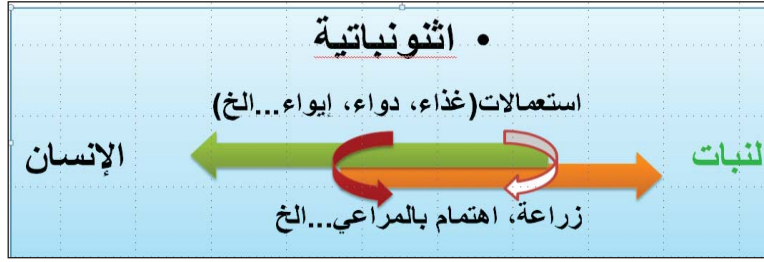
الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

السنوات المائة الماضية واصل الباحثون في تحديد الاثنونباتي (أو المجال الأكثر شمولاً البيولوجيا الإثنية). وفيما يلي بعض التعاريف البارزة والتي جمعها بينت Bennett¹:

1. "... النباتات التي يستخدمها البدائيون والسكان الأصليين" (هارشبرجر 1896)
 2. "... الترابط بين البشر والنباتات البدائية" (جونز Jones 1941)
 3. "التفاعل بين الإنسان والعالم النباتي". (جونز 1957 استشهد به في غريفين Griffin 1978)
 4. "... العلاقات المباشرة بين البشر والنباتات" (فورد Ford 1978)
 5. "... تسجيل كامل لاستخدامات ومفاهيم حول حياة النبات في المجتمعات البدائية". (شولتس Schultes 1992).
 6. "علاقات معقدة من النباتات ... إلى المجتمعات الحالية والماضية" (برلين Berlin 1992)
 7. "على الأرجح يعتبر أفضل مجال التحقيق الثقافي البيولوجي، مستقلة عن أي نموذج محدد، ولكن متجذرة في علم المعرفة العلمية". (بالي Balée 1994)
 8. "التقييم البشري والتلاعب بالمواد النباتية والمواد، والظواهر، بما في ذلك المفاهيم ذات الصلة، في المجتمعات البدائية أو غير المرسومة" ريس أند شولتس Schultes 1995)
 9. "... علم تفاعل الناس مع النباتات" (تيرنر Turner 1995)
 10. "... دراسة تفاعلات النباتات والناس، بما في ذلك تأثير النباتات على الثقافة البشرية" (باليك وكوكس Balick and Cox 1996)
 11. "... جميع الدراسات التي تتعلق العلاقات المتبادلة بين النباتات والتقليدية الشعوب". (كتون Cotton 1996)
- كتعريف إجرائي، يمكن أن نعرف الاثنوبوطاني/ الاثنونباتي، بأنها العلم الذي يدرس علاقة الإنسان بالنبات، حيث تتضمن هذه العلاقة مختلف الاستعمالات للنبات من طرف الإنسان كما هو مبين في الشكل الموالي:

¹B.C. Bennett. Ethnobotany and economic botany: subjects in search of definitions, Encyclopedia of Life Support Systems (EOLSS), p3.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين



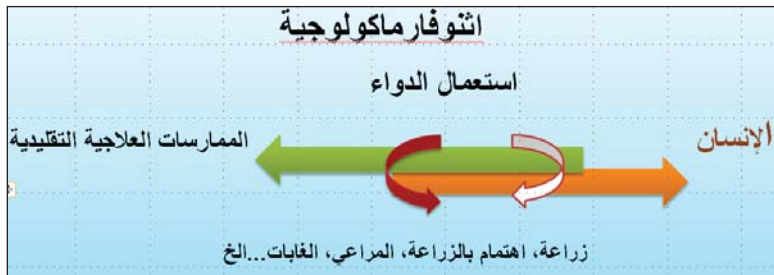
شكل 4: الدراسة الاثنوباتية وعلاقتها بالإنسان. المصدر: من إعداد الباحثة.

6 الإثنوفارماكولوجي Ethnopharmacology / Ethnopharmacologie

وهو "علم الأدوية العرقية، يهدف إلى دراسة الممارسات العلاجية" التقليدية" وهو أحد مجالات البحث التي يمكن "تطبيقها" منذ تناول الأدوية والمعرفة القديمة هي المصادر المحتملة لاكتشاف الأدوية.¹

هذه التنوعات الطبيعية والثقافية تعتبر "مصدرًا استثنائيًا ولا بديلًا لمعرفة غنية بالاكتشافات المحتملة التي تم الكون الثاني، وهي التقنيات المتقدمة، والعلوم "المرجعية"، والوسائل الاقتصادية الكبيرة، والقوى المالية الساحقة، والسيطرة، والتأثيرات، علاقات دولية.²

فبين المجال والمختبر، تقوم Ethnopharmacology "بجسر هذين العالمين، بين العلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة، بين الأقليات والشركات المتعددة الجنسيات، ولا يمكنها الاستغناء عن الأسئلة الأخلاقية التي يطرحها هذا البحث بشكل ضمني. هذه المشاكل أساسية ومعقدة ومتراصة ويعزى حجمها إلى أهمية القضايا الاقتصادية، وما وراءها، إلى جانب أنها تتعلق بجزء كبير من سكان العالم، في سجلين أهمية وهي الصحة والبيئة.³



¹Elisabeth Motte-Florac, « Quelques problèmes posés par l'ethnopharmacologie et la recherche pharmaceutique sur les substances naturelles », Journal des anthropologues, 88-89 | 2002, 53-78, p53.

²Ibid. p53.

³Elisabeth Motte-Florac, Op. cit, p53.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

شكل 5: الدراسة الاثنوفارماكولوجية وعلاقتها بالإنسان. المصدر: من إعداد الباحثة

ونتيجة لذلك، يقع هذا الانضباط عند الواجهة بين عالين مختلفين تماماً.¹ "العالم" الأول يتألف من مجتمعات تتجذر فيها الحياة اليومية في قيم ونماذج وأنظمة وخيال ومصالح متنوعة للغاية وطرق الإدراك والحمل. تقع هذه الشركات بشكل عام في البلدان النامية وغالباً ما توجد في البيئات الاستوائية حيث التنوع البيولوجي كبير.²

دراسة: وأبرز الدراسات التي اهتمت الاثنوفارماكولوجية الجزائرية، الدراسة³ التي قام بها أكسال هيلمشتات Helmsstädter Axel حول أعمال Melville William Hilton-Simpson (1881-1938) طبيب ألماني كتب عن الموروث الثقافي العلاجي التقليدي بمنطقة الشاوية والتي توصل كاتب المقال عنه إلى أهمية التدابير العلاجية التي اعتمد عليها سكان المنطقة.

يرى هيلمشتات أكسال أن بحث هيلتون عن المعارف التقليدية للأدوية النباتية أنه يمثل "بالفعل رؤية لعالم الأثروبولوجيا... حيث يمكن تأكيد بعض الاستخدامات التقليدية، والبعض الآخر لا. لسوء الحظ، لم يتم توجيه البحث بالمعرفة التقليدية والتي، على الأرجح، كانت ستكون هادفة أكثر مقارنة. ومع ذلك، كان هيلتون سيمبسون تاريخياً طبيباً تاريخياً وجهة نظر تحاول استكشاف تقاليد الأدوية النباتية المعرفة بين البربر."⁴

والشيء الملفت في هذا التوثيق الحديث لكاتب المقال أكسال -اعتماده على مقالات بحثية عن مناطق جزائرية ولمؤلفين جزائريين كاستشهادات في مقاله- كون هذه الممارسات العلاجية تعتبر من اهتماماته الرئيسية.. في القرن التاسع عشر، عندما لم يبرز علم الصيدلة كعلم، فكان على علم بالإمكانيات التي يتيحها جمع النباتات الطبية التقليدية وتقديمها للبحوث الدوائية... فقد أثبتت بعض الاستخدامات التي تمت ملاحظتها مؤخراً أن لها خلفية عقلانية سليمة إلى حد ما. وهي إشارة واضحة، مرة أخرى، على بعض موثوقية السجلات التاريخية وتعلن عن إجراء تحقيقات في أنواع النباتات التي لم تتم دراستها بالتفصيل بعد... وملاحظات هيلتون سيمبسون انجزت بشكل رئيسي في

¹Ibid. p53.

²Ibid. p53.

³Axel HELMSTÄDTER, *Ethnopharmacology in the work of Melville William Hilton-Simpson (1881-1938) – historical analysis and current research opportunities*. Pharmazie. 71 :352-360(2016) Doi : 10.1691/ph.2016.6533

⁴Axel Helmsstädter, Op. Cit. p3

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

منطقة الأوراس بالجزائر، حيث المعرفة الطبية¹ التي انتقلت شفهيًا من جيل لآخر لهذا الفن العلاجي.

يقول هيجل عن المعرفة "المعرفة كلها واحدة، من عرف كل شيء عن شيء واحد فقد عرف كل الأشياء"²

في أطروحة الدكتوراه (1920) قال هيلتون سيمبسون: "لقد حصلنا بالفعل على الكثير من الملاحظات حول الطب الجزائري، والتي يبدو أنها للعرب في القرن الثالث عشر، لذا، فهي بشكل غير مباشر يونانية، ونأمل أن تثبت هذه الملاحظات عند نشرها."³ كما توصل إلى أن التاريخ الطبي التقليدي المشترك بين الجزائر واليونان لها علاقة مع بعض التقاليد اليونانية و البربر في شمال إفريقيا. وتم بالفعل معرفة العديد من أنواع النباتات بأنها مفيدة في اليونان القديمة، مع أبرز الأمثلة على ذلك *R. Montana* و *Rutaobolens*. هناك أيضًا *Solanum nigrum* و *Rosmarinus officinalis* و *Crocus sativus* و *Nigella sativa* وغيرها الكثير. وهي: (السذاب الفجل، عنب الديب، إكليل الجبل، الزعفران، السانوج)

كما "تم تأكيد بعض استخدامات النباتات التي أبلغ عنها هيلتون سيمبسون في أوائل القرن العشرين من خلال عمله الميداني الأخير."⁴ وهذا التأكيد يوضح مدى تجذر الثقافة الشعبية في حفظ هذا الموروث الذي يبرز "جانب من جوانب الثقافة والتي تتمثل في إنجازات الإنسان التي يعبر بها من خلال حياته، وطرائقه في التفكير والسلوك والعمل، والتي تأتي نتاجا لتفاعله مع الطبيعة ومع غيره من البشر، ويتم هذا في إطار ثقافي ما ترتضيه الجماعة، وعادة ما يكون هذا الإطار الثقافي مجموعة من الأعراف السائدة والتقاليد والقيم الموروثة والعادات المكتسبة التي قد تمتد جذورها إلى الدين والمعتقدات، وما إلى ذلك، مما بشكل في النهاية ما يعرف بالثقافة الشعبية التي تتمظهر في عادات أو سلوكيات غريبة"⁵

¹Ibid. p 3

² أحمد علي الشحات، سحر العطور، كيماوي أول معمل مصلحة السكة الحديد، لجنة البيان العربي، المطبعة النموذجية 6 سكة السابورين بالحلمية الجديدة، بدون سنة، ص 8،

³Ibid. p 3

⁴Ibid. p 358.

⁵نقلًا عن: مخداني نسيم، الطلبة والمعتقدات الشعبية، دراسة ميدانية لطلبة جامعة الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، ج. 1، عدد 24، جويلية 2013، ص 534.

الفصل الرابع: سوسيوولوجيا المعالجين الشعبيين

7. إرشادات عامة لشراء الأعشاب

وينصح الدكتور الربيعي بن جاسم داود بقوله: "لابد لكل من يرغب العلاج بالأعشاب، لسبب أوآخر، أن يأخذ الاعتبارات التالية قبل الذهاب إلى العشاب:

-عدم الذهاب إلى دكاكين وعيادات ومساكن العشابين إلا بعد التأكد من حبرتهم الكافية الموثقة من جهات صحية رسمية، وليست من طيب ما، أو شهادات مرضى لا تعرفهم.

-يجب معرفة مصدر العشبة بحيث يكون مصدراً علمياً أو تجارياً موثقاً به، وخالية من الخلط والغش والقدم.

-الالتزام بطريقة إعداد العشبة واستخداماتها وتكرارها اليومي. حيث الإكثار منها يعطي نتائج سلبية، وكذلك التقليل منها، يؤدي إلى طول فترة العلاج.

-ترك استخدام العشبة حال ظهور أية مضاعفات غير طبيعية.

-يجب معرفة نتائج استخدام العشبة على الأقل بعد مرور أسبوع من استخدامها وإلى أربعة أسابيع، فإذا لم يظهر أي تحسن في الحالة المرضية، يجب ترك العشبة.

-إسناد استخدام الأعشاب بعناصر مغذية طبيعية، كعصير الفاكهة والخضروات. وإلا فالمرضى يتحمل مسؤولية صحته...

8. مكانة المعالجين الشعبيين في المجتمع الجزائري

على غرار المجتمعات الأخرى، خاصة في الدول الآسيوية التي تعتبر الممارسة العلاجية تركز على الجسد والروح وما تحمله من معتقدات ومدى ثقة المجتمع بالمعالجين الشعبيين، كما رأينا ذلك عند مجتمع المللا بأوزباكستان، وعلى غرار الدول العربية، التي تثق في غالب الأحيان على المعالجين الشعبيين، وخاصة عندما يعجز الطب في معالجة الحالات المستعصية، أو التي صعب تشخيصها، فإن ذلك يعمق فكرة رمزية العلاج الشعبي لدى أفراد المجتمع.

تتجسد هذه المكانة للمعالجين، عندما يتم فعلياً تحقيق الشفاء لبعض المرضى، مما يساهم في انتشار هذا الانجاز، الذي يتلقاه أشخاص يعانون من نفس المشاكل، أو تتشابه حالاتهم، مثل علاج العقم، أو

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

،قطع، مرض ما كالشقيقة، عرق النساء، أو ،بوصفاير.وكلما شاع نجاح المعالج في الشفاء كلما ارتقت مكانته في نظر المرضى، والذين أممهم المرض وتقطعت بهم السبل.

بمرور الوقت يثابر المعالجين الشعبيين على بذل جهد أكبر للحفاظ على هذه المكانة الرمزية بكل ما أوتي من قوة، ويحاول بعد ذلك توريث مهنته أو ممارسته للأبناء، أو الأسرة. وتصبح بذلك، تلك الأسرة/العائلة معروفة لدى العامة بأنهم بارعون في علاج مرض ما، معطية لهم في العلاج 'بالقطيع'.

كما يستطيع أن يوسع خبراته بالاطلاع على ما تمكن غيره في علاجات أخرى، يضيف عليه خبرته الخاصة وهكذا تتراكم معارفه في ممارساته العلاجية. وهناك نماذج ثرية في الجزائر في شرقها وغربها وفي شمالها وجنوبها، تتطلب دراسات خاصة للاطلاع عليها، ولا يسع المجال للحديث عنها في دراستنا هذه.

الفصل الرابع: سوسولوجيا المعالجين الشعبيين

خلاصة الفصل

إن البناء الاجتماعي في مختلف المجتمعات يعتمد في تنظيماته على المعالجين التقليديين الشعبيين فهم متواجدين لتقديم خدمة للمجتمع فيما يتعلق بالحماية أو الوقاية أو المعالجة. بهذه المكانة التي يحظون بها في المجتمع، فهذا يمنحهم بعداً رمزياً يتضمنه الموروث الثقافي للطب الشعبي لأي مجتمع. وتبقى الأسرة أو العائلة والقبيلة أساس تداول هذا المورث والمحافظة عليه وبقائه جيلاً بعد جيل.

وكما لاحظنا، رغم التطور الذي وصلت إليه المجتمعات "ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين نجد أن الطب العلاجي والجراحي ذا المستوى المرتفع يقترب من أن يكون تقليداً ولد في القرى من المخبرين وبائعي الأعشاب الطبية، ومن نظريات باطنية قام بتطويرها أطباء قيل بأنهم عقلائيون. فكل طب، مهما كان يقوم إذن على تقاليد وبهذا المعنى فهو تقليدي. ومن جهة أخرى، يمكننا إبداء بعض التحفظات على مصطلح الطب الإثني الذي يطلق على كل التقنيات التي لا تنتمي إلى الطب الغربي. فإذا كان البعض يطلق مصطلح اثني على مجموعة الأفراد التي ترتبط فيما بينها من خلال الثقافة واللغة والأعراف، فإننا حينئذ يمكننا أن نصف كل طب بأنه طب إثني بما في ذلك الطب الغربي الحديث.¹

¹جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 14.

الفصل الخامس:

البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي

لمنطقة تيديكلت

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

تمهيد

نعالج في هذا الفصل الدراسة التاريخية والطبيعية والبيئية لمنطقة تيديكلت والمراحل التاريخية التي مرت بها للتعرف على مختلف النواحي لمنطقة الدراسة لأن الطبيعة الصحراوية تتميز بخصائص تنفرد بها مما تشكل أنساق يتأثر الإنسان ويتأقلم مع صعابها بزراعته للواحات، كما تتأثر البيئة من تواجد الانسان بما يسببه من تغيرات عليها بتنقيبه على معادنها، ينتج عن ذلك تحولات وتبدلات.

تؤثر هذه التغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الانسان مما يدفعه للبحث عن العلاج لأمراض ناتجة في غالب الأحيان من البيئة التي يتعايش معها، فينتج عن ذلك أبعاد اجتماعية وثقافية للتداوي وما يحمله من وصفات مسمدة من الماضي أحيانا، وتعاصر مستجدات الحاضر، والغاية من ذلك كله، الحصول على الصحة المستدامة.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

1. طبونيمية تيديكلت

تعتبر أحداث التاريخ مصدراً مهماً للتجارب التي يمكنه الإفادة منها في محاولت الكشف عن الحتمي اللاشعوري للظواهر. ونظراً لعدم إمكان التنبؤ في التاريخ، فإنه يصبح من الضروري الاحتفاظ بسجل دقيق ومضبوط للأحداث التاريخية، وإلى حد بعيد. وإذا كان "ستروس"، يشير في كتابه: الأنثروبولوجيا البنائية، إلى عبارة ماركس الشهيرة: إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم، ولكنهم لا يدركون هذه الحقيقة، فإن هذه العبارة التي تبرز التاريخ، تبرز أيضا الأنثروبولوجيا"¹.

وقد أدت "الحاجة إلى تفصي المعلومات في السنوات الأخيرة -أينما وجدت إلى زيادة استخدام مناهج علم الأنثروبولوجيا الميدانية، في دراسة الشعوب، لبست البدائية فحسب، بل والشعوب المتعلمة أيضا، وفي أماكن متعددة من العالم"² كذلك التحقق من أسماء الأماكن الجغرافية له دلالة الطبيعية والاجتماعية والثقافية "لفهم الحياة الاجتماعية السائدة به انطلاقا من الحقبة التاريخية الغابرة التي أطلق عليها اسم المنطقة، وذلك بإبراز قيمتها الهغروفيلية والايديوغرافية وقيمتها الفونيمية. فقد عرفت منطقة تيديكلت منذ القدم بتاريخها العريق الذي صمد في وجه الظروف المتعاقبة التي مرت بها لاسيما الحروب والاستعمار الإمبريالي"³

كما في تركيبة مصطلح تيديكلت بلغة التيفيناغ، هذه اللغة المصنفة ضمن الكتابات البدائية التي عرفها التاريخ، استطاع الإنسان البدائي أن يبلغ رسائل من خلال رسوماته على الصخور للأشخاص والحيوانات المنقوشة. على غرار الحروف الهغروفيلية التي تستمد كتاباتها من الطبيعة، الشمس.. الخ. كما تعتمد حروف التيفيناغ على رموز تمثل، الممارسة الاعتيادية، للنشاطات الاجتماعية، كالسير، المرافقة، لنبرز من خلالها علاقات التفاعل الاجتماعي.

تتكون التيفيناغ من كلمات مركبة لحروف جذرية ومصدرية، حيث وجدت هذه الكتابات أو النقوش مرسوم على 'الكدية' التي تبعد على مدينة أولف بـ 3 كم، في انغر 'الكدية الزرقة' بتيديكلت، وهي عبارة عن رسائل، ربما موجهة لرفقائهم اللاحقين، كإشعار بمرورهم. كلها رموز تبين أن الإنسان البدائي في المنطقة تميز بفكر تأملي فتح المجال، لمسيرة التدبر والتفكير الدقین.

¹ أبو زيد، حامد، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي 46، مجلة العربي، الكويت، 2001، ص 84.
² عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004 ص 130.
³ عائشة بلامة مرزاية، مرجع سابق.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

طبونيمية Toponymie: موقعه دراسة لغوية او تاريخية لأصل أسماء المواقع الجغرافية.

تيديكلت كلمة التيفيناغ مركبة من ثلاثة مقاطع وهي تي /دي /كلت. حيث أن التيفيناغ Tifinar: حسب رين (Rinn, 1881)* كتابة بدائية، سامو-حامية أو افرو-آسيوية، المفهوم التحليلي للكلمة: كل ما يتزله أو ما يرسله الخالق، لها تصور ديني. وتعتبر من الكتابة الهيروغليفية Hiéroglyphique، التي سماها المصريون القدماء هذه الن الكتابة "بالخط الرباني، أو الكلمات الإلهية، لأنهم كانوا يعتقدون أن معبودهم تحوت... هو الذي اخترع الكتابة. وقد استعملت كلمة هيروغليفي منذ سنة 300 ميلاد السيد المسيح، وذلك عندما شاهد الإغريق هذه الكتابة الفرعونية محفورة على جدران المعابد المصرية القديمة، وأطلقوا عليها الهيروغليفية Hieroglyphs وهي كلمة مركبة من شقين 'هيرو' Hierc بمعنى مقدس. و'غليفي' glyphS بمعنى حفر. أي 'الحفر المقدس' أو الكتابة المقدسة.¹

من خلال المقابلة الميدانية تبينت لنا آراء مختلفة حول المفهوم العام لتيديكلت، فهناك من يرى بأن الكلمة تعني راحة اليد بالتيفيناغ، بحجة الموقع المنخفض الذي تقع فيه جنوب هضبة تادمايت. وهناك من يرى أن تيديكلت تعني الصداقة حسب اللغة الامازيغية. وعلى الأرجح أن هذه التفسيرات تقربنا الى شيء من المعنى المقصود، فحسب تحليل المصطلح توصلنا الى ما يلي:

أن المصطلح لا يحتوي على مقطع موحد بل يتكون من ثلاث مقاطع كما هو الحال في تركيبة تيديكلت في لسانيات التيفيناغ: كلمة مركبة تتكون من ثلاثة مقاطع هي: تي /دي /كلت.

ومنه تتركب الكلمة باعتماد شرح لويس رين Louis Rinn لكلمات التيفيناغ: إد: فعل ذهب مع. الرفقة، كل المجموعة، قبيلة السكان. مع: (تدكل) ومنها كلمة إيدكل II •: A / Eddekel وتعني يكون في اجتماع وهي جذر بدائي مركب من: إد Edd • / A وتعني عند الزيارة، فعل الذهاب مع / برفقة. أماكل II / Kel •: وتعني المجموعة، القبيلة، السكان. ومنها كذلك: أمدكل Emdokel / II •: وتعني

*لويس رين (من مواليد 28 مارس 1838 في باريس، 1905) محام فرنسي وضابط. تخرج من الأكاديمية العسكرية سان سير (1855). وكان نائب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية. في عام 1864 ذهب إلى الجزائر، حيث تم تعيينه إلى مكاتب العرب في قسنطينة (دائرة قسنطينة). وهو مؤلف العديد من الكتب التي نشرت في الغالب من قبل أدولف جوردان في الجزائر العاصمة: المرابطين والإخوان: كما عمله الأكثر شهرة تحقيقاتها الإسلام في الجزائر (الجزائر 1884). كما اشتغل على البربر، وقدم مساهمات عديدة إلى المجلة الأفريقية والجمعية التاريخية الجزائرية). عن ويكيبيديا، مزار يوم 2017/04/03.

Rinn Louis, *Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères*. Revue Africain, n° 25 année 1881, pages 350 ; 353 ; 355 ; 356 et 357.

¹محمد حماد، تعلم الهيروغليفية، ط. 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 1991، ص 12.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

مكان الاجتماع الالتقاء. تمدكل $\Lambda\pi+/Tmdokel$ II: نفس المعنى. وكلها مستمدة من جذر مركب¹

تعبر هذه التفاسير في مجملها عن مكان التعارف، الالتقاء والصدقة، الحركة بمنطقة تيديكلت. منطقة الحركة والنشاط التجاري، حركة القوافل، التي لعبت دورا كبيرا في وسط إفريقيا، لما عرفته من اجتماع ولقاءات. وتبدأ الكلمة المركبة بالحرف التاء التي تكتب على شكل نجمة + تيديكلت، حرف إشارة للموقعية.² - وت + هي بادئة ولصق للعديد من الأسماء المشتقة (التي تميز الإناث، الإضافات، الأسماء الفردية، وما إلى ذلك)، تشذير صيغة من صيغ الجمع، إلخ.³ النجمة التي ألهمت سكان الصحراء بجمالها، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ سورة الملك الآية رقم 5. فالنجوم تزين السماء، تضيء كالمصابيح، كما لها دورا في رجم الشياطين الذين يسترقون السمع. فنظرا لمكانة النجوم ومترلتها، نجد ان لها دورا آخر، يتمثل في تحديد الاتجاهات. فقد استعان بها الإنسان منذ القدم ليهتدي لسبله، حيث يقول المولى تبارك وتعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴿سورة الأنعام الآية 97.

فكانت النجمة، الدليل الأول للمسافر في القفر. هذا بالنسبة للحرف الأول من الكلمة.

وفيما يتعلق بحرفا التيفيناغ "الدال π أو Λ والكاف \square ، نيدلان على الرفقة، الاجتماع والالتقاء وهذا لمسناه كذلك في تحليل جرباس* عندما حلل كلمة Idda وهي تعني ذهب مسرعاً. وهي جزء من مصطلح مركب لكلمة Amedduker: المكونة من أمدو Ameddu، فاعل من فعل Idda. أما Akai=Aca=akal فتطلق على الأرض أو التراب. هكذا تصبح Amedduker تعني حرفيا: الماشي معك على الأرض، واصطلاحا مرافقك وعشيرك.⁴

¹Rinn Louis, Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères. Revue africaine, n° 154, 1882, p 262.

²: عائشة بلامة مرزاية، مرجع سابق.

³Rinn, Louis, Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères Revue africaine. , n° 148, 1881, Revue africaine, p 256.

*<http://membre.lycos.fr/tamisa/n°48>, site visité en 2006.

⁴: عائشة بلامة مرزاية، مرجع سابق، ص -103.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

من خلال ما سبق ذكره، يتضح لنا دور المنطقة في تفعيل الوحدة، التضامن والرفقة لمواصلة الرحلة، التي تتطلب الحيلة والحذر، لاسيما في الفيافي والقفار، للتصدي لقطاع الطرق في الصحراء الواسعة، ودليل على ان الإنسان كائن اجتماعي بطبعه كما قال ابن خلدون. فهو يعيش في جماعات.

2. المراحل التاريخية لمنطقة تيديكلت

مرت منطقة تيديكلت بمراحل تاريخية تمثلت في: عصور ما قبل التاريخ¹، العصر الحجري القديم²، العصر الحجري الحديث³، مرحلة فجر التاريخ، مرحلة ما قبل الإسلام وأخيراً مرحلة الفتح الإسلامي. وقد اشتهرت المنطقة خلال هاتين المرحلتين الأخيرتين على الخصوص بتجار القوافل.

1.2 عصر ما قبل التاريخ

في عصر ما قبل التاريخ "كانت صحاري العصر الحجري الحديث خصبة في أماكن كثيرة منها - تلك التي تمتد من تشاد حتى أوكار في موريتانيا- وكانت ممتلئة بالماء وحرارة المناخ... كانت هناك غابات ومساحات ممتدة من مروج السافانا، إنها حياة نباتية متنوعة وثرية بما تحوي من نباتات افريقيا... إلا أن الانسان الحاذق لم يحتاج إلا لحظة قصيرة ليستغل مزية هذه الحقبة الجيولوجية الضئيلة، فيجعل منها نقطة تحول في تاريخ البشرية، ويطور نفسه من صياد جامع إلى حارث للزرع ومربي ماشية. لقد خلف لنا ' ثورة العصر الحجري الحديث' في هيئة صورة تاريخية مرسومة."⁴

تبين القطع الأثرية التي تم اكتشافها في إطار دراسة أثرية لمنطقة عين صالح والتي أعدها فرحات ن. أن هذه القطع تنتمي "إلى كل من الحضارتين العاتيرية التي تمتد أصولها إلى حوالي 40 ألف سنة ق.م.، بالإضافة إلى الحضارة النيوليتية التي يرجع تاريخها إلى حوالي 10 آلاف سنة ق.م. إن البؤر وتمركزها

¹ عصر ما قبل التاريخ أو ما قبل التاريخ وهو مصطلح يطلق على الحقبة التي تسبق اختراع الكتابة في سومر في العراق، تقريبا بين عام 3400 وعام 3200 ق م، وتشكل العصور الجيولوجية والعصور الحجرية والتقسيمات الزمنية لهذه الفترة، كانت عبارة عن رسومات تعبر عن المعنى المراد التعبير عنه.

ينقسم عصر ما قبل التاريخ إلى خمس فترات:

الفترة الضاربة في عمق التاريخ Lower Paleolithic - ما بين 10000-70 مليون سنة قبل الميلاد. الفترة المتوسطة مما قبل التاريخ Middle Paleolithic - ما بين 30000-100000 سنة قبل الميلاد. الفترة العليا مما قبل التاريخ Upper Paleolithic - ما بين 30000-10000 سنة ما قبل الميلاد.

Epipaleolithic Era - في الفترة ما بين 10000 - 5500 سنة ما قبل الميلاد. Predynastic Period - في الفترة ما بين 55000 - 3100 سنة ما قبل الميلاد. <http://ar.wikipedia.org/wiki/4/2014>

² لعصر الحجري القديم أو الباليوثي (Palaeolithic) هو أقدم العصور الحجرية وأطولها، بدأ في العالم (إفريقيا) منذ حوالي 2,300,000 سنة خلت، وانتهى في حدود 12,000 ق.م.

³ العصر الحجري الحديث: ويبدأ من العام 10000 حتى العام 4000 قبل الميلاد، وفيه استقر الإنسان حيث دجن الحيوانات وعمل في الزراعة وقد استعمل الإنسان أدوات من الحجر المصقول وقد ظهرت في خلال هذه الفترة صناعات عمل الخزف والنجارة والنسيج وظهرت كذلك الحيوانات المستأنسة.

⁴ راينزك لانجنز، سر الصحراء الكبرى، اقتفاء آثار جبر هارد رولفس، تر. سيد أحمد فتح الله أبوزيد، ط. 1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005، ص

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

صعبة التحديد نسبة للتسلسل الزمني، أما طرق الانتجاع المتبعة منذ أقدم الحقب لم تتغير، وهذا التكرار نتج عن الحفاظ على مواقع التوقف التي بقيت متبعة، إلا في بعض الحالات الخاصة. ولهذا الميزة يرجع الفضل الأثري والتاريخي للبؤر التي تعد الشاهد على المعابر والطرق المتبعة، من طرف مجتمعات ما قبل التاريخ والقوافل في الحقب الحديثة (...).¹

توجد في بعض البؤر أضرحة (توملوس) شيدت في قمم التضاريس المحيطة والتي كانت عرضة لتغيرات، أدت في معظم الأوقات إلى هدم شامل لتلك المعالم. ورغم ذلك حافظت تلك المعالم على قيمتها، نظراً لندرتهما وتمركزها حول العديد من القطع الأثرية العريقة، التي ترجع إلى الحضارة العاترية.²

كما "أن المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في مناطق كبرى ومتفرقة من الصحراء، تثبت لتلك المناطق تاريخاً أولياً بدائياً مفعماً بالحركة وغير موحد فيما بينها... في ادرار بونس التي تقع جنوب غرب تيديكلت احتفظت التربة الصلصالية لبحيرة سيكرا ميكراي بأثار شجيرات البردي الضخمة رغم أن الجفاف أصاب البحيرة منذ زمن طويل. وتعتبر أشجار سرو تاروت ذات التواءات الكثيرة التي يبلغ عمرها ثلاثمئة عام والقائمة قرب تمريرت شاهدة على تلك الحقبة الخصيبة."³

فقد كانت الأشجار "تمتد جذورها بعيداً في العمق حيث لا تزال توجد رطوبة. وفي أحواض الأنهار الجافة؛ أي في الأودية، لا تزال الرياح تقذف إلى يومنا هذا بأشواك أسماك صغيرة وكبيرة، ولا يزال في وسع المار اليقظ في الصحراء أن يجد عظام المحار وأجزاء من الغاب قد تحجرت."⁴

2.2 الحقبة الجيولوجية القديمة للطبقة القارية المتوسطة لتيديكلت⁵

فقد وجد أن الحجر الرملي للقاعدة القارية المتوسطة لتيديكلت يستند إلى سلسلة حقب الحياة القديمة لرقان وترسبه، قد عاصر التغيرات الحديدية التي أثرت على الحجر الجيري وكذا الحجر الرملي للعصر الديفوني والسجيل السيلوري. وقد تم تأريخ هذه الأحجار الرملية بكونها تحتوي على الزواحف التي تم حفظها، بحسب لابارين (Lapparent)- سنة 1960-. حيث أن الكثبان الرملية

¹ Ferhat N., Mission d'étude archéologique, réseau des pipelines du projet In Salah Compression, PETROFAC-Algérie, SEI2EA, 2011, p 6.

² الحضارة العاترية تنتمي إلى العصر الحجري الوسيط، توزعت في شمال أفريقيا خصوصاً في جبال الأطلس. تعتبر من أقدم حضارات الإنسان العاقل إلا أنها لم يجري نقض الغبار عنها بعد. تعود تسميتها إلى بئر العاتر في ولاية تبسة الجزائرية.

³ راينرك لانجنز، مرجع سابق 2005، ص 36.

⁴ راينرك لانجنز، مرجع سابق 2005، ص 36.

⁵ Georges Conrad, L'évolution continentale post-hercynienne du Sahara Algérien : (Saoura, Erg Chèche-Tanezrouft, Ahnet-Mouydir, 1969, p.437.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

والرق، حفظت بين التكتلات التي تحتوي الأخشاب والعظام وتسطحات الكوارتزيت مع الاحجار الرملية، الذي يظهر علاقة ارتباط مع طبقات المياه الجوفية الواقعة في الحقبة الأخيرة.

وقد عُثر مؤخرًا على مثل هذه الزواحف وعلى هياكل عظمية متحجرة لحيوانات عملاقة وغريبة عاشت بالمنطقة منذ آلاف السنين، حيث كانت المنطقة شبيهة بمقبرة جماعية لهذا الحيوان، على طول 75 متر. موقع هذه العظام دائرة عين صالح منطقة 'حاسي مومن' التي تبعد عن مدينة عين صالح بحوالي 35 كيلومتر المحاذي لقاعدة 'راق' على الطريق الرابط بين دائرة المنيعة ولاية غرداية وعين صالح بالنقطة '1.pk 14.5'. وهو موجود بالمديرية الفرعية لحظيرة الأهمقار بعين صالح، ويعتبر من الآثار النادرة التي تتطلب الحماية.

ويعتقد أن الهيكل المكتشف بالمنطقة يعود لطيائر منقرض، من جنس ((أركيوبتريكس)) Archaeopteryx ولا يعرف إلا في بعض الأحافير Des fossils التي وجدت في بافاريا (بألمانيا الغربية) والتي ترقى إلى العصر الجوراسي المتأخر Jurassic period. وأغلب الظن أنه تطور عن إحدى الزواحف des reptiles، وأياً ما كان، فالطيائر الأولى يتميز عن الطيور الحديثة بذيله العظمي الطويل جداً، وينكشف عن كثير من خصائص العضاء Lizards، وهو صغير الجسم لا يزيد حجمه على حجم الغراب، ويعتبر حلقة متوسطة بين الزواحف والطيور². لأركوبتريكس يعتبره الكثيرون أول طائر على الإطلاق، عاش قبل 150 مليون سنة، خلافاً لجميع الطيور الحية، 'بملك الأركوبتريكس، مجموعة كاملة من الأسنان، عظمة قص مسطحة، أضلع'³.

3.2 العصر الحجري الحديث الصحراوي (النيوليتيك) (Néolithique saharien)

اشتهرت تيديكلت بغاباتها المنحجرة كالتى توجد بفقارة الزوى وإنغر بعين صالح، والتي توجد بأولف، تعرضت -وما تزال - إلى السرقة والنهب، وبعض مخلفات الأدوات الحجرية التاريخية للعصر الحجري النيوالوتيك المكتشفة من طرف الفرنسي فلانمد (Flamand) ولاكوير (Laquière) سنة 1906، (leNéolithique saharien) والمتطورة، بالمقارنة مع تلك المتواجدة في الشمال، وقد اقترح بول بلاري (Paul Pallary) تسميتها بـ 'التيديكلتية' (Tidikletienne).

1 رابط الموضوع: <http://www.ennaharonline.com/ar/latestnews/135517>

² منير البعلبكي، موسوعة المورد، ط. 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1991.

³ <http://www.arabic-military.com/t57801-topic>

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

كما حدد بالو Balout¹ 1955: مجموعة الحضارة القبصية بمنطقة ورقلة، وحدد مجموعات أخرى: لكل من توات وتيديكلت، والهقار-نيبسي، وتيلمسي، وموريتانيا.

ويرى بالو، أن التسلسل الزمني للعصر الحجري الحديث وسط الصحراء كان أعلى بكثير مما كان يعتقد سابقاً... فهو أقدم بكثير من تلك العصور التي خرجت من الحضارة القبصية.²

تدل المعطيات أن المنطقة ضاربة في التاريخ وقد مرت بمختلف الحقب التاريخية من خلال ما اكتشف وما لم يكتشف بعد.

3. نيديكلت قبل وإبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية

توجد نيديكلت "على سهل رملي يمتد من هضبة تادمايت إلى جبل المويدير، بحسب الخطوط الجنوبية للوحدات الصحراوية وكانت هذه الراحات من النخيل التي يلتقي بها دورياً تجار تهریب العبيد! (بهذا الوصف تبدأ بعض التقارير الفرنسية عن منطقة تيديكلت). ولم يشر الكتاب القدماء إلى تيديكلت، بحسب ورد من طرف فوانو، على غرار ابن بطوطة وابن خلدون من مؤرخي القرن الرابع عشر، إلا أنهم تكلموا مطولاً عن توات وقورارة. ولم يرد ذكرها في مؤلفات ليون الأفريقي وغيرهم من المؤرخين المحدثين.

وغياب المؤلفات القديمة حول المنطقة، له تفسيره ويبين أن المنطقة اعتبرت مجهولة عن أماكن التواصل والاتصال. لكن حسب الأدبيات أن منطقة تيديكلت كانت في الأصل مأهولة، واعتبرت مرتعا للطوارق. تطورت المنطقة شيئاً فشيئاً بعدما كانت مجالا مفتوحا للمنتجعين الرحل وانشئت الواحات بالقرب من نقاط الماء كما تطورت العلاقات التجارية ولم تخرج من الظل الا في عصر حديث نسبيا. ويرى فوانو أن المنطقة كانت مجالا مفتوحاً للرعي ونقطة التقاء بين الطوارق وتوات وقورارة... فتصورها ممتدة بما يكفي لتقوم بعلاقات تجارية، أين تحولت رؤوس القوافل إليها بسبب موقعها المتقدم وبسبب انعدام الأمن في تلك المنطقة كما قال ابن خلدون.³ وتشهد العديد من نقوش التيفيناغ على مرور الطوارق.

¹Balout Lionel, *Chronologie absolue et préhistoire saharienne*. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°11, 1972. pp. 13-19. DOI : 10.3406/remmm.1972.1126. p18.

²Ibid., p19.

³Lehuraux Léon. *Le conquérant des oasis, Colonel Théodore Pein*. Préface du général Neiger. Paris, Pion, 1933.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

يقول عبد القادر بن أبي بكر التواتي (1268هـ-1851م) "لتوات، العديد من المدن التي لديها أسواق. أهمها من الشمال، تميمون. وإلى الغرب، تيمي، عاصمة أدغاغ، يتردد على أسواقها الفولانيين. ومن الغرب قصر تمنطيط، يتردد على سوقه، قبائل بدو عرب الساحل، جاكانا، أولاد الحاج وسكان سوف. ومن الشرق، مدينة تيديكلت التي يتردد على أسواقها، الكلاوي Keylâouy أهل غات، غدامس، وكونتة وكلهم من التجار الكبار. وتيديكلت مدينة كبيرة تقع شرق عين صالح."¹

1.3 تيديكلت منطقة عبور

يقول عبد القادر زيادية (1971) "بأن الصحراء الإفريقية قد شهدت خلال العصور الوسطى مداً إسلامياً واسعاً عن طريق تجار وسكان المغرب العربي، وصعيد مصر وبلاد الحبشة، ولعب المرابطون والموحدون دوراً هاماً وبارزاً في نشر الدين الإسلامي حتى أعماق الصحراء خلال هاته الفترة، وقامت بالصحراء مراكز عمرانية وحضارية كبيرة أبرزها مدينة تيمبكتو، وجني وغاو، كما قامت مجموعة من الإمارات والممالك الإسلامية."²

واعتبرت الصلة بين السودان وبلاد البحر المتوسط، صلة تجارية ثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة أين "كثرت هجرة المسلمين بعد ظهور الإسلام من العرب والبربر إلى بلاد السودان منذ الفتح الإسلامي لمصر شمال إفريقيا ولقد احتكر التجار المسلمون الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية استقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد."³

وبفضل التجارة ربطت "الصلات والعلاقات الودية بين هذه الممالك وسكان جنوب المغرب العربي طيلة القرون الوسطى والحديثة. لذلك استهوى هذا النشاط الواسع والمزدهر بالصحراء الدول الأوروبية فعزمت على غزو الصحراء واستعمارها. فاهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية وتتبع منابع الأنهار الإفريقية، كالنيل، والنيجر وغامبيا، وغيرها وتكونت لهذا الغرض عدة جمعيات جغرافية وعلمية تكفلت بإرسال البعثات الاستكشافية، وتحملت نفقات هذه الرحلات."⁴

¹ Al Tuwātī, 'Abd al-Qādir ibn Abū Bakr, *Le Sahara et le Soudan : documents historiques et géographiques* / recueillis par le Cid-el-Hadj-Abd'-el-Kader-ben-Abou-Bekr-el-Touaty, traduit de l'arabe par M. l'abbé Bargès, Pub. J. Rouvier (Paris) 1853, p15.

² إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 40.

³ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

⁴ إبراهيم مياسي، ص 40.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

وذكر ابن خلدون (ت. 808هـ) حركة القوافل التجارية نحو بلدان السودان أين أشار إلى قصور توات وتمنطيط وركان وتسايت وتيكورارين في مقدمة الباب الأول من كتابه العر، وقال عن هذا الإقليم: "فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتيكورارين... وهناك قبائل من تلمسان ووجده تسمى (ذوي عبد الله) وتنتهي رحلتها في القفار إلى توات وتمنطيط وربما عاجوا ذات الشمال إلى تسايت وتيكورارين وهذه كلها رقاب السفر إلى بلاد السودان."¹

أهم طريق الذهب الكثيرين للمغامرة، قصد الوصول إلى مراكزه بالجنوب الشرقي والغربي للجزائر، كالأمدرور، بينين ونيامي، كوكيا، غانا... الخ. إضافة إلى حقول الملح، بتغازا، تاوندي واد جيل، امادور. كما قال مصطفى أبوضيف: كونها توجد بين الشريط الصحراوي، الممتد من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى، مما سهل حركة تجارة القوافل. "فرغم ما يوصف به هذا الإقليم من انه صحراوي وموحش، إلا ان منابع المياه تتخلله وتنتشر الواحات في أرجائه. وبفضلها أمكن للقوافل ان تخترقه من أدناه إلى أقصاه، في طريق أقصر من الطريق الشمالي، بحوالي ثلث المسافة."²

من بين مناطق العبور تلك منطقة تيديكلت التي كانت ولا زالت، تمثل نقطة عبور وتواصل، وقد ربطت سكان الشرق بالغرب وسكان الشمال بالجنوب منذ القدم. حيث كانت عاصمتها عين صالح "سوقا مهما، من أسواق الرقيق وريش النعام والعاج ومسحوق الذهب والأقمشة والشاي والتمر."³

كانت عين صالح ولا زالت منطقة العبور بين السودان والجزائر فقيما "كانت المنتجات المستوردة تأتي من منطقة التل (غرداية: المنيعه كولومب بشار -أدرار- أولف). قوافل من السودان والحقار، والتي تشمل في كثير من الأحيان من 50 إلى 100 جمالا، وتأتي في الغالب للبحث عن تمور المنطقة. من التل يتم استيراد القطن والدقيق والصابون والسكر، القهوة والزيت والمنتجات المصنعة. من توات يصل القمح. الحناء التبغ (الشمة) للشم وللصنع؛ من قورارة القمح، الصباغة، (زراي) الدكالي؛ من السودان، الأقمشة، ريش النعام، البخور؛ من الحقار وميدير وأدرار إفوغاس تأتي، الجمال، اللحوم الجحفة (البوكاني)، الأغنام والماعز."⁴

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء السادس، دار الفكر للطباعة والتوزيع، 2008.

² مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، مرجع سابق.

³ جورج غيرستر، الصحراء الكبرى تعريب، خيرى حماد، المكتب التجاري، بيروت، ط. الأولى، 1961م.

⁴ Maire A. Savelli A. In Salah et le Tidikelt oriental; étude historique, géographique et médicale, Op.cit p 405.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

وكان طريق الحجيج من هم هذه الطرق في تيديكلت أين توجد اماكن لاتزال أسماؤها دليل على هذا الدور الفعال، كمنطقة عين الحجاج، بمضبة تادمايت شمال عين صالح، ومكان آخر يوجد بوسط المدينة، يسمى حفرة الركوب أين يجتمع الحجاج فيه للتوجه نحو البقاع المقدسة.

أما بالنسبة لتسمية إن صالح نفسها جاءت من شخص اسمه صالح كان متوجه رفقة قافلته الى البقاع المقدسة، مرض بهذا المكان، فاستقر عند امرأة ترقية، فامتحن الزراعة، وبذلك سمي المكان باسمه. كما توجد قرية بعين صالح تسمى البركة وتحليل الكلمة بالتيفناغ تعني الممر أو الطريق مثلها مثل بريكة بمنطقة باتنة، التي تعني ذات الشيء، أي الممر (حسب رين Rinn)

4. قصور تيديكلت ونشأتها

1.4 نشأة عين صالح: يرى البعض أن عين صالح نشأة بالقرب من قصر أولاد بلقاسم، ويرى آخرون أنها نشأت بجوار قصر الجديد.

ويعود أصل كلمة عين صالح إلى شخص اسمه صالح، وخلال ترحاله مر بالمنطقة ووجد بها عين (منبع مائي) فأقام بالقرب منها كما أقام زراعات حولها، وبالتالي نسبت هذه العين لاسمه ومنها جاء اسم عين صالح*. تعود هذه الحقائق إلى القرن الثالث عشر، حيث ذكرت الأسطورة المذكورة أعلاه، مع اختلاف طفيف. بقول بعض المؤلفين أن هذا الشخص كان من بين الحجاج العابرين من المغرب عن طريق توات وقورارة للسفر إلى مكة المكرمة، وتم تركه بسبب مرضه، بالقرب من خيمة امرأة تارقية اسمها 'كله' تين هنان فقام صالح بحفر بئر أو وسع من مستوى الماء.¹

بحسب غاست Gast أن فوانو Voinot رأى: "بأن نشأة عين صالح تعود الى القرن الثالث عشر، ما يفسر وجود طوارق أحملان على هذه الأراضي، بينما لاحظ كلا الكاتبان أنه لا ابن بطوطة ولا ابن خلدون ولا ليون الإفريقي يستشهدون بمنطقة عين صالح. لكن على خلفية ذكر 'كله' ابنة 'تين هينان' (يعتبر وجودها يعود الى القرن الثامن عشر).

* ويقال انها إن صالح وتعني كلمة إن بالبربرية الملكية لشيء ما بالنسبة للمذكر على غرار إن قزام، إن امقل، إن أمناس وهكذا. بينما للمؤنث فتنسب الملكية بكلمة تين مثل تين زاوتين، تين هنان
1 ينظر:

-Voinot Louis. **Le Tidikelt. Etude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays.** Edité par Oran, imp. L. Fouque, 1909, p 48.

-Maire A. Savelli A. **In Salah et le Tidikelt oriental; étude historique, géographique et médicale.** Archives de l'Institut Pasteur d'Alger. 1955 Déc. ; 33(4):367-43. P 268.

-Métois A. **Ain Salah et ses dépendances.** Annales de Géographie". 1907, vol. 16, n. 88. pp. 337-349. P 338.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

فيرى غاست Gast أن هناك فجوة هائلة في معلومات علم الأنساب عن ذلك.¹ فيقول: إذا كان لنا أن نعترف بأن هذه 'الملكمة' جاءت من تافيلالت عبر تيديكلت كما صُرحَ به من شهادات؛ فإن وفاتها تعود إلى حوالي القرن الخامس ميلادي؛ الضريح الذي تم العثور عليه كان الهيكل العظمي في الواقع قبر بربري على وجه التحديد، مثل تلك الخاصة بتافيلالت وموريتانيا وشمال الجزائر، فلا تزال هناك فجوة كبيرة في المعلومات بحسبه.

وربما "ترجع نشأة مدينة عين صالح إلى سنة 1350م، حيث تكونت النواة الأولى بجانب واحة نخيل والتي كانت عبارة عن نقطة وصل في الصحراء، وفي المرحلة 1535 و1580م ظهر تجمعين رئيسيين للمساكن وهما النواة الأولى لحبي المدينة الحاليين اللذين يطلق عليهما قصر العرب وقصر المرابطين. وخلال فترة الاحتلال الفرنسي قام هذا الأخير بالبناء بين النواتين السابقتين وهو المكان الذي يعد حاليا نواة الحبي المركزي بالمدينة الذي يسمى بحبي وسط المدينة."²

يتشكل المجتمع السكاني بعين صالح وما جاورها من أجناس مختلفة ومتنوعة منها عرب، بربر، زنوج انصهرت فيما بينها وكونت سكانها، وذلك بسبب الرحلات والفتوحات الإسلامية من بين هذه القبائل والأعراش المشكلة لتيديكلت:

من أعراشها: عرش أهل عزي من أقدم الجماعات المتواجدة بعين صالح؛ وهم مرابطين من جنوب المغرب يعود أصلهم الى سيدي أحمد بالحنفي القرن 13 عشر وبعد هذا القرن تأتي الهجرات الواسعة. عرش أولاد يحيى قبائل رحل عربية جاءت من منطقة قورارة رحلوا الى عين صالح في حوالي 1700. عرش أولاد باحمو، جاعوا من الجبل الأخضر في القرن 17 وأنشأوا قصر العرب وأغلبهم بدو رحل. أولاد دحان عرب من أصل مغربي استقروا بتيديكلت في حوالي سنة 1730 وهم في الأصل بدو شبه رحل.

عرش أولاد المختار وهم اولاد باحمو وابناء عمر بن ملوك استقروا بعين صالح وفقارة العرب.

¹Gast Marceau. *Témoignages nouveaux sur Tine Hinane, ancêtre légendaire des Touareg Ahaggar*. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°13-14, 1973. Mélanges. Le Tourneau. I. pp. 395-400 p397.

²مخطاري مصطفى حطاب سفيان، التحولات العمرانية في المدينة الصحراوية (حالة مدينة عين صالح -الجزائر)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية عدد 22، جامعة ورقلة، 2016، ص 21.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

قبيلة الزوى من الابيض سيد الشيخ استقروا بتيديكلت حوالي سنة 1700 وأسسوا الزاوية الكبيرة سنة 1790 التي ساهمت في ظهور قرى فقارة الزوى وسيلافن وحينون بحوالي 420 ساكن¹ في تلك الحقبة. قبائل الطوارق الذين كانوا يجولون منطقة التيديكلت في حلهم وترحالهم.

هم إذن قبائل شبه رحل، يسكنون المنازل، وقليلًا ما تنصب الخيام بمنطقة تيديكلت وكانت الزراعة أساس استقرارهم. يتمتعون بمعرفة مناطق نمو العشب لرعي غنمهم، في وديان تادمايت، على غرار واد أفليسس، واد مية، وواد النسوخي.²

بالرغم من هذا التنوع يبقى المجتمع موحد بالدين الاسلامي في مختلف مجالات حياته وتعاملاته.

2.4 نشأة اينغر: نشأ تجمع اينغر، في حوالي القرن السابع عشر في امتداد طبيعي للحركة العمرانية الحاصلة في كامل منطقة تيديكلت، على غرار عين صالح. أولف وغيرهم.

وقيل في أصل التسمية أن اينغر هي كلمة بربرية تعني الواد الصغير أو المنطقة الموجودة بين الشعاب أو الفج. وأصل بداية العمران بها كان بالمكان المسمى تاغرمت، في حوالي 12 كلم جنوباً التجمع الحالي لإينغر. وبعد تعرضها للغزو تم التروح إلى اينغر الحالية، وكان توفر المياه عاملاً هاماً ومحددًا لنشأة وتوسع التجمعات العمرانية. يعتبر القطاع الفلاحي المصدر الأول للاستزراق، بالإضافة إلى بعض التبادلات التجارية البسيطة، نكماً أن نظام السقي التقليدي (نظام الفقارة) جعل اختيار موقع التجمع أمراً خاضعاً لهذه العوامل. اختيار الموقع المنخفض يسمح بجلب المياه بصورة أوفر وأسهل عن طريق الفقارات.

وهكذا فقد تجاوزت بساتين النخيل (محاصيلها الفلاحية للزراعات المعيشية) بفضل الفقارات فحسن الانتاج وطور المجال العمراني "الذي بدأ يشهد ميلاد بعض القصبات التقليدية التي بنيت بطابع قصوري واضح (نسيج كثيف، شوارع ضيقة، ارتفاع محدود، واجهات مغلقة على الخارج متجهة نحو الداخل... إلخ) وبمواد محلية تقليدية."³

¹J. Ruffié, J. Ducos et H. Vergnes. Étude hémotypologique des populations du Tidikelt (Sahara central). Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris Année 1963, Série XI°, Volume 4 Numéro 3 pp. 531-544.

²لمزيد من التفاصيل يرجى الاطلاع على:

Capot-Rey, *Le nomadisme pastoral dans le Sahara français*, Travaux de l'Institut de recherches sahariennes, Impr. Imbert, Alger, 1942, p81.

³المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU)، وكالة البلدية، 2005، ص 13.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

3.4 نشأة فقارة الزوى: تقع فقارة الزوى على بعد 45 كيلومترا شمال شرق عيز صالح، وهي عبارة عن ثلاث بساتين نخل تصطف في خط من الشمال إلى الجنوب، وهي تقع على الطريق الذي كان يستخدم من قبل القوافل العائدة من توات إلى ورقلة ومن ثم إلى تونس. أهم بساتين نخيلها الثلاث هي: الفقارة الكبيرة، سيلافن وتبعد عنها بـ 4 كم، وحينون بـ 3 كم¹.

الفقارة الكبيرة وحينون، يسكنها الزوى وهم أحفاد سيدي الحاج محمد ولد الحاج ولد سيد الحاج بحوص ولد سيد الشيخ، جاء من فجيح، ويعود أصلهم إلى أبوبكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ. وفي سيلافن يعيش المرابطين القادمين من تافيلالت وعائلتين أصلهم من تيطاف بتوات.

وهم يعتبرون أحفاد سيدي الحاج محمد الذين جاؤوا لتأسيس الفقارة الكبيرة حوالي سنة 1795م. وفي سنة 1893 أنشأ أحد الأحفاد قصر حينون واستقر بها. أما سيلافن فتاريخ إنشاؤها كان بعد ذلك بقليل.

فالرغم من كون تربة هذه المنطقة تربة رملية جدا - كما هو الحال في المنطقة برمتها- إلا أنها خصبة جدا بفضل المياه الوفيرة التي تستخرج بالفقارات. كما جاء في وصف الطبيب الفرنسي (Santini)، ازدهرت هذه الواحات الثلاث في نهاية القرن 19 الماضي، حيث كان من الممكن للمرء أن يعول على ما يقرب من 30,000 نخلة، لكن للأسف، كان انتشار وباء خطير أهلك هذه الحدائق الجميلة حيث، وفي الوقت الحاضر-من ذلك العهد-هناك أكثر من 8,000 نخلة. وكان هذا المرض هو البيوض* الذي أهلك تلك البساتين.

فقارة الزوى، كلمة مركبة من فقارة وجمعها فقاير وهي عبارة عن سلسلة من الآبار متصلة فيما بينها عبر أنفاق تنحدر من أعلى سطح التربة الى أسفلها مما يسهل انحدار الماء نحو البساتين.

أما كلمة 'الزوى' وهو اسم يطلق على عرش اولاد سيدي عبد القادر بن محمد المعروف بسيد الشيخ دفين الأبيض سيد الشيخ بولاية البيض ويعود اصل كلمة الزوى نسبة إلى الزاوية و هي من الزوى وهو المكان الذي يقصده عابري السبيل، وكان اسم الزوى في الأول البوبكرين نسبة إلى جدهم الأول بعد الإسلام الصحابي الجليل ابوبكر الصديق بن قحافة؛ ومن بعدها إلى اسم المعمرين أو

¹Santini P., *Contribution d'un médecin à l'étude de bayoudh maladie du Palmier-Dattier*, archives de l'Institut Pasteur d'Algérie 15, no. 2 (1937) : 51-57.

*Ibid.,

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

المعمارية نسبة إلى جدهم معمر بن عالية وإلى السماحيين نسبة إلى جدهم سيدي بوسماحة، دفين منطقة تبو التابعة لدائرة شروين بولاية ادرار، وإلى الباشخة أو البوشيخي نسبة إلى سيد الشيخ.

ويقول المؤرخون أن أصل نشأة هذه البلدة تعود إلى قدوم فرع من أولاد سيد الشيخ وهم أولاد سيد الحاج أحمد الذي يتواجد ضريحه بمنطقة الساهلة الفوقانية تبعد عن فقارة الزوى حوالي 35 كلم الذين أتوا إلى هذه المنطقة للتعمير فيها حيث قاموا بحفر هذه الابار او الفقاقير وربطها ببعضها لاستعمال مياهها في ظروف الحياة.

وجد ببلدية فقارة الزوى مواقع أثرية هامة من بينها الغابة المتحجرة ومنبع تمزقيدة وموقع القطارة والعين الكحلة، وكل من بين هذه المواقع ميزة خاصة يمتاز بها عن غيره. نذكر على سبيل المثال منبع تمزقيدة يمتاز بحرارة مياهه تقدر ب: 72°⁰ ويعالج عدة أمراض منها الروماتيزم... الخ.¹

5. تيديكلت إبان الاحتلال الفرنسي

أولى الفرنسيين اهتماماً كبيراً بالصحراء، للتعرف عليها وخاصة للتعرف على الطرق الصحراوية ومسالك القوافل إلى السودان، ففي 1855 قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغاً بستته آلاف فرنك (6000) للذي يقوم برحلة من الجزائر إلى السنغال أو بالاتجاه المعاكس بشرط أن يمر بمدينة تيمبكتو، ويأتي بمعلومات دقيقة وجديدة حول القوافل التي تعبر هذا القفار.²

فيا ترى، ما هو السر في الوصول إلى تيمبكتو؟

في 1470 وصل إلى تيمبكتو رجل اسمه بنيدتوداي Benedict Woody ، من فلورنسا كان يعمل وكياً لأحد البنوك باحثاً عن صفقات، وصل إلى تلك المستعمرة التي أسستها في القرن الخامس قبائل الطوارق على منحى نهر النيجر، الذي تحيط به لأسرار من كل جانب... إنه ليو أفريكانوس.

تيمبكتو هي مدينة الذهب في إفريقيا، غنية بلا حدود وجميلة بلا حدود" بها الكثير من عيون الماء العذب تجري تحت أشجار النخيل وتمتد القنوات إلى نهر النيجر، وملكها كثر عظيم من الذهب، سفائك وصفائح وقطع يزن بعضها 1300رطل، مثل تلك التي أمام قصره. ويربط جياده الأصلية

¹https://ar.wikipedia.org/wiki/%.Site visité 13/03/2013.

²إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 50.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

البيضاء وأحزمة الركب وكل الأعنة والأزمة داخل اسطبله هي جميعاً من الذهب حتى سلاسل الكلاب.¹

بسبب هذا البريق أيقظ رغائب المغامرين والقادرين. فقام سلطان المغرب بإرسال جيش إلى مدينة تيمبكتو ليضمها لمملكته، كان قوام الجيش 4000 رجل و3000 جمل أحمال و1000 حصان قنص. لم يصل إلى النيجر إلا نصف هذه القوة. حتى القبائل المحلية من الفووبا والطوارق دخلت معاً في عراك طويل ودائم من أجل 'ملكة الصحراء'. أما بنتيدتو داي (ليون الأفريقي) فقد دخل تيمبكتو وهي لاتزال في عهد ازدهارها، حين كان عدد سكانها يربو على خمسين ألفاً ولم يكن الأوروبيون يعلمون أن تيمبكتو قد استترفت في خلال عقود قليلة وتراجع عدد سكانها إلى 13 ألفاً. بقيت المدينة موصودة أمام المسيحيين لقرون عديدة.²

هكذا نشأة في أوروبا أسطورة لا تدحض عن الثراء الفاتن لمدينة الصحراء القابعة على نهر النيجر، ومنت الجمعية الفرنسية من يتقدم إليها بتقارير موثوق بها عن هذا المركز الحضاري والتجاري القديم، بأن تكافئه بعشرة فرنك، ولكن عندما وقع تقرير كهذا لم تصدقه.³

1.5 الرحالة والمستكشفين

كانت القارة الإفريقية التي تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف أوروبا تمثل حتى القرن السادس عشر حجراً لا يمكن اجتيازه بحال... إن ما عرفته أوروبا عن إفريقيا لم يَضِعْ، لكنه ظل يعلوه التراب في أرشيفات الفاتيكان السرية والمكتبات الملكية وعلى رفوف بيوت التجار الأوروبية. لقد قامت بنوك إيطاليا بإعداد أرشيفات دقيقة للأخبار القادمة من قارة ما وراء المتوسط، فهذه معلومات الوكلاء وتلك تقارير تبشيرية. في عام 1477 سافر أنطونيو مالفانتا من مدينة جنوة بتكليف من البنك الذي يعمل به عبر الصحراء الكبرى حتى وصل إلى واحات توات ليستطلع إمكانية توريد كميات أكبر من الذهب.⁴

لم تكن الصحراء الجزائرية والإفريقية "معروفة من قبل الأوربيين، ولم يتمكنوا من كشف أسرارها وبقيت مجهولة لديهم طيلة قرون عديدة، ولم يقدم الرحالون القدماء من الاغريق والرومان إلا

¹ راينر ك. لانجر، سر الصحراء الكبرى، اقتفاء آثار جيرهارد رولفس، تر. سيد أحمد فتح الله أبوزيد، ط. 1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005، ص 44.

² نفس المرجع، ص 45.

³ نفس المرجع، ص 45.

⁴ معتوق فريدريك، معجم العلوم الاجتماعية، ط. 1، أكاديميا، بيروت، لبنان، 1993، ص ص 43-44.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

معلومات ضئيلة ومحدودة. أول من تعرف عن أسرار هذه المناطق هم الرحالة العرب المسلمون، الذين ذكروا معالمها، وظروفها السياسية والحضارية في كتبهم، أمثال ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي والبكري في القرن الحادي عشر الميلادي والادريسي خلال القرن الثاني عشر الميلادي وكذلك ابن بطوطة الذي توغل داخل السودان في رحلته الثالثة، وسجل لنا ما لاحظته في رحلته.¹

ساهمت الكشوف الجغرافية مع بداية العصر الحديث "هي المادة الرئيسية لأدب الرحلات في القرن السادس عشر."² ككولومبوس، فاسكو دو جاما وغيرهم. فتطور علم الجغرافيا الأوروبي "عرف مرحلة خطيرة، ويتحدث لانجنر عن تخلفه بالقياس إلى علوم العرب الجغرافية والخرائط التي صنعوها منذ زمن المسعودي وابن بطوطة والحسن بن الوزان، ويركز على هذا التخلف خاصة فيما يتعلق بخريطة افريقيا التي ظلت مجهولة للأوروبيين قرونًا عديدة ... فيلجأ الجغرافيون وعلماء الخرائط في أوروبا إلى التستر على جهلهم ونقص معرفتهم برسم كل ما يعن لهم من أشكال الطير والحيوان على تلك الخرائط... وفي القرن التاسع عشر، تميزت الجغرافيا بتطور هائل ساندته روح المغامرة والاستكشاف التي قام بها الرحالة فأمدوا علماء الخرائط بزيادة وفيرة أدى إلى نهضة هائلة في هذا العلم"³،

في حين "كان الجغرافيون العرب يعرفون افريقيا أفضل من جميع المغامرين و الوكلاء التجاريين والمبشرين الأوروبيين مجتمعين إلى قرون عديدة.(وهب بن منبه وضع في القرن الثامن رسماً طبوغرافياً لبحيرة تشاد، وكان أبو الحسن على المسعودي يعرف الكثير عن مدغشقر. وفي القرن الثاني عشر، قام الادريسي وهو ابن أمير عربي بحفر خارطة الأرض على طبق من فضة... وكتب 'نزهة المشتاق في اختراق الآفاق'. أما الادريسي الصغير-وهو أطللس شامل فُقد-فهو يرسم خط الساحل لأمريكا الجنوبية كما هو في الحقيقة: قبل كولومبس وماجلان بأربعمئة وخمسين عاماً. لا أحد يستطيع أن يخبرنا من أين لابن الأمير بهذه المعرفة."⁴

أما أبو عبد الله محمد بن بطوطة "الذي ولد في بداية القرن الرابع عشر في طنجة بالمغرب فكان بمثابة 'ماركو بولو العرب' لقد جاب العلم على مدى ثلاثة عقود تقريباً وقطع 120000 كيلومتر. لقد رأى الفولجا وبحر قزوين، كما رأى جبال الهملايا وزار الهند والصين. وحيثما حل كان دائماً مسلماً

¹ ابراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 37.

² راينر ك لانجنر، مرجع سابق، ص 17.

³ نفس المرجع، ص 19.

⁴ نفس المرجع، ص 46.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

شديد الالتزام بدينه لا يتنازل عن عاداته... كما كان كل الرحالة العرب في ذلك الزمان حاجاً ورعاً ومغامراً جسوراً ودبلوماسياً بارعاً وعالمياً ذا عقل يقظ.¹

1.5 المستكشفين الأوربيين لتيديكلت

استكفت الصحراء "في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الرحالتين الألماني بارث، والفرنسي دوفيري. فبعدهما أصبح فزان وتاسيلي أجار وتيمبكتو محور طرابلس-نشاد، أراضي معروفة ومرسومة على الخرائط. ولكن مناطق شاسعة من اء، بعضها مأهولة، والبعض الآخر خالية، لم تستكشف بعد. وهذه المهمة التي سيواجهها الجيل التالي من المستكشفين. وأعظم هؤلاء أربعة، ثلاثة من الألمان، هم: روهلفس وناشتيجال وفون باري، وواحد نمساوي، وهو اسكارلانز.² بالنسبة لمنطقة تيديكلت (عين صالح) فقد تمكن في نهاية القرن التاسع عشر ثلاثة أوربيين من الدخول وهم:

-قوردون لاينغ (Alexander Gordon Laing) (27 ديسمبر 1793-26 سبتمبر 1826) إسكتلندي "اتصلت الجمعية الافريقية بمغامر مشهور وهو النقيب 'غوردون لاينغ الذي اشتهر برحلاته الاستكشافية ومغامراته داخل إفريقيا، حيث كان في ذلك الوقت مكلفاً بمهمة في سيراليون ضمن صفوف الجيش البريطاني، لعقد معاهدة سلام مع قادة القبائل الافريقية سنة 1820. وقد طلبت الجمعية "بتكليف من التاج البريطاني" من 'لاينغ' أن يلتحق بمدينة نيمبكتو وينضم الى رحلة 'كلا بروتون' الموجودة في سو كوتو"³.

كان لاينغ، أول أوروبي يصل إلى نيمبكتو في دولة مالي الحالية عبر الطريق شمال/جنوب. وصل في ديسمبر/كانون الأول سنة 1825 إلى عين صالح بمنطقة توات في دولة الجزائر، حيث لاقى استقبالا حسناً من قبل مجموعة معينة من الطوارق.⁴ وخرج منها في 10 جويلية 1826 متجهاً إلى تيمبكتو أين قتل هناك، "ويظهر أن قتله وحرق أوراقه ومذكراته، كان بسبب اكتشاف مرضه الخطير، وخشية تفشيه في القافلة، فيقضي على العديد منها لذلك عمل قائد القافلة على التخلص منه."⁵

¹ نفس المرجع، ص 46.

² اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982، ص 89.

³ إبراهيم مياسي، ص 45.

⁴ عن الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا يوم 2016/12/11.

⁵ إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 46.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكت

- المستكشف الألماني هو فريدريك جيرهارد روهلفس (Friedrich Gerhard Rohlfs).

ولد في فيجيساك، بالقرب من بريمن مدينة بون، في 14 أبريل 1834 توفي في 2 جوان 1896. "وهو الابن الرابع لأسرة أنجبت سبعة أطفال. كان ضعيف البنية نائر الطبع بحيث لم يكن يحتمل الطاعة في المنزل أو في المدرسة. ومنذ سن السادسة عشرة خرج من المدرسة لينخرط في جيش دويلة بريمن الصغير ونال رتبة ملازم أول. ولما غادر الجيش، حاول أن يدرس الطب، ولكن طبعه البوهيمي تغلب عليه في نهاية الأمر، فاختار طريق الأسفار، في أوروبا أولاً، ثم في أفريقيا حيث انخرط في الليف الأجنبي... وبعد بضع سنوات قضاهما في الجيش وشارك في بعض العمليات التي قام بها في بلاد القبائل وتعلم خلالها اللغة العربية، اكتسب من ذلك، "معرفة بعادات الأهالي وتقاليدهم، غادر الليف الأجنبي في سنة 1861 واستقل باخرة في اتجاه طنجة¹.

بعد حل الفيلن، قرر الوصول إلى تيمبكتو لذلك توجه إلى طنجة (المغرب)، و"أقام عاماً في المغرب الأقصى، تماماً كما صنع الرحالة الفرنسي، روني كاييه (René Caillié . 1799-1838) من قبل. ولكنه على عكس كثير من الرحالين الأوربيين الذين اختاروا الترحال بوصفهم مسحين، قام روهلفس بحلق رأسه وأعلن إسلامه، بل وذهب إلى أبعد من ذلك كما فعل مواطنه، هورنمان (F. Hornemann . 1772-1801) ، من قبل، فختن نفسه² و"تخذ لنفسه اسم مصطفى. قطع المغرب طولاً وعرضاً وسعى في تلك الفترة للوصول إلى مدينة تيمبكتو في مالي، تلك المدينة التي حيكت حولها الأساطير على أنها مدينة الذهب، والتي صورتها الحكايات على أنها عروس الصحراء"³

استطاع كسب رضا سلطان المغرب وصار طبيبه الخاص. "وفي سنة 1862 بدأ رحلته الصحراوية، وهو في سن الثلاثين، ولكنه لم يكن يملك في حياته سوى خمس جنيهات استرليني. وقصد تافيلالت التي كان قد زارها روني كاييه (René Caillié) من قبل. وعلى الرغم من رسائل التوصية التي زوده بها شريف وزان الذي كان مسموع الكلمة في هذه المناطق، فإن الأهالي، بفطرتهم السليمة، تشككوا في ادعائه الاسلام واقتنعوا بأنه مسيحي متستر، فأخذوه أسيراً وكشفوا عليه ولم ينقذه من انتقامه سوى عملية الختان التي حققها زوراً وبهتاناً. ولكن متاعب هذا الرحلة لم تنته عند هذا الحد، فإن دليله

¹ اسماعيل العربي، مرجع سابق ص 89.

² اسماعيل العربي، مرجع سابق ص 90.

³ راينر ك. لانجنز، مرجع سابق، ص 11.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

سيعتدى عليه ويصرعه تاركاً إياه في الخلاء على اعتبار أنه ميت. ومع ذلك فقد واصل رحلته في اتجاه البحر الأبيض عبر جنوب وهران.¹

واصل رحلته "من جديد إلى تمبكيو عن طريق الصحراء الجزائرية. ولكن ثورة أولاد سيدي الشيخ التي قامت في تلك الآونة قطعت عليه الطريق التي كان يعتمر سلوكها. وهكذا قرر أن يسلك طريقاً أخرى من المغرب الأقصى ويستفيد من بعض العلاقات التي كونها هناك من قبل. وهكذا عاد روهلفس إلى تافيلالت ودرس بعناية هذه المجموعة من الواحات، قبل أن يواصل رحلته في رفقة ثلاث من الأهالي إلى توات ثم إلى إيغلي، فإلى بني عباس ثم أدرار، ومن هناك عرج إلى الشرق."²

وصل إلى واحات نوات، "في الثالث عشر من أغسطس حيث كانت خاضعة لإمارة شيخ خارج عن النفوذ الديني لكبير الأشراف كما هو خارج عن نطاق سيادة السلطان المغربي ذاته، اسمه أحمد بن مكّي. فيبقى خطاب التوصية الذي يحمله غير ذي أهمية بالنسبة له. إزاء هذا التقلص لكرم الضيافة يبقى على روهلفس معتمداً على نفسه، ويقرر أن يلتحق بقافلة الحبوب منطلقاً شرقاً إلى واحات تيديكلت. ويصل بعد ثلاثة أسابيع إلى مركز الواحات بعين صالح. أن من يريد أن يتجه من تيمبكتو أو مبروك في النيجر إلى مدينة تونس أو الجزائر أو طرابلس لا يمكنه أن يمر على عين صالح مرور الكرام."³

وفي 17 سبتمبر، 1864 دخل إلى عين صالح. كان روهلفس "المستكشف الثاني الذي دخل هذه الواحة بعد الميجور لاينغ، ولكن الأخير لم يعد من رحلته. وبالتالي فقد ظل المستكشف الألماني."⁴ وهذا العمل، يعتبر الوحيد الذي وصل إلى الصحراء قبل احتلال الفرنسيين لها في نهاية القرن الماضي.

وقد أقام بتيديكلت من 17 سبتمبر إلى 29 أكتوبر 1864. وأستقبل روهلفس من طرف الحاج عبد القادر ولد باجودة بعين صالح " بكرم الضيافة؛ فصديق كبير الأشراف هو كذلك صديقه على حد قوله، لذلك لا يمكنه أن يتركه يمضي إلى تيمبكتو، لأن السلامة لا تُضمن إلا في حماية قافلة كبيرة؛ ولكي يؤلف قافلة كهذه فأمامه على الأقل مدة نصف عام... نفذت وسائله المالية لشراء الجمال ومن يقودها. والأخطر من ذلك كان انتشار إشاعة تصغى لها الادان، تقول انه جاسوس للفرنسيين. لا بد

¹ اسماعيل العربي، مرجع سابق ص 90.

² نفس المرجع، ص 90.

³ راينر ك. لانجنز، مرجع سابق، ص 12.

⁴ اسماعيل العربي، مرجع سابق ص 90.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

من أن أحداً وجد في حاجياته جواز سفره الفرنسي الذي كان معه منذ أن كان جندياً في فيلق الأجانب. في أثناء ذلك عرف متى يتخذ طريق العودة؛ فعند تيديكلت ينتهي الطريق إلى تيمبكتو.¹

من عين صالح سافر إلى "غدامس ثم إلى ثم طرابلس، بعد ما قضى نحو ستة أشهر في المغرب الأقصى، وستة أشهر في الصحراء، وهذه الرحلة كلها قام بها مستعينا بمبلغ صغير من المال منحه إياه مجلس شيوخ بريم والجمعية الجغرافية في لندن. وهكذا نجح روهلفس في اختراق الصحراء من المغرب الأقصى حتى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية.²

اعتبر استكشافه "ذا طابع جغرافي"³ بوصفه وخريطته لتلك البلاد الأولى من نوعها ولوقت مضى، من الملاحظة الشخصية والمعرفة العلمية.⁴

تميز روهلفس "بصلفه واحتقاره لثقافات وحضارات الأمم الأخرى."⁵ ولا غرابة في وصف روهلفس لهذه المجتمعات بالحقارة، لأن في تلك الحقبة كانت الأنثروبولوجيا في صياغتها الأولى والتي شهدت النور أيام الملكة فيكتوريا وأيام الإمبراطورية الألمانية، كانت منحازة إيديولوجياً. أي أن المفردات الاستعمارية الرائجة كانت مقتبسة دون أي نقد في الحقل العلمي الأنثروبولوجي، وهذا ما أساء جداً إلى هذا العلم الجديد. فكنا نقرأ في هذه الحقبة، عن الشعوب البدائية والمجتمعات السفلى والمجتمعات العليا في إطار تحليل استعماري المنحني يضع الغرب الأوربي والمتقدم تكنولوجياً، في رأس سلم الشعوب، وفي أسفل هذا السلم شعوب إفريقيا وأوقيانيا.⁶

من أعمال روهلفس: رحلة عبر المغرب وصعود الأطلس الأعلى استكشاف واحات تافيلالت وتوات وتيديكلت والرحلة عبر الصحراء الكبرى من غدامس حتى طرابلس، بحسب نوردز 1868.

¹ راينر لانجنز، مرجع سابق، ص 76.

² راينر ك. لانجنز، مرجع سابق، ص 11.

³ اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 90.

⁴The American Cyclopædia (1879)/Rohlf's, Gerhard. Site visité le 11/12/2016.

[https://en.wikisource.org/wiki/The_American_Cyclop%C3%A6dia_\(1879\)/Rohlf's,_Gerhard](https://en.wikisource.org/wiki/The_American_Cyclop%C3%A6dia_(1879)/Rohlf's,_Gerhard).

ينظر:

راينر لانجنز، سر الصحراء الكبرى، مرجع سابق.

Y. Rainer K. Langner Das Geheimnis der großen Wüste. **Auf den Spuren des Sahara forschers** Gerhard Rohlfs (The secret of the great desert. In the footsteps of the explorer of the Sahara Gerhard Rohlfs). S. Fischer Verlag Frankfurt am Main 2004

⁵ نفس المرجع، ص 12.

⁶ معتوق فريدريك، مرجع سابق، 1993، ص 42.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

سجلات جيرهارد روهلفس، طبعت وترجمت من قبل جاك دو بيتز Jacques Debetz، وتتألف من خمسة مجلدات، نشرت بين عامي 2001 و2003: المجلد 1 -درعة، تافيلالت، جنوب وهران، توات، تيديكلت، غدامس(1864-1864)؛"دار النشر Karthala.

-الرحالة الفرنسي بول سولين تمكن هذا الرحالة من الوصول الى أبواب عين صالح راغباً في ربط علاقة تجارية مع سكان قصور هذه المراكز التي تعود بالفائدة على فرنسا، وعند وصوله يوم 6 مارس الى مليانة (بانغر) على بعد بعض الكيلومترات من هدفه لم يصبح بإمكانه متابعة طريقه فأخذ طريق العودة إلى الجزائر.

هناك رحالة آخريين، حاولوا الولوج الى منطقة التيديكلت وهما(دوليس Douls، فكتور لارغو في 1877 والملازم مارسيل بالات في 1886 قاما بخوض هذه الرحلة في افريقيا. فالأول تراجع عن مشروعه والثاني قتل في نادمايت بعد ما غادر قورارة. بالات Palat قتل في 8مارس 1886 بالقرب من عين صالح ودوليس Douls قتل في فيفري 1889 بين أقبلي وأولف.¹

-فوريو فيرون* Foureau Fernand قام بعثة استكشافية عسكرية علمية من طرف فرنسا بين عامي 1898 و1900 عبر الصحراء برصد المعلومات المتعلقة بمنطقة تادمايت الجغرافية والنباتية. وهي البعثة التي استعانت بها فرنسا للسيطرة على تيديكلت من خلال المعلومات الدقيقة التي جمعها فوريو والتي استعان بها فلامون في بعثته العلمية (المزعومة) برفقة الحامية العسكرية للقائد بين.

ومن خلال هذه "البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية ودراسة كتب الرحالين والمؤرخين المسلمين، توصلوا إلى معرفة طرق القوافل الصحراوية.² ومن هذه الطرق:

-طريق مراكش إلى تيمبكتو؛ طريق فاس ومكناس الى تيمبكتو؛ طريق وهران وأرزو الى تيمبكتو؛ طريق مدينة الجزائر الى تيمبكتو (بمر على البليدة، وبوغار، والأغواط، وغرداية، والقلعة، وعين صالح، وأقبلي، وبئر تيريشومين، أين يلتقي بطرق توات إلى تيمبكتو. ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عيسو، وتنتيلوست، أين يتفرع الى فرعين كذلك: فرع إلى أقام، وماو، شرق بحيرة تشاد،

¹LehurauxLéon, *Le conquérant des oasis*, Colonel Théodore Pein. Préface du général Nieger. Paris, Pion, 1933

*Foureau, (1850-1914). *Une Mission au Tademaït (territoire d'In-Salah)*. Rapport à M. le ministre de l'instruction publique et à M. le sous-secrétaire d'Etat des colonies, Imprimerie Charles Schlaeber, Paris, 1890.

² إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 50.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكت

والى أقادم وكوكا جنوبها)؛ طريق سكيكدة، وقسنطينة إلى أمقيد، والهقار، وتيمبكتو؛ طريق طرابلس إلى تيمبكتو.

2.5 التوغل واجتياح الصحراء

كان حلم فرنسا القديم تحقيق "امبراطورية عظيمة، مترامية الأطراف، تمتد من البحر الأحمر شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً، وهي إمبراطورية تبعد كثيراً عن الوطن الأم، حيث يسهل تسييرها والسهر عليها والدفاع عنها إذا لزم الأمر. إن احتلال الجزائر والتوسع إل الجنوب هو تحقيق هذا الهدف الذي يربط مستعمراتها الإفريقية غرب القارة، ووسطها ثم شمالها، ولا يتأتى لها ذلك إلا إذا احتلت الصحراء الجزائرية، لأنها تعتبر حلقة الربط بين هذه المستعمرات."¹

فبعد الثورات التي ظهرت مناهضة للاستعمار، كان على فرنسا حصار هذه الثورات لتواصل مسيرة التوغل في الجنوب، كثورة بوعمامة سنة 1881 التي كان هدفها الدفاع عن المجال بعد سياسة التجويع التي كان الاستعمار الفرنسي سببها الرئيسي. كاختراق مجال نفوذ أولاد سيد الشيخ" وخاصة بعد أن عزمت فرنسا على إقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر تيوت الذي هو بجوار مغرار التحتاني مقر زاوية بوعمامة. تضيف زوزو عبد الحميد(1981) تدمر وضم قبائل أفلو والبيض التي منعت من التنقل بمواشيها الى الجنوب خلال موسم الترحال وذلك في فصلي شتاء: 1879-1880 و1881-1880، مما أدى إلى موت مواشيها بأعداد كبيرة من شدة البرودة السائدة بتلك المنطقة."²

وكان لاحتلال تونس في مطلع 1881 أثر على هذه الثورة وما تبعها من حوادث "أعقت هذا الاحتلال، والتي كان لها وقع وصدى عند بوعمامة... والدعوة السنوسية المنتشرة عبر الصحراء والتي ترمي الى مقاومة الاحتلال الأوروبي، قد وصلت إلى بوعمامة عن طريق الحاج المهدي ولد باجودة، مقدمها في عين صالح، وكان لها دور في تشجيع بوعمامة ورجاله على الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي، كما كان أيضاً لدعوة جمال الدين الأفغاني، وحركة السلطان عبد الحميد العثماني، الداعيتين إلى جمع شمل المسلمين في اطار الخلافة الإسلامية، تأثير في نفس بوعمامة باعتباره رجل ديني متحمس وصاحب زاوية، ينشد هو الآخر إلى اصلاح المجتمع الإسلامي انطلاقاً من الجزائر، وهذا الإصلاح يتطلب مقاومة السيطرة الأوروبية على البلدان العربية بحسب يحي بوعزيز(1981)."³

¹ نفس المرجع، ص 76.

² إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 93.

³ نفس المرجع، ص 94.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

ظلت فرنسا تلاحق جيوب ثورة بوعمامة، وعملت على استمالة قبيلته بإعادة بناء ضريح سيدي الشيخ وتعويض مادي، وحتى تتمكن من عزله سنة 1883. وبذلك، عملت فرنسا على تثبيت السكان وخاصة القبائل المرتبطة بهذه العائلة الدينية. -بعد نجاح الجنرال 'توماسين' (Thomassin) في مصالحة أولاد سيدي الشيخ- حتى يسهل عليه الانتقال إلى أبعد من السهول العليا الغربية إلى أقصى الجنوب الوهراني، وإنهاء الحرب والمناوشات الدائمة التي دامت حوالي عشرين سنة.¹

تحت غطاء "إعطاء السكان الصحراويين نوعاً من الاستقلال الذاتي، يتمشى ويتوافق مع نظام المكاتب العربية ضمن الحكم العسكري، حتى تعتمد عليهم في الاستلاء على الصحراء، وتكون منهم قوة تمتاز بسرعة الحركة، مثل الثوار، بل تمتاز عليهم بحسن التنظيم، وقوة الأسلحة الحديثة، والدعم المادي وسوف تكون هذه الأداة الجديدة الفعالة في أيدي القوات الاستعمارية لتتوسع بها في الصحراء."²

في سنة 1884، أنجزت السلطات الفرنسية "العديد من المشاريع، بعد أن تحصلت على مساعدات مالية من مجلس النواب الفرنسي، من أجل تثبيت أقدامها في المنطقة، وهذا بعد أن ألحقت منطقة الميزاب بنفوذها. وإيصال الخط الحديدي إلى عين الصفراء، كما عملت على شق الطرق، وإقامة الجسور وربط المناطق الجنوبية الغربية ببعضها البعض، حتى يسهل عليها التنقل بسرعة في حالة ما إذا قاومها السكان."³

وعملت على "زرع الحصون والمراكز العسكرية في مختلف المناطق بعدما أن تبين لها أن حاميات البيض والأغواط وغرداية غير قادرة على حماية المناطق الجنوبية الشاسعة والمتمردة، فقرر الجنرال 'دليباك' في شهر مارس 1885، إقامة مركز محصن بجنان بورزق من أجل حماية الاتصالات بين عين الصفراء وفقيق، وحراسة الواحات المغربية"⁴ و"بمقتضى المعاهدة بين فرنسا وبريطانيا يوم 05 أوت 1890م لبسط نفوذها على إفريقيا، تمكن التحالف من تحقيق أماله في المنطقة."⁵

في سنة 1891 أنشأت فرنسا "مركزاً عسكرياً دائماً بالمنية استعداداً للسطو على عين صالح وواحات توات، التي وصفها 'جول قابون' بأنها 'ملجأ للثوار، ولبوعمامة الذي التحأ إليها بحثاً عن

¹ نفس المرجع، 105.

² نفس المرجع، ص 105

³ نفس المرجع 105.

⁴ نفس المرجع 105.

⁵ سعيدان التومي، سكان تيديكلت والاتكال على النفس، ص 147.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

المساعدة وتأليب القبائل ضدنا¹. كما استمالت سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ إليها ليساعدها على احتلال واحات توات.¹ ومنذ 1893 شرعت "تشييد الحصون المنيعة والمراكز العسكرية في قلب الصحراء منها حصن مرييل (اسم للضابط مرييل) في حاسي الشبابة على بعد مائة وخمسة وثلاثين 135 كيلومتر جنوب المنيعة على طريق عين صالح عبر تادمايت، وحصن ماكمهون في حاسي العمار على بعد مائة وخمسة وستين كيلومتر جنوب غربي المنيعة، في وادي مقيدن على طريق قورارة. كما تم احتلال الأبيض سيدي الشيخ وجنان بورزق في الجنوب الوهراني سنة 1895. وهما عبارة عن مراكز دائرة أقصى الجنوب من غرداية إلى المنيعة.²

وقد أيد فكرة اجتياح الصحراء الحاكم العام لافارير، في خطاب رسمي أمام أعضاء المجلس الأعلى للجزائر في أبريل 1899، "بأن من واجب فرنسا الحفاظ على الأمن في الصحراء وعليه، فمن حقها استعمار كل النقاط التي يتزود منها الطوارق والشعابنة اللذين يترددون على هذه النقاط لشراء المؤن بل سرقتها في الغالب-على حد قوله- لكنه لافارير لم يتمكن من تطبيق هذا البرنامج، إلا أنه قد حصل على الموافقة لتنظيم مهمة علمية بقيادة وزارة التعليم العمومي، لدراسة هضبة تادمايت وتيديكلت، دراسة جيولوجية والحياة النباتية والمياه لهذه المناطق.

اسندت هذه المهمة "لفلاموند محاضر الجيولوجيا بالمدرسة العليا للعلوم بالجزائر والذي عرف بأعماله ودراساته العلمية التي قام بها في منطقة قورارة.³ فكان عليه، "تقديم معلومات عن الطرق التي من الممكن أن تسلكها القوافل بسهولة من الجزائر إلى توات وإلى السودان، ومهمته إذن لم تكن عسكرية، ومن أجل تأمين حمايته ضد أي هجوم محتمل اختير النقيب بين على رأس حاميته القومية"⁴ لهذه المهمة.

كثفت فرنسا دراستها حول الجنوب بارسال فلاموند "لهذه المناطق للتعرف أكثر على جوانبها البشرية والجغرافية والمائية والاقتصادية.⁵ بالرغم مما تعرضت إليه حملة فلاترز التي قررت عشيرة الطوارق "أن تتزل أقصى العقاب بكل أجنبي يجتاز خط الحدود الذي وضعوه هم لمنطقتهم، وكانت المذبحة الناجحة التي أبادوا فيها حملة كاملة يقودها فلاترز Flatters"⁶ عام 1881 قد أسكرتهم بنشوة

¹ إبراهيم مياسي، ص، 106.

² نفس المرجع، ص 107.

³ Le Huraux Léon. Op.cit.

⁴ Ibid.

⁵ Ibid.

⁶ بول فرانسيس كزافييه فلاترز، من مواليد 16 سبتمبر 1832 في باريس، وتوفي 16 فبراير 1881 في بئر الغرامة في الصحراء الجزائرية،

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

النصر، وأصيبت كبرياء فرنسا في صميمها... (رغم أن) أسلحتهم كانت من مخلفات القرون الوسطى.¹

يعتبر احتلال الجنوب لفرنسا "ضمان كامل لاحتلال البلاد. لأن الثورات الشعبية التي كانت تندلع من حين لآخر كانت تجد في الجنوب والواحات معقلاً يفر إليه المجاهدون للاعتصام والاستعداد، ثم المعادة لمقاومة الغازي المحتمل."² وهذا ما بينه ديورتر في تقريره "عن الفائدة التي ستعود على تجارة فرنسا والأرباح التي تجنيها لو وضعت يدها على مدينة عين صالح التي كانت تتحكم حسب رأيه في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء."³

وبمأن الحرب خداع، كانت حجة الاستلاء هي أعمال التنقيب لدراسة أوضاع طبقات الأرض في أفريقيا الشمالية من طرف فريدريك فلانمند (1861-1919)⁴ احتلت من خلالها عين صالح في عام 1899 وقد "اكتشف أن حاميته العسكرية كانت تعتبره إنساناً مجنوناً وقد استخدمت عمله ستاراً تخفي وراءه حقيقة نشاطها وأعمالها، وكانت قبيلة الطوارق لا تزال تسيطر على منطقة تيديكلت وكان رجال الهقار المثلثون يعتبرون مركزها واحة إن صالح ملكاً لهم، وحتى ذلك التاريخ، لم يكن إلا رجلاً أوروبياً قد وضع أقدامهما في قصر عين صالح إحداهما إسكتلندي، ويدعى غوردون لينغ L. Gordon والثاني ألماني وهو جيرهارد روهلفس (R. Gérard)⁵ وقد سبقت الإشارة لهما.

وعززت فرنسا حملة عسكرية، للسيطرة على المنطقة بقيادة الرائد بين Fein، فوق اشتباكان عنيقان، أسفر على احتلالها، في 26 شعبان 1317 هـ الموافق لـ 30 ديسمبر سنة 1899، عرفت بمعركة لفقيقية.⁶

1.2.5 معركة لفقيقية: ولفقيقية أول قرى مدينة عين صالح. وقعت المعركة يوم 28 ديسمبر 1899 حوالي 25 كلم شمالي عين صالح بين أهالي المدينة المقدرين بقرابة 170 مجاهداً بأسلحة خفيفة وقوات

¹ جورج غريستر، الصحراء الكبرى أرض الغد المشرق للجزائر العربية، تعريب خيرى حماد، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط. الأولى تموز/يوليو، 1961، ص 25.

² إبراهيم مياسي، ص 76.

³ فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 17.

⁴ انظر:

Brosselard Henri, *Les deux Missions FLATTERS au pays des TouaregAzdjer et Hoggar*, II édition, Paris, Jouvet (III.) 1889, pp 25-36.

⁵ جورج غريستر، مرجع سابق، ص 23 و 24.

⁶ نفس المرجع، ص 24.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

النقيب الفرنسي بين Pein، رئيس المكتب الفرنسي بورقلة والمقدر عددها بما يزيد عن 700 جندي بأفضل تسليحا. انتهت المعركة باستشهاد 50 مجاهد وأسر 64 مجاهدا، حيث تم نقلهم إلى عين صالح لتمارس عليهم كل أنواع التعذيب.¹ في 29 ديسمبر 1899 دخلت قوات الاحتلال مدينة عين صالح واتخذت من قصبة باجودة مركز لفواتها.

2.2.5 معركة الدغامشة: في يوم 4 جانفي 1900م تجمع ما يقارب 1300 مجاهد في قرية الدغامشة استعدادا لمواجهة المحتلين بقيادة مولاي عبد الله الرقاني واستشهد فيها الكثير من المجاهدين. وفي 05 جانفي 1900 وقعت المواجهة بين الثوار.

3.2.5 معركة اينغر: "كلف 'بومقارتن' ملازمه 'كلوستر' (Claustre) بالسير إلى عين غار على رأس مائة فارس للتعرف على هذه الواحات، فغادر عين صالح يوم 21 جانفي 1900. ودخل عين غار/اينغر بدون أن يتعرض لأية مقاومة، فسارع الرائد 'بومقارتين' إلى اللحاق به على رأس كوكبة من الصبياحية الصحراوية، ومائة وعشرين من القوم، لاحتلال كامل الواحات، وترك وراءه في عين صالح قوة صغيرة متكونة من الملائم 'جون' (Jean) مع ثلاثين جندياً وثلاثين من القوم² وصلت القوات الفرنسية الزحف نحو منطقة اينغر إلى يوم 24 جانفي 1900م، ولكن صمود السكان القوي اجبر هذه القوات الى إعادة ترتيب قوتها. عاد الجيش الفرنسي.

فقد "تلقى الرائد 'بومقارتن' تلغرافاً من قائد الفيلق التاسع عشر يأمره ألا يحاصر أي قصر، والتراجع الى عين صالح ليحل بها يوم 27 جانفي 1900 وكان عليه انتظار الدعم.

وقد صدرت "تعليمات عن وزير الحربية نفسه، وهي في الحقيقة ضد رغبة الوالي العام الذي أراد أن يحتل كل منطقة تيديكلت وبكل سرعة في هذه المرحلة، قبل استعداد أهلها وتلقي المساعدة من المغرب الأقصى، بينما يرى الوزير بأنه لا بد من التريث لدراسة هذه المنطقة دراسة مستفيضة لمعرفة جميع أحوالهم ثم القيام بالاحتلال لكل من تيديكلت وتوات على مراحل. فقد " اتجه طابور العقيد "أو" (Eu) إلى عين غار بعد أن اجتمع في عين صالح وضم قوة هائلة أكثر من ألف رجل ومدفعين، فحاصروا قصور عين غار التي كانت قد استعدت للدفاع تحت قيادة الباشا ادريس الذي أرسله العرش المغربي لتنظيم المنطقة.³

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki>، اطلع عليه يوم 2017/03/13.

² إبراهيم مياسي، مرجع سابق ص 111.

³ نفس المرجع ص 112.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

بتاريخ 18 و 19 مارس 1900م ناموا بهدم القصبة (قصبة أولاد حادقة والمسجد وقصبة أولاد أحمد جلول) الذي وجدوا بداخله السيد باشا إدريس، باشا تيمي والذي أرسلوه إلى الأغواط ومعه بعض المساجين ولم يعد منهم ولا واحد. دامت المعركة ثلاثة أشهر وما جعلهم يصمدون كل هذه المدة هو كونهم استفادوا من معركة الفقيقية، فكانوا لا يحاربون العدو إلا في الليل وبالسلاح الأبيض¹

في 23 مارس 1900 دخلت القوات الفرنسية الى تيط "بعد يومين من ذلك سقطت أقبلي فأولف... وهكذا تمت لفرنسا السيطرة على معظم قصور المنطقة."² لأن سكانها "سمعوا بأعمال العنف والوحشية التي مارستها القوات الفرنسية في عين غار فقبل السكان الخضوع على مضض، وفي 25 مارس انتقلت قوات الاحتلال الى أقبلي التي تشتمل على أربع أو خمس قرى صغيرة."³

وفي 28 مارس احتلت "أولف أجمل الواحات بهذه المنطقة وتتألف من ثلاث قرى، وقد خضعت كل من واحات أقبلي وأولف الموجودين في أقصى غرب تيديكلت بطريقة سماها الاحتلال الفرنسي بالدخول السلمي والهادئ إلى الصحراء."⁴

6. التقسيمات الإدارية لمنطقة تيديكلت

بعد أن توسعت فرنسا في الجنوب أصدرت قرارات لتنظيم الإقليم الصحراوي مؤقتاً، تتضمن ما يلي:

البند الأول: في انتظار التقنين النهائي للإقليم الصحراوي لابد من انشاء إدارة ملحقة للشؤون الأهلية وملتصدة بقائد ناحية الجزائر بالنسبة لمنطقة توات وإلى الناحية الوهرانية بالنسبة لمنطقتي زوزفانة ومنطقة الساورة.

البند الثاني: أنشاء ملحقة في عين صالح وفي إيغلي تتضمن تعيين:

-ضابط للشؤون الأهلية برتبة نقيب. -مترجم. -خوذة. -كاتب

البند الثالث: القادة (القياد) لإدارة شؤون الأهالي يعينون من طرف رئيس الملحقة.

¹ سعيدان التومي، مرجع سابق، ص 149.

² تواتي دحمان، مقالاتي عبد الله، رموم محفوظ، الثورة التحريرية في إقليم توات 1956-1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، 2004.

³ إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 113.

⁴ نفس المرجع، ص 113.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

البند الرابع: يكلف جنرالات ناحيتي الجزائر ووهراڤ بتنفيذ هذا القرار. كان ذلك من إضاء الوالي العام، لافاريار. هذا وقد تم تعيين النقيب 'دوسوسيال' (Desusbiell) للملحة عين صالح، والنقيب 'نوشاز' (Nochez) لإيغلي والنقيب 'بان' لورقلة.¹ وفي 1901 عين القائد لابارين Laperrine، لقيادة إقليم الواحات، وكان ملحق تيديكلت يمثل فقط منطقة عين صالح ورقان. مما يسهل على جعل الضباط والجنود في ملحق توات. من سنة 1907-1908، أضاف العقيد Laperrine إلحاق إقليم الآجر (الأكر تقريبا من فرنسا). لفترة تمتد من 1901 إلى 1908، يمكن اعتبارها: فترة الغزو.

فحسب التقسيم الفرنسي للجزائر فإن "البلدية التي يسكنها الجزائريون ويحكمها ضابط عسكري أطلق عليها اسم بلدية الأهالي Indigènes، وبلديات الجنوب الكبير التي يحكمها ضابط عسكري برتبة رائد Commandant، أطلق عليها اسم ملحقة الأهالي (Annexes indigènes)، وحاكمها يمثل جميع السلطات.² واعتبر "قانون 24 ديسمبر 1902 والذي بقي طوال نصف قرن يمثل القانون الأساسي لأراضي الجنوب ولم يحدث كياناً سياسياً، بل تنظيمياً إدارياً واعترف بأن الجنوب جزء لا يتجزأ من الجزائر."³

مثلت الولاية العامة، إدارة لمقاطعات الجنوب التي أنشئت سنة 1909 يشرف عليها الكاتب العام بالنيابة، للحاكم العام للجزائر. ومقاطعات الجنوب كان لها نظام بلد حدده القانون الفرنسي في 13 نوفمبر 1874. من ضمن ما جاء فيه أن الاحواز الأهلية يحكمها قائدا عسكريا أعلى رتبة في المقاطعة، وتضم هذه الاحواز الساورة، توات، قورارة، تندوف غرداية، القليعة (المنيعة)، ورقلة، الآجر وتيديكلت الهقار⁴. أو الأقاليم الأربعة: عين الصفراء، إقليم الواحات إقليم غرداية وإقليم توقرت، ويخضع كل منها لقائد عسكري.

كانت خطة تقسيم الملحق تيديكلت إلى ثلاثة ملاحق (تيديكلت، الهقار، آجر) هو أول تقسيم جهوي في وسط الصحراء الذي يخفي ربحاً دون وعي، مفهوم عرقي للإقليم. والواقع أن هذه المرفقات الثلاثة تشكل مساحة للسيطرة الطوارق. ولكن التقسيم الإقليمي المقترح يحول منطقتين الطوارق من تأثير 'الكل أهقار' و'الكل ناجر'، مع ملامح غامضة ومرنة في 'منطقة سياسية'، والتي تتطابق عموماً

¹ إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 113-114.

² سعيدان التومي، مرجع سابق، ص 162.

³ أحمد بن جابو، السياسة الاستعمارية حول 'استراتيجية التقسيم الإقليمي في الجزائر ما بين 1948-1962، حوليات التاريخ، مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، العدد 03 ماي 2011، ص 123.

⁴ أحمد بن جابو، مرجع سابق.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

إلى القاعدة المكانية (وحدة سياسية ومكانية) للمجموعتين... ومع ذلك، فإن هذه الخطة تؤكد فشل في محاولة الجمع في إقليم واحد".¹ تفسر هذه الخطط سياسة فرق تسد وكذا لتطبيق لحصار اقتصادي ركزت دوافعه حسب الفرنسيين "بغلق أسواق تيديكلت أمام قوافل الطوارق"²

وذلك يعني غلق أسواق التموين لكل من توات والسودان لمحاصرتهم والتمكن من مراقبتهم والسيطرة عليهم. "فعممت الإدارة الفرنسية عملية إلحاق منطقة تيديكلت بملحقة ورقلة حيث تتواجد قبائل الشعابنة التي تربطها علاقات تجارة جد هامة ودائمة مع المنطقة، بينما ربطت منطقة توات وقوارز بملحقة عين الصفراء."³

أشرف على هذه المناطق: 16 قائد بالنسبة لقوارزة، 13 قائد بالنسبة لتوات، و14 قائد بالنسبة لمنطقة تيديكلت. فشكل بذلك "الإطار المؤسسي والقانوني لنشاط المجالس والجماعات والتي لم تكن في حقيقة الأمر سوى مجالس القيادة المنصّبين من طرف الإدارة الفرنسية، والتي كانت تحدد عدد الأعضاء فيها نظراً للخدمات المقدمة من طرفهم أو نظراً لقوة تأثيرهم المحلية."⁴

شكلت الإدارة بتيديكلت وسموها ملحقة الأهالي وأطلق عليها اسم: قسم أولف (Foste d'Aoulef)، ونصب على رأسه ضابط برتبة نقيب وأيضاً قسم البنية الاجتماعية إلى ثلاثة عشر عشيرة... ونصب ذلك النظام على كل رأس عشيرة قائد شرفي أو كبير، ومنح كل قائد برنوساً أحمر وخاتم وجعل له رتبة قائد؛ قائد القيادة؛ آغا؛ أو باشا آغا أو كبير شرفي."⁵

ثم أصبحت المنطقة تسمى بتيديكلت الهقار. وفي 8 ديسمبر 1928 وبمقتضى قرار إداري من السلطة الفرنسية لتيديكلت الهقار، ألحقت منطقة تمنراست ببلدية الأهالي.

في سنة 1949، جعلت السلطة الاستعمارية عين صالح دائرة على تمنراست وأولف.

¹Emmanuel Grégoire, Jean Schmitz, *Afrique noire et monde arabe : continuités et ruptures*, Editions de l'Aube, IRD (Institut de recherche pour le développement, ex-Orstom), 2000, p 24.

²Pandolfi Paul. *In-Salah 1904/Tamanrasset 1905 : les deux soumissions des Touaregs Kel-Ahaggar*. In : Cahiers d'étude Africaine, vol. 38, n°149, 1998. pp. 41-83 ; p46.

³Marouf Nadir, *Lecture de l'espace oasisien*, 1 vol.Éd. Paris, Sindbad, 1980, p86.

⁴Ibid. p86.

⁵سعيدان التومي، مرجع سابق، ص 162-163.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

- في 15 يونيو 1949 أنشئت بلدية مستقلة في الهقار. بمقتضى مرسوم وزاري حيث قامت بتقسيم ملحقة تيديكلت الهقار الى بلديتين هما: بلدية تيديكلت وعاصمتها عين صالح؛ وبلدية الأهالي في الهقار وعاصمتها تمنراست.

باكتشاف "البتروول والغاز سنة 1956، بدأ حصار فرنسا وتطويقها لمنطقة الجنوب. فكان قرار 7 أوت 1957 الخاص بالتنظيم الإداري بالجنوب تحت إشراف المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، فأنشئت عمالتا الواحات والساورة، وكان الدخول إليهما يخضع لإجراءات قانونية خاصة. وفي 7 ديسمبر 1960 كان القرار الذي يحدد في بنده الأول على عمالتي الساورة والواحات الفرنسيين جماعات إقليمية تابعة للجمهورية، وهذه التغيرات كلها تهدف إلى فصل الصحراء عن الشمال.¹ ويُعد ذلك من سياسة التقطيع الإقليمي للجزائر التي ركزت على المعايير الجغرافية والإدارية والاقتصادية بعد سنة 1956.

كما وضعت فرنسا تشكيلات عسكرية، جوية وبرية في الصحراء الجزائرية لمراقبة مصالحها والحدود الجنوبية الجزائرية. فنظمت قوات سلاح الجو الفرنسي بمنطقة الواحات منذ 1957 لحماية المنشآت العسكرية والنووية. (المراكز النووية بمنطقة رقان وإينيكرا التي تم بناء مركزهما لهذه التجارب النووية تحت الأرض سنة 1961) ومنطقة تيديكلت تقع في وسط هاتين المنطقتين. وشكلت فرق الدرك الفرنسي في الصحراء والكتائب العسكرية والشبه عسكرية، وفي تيديكلت؛ تأسست كتائب المهاري الصحراوية كتيبة مهاري التنغرت في ديسمبر 1955.

وحسب Patrick-Charl Renaud "فإنه في 5 نوفمبر 1961 تكفلت وزارة الدفاع الفرنسي مباشرة بـ كتيبة مهاري التنغرت، وظلت هذه الكتيبة تقوم بأعمالها في أعماق الصحراء لتكون أحد آخر الوحدات العسكرية التي سيتم حلها في الصحراء الجزائرية."²

إثر قيام ثورة التحرير الجزائرية ومباشرة بعد مؤتمر الصومام، قسمت جبهة التحرير الجزائر إلى ستة مناطق أو نواحي هي:

1 الأوراس. 2 قسنطينة. 3 القبائل. 4 الجزائر. 5 وهران. 6 الصحراء.

¹أحمد بن جابو، مرجع سابق، ص 131.

²Patrick-Charl Renaud، 'combats sahariens 1955-1962', ed. Grancher, Paris, 1993, p 140. (Glossaire)

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

وبعد الثورة التحريرية للجزائر، 1954 استطاعت جبهة التحرير الوطني ابتداء من 1957 أن تضم لها عناصر كبيرة من قبائل الهقار بتمنراست، فبعد زيارة المجاهدين محمد جغابة ومحمد شروف إلى هذه المنطقة، عملا على تأسيس تنظيم ثوري في المنطقة، مكنهما من تجنيد ما يزيد عن 200 شخص، التحقوا بجيش التحرير الوطني للمقاومة من أجل استعادة الدولة استقلالها وكرامتها.

7. التطور الإداري في ظل الاستعمار: تعتبر عين صالح من أقدم المراكز الإدارية على المستوى

الوطني؛ وقد مرت على عدة مراحل وفترات تنظيمية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- كانت خاضعة لسلطة الجماعة (ممثلي مختلف العائلات خاصة عائلي أولاد باحمو وأولاد باجودة)

- نهاية القرن 19، دخول الاستعمار الفرنسي والذي أتبعها مباشرة كمقاطعة تابعة لبلدية ورقلة.

- 1901 تقسيم جديد ترقى فيه عين صالح إلى ملحق.

- 1928 تمت ترقيتها إلى بلدية وسميت بلدية تيديكلت الهقار.

- 1949 تم فصلها عن الهقار لتشكيل بلدية لوحدها.

- 1958 تم تقسيمها إلى جزئين: شرقي - عين صالح -، غربي - أولف.

والجدول التالي يلخص المراحل التي مرت فيها البلدية في عهد الاستعمار:

جدول رقم 15: مراحل التي مرت بها بلدية عين صالح في ظل الاستعمار الفرنسي.

شكل الإدارة	السنة	ممثل الإدارة
قبائل	/	جماعة
مقاطعة تابعة لبلدية ورقلة	نهاية القرن 19	مجلس جماعة
ملحق	1901	قائد السرية Laperrine
ملحق	1902	الحاكم العام للجزائر
بلدية تيديكلت الهقار	1928	مجلس بلدي
بلدية تيديكلت	1949	مجلس بلدي
بلدية تيديكلت الشرقية	1958	محافظة تابعة لوزارة الصحراء

المصدر: مكتب الدراسات المخطط التوجيهي.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

8. تيديكلت بعد الاستقلال

كانت الجزائر مقسمة إلى 15 مقاطعة، فمن 1962 إلى 1968 كانت الولاية تدعى مقاطعة تم تغيير الاسم إلى ولاية في عهد الرئيس هواري بومدين سنة 1974، تم استحداث تقسيمات جديدة مع تغيير التسمية من مقاطعة إلى ولاية، واستقر عددها إلى غاية سنة 1983 على 31 ولاية. وفي سنة 1984، استحداث 16 ولاية جديدة (من 32-البيض إلى 48-غليزان) مع احتفاظ الولايات القديمة بترقيمها السابق (المستعمل حتى سنة 1983).

بالنسبة لمنطقة تيديكلت ففي سنة 1963، كانت عين صالح مقاطعة رئيسية لتيديكلت تابعة لدائرة تمنراست، تمت ترقيتها إلى دائرة مستقلة بذاتها. في 2 جويلية 1974 كانت ولادة ولاية تمنراست بدائرتين عين صالح و تمنراست. في 4 فيفري 1984 تمت ترقية فقارة الزوى واينغر إلى بلديتين مستقلتين تابعتين لدائرة عين صالح. وفي سنة 1991 تم فصل اينغر كدائرة مستقلة عن صالح.

جدول رقم 16: التطور لاداري لعين صالح بعد الاستقلال

بلدية عين صالح	ماي 1963	دائرة تمنراست
بلدية عين صالح	أكتوبر 1963	دائرة عين صالح
دائرة عين صالح	جويلية 1974	ولاية تمنراست

المصدر: مكتب الدراسات المخطط التوجيهي.

تبين لنا مما سبق أن الدراسة التاريخية التي امتدت من عصور ما قبل التاريخ الى بداية الفتح الإسلامي بما حوته من أحداث ساهمت في إظهار مكانتها. إضافة الى الحقبة الاستعمارية التي شهدتها منطقة تيديكلت في مرحلة متأخرة أي بحلول سنة 1900، مقارنةً مع مرحلة الغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر سنة 1830. وبعد الاستقلال، رأينا الإنجازات التي ساهمت بها الدولة لتيديكلت كغيرها من مناطق التراب الوطني. فدراستنا للمرحلة التاريخية للمنطقة الدراسة، يساهم في فهم الظواهر الاجتماعية من خلال ربط بالماضي سجل الزمن، وربطها بالحاضر لرسم المستقبل.

والأهم من ذلك بالنسبة للدراسة التاريخية لمنطقة تيديكلت، في دراستنا عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب، يكمن في معرفة الإطار التاريخي لهذه الطاهرة، وماهية هذا المجتمع الذي

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

اجتذب للأعشاب، حتى التصقت فيه استعمالاتها وممارسة التداوي بها، وأصبح سكان الصحراء يشتهرون بالكياسة في مجال استخدامات الأعشاب؛ بل حتى استغلالها لما يفي حاجاته، في هذه الصحراء الواسعة. لذلك ارتأينا أن نلقي الضوء على الدراسة الطبيعية لها مع إبراز خصائص نباتاتها التي اتخذت في العلاج.

5. الدراسة الطبيعية لمنطقة تيديكلت

تتميز الجزائر بتنوع أقاليمها، فمن الشمال الى الجنوب هناك "ثلاث مجموعات متباينة تبدي بدورها فروقا داخلية متنوعة. وتنفرد هذه المجموعات أولا بتضاريس ومورفولوجيا خاصة عن طريق الانقسام بالعرض الذي تحدته السلسلة الجبلية التلية المحاذية للساحل، وسلسلة الأطلس الجبلية الذي تحد الهضاب العليا من الجنوب."¹

للجزائر خصائص جيولوجية تتضمن أربعة مجالات رئيسية من الشمال إلى الجنوب: الأطلس التلي، ويتألف من المنحدرات الشديدة والسهول الساحلية الغنية، كسهل متيجة في الوسط والشلف في الغرب وسيوز في الشرق. ويحتوي على 4% من الإقليم الوطني. الهضاب العليا وتغطي 9% من الإقليم الوطني. والأطلس الصحراوي، الذي يشكل سلسلة متواصلة من شمال شرق-جنوب غرب، تمتد من الحدود الغربية إلى نظيرتها التونسية."²

تتواجد "وراء السلسلة الأطلسية مجموعة أخرى تتميز بسعتها الفائقة وبتغطيتها 87% من التراب الوطني. انه المجال لصحراوي الذي ننتمي مورفولوجيته العامة إلى القاعدة الصلبة (الترس الإفريقي) ولا تظهر هذه القاعدة الا تشوهات ذات شعاع منحني كبير تتطابق محوفاها مع أحواض رسوبية في حين أن ما برز منها على السطح يولد مباشرة القلة القليلة من التضاريس المنتشرة هنا وهناك على هذا السطح المستوى الممتد على مدى امتداد البصر وفي رتبة مملعة."³

¹ وزارة التجهيز والتهيئة العمرانية، الجزائر غدا، وضعية التراب الوطني استرجاع التراب الوطني بعكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 9.

²H. Askri, A. Belmecheri, B. Benrabah, A. Boudjema, K. Boumendjel, M. Daoudi, M. Drid, T. Ghalem, A. M. Docca, H. Ghandriche, A. Ghomari, N. Guellati, M. Khennous, R. Lounici, H. Naili, D. Takherist, M. Terkmani. **Géologie de l'Algérie**. Contribution de SONATRACH Division Exploration, Centre de Recherche et p 2.,1993Développement et Division Petroleum Engineering et Développement,

³ وزارة التجهيز والتهيئة العمرانية، مرجع سابق، ص 11.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

2.5 الصحراء وحدودها:

تقع الصحراء "بين منطقة البحر الأبيض المتوسط الذي يحدها من الشمال والمنطقة الاستوائية الأفريقية التي تحدها من الجنوب، ويمكن تعريف منطقة الصحراء. كما قال مونود M. Monod، وتعتبر منطقة دون الأمطار العادية أو أقل في سنة واحدة. أين "تهبط الأمطار على الأرجح بأقل من 100 ملم. وهو هطول سنويا في خط معزول * isohyète: لـ 200 ملم، كما هو معروف، ويتزامن على حد كبير مع حافة الصحراء، كما يميز الحيوانات والنباتات."¹

كما تحتوي الصحراء على الجزء الهام من الموارد الهيدروكربونية، وهي تتكون من مساحات ممتدة من الكثبان الرملية (العرق الشرقي والعرق الغربي) والسهول الصخرية (الخصوية) المعروفة بالرق والتي تتخللها الواحات، وهي كلها مراكز حضرية مثل: الواد، غرداية وجانت. جبل الأقلاب الهائل في الغرب وجبل الهقار في الشرق اللذان يشكلان عملياً، الحد الجنوبي للصحراء الجزائرية."²

3.5 الخصائص الجيولوجية

يتكون القطر الجنوبي الجزائري جيولوجيا من المجاميع التالية:

قاعدة استحالة ثابتة منذ 2000م س، توجد في الراسخ الغرب الإفريقي والهقار وصخور نارية ورسوبية عمرها يتراوح بين 650 و550م س تدل على الحركات البانا إفريقية وتوجد كذلك في الراسخين الغرب الإفريقي والهقار."³ وتتشكل السطوح الصخرية من توضع رسوبية عمرها باليو ميزو سينوزوية. ومنطقة الدراسة تيديكلت تقع في السطوح الصخرية (الأحواض الصخرية)، وفي غطاء رسوبي يعود لحقب تاريخية للحياة القديمة (d'âge paléozoïque) أو في وقت قريب للحجر الأساس بحسب الاستطلاعات التي تمت خاصة في مناطق إليزي والأهنت التي يبدو، أن لها نفس الطبيعة التي تظهر في الهقار كما أن لها نفس العمر."⁴

* يقال عن الخط المرسوم على الخريطة للنقاط التي تحصل على نفس كمية الأمطار في فترة معينة (<http://dictionnaire.reverso.net>).

¹ Chevalier Auguste. *Les Productions végétales du Sahara et de ses confins Nord et Sud. Passé - Présent - Avenir*. In: Revue de botanique appliquée et d'agriculture coloniale. 12e année, bulletin n°133-134, Septembre-octobre 1932. pp. 669-924. Doi : 10.3406/jatba.1932.5282. P 674.

http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/jatba_0370-3681_1932_num_12_133_5282

² H. Askri, et al. p1 2.

³ celibrahimi.ens-kouba.dz/claroline/backends/download.php. Site visité le 08/09/2015).2015/09/08 يوم

⁴ Celibrahimi, deja cite.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

وفي معظم حوض الأهنتات Ahnet، "يمثل الغطاء الرسوبي من قبل سلسلة حقب الحياة القديمة. كما يرتبط الترسيب Detrital أساساً إلى بيئات مختلفة عديدة (البحرية الساحلية القارية، الجليدية والبحرية)".¹

عمر هذه "التوضعات السفلى في الصحراء الوسطى، حديث نسبياً حيث يتراوح بين الكمبري والأوردوفيسي (400-500م س) وتتوضع هذه التوضعات فوق سطح عدم التوافق الطاسيلي. لقد تأثرت توضعات السطحية الصحراوية الوسطى خلال الباليوزوي بحركات تكتونية حدثت على مستوى الصدع الطولي الذي يمر على الراسخ الترقى 50,4° والذي أدى إلى تشكل أحواض على شكل أخفوضات وأرفو عاتتسببت هذه الحركات في حدوث حالات عدم توافق حيث كونت مكامن النفط والغاز الطبيعي".²

والجدير بالذكر، أن الهضبة الصحراوية نعتبر من أكبر صحاري العالم، حيث تمتد من ساحل المحيط الأطلسي غرباً حتى مرتفعات البحر الأحمر شرقاً، ومن ساحل المتوسط شمالاً إلى 2000 كلم جنوباً. وبصفة عامة، ينحدر سطحها انحداراً تدريجياً في الجنوب نحو الشمال. تتميز هذه الهضبة بكثرة الأودية الجافة والانتشار الواسع للكثبان الرملية والحمامات.

وقد أسهمت كل من الرياح والتعرية المائية القديمة في تكوين مجموعة من الأحواض المنخفضة والتي تضم العديد من الواحات أبرزها تافيلالت بالمغرب وغرداية بالجزائر وقفصة بتونس وجالو والجغبوب بليبيا. ارتفاعات الهضاب محدودة بخط المنسوب* 275 و300م. وأرخيل الواحات الجزائرية بصفة عامة "يوجد في تجايف أرضية بمنخفضات الوديان كلها طويلة للغاية تنتهي إلى أحواض مغلقة ومن ثم تشكل المياه الجوفية".³

فهي تتواجد في مجال صحراوي، تجري فيه مياه سطحية وباطنية منذ ما قبل التاريخ، من الأطلس حتى النيجر، بل حتى الحوض البحري لتاوندي. تسمى هذه الطبقة الحاملة لهذه المياه والتي تنتمي للعصر الكريتاسي الأسفل، بالكنتوننتال انتركالير* والتي يبلغ سمكها ما بين 500-2000م، وهو مصطلح

¹ H. Askriet *al.* Op.cit.

² Celibrahimi Op.cit.

* بحسب القاموس العسكري: خط المنسوب: خط على الخريطة يبين حدود كل المناطق المتساوية الارتفاع فوق مستوى سطح البحر. متاح على [http://www.ldlp-dictionary.com/dictionaries/word/4518112/Military%20Dictionary%20\(En/Ar\)/contour%20line](http://www.ldlp-dictionary.com/dictionaries/word/4518112/Military%20Dictionary%20(En/Ar)/contour%20line)

³ جورج غرستر، مرجع سابق.

*Le Continental Intercalaire CI, nappes aquifères du Sahara Algérien

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

وضعه "كونراد كيليان سنة 1931: للدلالة على التكوينات الرسوبية ذات الأصل القاري التي يمكن أن تتسرب على إثر الحركات الهرسينية... وكانت أماكن الحفر الرئيسية التي تم الكشف عنها في قورارة وتوات وتيديكلت من طرف دو لابران De Laperrine سنة 1947.¹

-الموقع الفلكي: تقع تيديكلت جنوب هضبة تادمايت، بين خطي العرض: 27.22 و26.43 شمالاً. يعرف هذا الحيز الجغرافي باستواء سطحه، مع وجود بعض العروق، كالعرق الغربي الكبير. وبارتفاع عن مستوى سطح البحر يبلغ حوالي (294م).²

الهضاب: هضبة تادمايت، "غويرات أولاد حيدة 34 كم. الصخور: قور حبدادة 18.2 كم ومنقار الملوك 32 كم.³

تقع عين صالح في تشكيلات الحوض القاري "وهو عبارة عن سلسلة مسطحة من الحجر الرملي المعروف باسم Continental Intercalaire الحوض القاري المتواجدة على سطح التربة المرئية الغير المطورة (رق، والتربة المعدنية الخام لمساهمة بفعل الرياح). التضاريس تعود إلى ما قبل العصر الطباشيري (الكريتاسي) الأعلى. وهي تضاريس مسطحة تقيمن على شمال هضبة تادمايت.⁴

-الزبارة: عبارة عن تلال طينية منعزلة تشكلت بفعل نحت الرياح وبفعل الجفاف فهي تعبر عن حقبة جيولوجية اختفت بفعل التآكل. هذه التلال "لها ارتفاع منخفض وشكل مميز، من خلال تشكيلها سهل فهمها، حيث نرى في معظمها أصول قديمة لجذوع شجيرات. العوامل الطبيعية المدمرة، هاجمت أولاً الأجزاء المكشوفة على الأرض، بينما الأماكن التي يوجد فيها الغطاء النباتي، احتفظت بجنور هذه النباتات بالتربة، فشكلت هذه الروابي أو التلال الطينية.

هناك العديد من الزبار على خط اقسطن، عين صالح، اينغر، حيث يبدو أن هناك بعض العلاقة بينها وبين الكثبان. وبصرف النظر عن هذا الخط، لا تزال هناك بعض الزبار في منخفضات إن غار،

1ريمون فيرون، الصحراء الكبرى الجوانب الجيولوجية -مصادر الثروة المعدنية -استغلالها، تر. د. جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر 1963.

²المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية عين صالح 1997 (PDAU 1997).
³<http://www.annuaire-mairie.fr/ville-in-salah.html> اطلع عليه يوم 2017/03/13.

⁴Ibid., p 78.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

عند السفح الغربي للكدية البرقة. معظم الزبارات مجهولة الاسم، باستثناء، الزبار الكبير جنوب منطقة اقسطن، زبارة التارقي بالقرب من عوينة سيسة.¹

في الوقت الحالي ومع عمليات التهيئة العمرانية بمنطقة تيديكلت، تتعرض هذه التلال إلى الاندثار بفعل الأشغال.

حمادة: عبارة عن صيوان صخري لتضاريس رتبية جدا.

الرن: وهي سهول الحصى والشظايا الصخرية التي تحتل أسطح واسعة في الصحراء، والرق يمتد بشكل ملحوظ من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. تحده جنوبا بعض التلوات الابتدائية، ومن الشمال منحدرات من تشكيلات العصر الطباشيري الأعلى.

العرق: بقعة أو صقع من صحراء رملية، تتألف من الكثبان الرملية المستطيلة.² يتواجد العرق "في الجنوب الغربي وفي وسط المنطقة تركيزات عالية من الرمال وهي على شكل كثبان ساطعة"³ أي على الحدود الجنوبية، الغربية الجنوبية لمنطقة الدراسة.⁴

ويتجه العرق "تبعاً لاتجاه الرياح السائدة بتيديكلت، ومن أبرزها، عرق سيدي موسى (4.2 كم) والذي يمتد إلى ما بعد عوينة سيسة، عريقات ملوك الممتدة من اقسطن إلى غاية نواحي اينغر. أكبر ارتفاع للكثبان الرملية بتيديكلت يتجاوز 30 متر."⁵

- المنخفضات

المنخفض: هو الحد الغربي الفاصل للهضبة الجنوبية لتيديكلت ويميز الطرف الغربي لبساتين النخيل. بالنسبة للمنخفضات والأحواض، جلهما تغمرها كثبان رملية.⁶

¹ Louis Voinot. **Le Tidikelt : étude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays**. Bulletin de la Société du Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, Tome 29, Fasc. 129,130 & 131. Reprinted by Editions Jacques Gandim, Calvisson in 1995 (Editeur) Date de parution : 04/1995, p 11

² س. جودي و ج. س. ولكنسون. **بينة الصحاري الدافئة**، تر. علي علي البنا (سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت - الجمعية الجغرافية الكويتية)، ذات السلاسل، الكويت. (1985)، ص152.

³Bureau National d'Études pour le Développement Rural(BNEDR), BRL ingénierie, Plan Directeur Général de Développement des Régions Sahariennes, Les ressources en sols, p 60.

⁴Bureau National d'Études pour le Développement Rural (BNEDR), Op.cit p77.

⁵Voinot, Op.cit, p 11.

⁶ أ. س. جودي و ج. س. ولكنسون، مرجع سابق، ص 151.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

أما الضاية: فهي تجاويف صغيرة ضحلة تحدث في سطوح الحجر الجيري الصحراوية، وتتكون فيما يحتمل بعملية الإذابة.¹ توجد بتيديكلت منطقة تسمى الضاية جنوب قصر العرب نسبة لهذه التجاويف.

السبخة: فهي تتشكل بفعل تبخر الماء بفعل الحرارة، فتتسرب لوحات من أملاح مختلفة على السطح تعرف بالسبخة والشط. هذه الظاهرة "تعود أساساً إلى تجمع المياه التي تجري على سطح الأرض وتحمل معها رواسب الملح، لتستقر في مستنقعات أو في منخفضات من الأرض، دون أن تتسرب إلى جوف الأرض، وتقع تحت تأثير حرارة الشمس التي تسبب تبخراً حاداً للماء المحبوس. وهكذا تتكون مستنقعات ملحية هنا وهناك على سطح الصحراء، وهي تمثل مستودعات ومناجم سطحية للملح. ومتى كانت هذه البحيرات كبيرة شكلت ما يسمى ((سبخة))."²

وبصفة عامة، تنتشر هذه السبخات "في الصحراء التي تمتد في جنوب تونس والجزائر. ومتى كانت السبخة كبيرة يطلق عليها في بعض الأحيان اسم ((شط))."³ وتبين الدراسة الجيومرفولوجية أن "الأملاح والقشور المالحة في المنخفضات التي يبدو أنها تتطور نحو السبخة، قشرة الجبس مع الحجر الجيري، والتي تطفو إلى الجنوب من منطقة الموقع المحلي لعين صالح وفي الأماكن التي يغطيها حجاب رملي خفيف، أكوام (التلال الطينية)" الزبارة" كشاهد والتي تقع على الحافة وعلى مسافة معينة من هضبة نادمايت."⁴

من بين سبخات تيديكلت سبخة الزبارة على الحدود الجنوبية للحوض الغربي؛ وسبخة أزل ماتي، وسبخة مكر قان برقان، وسبخة البركة بعين صالح.

4.5. الموارد المائية

1.4.5 المياه السطحية الأودية: تعبر المنطقة بعض الأودية، كواد قاريت الذي ينتهي بمنطقة تيديكلت.⁵ فمنها واد سوف ومن روافده واد سيدي احمد، وواد الركنة، واد الحجاج واد العريشة

¹ نفس المرجع السابق، ص 151.

² اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982، ص 54

³ نفس المرجع، ص 54

⁴ Bureau National d'Études pour le Développement Rural (BNEDR), Op.cit p77.

⁵ فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 17.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

بطول 20 كم، واد جاريت واد سميد . وقد رصدنا أهم أسماء لبعض الوديان والسهوب بمنطقة: الريق وتيقنتور*:

-منطقة الريق: شمال عين صالح بـ120 كلم و47 كلم غرباً، أهم وديانها:

واد سيد أحمد، واد سيرسوف، واد تقندافت، وادي العيوج واد فليسات 35 كلم شمال منطقة الريق، واد تيزلاوين، واد الحجره واد الميريه، ساب مخملة أو السدره، ساب الغجرم، واد الشولي، ساب موسى، ساب الداحملي، ساب المشاحيط، ساب بوكفوزه، واد ميات 110 كلم شمال عين صالح، واد سبركة 151 كلم شمال عين صالح.

- منطقة تيقنتور: تقع 150 كلم شمال عين صالح ومن أهم وديانها واد الخشبة صالح، وادي الشيخ، واد كرات، واد أنتليت، واد سوف، وديان الركنة. تكمن الغاية من تعرضنا لهذه الوديان، هو معرفة أسمائها التي جمعت بين أسماء من الطبيعة كأسماء بعض النباتات التي نسبت إليها، كواد الشيخ والعجرم والسدره، المرير أو نسبة لطبوغرافية الواد مثل واد الحجره، وفي أحيانا أخرى تسمى نسبة لمرتابها أو مكتشفها، مثل سيد أحمد، واد الشولي، ساب موسى. فهي تمثل مصادر انتجاع ودليل للرعاة (البدو شبه رحل) وجامعي الأعشاب لبيعها أو لاستعمالها للتداوي.

2.2 المياه الجوفية: وجود طبقة الألبان بمنطقة عين صالح التي تشكلت من تعاقب التكوينات الفتاتية الكريتاسي الأسفل والتي سميت بالمكمن المائي.¹ تمثل الموارد المائية دوراً محورياً في الزراعة وللحصول عليها بمنطقة صحراوية كتيديكلت، يتم بواسطة "الآبار الارتوازية التي يبلغ عددها بالمنطقة 200 بئر: فمنسوها 8010 ل/ثا. أما الآبار 401: فمنسوها 37741 ل/ثا لكل محيط.² أما المنابع فهي تعرف بالفقارات التي تقهقر عددها إلى 15 فقارة فقط، بسب الإهمال وانخفاض منسوب مياهها.

4.2.5 المناخ بمنطقة تيديكلت

تعمل "بيئة التضاريس بما فيها الوضعية على مستوى خطوط العرض على طبع وتحديد الخصائص المناخية والمناخ الحيوي الذي تبرزه كل مجموعة حسب خصوصيتها. فبالنسبة للمناخ بوجه عام نلاحظ بأن المناخ المتوسطي يغطي كل الإقليم من الشمال إلى الجنوب إلا أنه يقل ويتدهور حسب

* لجمع أسماء هذه الوديان، فقد تمت الاستعانة بعمل في الشركة البترولية الريق Reg بعين صالح، 2015.

¹Atlas de l'environnement de l'Algérie, 2002, éd. symbiose, 2002, p 38.

²Direction des services agricoles (DSA) de la wilaya de Tamanrasset, Fiche synthèse du secteur agricole de la circonscription administrative In Salah, Mai 2018.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

خطوط العرض، حتى إذا وصلنا إلى الصحراء، وجدنا أن الطابع المميز هو الجفاف المفرط بالضغط العالي المداري ذي التمركز شبه الدائم.¹ والسهول العليا والأطلس الصحراوي في مجموعها ذات مناخ جاف وقاري، ينتمي " إلى حقول ما تحت الجفاف في أكبر جزء منها."²

أم التساقط السنوي في الجزائر، فبتناقص في اتجاهين من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب بالنسبة للمناطق الصحراوية فإن المعدل السنوي للأمطار يتراوح ما بين 200 و400 ملم، باستثناء بعض المرتفعات والتي تتلقى ما بين 400 و600 ملم بسبب عامل الارتفاع. ثم تبدأ بالتناقص من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وهي تقل عن 200 ملم في السنة، أما الصحراء الجنوبية فأمطارها ترتبط بأمطار المنطقة المدارية، ولذلك فهي أمطار صيفية، وقليلة هي الأخرى، ويصل إلى 2500 ملم في سنة في أقصى الجنوب.³

لذلك يتميز الجنوب الجزائري بدرجة حرارة جد عالية في النهار، ودرجات حرارة منخفضة في الشتاء (صقيع خلال شهر ديسمبر إلى غاية منتصف شهر فيفري) أو ما يعرف بالقارية المتطرفة، كمنطقة عين صالح وأدرار وورقلة. مرتفعات مختلفة من 30 إلى 1378 م (شط ملغيغ وتمراست).

أ. الحرارة: ترتفع إلى أكثر من 45° بين شهري جوان وأوت وقد تنخفض إلى ما دون الـ 0° بين شهري ديسمبر وفيفري.

ب. الرطوبة: فتصل نسبتها إلى 45.27 % في شهر ديسمبر، و42.69% في شهر جانفي والمتوسط السنوي للرطوبة بالنسبة لهذه الفترة هو 28.5%.

ج. الرياح: تستمر معظم شهور السنة، فهي لا تقل عن 3.39 م/ثا في المتوسط والمعدل السنوي الأقصى يصل إلى 20.76 م/ثا. أما الزوايا الرملية فهي طوال أيام السنة تقريباً، خاصة بين شهري مارس وماي أين تتجاوز 22.22 م/ثا، اتجاهها يكون: شمال شرق-جنوب غرب.

د. السطوع الشمسي: يتجاوز نسبة 3970 سا/السنة. تختلف نسبة الإشعاع من شهر لآخر تصل ذروتها في شهر جويلية: 624.3 سا/الشهر وتبلغ أدناها في شهر ديسمبر: 188.7 سا/السنة.

¹ وزارة التجهيز والتنمية العمرانية مرجع سابق ص 13.
² نفس المرجع، ص 14.

³ ابن عيشي، مصادر الموارد المائية وتخصيصها في الجزائر، مجلة المياه (مجلة الكترونية). 04-21-2008 02:38.
متاح على الرابط: <http://www.almyah.net/mag/articles.php?action=show&id=143>

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

هـ. الأمطار: فلا تزيد كمية التساقط عن 100 ملم سنويا.

د. التبخر: فتصل أدنى قيمة للتبخر تسجل في شهر جانفي بمعدل 206.6 مم أين يكون متوسط درجة الحرارة مقدر بـ 14.28°، ثم ترتفع تدريجيا ليصل أقصاه إلى بـ 648.8 مم في شهر أوت، أين تكون درجة الحرارة في أعلى قيمها 37.24° ثم تتناقص قيمة التبخر تدريجيا لتصل إلى 207.1 مم شهر ديسمبر.

6. البيئة الحيوية

تعتبر اغلب الأراضي الصحراوية رملية حيث " تحتل الأراضي الرملية في الجزائر مساحة شاسعة تقدر بثلاث المساحة الإجمالية وتتمركز خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة (تمثل حوالي 80 بالمئة من المساحة الإجمالية لهذه المناطق) أما في الشمال فان مساحة هذه الأراضي لا تغطي إلا مساحات صغيرة على طول الساحل الوسط الغربي والساحل الشرقي".¹

1.6. التربة: التربات الصحراوية قد تتباين في خصائصها المعدنية والعضوية في الزراعة الواحدة. "معظم الدراسات التي أجرتها الوكالة الوطنية للموارد المائية حول التربة الزراعية Agropédologiques في المناطق الصحراوية حول مليون هكتار تم تحديد 113000 هكتار قادرة على السقي وتقع حول مساحات النخيل القديمة لواد ريغ، نوات، قورارة - تيديكلت، وحول المحيطات الجديدة لقاسي طويل، حاسي مسعود، أن أمناس والعبادلة. أم محور قورارة - مغرداية عين صالح لم يحقق سوى بعض الدراسات الدقيقة غطت مساحة 100 إلى 500 هكتار... فغياب دراسة التربة قبل منح الأراضي هي سبب في فشل بعض المشرفين الممنوحين لترب فقيرة (قليلة العمق ومالحة) أو غير مؤهلة لعملية الاستصلاح".²

تعتبر تيديكلت، من المناطق القاحلة hyper-aride حيث يبلغ "مؤشر الجفاف من 4.6 إلى 5 وهو مطابق لنوع المناخ القاحل".³ ونلاحظ أن منطقة عين صالح مثلاً، "تتميز بارتفاع في نسبة الملوحة

¹ محمد حبيبة، استصلاح الأراضي الرملية في الجزائر، جامعة الدول العربية، مجلة المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 1998، ص 128.

² -Messar E.M. **Le secteur phoenicicole algérien : Situation et perspectives à l'horizon 2010**, In Ferry M. (ed.) Greiner D. (ed.). Le palmier dattier dans l'agriculture d'oasis des pays méditerranéens. Zaragoza : CIHEAM-IAMZ, 1993, p.23-44, option méditerranéens : séries A. Séminaire méditerranéens n. 28, p 26

³Op.cit. p 24.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

ببساتين النخيل. وأثبت محلول عينة من التربة احتواء كمية كبيرة من الكلوريدات والكبريتات التي تدل على تملح التربة، مما تسبب في التخلي عن النشاط الزراعي في مراكز... النخيل كما أثبت التنقيب عن التربة يبرز الانحدار من التملح المتزايد في الشمال الشرقي من منطقة اقسطن، 273 متر من الارتفاع) وفي جنوب غرب منطقة سبخة الزبارة (نحو 256 متر من الارتفاع).¹

نميز نوعين أساسيين من التربة بمنطقة الدراسة: -تربة قليلة التطور 'Sol peu évolué'، تربة فنية تشكلت انطلاقاً من رواسب حديثة، وهي ذات لون أصفر، تتميز بقلّة العمق والملوحة النسبية ونسيجها الرملي خشناً، مما يجعلها شديدة النفاذة للمياه، فحسب عينة أخذت من المنطقة وجد أن نسبة الرمل الخشن هي 57.8%. هذه التربة تتميز كذلك بضعف الخصوبة: حيث قدرت سعة التبادل الأيوني لنفس العينة ب 3.5 ملغ مكافئ/100 غ في عمق اقل من 25 سم.

-تربة ملحية "Sol halo morphique" وهي التربة السائدة بالمنطقة وهي شديدة الملوحة يسودها الرمل.

ويبدو أن العوامل الرئيسية التي تتحكم في توزيع العشائر ومكوناتها النباتية هي العلاقات المائية للتربة ودرجة الحرارة بينما يعتبر بناء التربة وقوامها من العوامل الثانوية. إن طبيعة الأملاح ودرجة تركيزها تحددان نوع الغطاء النباتي في البيئات الملحية بحيث يزداد التركيز كلما اقتربنا من مركز السبخة أو الشط موقع تجمع المياه.²

رغم ذلك فإن لهذه الرمال فوائد جمة أثبتتها الأبحاث العلمية، فقد "أثبتت دراسات مخبرية المنافع العلاجية للأتربة الصحراوية كموضات حيوية يولي الباحثون عناية كبيرة بأجناسها الأقل انتشاراً أو النادرة في العالم والتي تبين أنها مخزون لا يستهان به من المضادات الحيوية الجديدة."³

رغم الظروف المناخية القسوى " إلا أنها تعتبر غنية بالأكتينومييسات من حيث الكم والنوع وعلى وجه الخصوص تلك التي توصف بقليلة الانتشار أو نادرة في العالم. والأكتينومييسات هي بكتيريا

¹ Toumi M., Mahdi Y., Benkhalifa A. **Désalinisation des sols salés agricoles d'une région hyper aride (In Salah).** 1er Symposium International sur le Palmier Dattier, Alger, Algérie, 2011.
www.sanremopalme.org/.../SYMPADA%202011%20programme%2

² المنظمة العربية للتنمية الزراعية، دراسة حول النباتات الرعوية الواعدة في الوطن العربي، ط.1، السودان، الخرطوم، 2006، ص46 و 47.
³ باجي بوبكر، بوجلة هجير، لعماري ليندة، زيتوني عبد الغني، مصطفىوي عبد الله، مروش ربيعة، قوار عبد العزيز وسابوا نور الدين، انتقاء وتحديد الاكتينومييسات النادرة النظم البيئية الصحراوية الجزائرية إنتاج وتحديد النية الكيميائية للمضادات الحيوية المهمة، مجلة أبحاث البيئة والتنمية المستدامة المجلد الرابع - العدد (الأول) 1422 بغداد، العراق هـ. 2001م، ص 64.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

هيفية تمثل مصدرا هاما للمضادات الحيوية حيث تفرز ما يقارب 70 بالمئة من مجموع المضادات الحيوية المنتجة من قبل كل الكائنات الحية.¹

2.6 الغطاء النباتي: النباتات البرية في منطقة ما هو نتيجة لجميع الظروف المناخية، مما يسمح لدراسة الانقسامات الطبيعية للكرة الأرضية في المناطق النباتية التي تتميز بغلبة أنواع معينة. ومن وجهة النظر الطبية، المعارف النباتية لمناطق تتسم ببعض النباتات المهيمنة، مفيد للحكم بسرعة على مناخ البلد.²

رغم فقر الصحراء من النباتات، إلا أن هناك العديد من جوانب الحياة النباتية سواء كان "هطول الأمطار كثيراً أو نليل غير منتظم، فهو يتسبب في ظهور العشب الذي يتألف من النباتات الحولية والتي تتطور بسرعة قصوى (قصيرة الاجل، أو وقتية) (éphémères).³ ومن خلال هذه النظم الأيكولوجية الصحراوية النموذجية، يتم تصنيف النبات بحسب فترة نموه ودورة حياته وحسب بيئته التي ينمو فيها، فهي بيئة تتكون إذن: "من نباتات دائمة مثل المتوغلات (Fhreatophytes) كالنخيل والأكاسيا والطرفاء ويطلق عليها مصطلح الجفافيات (xerophytes) وموسمية (ephemerals) كالنجليات وغيرها."⁴ "فقد لا تمطر السماء سوى مرة واحدة في العام، وحينئذ يستلزم الأمر أن تزهر الحوليات الصحراوية وتنتج بذورها بسرعة قبل أن تجف التربة. إن عملية التزهير في الحوليات الصحراوية عملية مثيرة للدهشة."⁵

ورغم الجفاف، إلا أننا نجد بعض النباتات الشوكية والقصيرة المقاومة للجفاف باستخدام "وسيلتين للتغلب على الحرارة والجفاف، الأولى هي استخدام البنية الملائمة التي تمتلكها. والثانية المكوث في ثبات."⁶ هذه الخائص المورفولوجية صنفها رينيه مير (René Maire) كما يلي:⁷

¹باجي بوبكر وآخرون، مرجع سابق، ص ص 64-69-68

²Trabut, Louis, Précis de botanique médicale, G. Masson (Paris), 1891, p 685.

³Chevalier Auguste. **Les Productions végétales du Sahara et de ses confins Nord et Sud. Passé - Présent - Avenir.** In : Revue de botanique appliquée et d'agriculture coloniale. 12e année, bulletin n°133-134, Septembre-octobre 1932. pp. 669-924. Doi : 10.3406/jatba.1932.5282. P 682.

⁴Merzaia Blama Aicha, Saidou Ali, Mezoui Sami, حالة منطقة تيديكلت، séminaire "تنوع الغطاء النباتي بالصحراء الجزائرية، Biodiversité et changements globaux", Campus universitaire de Djelfa, du 23 au 25 novembre 2015.

⁵جون سيمونز، حياة النبات، تر. أحمد خليل، [دم]: د، ص 8.

⁶هارون يحي، المعجزة الخضراء التمثيل الضوئي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2004، ص 30 و 31.

⁷Chevalier Augusta, Op cit..684

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

في التربة الرملية(العرق) الدريرين *Aristida pungens*، إفوريا *Ephredra alata* sp.، الرتم *Retana*، العنادة في منخفضات الصخرية للعرق نجد نباتات خاصة للسلولة *Salsolacées*(عشب أو شجيرة تتبع الفصيلة السرمقية).

في السهوب الطينية والحجرية (الرق):*Haloxylon articulatum* (الرمث)، *Anabasis articulata* الشَّنَّان أو الترتير أو العجرم، *Cornulaca monacantha* نبات الحاد أو شوك الديب (طاهارة) غالبا ما تكون متكررة. السهوب الصخور (الحمادة) تحمل كذلك فلورة خاصة متناثرة جدا. توجد في أكوام من الصخور أو المنحدرات أو الغور مع العديد من النباتات في القاعدة.

في السبخة هي منخفضات مالحة تغطي حوض من الطين الأسود اللاأحيائي اين تزدهر الملح البيضاء وعلى سطحها لا ينمو أي نبات، بينما على حافة السبخة توجد إلا شجيرات من النباتات المحبة للملح *halophytes* (كالسرمقيات والأثل، وما إلى ذلك). في المياه قليلاً الملوحة غالبا ما ينمو بالبحر والطحالب الخضراء.

في الوديان وعلى حوافها يتركز الغطاء النباتي. تعيش العديد من الشجيرات والنباتات الحولية التي تتكون من الأعشاب، النجيلية *Graminées*، الصليبية *Crucifères*، الشكاعة أو الجنبه أو الطليحة *Fagonia*... الخ.

تتواجد أحيانا في قاع الواد برك مؤقتة أو دائمة من المياه العذبة، أين تنمو على حافة هذه الضايات نبات القصب *Phragmites communis* var. *Isiacus* Coss، الديس *Gypéracées* السعدية *Scirpus holoschoenus* انه حول هذه الضايات أين توجد في الشمال حظائر غابة البطميات *Betoum* (البطم الأطلسية) وفي الجنوب تتشكل الأكاسيا *Acacia scorpioide* (تمقارت).

يتم تصنيف النبات بحسب التصنيف الحديث لأحياء في علم النبات والحيوان، أن لكائنات الحية تنقسم الى "حلقات وجماعات شتى على تقاربها وتشابهها، ولكل حلقة من تلك الحلقات اسم ثابت في اللغة الاوربية الكبيرة... استقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة على أصلح مصطلحات والتي أقرها في مؤتمر المجمع في جلسة أول يناير من سنة 1959:

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

عالم Reigne- kingdom، شعبة Phylum-Embranchement ولا تقل أمة، طائفة Class-Classe ولا تقل شعب، رتبة Ordre-Order ولا تقل قبيلة، فصيلة Family-Famille ولا تقل أسرة ولا عائلة.¹

أبرز من قام بدراسة مجموعة نباتات الصحراء الجزائرية:

— منذ الاحتلال الفرنسي في أواخر سنة 1800 من طرف بونيه (E.Bonnet) موري (F. Maury) ، (M. E. Cosson) ، وآخرون. مؤخراً، تم نشر الفلورة العامة للصحراء المنشورة من طرف (Quezel) وسانتا (Santa) سني (1962 و1963) وأوزندا (Ozenda) (1977، 1991)، درست هذه الفلورة لمناطق إقليمية محدودة. أما بالنسبة لفلورة منطقتي تادمايت وتيديكلت في الصحراء الوسطى، فلم تنشر بعد². وأسهمت دراسة أوبا هيداكي (Hideaki Ohba) وعميروش رشيد (Amirouche Rachid) في التعرف على النباتات المتواجدة بمنطقة تادمايت وتيديكلت.

يلاحظ أن النباتات الصحراوية تسودها النباتات الحولية، وهي مجتمعات نباتية وقتية تتميز بأشكال ظاهرية خاصة، بمعنى "النبات الحولي نبات يزهر وينتج البذور ويموت في مدى عام واحد.

1.1.6 أهم النباتات الطبيعية السائدة: فهناك نباتات برية ومزروعة بالمنطقة:

أ. النباتات البرية وهي التي تنمو من تلقاء نفسها ولا يتدخل النسان في زراعتها. فقد تم "إحصاء 34 نوع تمثل 15 فصيلة نباتية (Familles botanique) من بينهم 25 فصيلة لنباتات علفية مثل:

الفصيلة القُطْبَفِيَّة *Amaranthaceae*؛ البطمية *Anacardiaceae*؛ الخيمية *Apiaceae*؛ الكرنية *Brassicaceae*؛ البقولية *Fabaceae*؛ الحملية *Plantaginaceae*؛ الرصاصية *Plumbaginaceae*؛ النجلية *Poaceae*؛ البطباطية *Polygonaceae*؛ الطرفاوية *Tamaricaceae*؛ والقديسية *Zygophyllaceae*.

فمنها 11 فصيلة نباتية (أنظر في الملحق)

ب. النباتات المزروعة وهي تلك التي زرعها الانسان ليستفيد منها للغذاء والدواء والاستقرار. وتعد زراعة النخيل أول رمز لاستقرار هؤلاء السكان بتوفر المياه بطبيعة الحال.

¹الأمير مصطفى الشهابي، أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1963، ص 13.

²Hideaki Ohba and Rachid Amirouche, **Observation of the Flora of Tademaït and Tidikelt, Central Sahara, Algeria**, the journal of Japanese botany Vol.78, 2003,p104

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكالت

6. 3 واحات عين صالح¹: "تتخذ الواحات بعين صالح توزيع يتجه من الشرق إلى الغرب للقصور التالية: فقارة الزوى، فقارة العرب حاسي لحجار، اقسطن، لفقيقرة، الساهلة الشرقية، الساهلة الغربية، الزاوية، قصر العرب، البركة، قصر المرابطين، الدهامشة مليانة واحات إن غار، فهي على النحو التالي:

أ. بساتين قصر المرابطين: الدغامشة، زاوية الماء، بوحان، بوزيان، تاغجمت، الجابية، لحبوس، تيجي، مفتاح. البركة: المالحة، أمغير. الساهلة الفوقانية (الشرقية): السيخة، عين الجنة، أجدلاون، الجديدة، جاقور، بن اعلي، العمارات، جواليل، هنو. بساتين الساهلة التحتانية (الغربية): لغسول، هب الريح، المطارفة، العواوات، لعمارات.

تشتهر المنطقة بزراعة والخضر والفواكه: الخضر: الخس، اللفت، الجزر، الكرنب، الثوم، البصل، الطماطم، القرع، القثاء، فلفل شطة. الفواكه: التمر، التين، الرمان، البطيخ. البقوليات: الفول، الفول السوداني، الفاصوليا (تادلاغ). الأعلاف: الذرة الرفيعة أو الدخن (البشنة) والسرغون (تافسوت) الفصة، الخرطال، الذرة الصفراء (لكبال).

بلغ مجموع المساحة بالهكتار في عين صالح سنة 2010 "5457، بمساحة مزروعة 2527، منها الحبوب: 17هـ والخضروات: 155هـ، والأعلاف: 10هـ. وفي منطقة إن غار مجموع المساحة بالهكتار 866، بمساحة مزروعة 613، ومنها الحبوب: 40هـ. من ضمن 35هـ تحت المرش المحوري. أما الخضروات: 52هـ. والأعلاف: 10هـ. بمنطقة فقارة الزوى، بلغ مجموع المساحة بالهكتار 684، مساحة 588هـ-الحبوب: 23هـ -الخضروات: 163هـ-أعلاف: 63هـ. المجموع الكلي للمساحة بالهكتار 7007، لمساحة 3728.²

في 2017/2016، بلغت المساحة الفلاحية الكلية 68172 هكتار، أما المساحة الفلاحية المستعملة فقد بلغت 36568 هكتار، والمراعي 71950 هكتار. وبلغت مساحة الحبوب 416هـ، والأعلاف 11هـ، أما الخضروات 474هـ.. الأشجار المثمرة 35هـ، منها 20 هكتار لأشجار الزيتون. بالنسبة للخيل، فقد بلغت مساحتها 5850هـ، وبلغ إنتاج التمور 88000 قنطار. وقد انخفضت المساحة من سنة 2013 إلى غاية

¹ مرزاية بلامة عائشة، زراعة واستغلال النباتات الطبية والعطرية بالطرق التقليدية: واحات عين صالح نموذجاً، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد 11، 2014، ص 288.

² وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، مديرية المصالح الفلاحية لولاية تمنراست، تقارير حوصلة الفلاحة لسنة 2010.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

2018، بسبب الحرائق، لأن هذه المساحة بلغت في 2012 إلى 7420.1¹ بنقص بلغ 1570 هكتار، خلال 5 سنوات تقريباً، مما يؤثر سلباً على الإنتاج والمردودية بصفة عامة.

-أهم الأصناف: تيناصر، تقربوش، أقاز، تقازة، فران باخلوف، عيشة قدور، أحرطان. ملاحظة:
-متوسط مردود النخلة 20 كغالمصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية تمنراست 2010. ملاحظة: من خلال الجدول نلاحظ غياب النباتات الطبية والعطرية في مثل هذه التقارير بصفة عامة.

4.6. الحيوان بمنطقة تيديكلت

الحياة البرية في منطقة تيديكلت تبدو وكأنها غير موجودة إلا أن الواقع يبين أن هناك مجموعة من الحيوانات البرية والمستأنسة. فالحيوانات المستأنسة كالغنم (أدمان: Ovis longipes) الماعز، والجمال، والحمير. ودجاج صغير الحجم. وحسب الحصيلة الفلاحية للولاية المنتدبة عين صالح سنة 2018²، فقد بلغت الثروة الحيوانية من الأغنام: 7774. بما في ذلك النعاج: 3271. أما الماعز: 2990. بما في ذلك العز: 1016. أما الجمال: 5213. الخيول: 236. (أنظر في الملحق قائمة الحيوانات البرية.

5.6. حقول الطاقة الغازية بعين صالح³:

تتعد مصادر الطاقة في الجزائر من أبرز هذه الموارد الحيوية الغاز الطبيعي، الذي يحتل مكانة استراتيجية في السياسة الطاقة الجزائرية، من ناحية الاستخدام المحلي والتصدير، بالنظر إلى الاحتياطي الضخم منه فضلاً عن تميزه بالنظافة البيئية. تتركز مناطق إنتاج الغاز الطبيعي في الجزائر في منطقة

¹Direction des services agricoles (DSA (de la wilaya de Tamanrasset, Op.cit

²Ibid.

³بحث استطلاعي غير منشور أجرته الباحثة بمنطقة عين صالح اعتماداً على المراجع التالية:

-Sonatrach, Une **compagnie pétrolière et gazière intégrée** Revue Sonatrach, 2013, p2, 3.

-Jean-Pierre Deflandre, Audrey Estublier, Axelle Baroni, Jean-Marc Daniel, Florence Adjémian, **In Salah CO2 injection modelling: a preliminary approach to predict short term reservoir behavior**, Energy Procedia Page3, 00 (2010) 000–000. www.elsevier.com/locate/XXX.

-Redouane Haddadji.2006. **The Ain Salah CCS experience Sonatrach Algeria**, The first international conference on the clean development mechanism, Riyadh-saudi Arabia 19-21, September .

-Le Entreprise nationale de grands travaux pétroliers, le partenaire de la réussite, Sonatrach, page 200?. /22/23.

-Petrofac In salah Gas, Archaeological management plan, 2008, pages 3,4

Ferhat Nadjib ,mission d'étude archéologique réseau des pipelines du projet In Salah compression. SE2EA, 2011 pages.

-http://www.insalahco2.com/index.php/fr/faible-production-en-co2/a-propose-de-la-coentreprise-in-salah-gas.html

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

حاسي الرمل البعيدة بـ 500 كلم عن الساحل؛ وهو من أكبر الحقول الغازية في العالم حيث يمثل مركز اسنقطاب للاستثمارات الأجنبية في مجال المحروقات وأحد محركات نمو الاقتصاد الوطني.

أقامت الجزائر العديد من المشاريع الطاقوية المشتركة بين الشركة الحكومية سوناطراك وبعض الشركات الأجنبية؛ قصد استكشاف و/ أو استغلال مكامن الغاز الطبيعي. ومنطقة عين صالح هي إحدى مراكز الاستغلال الحديثة للغاز، بالشراكة مع الأجانب، وذلك عن طريق تأسيس شركة "عين صالح غاز IN SALAH GAS"، وهي شركة مختلطة بين سوناطراك الجزائرية وبريتش بترول يوم البريطانية وستات الويل النرويجية، ابتداء من 2001 ودخلت مرحلة الانتاج الفعلي سنة 2004. ويعد العقد الموقع في ظل هذه الشراكة من العقود الطويلة الأجل، حيث يمتد إلى غاية 2027.

لفصل الخامس: البعد التاريخي، الطبيعي والبيئي لمنطقة تيديكلت

خلاصة الفصل

ارتأينا في هذا الفصل الحديث عن الجانب الطبيعي للمنطقة المدروسة، نظراً للارتباط الوثيق بين الناحية الطبيعية والناحية الاجتماعية، لأن صحة الإنسان هي محور البحث. فالتعرف على هذه الخصائص تسمح لنا بتفسير وضع الانسان في بيئته ومدى تفاعله مع عناصرها، كما تبين لنا مختلف استعمالاته لهاته المصادر الطبيعية المحيطة به.

الفصل السادس:

دراسة تأثير الإنسان على البيئة
الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

تمهيد

إن موضوع التداوي بمنطقة معينة من المجتمع، تجعلنا نفكر في الربط بين العوامل التي تؤثر على الإنسان والتي تجعله حاجة ماسة لخلق روابط مع الطبيعة في حيزه الجغرافي على الخصوص. يتولد عن هذه العلاقة، استخدام ما ينفعه ويفيده في الحياة، وأولها العيش في صحة وأمن وسلام. ومما يستعين به في المقام الأول النبات، ففضله يتفنن في استخدامه والاستعانة به في الحياة اليومي الغذاء الشراب الدواء، وبفضل التجارب المتوالية والمتداولة بين أفراد المجتمع، ومن خلال التراكمات المتوالية لهذه الاستخدامات والممارسات، يتشكل الموروث الثقافي للأجيال ال المتتالية بنفس الطريقة أحياناً وتتغير أحياناً أخرى وفقاً لما يفرضه العالم من تغيرات في مختلف الميادين.

وتتجلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع كان، في أنماطه وسلوكياته تماشياً مع الوسط الذي يعيش فيه في غالب الأحيان وما يسببه ذلك الوسط من مشاكل بيئية وأمراض تؤثر على صحته وسلوكيات الإنسان، فيعمل جاهداً على مجابهة تلك الصعاب بكل ما جادت به قريحته من وسائل متاحة.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

1. تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها بالتيديكلت

قال أبقراط الذي عاش حوالي عام 400 قبل الميلاد: ليكن غذاؤك دواؤك، وعالج كل مريض بنبات أرضه فهو أجلب لنفعه.

تعتبر الأنساق الايكولوجية من مكونات البيئة وهو من المواضيع التي سببت الكثير "من الجدل في الأوساط العلمية. وقد حاول كثير من العلماء وضع هذه الأنساق في مجموعات محددة تبعاً لأحد الأنماط الأساسية التي تميز شكل الحياة النسق. ومثال ذلك النسق الايكولوجي الصحراوي، الذي ينشا تبعاً لبعض الظروف الخاصة التي أهمها جذب الأرض وقلة الماء، وما يتعلق بذلك من وجود نوع معين من أنواع الاقتصاد ومن تنظيم قبلي يرافق ذلك النوع من الاقتصاد."¹

فمنذ "حوالي 25 عاماً بدأ الاهتمام بدراسة هذا النسق" فقد حدث تغير في دراسة هذا النسق. إذ لم تعد الدراسة مجرد رصد لظواهر اجتماعية محددة، وإنما بدأت في إعطاء أهمية إلى علاقات التكافل التي تقوم بين أفراد المجتمع."²

وإهتم الأطباء العرب بعلاقة الإنسان بالبيئة وتأثره بها من بينهم ابن ربن الطبري* ذكر في موسوعته ذات سبع أجزاء، نظرق فيها إلى جميع أقسام علم الطب المعروفة في عهده والتي تضم ثلاثون مقالة، والمقالة الأخيرة تضم ثلاثمائة وستين باباً، يبحث في الجزء أو القسم السابع منها في:

المدن وحالات سكانها؛ -ج-. في المياه وفوائدها؛ -د-. في علة ملوحة المياه وبردها؛ -ه-. في البحار وعلة دوام جري الأنهار؛ -و-. في الأرضين وألوانها وأخلاقها؛ -ز-. في الأهوية وتأثيره في الأبدان والنفس؛ -ح-. في الرياح والأزمات وما فيها من الدلائل على الصحة والسقم؛ -ط-. في فصول السن والعلامات التي في بعضها على بعض؛ -ه-. في علامات الهواء الدالة على ما يكون؛ -ي-. في علامات الحيوانات الدالة على ما يكون في البلدان والمياه والرياح والفلك والكواكب وعلاقتهم بالصحة. ومختصر عن الكواكب والأفلاك وفائدة الطب."³ وينتهي بذكر ملخص عن كتب الهند الطبية.

¹ طارق محمد، البيئة وتأثيرها في المجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، 2017، ص 15.

² طارق محمد، نفس المرجع، ص 16

* العالم المسلم أبو الحسن علي بن سهل ربن الطبري. ولد في مرو من أعمال طبرستان سنة 780م 164 هـ أو سنة 770م - 153 هـ عن

<https://ar.wikipedia.org/wiki/2017/10/04>

³ أنظر: فردوس الحكمة، علي بن سهل بن الطبري، المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية archive/81055/vdc_100023062750.0x000001/ العربية /http://www.qdl.qa

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

لقد ركز هؤلاء العلماء على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الأمور البيئية في تشخيص الأمراض وللوقاية منها.

وهذه بعض المبادئ التي يجب أخذها في الاعتبار عند دراسة النسق الايكولوجي:

أ. نشابك العلاقة بين الإنسان والبيئة إلى حد كبير.

ب. كل نشاط يقوم به الإنسان في أي بقعة من بقاع العالم هو نشاط ايكولوجي لا يمكن فهمه

إلا من خلال العلاقة الثلاثية القوية القائمة بين كل من 1-المجتمع، 2-الإنسان، 3-البيئة.¹

فالإنسان في تصنيف الأحياء ما هو "سوى جنس صغير من الكائنات الحية، وهناك فوق الجنس بضع حلقات كبيرة من حلقات التصنيف"² وهو "كل متكامل، تتفاعل عناصر شخصيته العقلية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية دائماً، وأي اضطراب يصيب إحداها، فإنه يؤثر في العناصر الأخرى في ذات الوقت."³ والانسان يعيش في وسط اجتماعي، يتطلب التعرف على بيئاته الثلاث الطبيعية والثقافية والاجتماعية من خلال البعد الانثروبولوجي، الذي يقترب أكثر من منهاج لمعرفة خصائص وخلفيات بقاءه ككائن، يدافع عن صحته وبقائه انطلاقاً مما يحيط به كخطوة ذكية، تبرر استغلاله لما أتيح له في مجاله الطبيعي.⁴

يعني أن البيئة تمثل "مجموع العوامل الطبيعية، والبيولوجية، والعوامل الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، التي تتجاوز في توازن، وتؤثر على الإنسان، والكائنات الأخرى بطريق مباشر أو غير مباشر."⁵

بالإضافة إلى معاملة الانسان بالبيئة الطبيعية حية وغير حية، فإنها "تؤدي أيضاً إلى الاهتمام بمعاملة الإنسان لأخيه إنسان، لأن القوى التي تساعد الفقر مازالت هي أخطر التهديدات لصحة الإنسان."⁶ لأن الصحة "قضية إنسانية، واجتماعية وسياسية واقتصادية، لذلك فمن المنطقي أن الجغرافيين الذين هم أكثر حساسية للناس في أشكالهم المكانية/الحيزية لجعلها أحد مواضيعهم البحثية.

7

¹ طارق محمد، البيئة وتأثيرها في المجتمع، مرجع سابق، ص 16

² الأمير مصطفى الشهابي، أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية، مرجع سابق، ص 13

³ إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، سلسلة جدران المعرفة، 2006، ص 36.

⁴ عائشة بلامة، الصحة، الثقافة والأعشاب دراسة سوسيوولوجية، لعينة من سكان توات، مذكرة ماجستير، مرجع سابق.

⁵ أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة، الرياض، المملكة العربية السعودية مطابع جامعة الملك سعود، 1996، ص 65.

⁶ إريك ب كهولم، مرجع سابق، ص 151.

⁷Raymonde Séchet Sébastien Fleuret, Op.cit, 2,p1.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

تمثل البيئة الطبيعية مورد الإنسان "فالأرض وما عليها من ماء وما حولها من هواء، وما ينمو عليها من نبات وما تحتضنه من حيوانات وجدت بشكل طبيعي، وتمثل الطبيعة الموارد المتاحة للإنسان للحصول على حاجاته الأساسية من غذاء وكساء ودواء ومأوى ومواد مختلفة".¹

يفسر يذكر أن "الاجتماع بين الجغرافيا والصحة، يشكل تربة خصبة لفهم سبل تطور الصحة وتنوعاتها".² حيث يرى أبوزيد أن "علم الاجتماع وثيق الصلة بعلم الجغرافيا. لأن هذا العلم يدرس البيئة وتضاريسها وظروفها المناخية وما تزخر به من موارد تؤثر في نشاط الأفراد. وعنى عن البيان أن للظروف الطبيعية والمناخية تأثيراً ملحوظاً على العادات والتقاليد ومبلغ الحيوية الاجتماعية".³

1.1 تأثير البيئة على الإنسان في البيئة الصحراوية

الانسان والبيئة موضوع ذو شجون ومتعدد الجوانب، في هذا المجال نتحدث عن الانسان في وسط بيئي صحراوي وكم وصفه ج. س. وينور J. S. Weinor: بقوله: "يكفي للدلالة على التكيف مع الظروف الصحراوية القاسية من الناحية الفيزيولوجية ذات الطبيعة المعقدة، وليس أفضل الأمثلة على التكيف مع البيئة هي تلك التي في الصحراء...فالبشر والعديد من الثدييات الأخرى على غير العادة، تتسم بكفاءة عالية لتنظيم درجة الحرارة الداخلية، التي تحافظ تلقائياً على استقرار درجة حرارة الجسم الأساسية في الشتاء البارد والصيف الحار. وبالإضافة إلى ذلك، طور الناس أنماطاً وتقنيات ثقافية تساعدهم على التكيف مع درجات الحرارة والرطوبة القصوى".⁴

الصحراء الجزائرية من بين المناطق "الصحراوية العشر الكبرى الساخنة -الصحراء، (صحراء): كالاهازي، ثارا، (الصحراء) الفارسية، (صحراء) توران، (صحراء) جوبي، (الصحراء) العربية، (صحراء) موهافي، (صحراء) أتاكاما، (الصحراء) الأرجنتينية - فهي ذات فسيولوجية مثيرة للاهتمام، بسبب المزيج من الخصائص التالية: ارتفاع درجات حرارة الهواء، كثافة عالية من الإشعاع الشمسي، حدوث الرياح الشرسة الساخنة، انخفاض نسبة الرطوبة والتقلبات النهارية والموسمية".⁵

¹ راتب السعود، الإنسان والبيئة، دراسة في التربية البيئية، عمان، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2004، ص 21.

² Raymonde Séchet Sébastien Fleuret, Op.cit., p1.

³ أحمد أبو زيد مرجع سابق.

⁴ http://anthro.palomar.edu/adapt/adapt_2.htm. Site visité le 14/08/2017

⁵ J. S. Weinor, **Human adaptability to hot conditions of deserts**. Biology of deserts, the proceedings of a symposium on the biology of hot and cold deserts organized by the institute of biology Edited by j.l.Cloudsley-Thompson. Published by the institute of biology, Tavistock house south, Tavistock square, London.w.c.i. 1954Hafner publishing company, New York .p 193

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

كما قد تتجاوز درجات الحرارة الجافة في الظل في النهار وإلى "حد كبير درجة حرارة الجسم العادية وقد لوحظت أعلى درجة حرارة تصل إلى 135 درجة فهرنهايت؛ يعني الحد الأقصى اليومي 100 درجة فهرنهايت وأكثر من 50 يوماً أو أكثر في الموسم الحار، أو 95 درجة فهرنهايت (أي قريبة جداً من درجة حرارة الجسم) في حوالي 100 يوماً، مسجلة في الصحراء، (الصحراء) العربية، (صحراء) كولورادو، (صحراء) أستراليا و صحاري ثارا.¹

ارتفاع الحرارة المهددة للبشر يبدأ عادة "عندما ترتفع درجات الحرارة إلى 105-107 درجة فهرنهايت (40.6-41.7 درجة مئوية). فإن بضعة أيام فقط في مستوى درجة حرارة عالية للغابة، من المرجح أن يؤدي إلى تدهور الأعضاء الداخلية فالموت.² وبالإضافة إلى "حجم تدفق الحرارة إلى الجسم وقدرته على التعامل معها، لأن القساوة الفسيولوجية للصحراء، تعتمد على شدة ومدة النوبات الساخنة اليومية في فصل الصيف وهذا الفصل، يعتمد على الكثافة ومدة موجات الحر. وبمثل هذه التعرضات القصيرة، فإن معظم المعلومات متاح من خلال التحليل الفسيولوجي. وقد تم الحصول على كمية معينة من البيانات في البداية من خلال التحقيقات في الصحاري التي أجراها بعض المختصين.³

وهذا "الإشعاع البسيط هو العملية المسؤولة عن معظم الخسائر، إلا في المناخات الجافة الساخنة حيث التبريد التبخيري، أو التعرق، يمكن أن يكون أكثر أهمية.⁴ وأن "الحياة في الصحاري تتضمن القدرة الفسيولوجية للإنسان اعتباراً من تكنولوجيته وقدرته التنظيمية"⁵.

فمن بين الأمور التي تساعد الإنسان على التأقلم في الصحراء قدرة الجسم على التعرق لأنه "في الطقس الجاف، والطقس الحار، الرطوبة منخفضة والعرق يتبخر بسهولة. ونتيجة لذلك، فإننا عادة ما نشعر بالراحة المعقولة في الصحاري في درجات الحرارة التي لا تطاق في الغابات المطيرة الاستوائية. وكلما ارتفعت درجة الحرارة في الصحراء، ازدادت أهمية تأثير التبريد الناتج عن التبخر"⁶

لأن "تركيز الملح من العرق يتناقص تدريجياً بينما يزيد حجم العرق، وحجم البول يقل أيضاً. إضافة إلى ذلك، توسع الأوعية الدموية وكذا توسع في الأوعية الطرفية الذي يسبب احمرار

¹ J. S. Weinor, Op. cit, p193

² http://anthro.palomar.edu/adapt/adapt_2.htm. Site visité le 14/08/2017

³ J. S. Weinor, Op.cit, p193

⁴ http://anthro.palomar.edu/adapt/adapt_2.htm. Site visité le 14/08/2017.

⁵ J. S. Weinor, Op.cit, p 199.

⁶ http://anthro.palomar.edu/adapt/adapt_2.htm. Site visité le 14/08/2017.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

الجلد؛ لأن كمية الدم المتزايدة على مقربة من السطح(الجلد). كما أن الدم يجلب الحرارة من مناطق الجسم الأساسية إلى السطح حيث يمكن تبديدها بسهولة في البيئة عن طريق الإشعاع.¹

لذلك نجد أن سكان تيديكلت من الناحية الفيزيولوجية، تأقلموا شيئاً فشيئاً مع ظروف الصحراء القاسية حيث أن المنطقة "تتميز بالحجم الساعي الهائل في مجال السطوع الشمسي طيلة أشهر العام، والذي يبلغ أقصاه في شهر جويلية بحوالي (356 ساعة)، ويبلغ عدد الساعات السنوي حوالي (2949 ساعة)². كما يلعب التبريد التبخيري،"دوراً وقائياً هاماً عندما يؤدي النشاط البدني القوي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم."³

ولتفادي هذه الحرارة المفرطة يلجأ السكان إلى ارتداء ملابس فضفاضة وواسعة (كالعباءة، والقندورة 'القرطاسية' والسراويل الواسعة) والتي تتماشى مع طبيعة المنطقة من حيث عاداتها في اللباس. حيث تسهل عملية دخول الهواء وملامسته للجسم المتعرق فتبرده. كما يتم لباس العمائم من قماش الشاش لوقاية الرأس، وكذا التلثيم، لحماية الوجه من هذه الأشعة. وقديماً كانت تفضل أقمشة الكتان على الأقمشة القطنية، حيث تساعدهم في الحر ويزيد أجسامهم عكس الأقمشة القطنية التي تحتفظ بالعرق لمدة أطول حتى تجف.

للمحماية من أشعة الشمس في السكنات، يلجأ سكان منطقة تيديكلت وفي كل قصورها العتيقة إلى نسقيف "أجزاء من شوارع القصر بغية تحقيق الراحة المناخية للمشاة خلال النهار بالرغم من الارتفاع الشديد لدرجة الحرارة الذي تعرفه المدينة والذي يدوم لفترة حوالي خمسة أشهر متواصلة من شهر ماي وإلى غاية شهر سبتمبر، وذلك بمعدل درجة حرارة في حدود 35م° (تتراوح معدلات درجة الحرارة خلال هذه الأشهر ما بين (31 و38م°) بالإضافة إلى ذلك فقد كانت تلك الشوارع داخل القصر متعرجة لغرض عرقلة حركة الرياح المميزة للمنطقة، إذ نجدها تنشط طوال أشهر العام بسرعات مختلفة حيث تبلغ حدتها في شهر أوت بمعدل (8.62 م/ثا)، في حين لا يقل هذا المعدل في قيمته الدنيا عن (3.39 م/ثا) وهذا في شهر ديسمبر، وذلك بمعدل سنوي يساوي (5.0 م/ثا).⁴

¹ Ibid.

² مخطاري مصطفى، خطاب سفيان، "التحولات العمرانية في المدينة الصحراوية (حالة مدينة عين صالح -الجزائر)"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية العدد 22، المجلد 7، سنة 2016، ص ص23-34.

³ http://anthro.palomar.edu/adapt/adapt_2.htm. Site visité le 14/08/2017

⁴ مخطاري مصطفى، خطاب سفيان، مرجع سابق.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكتات

ومن منظورات دراسة البيئة، يقول علماء المنظور الوظيفي، أن الإنسان موجود في شريط 'البيوسفير' Biosphère - (الحياة توجد فقط في هذا الشريط) - بفضل الاتزان القائم بين المكونات الحية وغير الحية به. إذ أن أهم ما يضر بصحة الإنسان هو التلوث واستنزاف الموارد الطبيعية الموجودة بالبيئة.¹ كاستنزاف الأراضي الزراعية وحفر الآبار، تملح التربة لعدم ترشيد نظام الري... الخ. "ان كل ما ربط بين الزيادة السكانية او الثورة التكنولوجية، بين اتلاف البيئة، يجب ان يتم فحصه بدقة. وهكذا يرى علماء المنظور الوظيفي، أن الانسان صار عرضة للتأثيرات البيئية من حوله والتي تسبب هو فيها."²

يبرز لنا تأثير الإنسان على البيئة الصحراوية من خلال الإنجازات التي قام بها في ظل الظروف القاسية التي تميز الصحراء. حيث يعتبر انشاء الواحات الجزائرية من أهم التأثيرات التي غيرت وجه الصحراء بصفة عامة. وفي بادئ الأمر نلقي نظرة عن مفهوم الواحة ونظمها.

والواحة ليست وليدة العصر بل جذورها ضاربة في التاريخ، فقد عرفت عند قدماء المصريين الواحة باسم "أوتو Otou". و كلمة **العمارة**: من معاني العمارة عند الفلاحين إحياء الأرض وتسميدها أي إضافة المواد المخضبة إليها لتزداد غلتها، وقد ذكر بعض القدماء هذا المعنى في كتبهم، ومنهم ابن مّاني.³ فالواحة "مكان للحياة ونظام أساسي تم إنشاؤه وحفظه وصيانته من طرف الأفراد، من جيل إلى آخر رغم عداوة الظروف الطبيعية."⁴

1. 2 النظام الواحي كمنظومة "يعتمد على مبدأ الاستعمال العقلاني للماء والتربة، الذي يرتبط مع أداء المواد البيولوجية: نخيل التمر المعروف بتحملة للمناخ الجاف، وتحمله للملوحة وقدرته على امتصاص الماء من العمق. والتمر هو أساس الاقتصاد المحلي، وسكان الواحات يعيشون حسب النمط البيولوجي لنخيل التمر."⁵

يعتبر الماء عنصراً ضرورياً وأساسياً في استقرار سكان الصحراء، "أو على الأقل لرسم أهم طريق لتقلهم وترحالهم عبر مساحات شاسعة، إلا أن العنصرين الأساسيين الآخرين لا يقلان أهمية عن الأول وهما: الأرض والتربة الصالحة للزراعة والإنسان الممثل للقوة العاملة التي تواجه المؤثرات الطبيعية

¹ طارق محمد، مرجع سابق، ص 18.

² نفس المرجع، ص 19.

³ الأمير مصطفى الشهابي مرجع سابق، ص 48.

⁴ Fayçal Ababessa Smati, **introduction au cours de socio économie du développement des régions sahariennes en Algérie**. 2^{em}ed. Institut National de la Recherche Agronomique d'Algérie (INRAA), 2007. P 140

⁵ Fayçal Ababessa Smati, Op.cit, p 141.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

والمناخية وتتصارع معها، وبتظافر والتقاء هذه العناصر، تحدث عمارة الأرض وتحدث التنمية التي تخدم متطلبات الحياة لدى الإنسان الصحراوي.¹

1. 3 واحات الجزائر في تحول

البيئة الصحراوية الإقليم الصحراوي: يتميز الإقليم بقلة النباتات الطبيعية، نوعاً وكماً، وأن المنظومة البيئية جعلت النشاط الرعوي هو النمط السائد للاستغلال.² تميز هذه البيئة "الطبيعة الجفافية للنبت الطبيعي قد جعلت النشاط الرعوي هو النمط الرئيسي لاستغلال هذه المناطق الذي يمارسه عدد كبير من البدو الرحل حيث ينتقلون بجيامهم وحيواناتهم من منطقة إلى أخرى. باستثناء المناطق المروية على ضفاف الأنهار والمناطق المزروعة في الواحات، فإن تربية الحيوان الرعوي هو النشاط السائد في معظم أجزائها؛ لذلك، فإن الترحال الطويل داخل القطر أو بين الأقطار المتجاورة يعتبر ظاهرة واضحة في هذه البيئة الصحراوية.³

منذ ثلاثين سنة (1954-1984) عرفت الجزائر "تحولات جذرية شملت كافة عناصره، وفضلاً عن مسارات التغيير لا تزال سائدة حالياً وسوف تتواصل، وإن كان ذلك بوتيرة أقل، إذ أن نقاط التحول التي أرست قواعد المجتمع الجديد قد حصلت ما بين 1954 و1962.⁴

ومن بين هذه التحولات، تلك الناتجة عن "فضاءات تنمية أقرتها الدولة. حيث أن المناطق الصحراوية عرفت بنسق البداوة ثم الاستقرار، ومن بين أهم الأسباب التي أدت إلى المرور من نسق البداوة، إلى ضرورة الاستقرار والتثبيت بالمكان، نجد تداعيات السياسة الاستعمارية في الجزائر بصفة عامة والمناطق الصحراوية بالتحديد، خاصة بالقضاء على النمط التقليدي في الترحال والتنقل... زيادة على ظروف تدخل تحت طائلة المناخ وقساوة الطبيعة وظروف أخرى تدخل تحت طائلة المتطلبات الثقافية والاقتصادية التي أصبحت تميز الحياة العصرية للمواطن الجزائري.⁵

¹Marouf Nadir, *lecture de l'espace oasien*، Sindbad، Paris، 1980، P. 18

²صندوق النقد العربي، *القطاع الزراعي*، الفصل الثالث، ص 45، 2006. الرابط الإلكتروني: www.amf.org.ae

³المنظمة العربية للتنمية الزراعية، *دراسة حول النباتات الرعوية الواعدة في الوطن العربي*، ط.1، الخرطوم، 2006، ص 11.

⁴ناجي سفير، *محاولات في التحليل الاجتماعي*، ج 1، التنمية والثقافة، تر. م.ع. بن ناصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 198 ص 12.

⁵منصور مرقومة جامعة مستغانم-الجزائر:

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

1. 4 نظرة عن الواحات الجزائرية:

تقدر مساحة واحات الجزائر بـ 66.000 هكتار والتي يمكن أن نميز فيها أربع أنماط - كما صنفها فيصل سماتي عباسية - كما يلي¹:

أ- واحات الجبل: كواحات الغوفي والقنطار، ونخيل جانت (الطاسيلي)، واحات الميزاب...

ب- واحات العرق: كواحات سوف، واحات الغوط، واحات تغوزي، تتركوك، واحات تاغيت...

ج- واحات سفح الجبل: نخيل سيدي عقبة...

د- واحات الواد: كواحات واد ريغ، واحات توات-قورارة-تيديكلت...

تعتبر التأثيرات الجيومورفولوجية للإنسان على البيئة الحيوية باستزراعه للنخيل والأشجار المستثمرة، مستغلا ظلالها لإنتاج الزراعة المعاشية. عوامل مؤثرة على مناخ هذه الأماكن، بخلقه مناخ محلي يوائم احتياجاته البيولوجية والفيسيولوجية. وكذا الأوجه الهيدرولوجية في طرق استغلال المياه من ابرز التأثيرات كاختيار نظم السقي بمياه بالواد، أو بنظام الغوط أو بالآبار، أو بالخطارة، أو بنظام الفقارة، وهذا النظام الأخير اشتهرت به منطقة توات وقورارة وتيديكلت.

1. 5 نظام الفقارة²

وهو نظام عتيق استعمل لاستخراج المياه الجوفية، عبر قنوات تمتد من تحت سطح الارض بتقنية فذة تبرز مدى قدرة الانسان في تحقيق احتياجاته الملحة للحياة بواسطة استعمال طاقاته العقلية المبدعة من أجل البقاء فكانت الحاجة أم الاختراع. لقد شكل هذا النظام، عمود الاقتصاد الواحي والنظام الاجتماعي ومجموع النظم والتشريعات التي اتفق عليها أفراد المجتمع، مكنت هذا النظام ليستمر عدة قرون.

¹Ababessa, Op.cit, p 102.

² مداخلة عائشة مرزاية بلامة، مياه الصحراء وطرق استغلالها، دراسة وصفية لمنطقة عين صالح بالجنوب الجزائري، قدمت للملتقى الدولي حول الماء، جامعة باجي مختار بعنابة، قسم الري، يومي 25-27 أكتوبر 2010.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

جدول رقم 17: إحصاءات الفقارة بمنطقة عين صالح

السنوات	الفقاقير الجارية	الفقاقير عديمة الصيب	المجموع
*1904	80	17	97
1950	47	50	97
**2008	21	51	72

المصدر: * فوانو Voinot, 1909 ** بلدية عين صالح، قسم الفلاحة 2008

هذا ويبلغ عدد الفقارات/ الفقاقير بتيديكلت حوالي 80 فقارة منها 55 فقارة بلدية عين صالح؛ و9 فقاقير بلدية فقارة الزوى؛ و16 فقارة بلدية عين غار. يصل الطول الأقصى للفقارة حوالي 5000م، أما عدد الإبار فيقد يصل إلى 300 بئر ببلدية عين صالح مثلاً.

تدهور نظام الفقارة بشكل محسوسة بتيديكلت، نظراً للتغيرات لظروف اقتصادية واجتماعية مما صعب مهمة إعادة الاعتبار لها وتطويرها. هذا "النظام يعد إرث اجتماعي واقتصادي ساهم في خلق الحياة بمناطق صعبة وساهم في دفع عجلة التنمية بها".¹

والتنمية "من ناحية أولى لا يمكن لها أن تكون مساراً علمياً محضاً إذ أنها لا معنى لها خارج كونها مساراً شاملاً يتضمن بالتالي، أبعاداً من طبيعة أخرى: اجتماعية وثقافية وسياسية ونفسية وخلقية، إلخ. ومن ناحية أخرى، فإن للتنمية، كمسار شامل، آثار مباشرة وفورية على كافة عناصر المجتمع التي لا يمكن لعنصر منها أن يبقى على هامش التحولات التي تحدثها هذه الأخيرة".²

ومن أبرز تأثيرات الإنسان على البيئة، قصد التنمية المحلية والوطنية، انجاز المشاريع الكبرى الخاصة بالناحية الهيدرولوجية، كمشروع القرن "تحويل مياه عين صالح الى تمنراست" وقد لخصناه فيما يلي:

¹ ابن عبد الفتاح دحمان، مرزاية بلامة عائشة، استغلال الفرص الزراعية كفيل بتحقيق الأمن الغذائي، مجلة الحقيقة، العدد 10، ج. 1، نوفمبر 2007، صص 155-172.

² ناجي سفير، محاولات في التحليل الاجتماعي، الجزء الأول: التنمية والثقافة، تر. م.ع. بن ناصر، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، السنة غير واردة، ص8.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

6.1 مشروع تحويل المياه الصالحة للشرب من عين صالح الى تمناست¹

يعتبر هذا المشروع من ضمن النتائج التي تم تحقيقها في إطار البرنامج الخاص بالفترة 2005-2009 والخطوط العريضة للبرنامج الخماسي 2010-2014، حيث يعد من المشاريع الري الكبرى التي تم تسجيلها في الثلاثي الاخير من سنة 2010-2014، وقد تكفلت بهذه الاشغال شركة صينية إضافة الى ست شركات جزائرية، وتركية ولبنانية، اوكلت لها عملية إنشاء محطات الضخ.

الأبعاد المستقبلية لهذا المشروع، هو انشاء عدد من التجمعات الصغيرة نواتها الاساسية من منطلق محطات الضخ، المتمركزة على طول طريق المشروع والمناطق المجاورة. و يبقى بذلك عنصر الماء المحرك الرئيسي لكل هذه التغيرات الاجتماعية بمطقة عين صالح في ظل مشاريع سياسية اقتصادية تنموية.

2. معوقات بساتين تيديكلت

عانت الواحات وخاصة بساتين النخيل انطلاقاً فقارة الزوى من مرض البيوض فطر في التربة (*Fusarium oxysporum f. Sp. albedinis*) ، حيث وصف طبيب فرنسي الظاهرة بقوله:

"فقارة الزوى. تقع على بعد 45 كيلومترا شمال شرق عين صالح، وهي عبارة عن ثلاث بساتين نخل تصطف في خط من الشمال الى الجنوب. هذا التكتل بأقصى شمال تيديكلت يقع على الطريق الذي كان يستخدم من قبل القوافل العائدة من توات إلى ورقلة ومن ثمّة إلى تونس. أهم بساتين نخل الثلاث هذه هو الفقارة الكبيرة التي لديها حوالي 500 نسمة، سيلافن وتبعد عنها بـ 4 كم وحينون بـ 3 كم به حوالي 100 ساكن، الفقارة الكبيرة وحينون معمرة من طرف الزوى وهم أحفاد سيدي الحاج محمد ولد الحاج ولد سيد الحاج بحوص ولد سيد الشيخ، جاء من فجيح.²

يصف الجانب الطبيعي لهذه المنطقة فيقول: "رغم كون التربة رملية جداً، كما هو الحال في المنطقة برمتها، الا أنّها خصبة جدا. المياه التي توفرها الفقارات مع نظام الري المستخدمة في تيديكلت هي وفيرة وجيدة، فازدهرت هذه الواحات الثلاث-لكن في نهاية القرن الماضي: كان للمرء أن يعول على

¹عائشة بلامة مرزاية، مياه الصحراء وطرق استغلالها، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الدولي حول الماء، جامعة باجي مختار بعنابة، قسم الري، 25-27 أكتوبر 2010.

²Santini, P. Contribution d'un médecin à l'étude de bayoudh maladie du Palmier-Dattier. Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie 15, n°. 2, 1937, pp 51-57, p271.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

ما يقرب من 30,000 نخلة، لكن للأسف، كان انتشار وباء خطير أهلك هذه الحدائق الجميلة، وفي الوقت الحاضر هناك أكثر من 8,000 نخلة. تطور هذه المشكلة قادنا لوصفها هنا.¹

هكذا بدأ مرض البيوض في تيديكلت بعد انتقاله -بفعل الإنسان- من غرب الجزائر حيث "يشير بالاشوسكي BalachowskyA. انه سنة 1926، انتشاره حول العرق الغربي الكبير (الساورة، قورارة، تتركوك 1926). بمنطقة بودة بأدرار أصله قديم بهذه المنطقة 1877، وقد حدد بفضل تقرير عسكري. سنة 1947 كانت مهمة مالصون G. Maleçon حيث غطت عملية المسح، كل الجنوب الغربي الجزائري (الساورة، قورارة وتيديكلت).²

سبب انتشار هذه العدوى، كان يجلب فسائل نخيل موبوءة، الى المناطق المذكورة أنفاً. وكانت طريقة التخلص منها، هي اتخاذ التدابير الوقائية بحرق النخيل المريض. وكانت حصيلة الكارثة هي فقدان الكثير من أصناف التمر الأكثر حساسية لهذا الفطر مما تبب في انقراضها.

3. اكتشاف (حقول الزين) والغاز بتيديكلت

منذ خمسينيات القرن الماضي تحولت المنطقة إلى منطقة جذب، باكتشاف (حقول الزيت) البترول والغاز. وبهذا الاكتشاف شقت شبكة الطرق إلي تربط القرى والواحات، وأنشئ مطارا لعين صالح سنة 1955؛ وبرزت هجرة اليد العاملة إلى حقول البترول بالجنوب الشرقي. كما برزت ظاهرة تدهور بساتين الواحات. بسبب الأجر المرتفع في تلك الحقول، بدلاً عن العمل في الفلاحة، وما تتطلبه من تحديات لتوفير دخل يفي احتياجات العائلة أحياناً ولا يليه أحياناً أخرى.

يقول أحمد أبوزيد في هذا الإطار: نجد انه حتى في الحالات التي يكون الهجرات في المجتمع الحديث متأثرة فيها بالظروف الايكولوجية فان الهجرة تتخذ شكلا يختلف عنه في المجتمع التقليدي او القبلي وتتبع نتائج مختلفة ايضا والواقع أن هذه الهجرات تنشأ في المجتمع الحديث نتيجة لتوفر ظروف اقتصادية معينة أكثر ما ترجع الى الظروف الايكولوجية الخالصة.³

ويضيف في هذا الإطار بقوله: "أن كان كثير من التغيرات والظروف الاقتصادية تنشأ هي ذاتيا عن الشروط الايكولوجية وما تتعرض له هذه الشروط الايكولوجية وما تتعرض له هذه الشروط احيانا

¹Santini, P. Op.cit.

²Robert Ali Brac de la Perrière, Abderrahmane Benkhalifa, **Progression de la fusariose du palmier dattier en Algérie Bayoud**, revue Sècheresse, n° 2, Vol. 2, 1991, 119-128.

³أحمد أبوزيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 173-174.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

من تغيرات. فليس اكتشاف البترول مثلا في ليبيا سوى شرط ايكولوجي جديد لم يكن موجودا من قبل. وحين ظهر ادى الى هجرة البدو من المناطق الصحراوية الى المدن ومراكز التنقيب والاستكشاف للعمل مع شركات البترول، ما ترتب عليه حدوث كثير من التغيرات في البناء الاجتماعي التقليدي.¹

3. 1 مشروع تنقيب واستغلال الغاز الطبيعي:

اكتشف الغاز الطبيعي بعين صالح سنة 1954 حيث نامت فرنسا بالتنقيب 'لمدة سنتين في المنطقة لاكتشاف جيب غاز كبير، عام 1954 في جبل برجا، 100 كم جنوب عين صالح.²

حالياً، يعد مشروع غاز عين صالح أول وأكبر مشروع غازي في الجزائر. كان هذا المشروع من اهم المصادر المالية والموارد الاقتصادية لهذه المنطقة. واعتبر محور جذب لشركات وطنية وأجنبية وفرت فرص عمل محلية ووطنية. واعتبرت عين صالح من بين مجتمعات معالجة الغاز الطبيعي في الجزائر.

وبدأ هذا المجمع في "معالجة الغاز الطبيعي الإنتاج سنة 2006، بطاقة إجمالية تبلغ حوالي 9 مليار م³ في السنة من الغاز الطبيعي، يهدف إلى معالجة إنتاج سبع حقول متواجدة في عين صالح ويتم نقل الغاز المسوق من خلال أنبوب يربط بين عين صالح وحاسي الرمل.³

ساهم مشروع "غاز عين صالح" في خفض معدلات البطالة. كما شارك القوى العاملة المحلية في مختلف مكونات المشروع وفقا لمؤهلاتهم المهنية. تستفيد السلطة المحلية لبلدية عين صالح، وإلى حد كبير من إنجاز هذا المشروع للغاز، وخاصة بالنسبة للإيرادات المتعلقة بالإيجار الضريبي. جميع الضرائب على النشاط المهني والقيمة المضافة وضريبة الدخل الكلي وضريبة التلوث البيئي هي المصدر المالي الرئيسي للمجتمع المحلي في عين صالح. وتعبئ هذه الإيرادات في مشاريع التنمية المحلية، ولا سيما المشاريع المتصلة بالإسكان والهياكل الأساسية.

نتيجة لهذه التحولات انتقلت تيديكلت (عين صالح) من منطقة شبه حضرية (Semi Urbaine) عام 1998 بعدد سكان بلغ 19569 نسمة إلى منطقة حضرية (Semi Urbaine) عام 2008 بعدد سكان قدره 22238 نسمة، وذلك بمعدل نمو حضري مساوي.¹

¹ أحمد أبو زيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 173- 174.

² Maire A. Savelli A. In Salah et le Tidikelt oriental ; étude historique ,géographique et médicale. Archives de l'Institut Pasteur d'Alger. 1955 Déc. ; 33(4) :367-43. P 404.

³ بلعق مطفى، بومدين محمد رشيد وبين رمضان أنيسة، الغاز الطبيعي في الجزائر: أفاق واعدة وتحديات، مجلة التنظيم والعمل، تلمسان العدد 4 ص

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

لاشك في أن هذه التحولات، لها تأثيراتها على المجتمع من ناحية البيئة والصحة؛ لذلك أدرجنا هذه النقطة لنوضح الوضع الحالي للمنطقة. فربما تنتج هذه الشركات أو المنشآت تلوث للبيئة مما سيؤثر على صحة الانسان، وبالتالي يدخل في دوامة البحث عن العلاج سواء كان أكاديمي أو تقليدي خاصة لسكان المنطقة.

4. السكن:

وفيما يتعلق بنمط البناء بذه المنطقة فإن الحظيرة السكنية "تتميز بالبناء الأفقي المتمثل في نمط السكن الفردي، كما أنها تتوفر على مرافق عمومية متنوعة أكسبتها أهمية إقليمية من خلال مجال نفوذها داخل ولاية تمنراست وإلى امتداد بلديات الولايات المجاورة."²

استفادت المنطقة من المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية عين صالح، لعام 1997 إلا أنها بستة مخططات مصادق عليها إلا أنها "لم تحترم أو أدخلت عليها تعديلات أو أنها بقيت حبراً على ورق ولم تطبن."³

أما بالنسبة لفلسفة تخطيط النسيج العمراني، فنجد أن "الاستعمار الفرنسي خلال تواجده بالمدينة ركز على التشجير الكثيف لتوفير الظلال بشكل طبيعي، وقد تم فيما بعد خلال سنوات الثمانينات اللجوء إلى إنشاء ممرات بجاني الطرق على شكل أقواس مسقفة بغية توفير الظلال لسير المشاة"⁴.

وفي الوقت الحالي "أصبح التوسع العمراني في كل أطراف المدينة يعتمد على الخطة الشطرنجية بشوارع شبكية واسعة بدون ممرات مسقفة أو تشجير لحماية المشاة من التعرض لأشعة الشمس."⁵

عرف النسيج العمراني كذلك تغيراً هيكلياً مس حي وسط المدينة، حيث تم تهديم شبه كلي للنواة الاستعمارية التي كانت محاطة بسور وتحوي الإدارة الاستعماري."⁶

¹مخطاري مصطفى خطاب سفيان، مرجع سابق.

²نفس المرجع.

³مخطاري مصطفى خطاب سفيان، ص

⁴نفس المرجع.

⁵نفس المرجع.

⁶نفس المرجع.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

5. خصوصيات موضع المدينة

تتميز منطقة تيديكلت بخصوصيات موضع المدينة، حيث كانت الأنوية القديمة للقصور في مدينة عين صالح تأخذ في الحسبان "خصوصيات الموضع في مسألة زحف الرمال بفعل الرياح بتركها لمرات خاصة لذلك، فإننا نجد التوسع الحالي للنسيج العمراني في بعض أجزائه تجاهل هذا الأمر، حيث أنه وابتداءً من سنوات السبعينات تم تعمير الممرين اللذين خصصا في السابق للمرور الزواجر الرملية؛ وهو ما نجم عنه تضرر عدة مباني ومنشآت قاعدية في المدينة جراء زحف الرمال عليها"¹.

هذا يعني أن السكان القدامى كانت لهم دراية بالموضع الطبيعي للمنطقة مما سمح لهم بإنجاز المدينة بطريقة تتماشى والنمط الثقافي للمجتمع و هذا الأمر يفسر لنا أهمية القيم الثقافية لتنمية مجتمع ما يأخذ بعين الاعتبار هذا المفهوم، 'فلا يمكن أن نتصور إبعاد القيم الثقافية، بصفته متغيرات أساسية لحصر المشاكل وحلها؛ من سياسة التنمية، وإذا ما فهمنا هذه القيم الثقافية من حيث معناها الواسع، أي كمجموعة من التصورات الأيديولوجية التي يضفي عليها المجتمع قيمتها، فإنها في نهاية الأمر تشكل القاعدة الوحيدة التي تركز عليها أصالة التنمية"²

6. تأثير المتغيرات البيئية على الصحة، الإنسان والبيئة، بين الصحة والمرض

يقول أمين رويحة، في كتابه "الروماتيزم" "الصحة والمرض هما تجاوب الجسم للتأثيرات الطبيعية، المحتملة والغير محتملة."³ وقد سمي "سيلاي Selye (طبيب كندي) :

- أمراض الروماتيزم، والربو والأكريميا والشقينة، والإمساك، والجحوظ، والسكري، واضطراب ضغط الدم، سماها بأمراض التلاؤم. ويعني بذلك تنشأ من التلاؤم مع الحياة المدنية، وأنه من الممكن تلافي حدوثها والإصابة بها بالتلاؤم مع متطلبات الحياة الطبيعية."⁴

الطبيعية."⁴

يرجع الكثير من الأطباء بعض الأمراض إلى أسباب بيئية تؤثر على صحة الإنسان وتؤدي في بعض الأحيان إلى الوفيات. حيث بات التلوث البيئي مع التغيرات المناخية في العالم، من الأمور التي دق

¹ نفس المرجع.
² ناجي سفير، محاولات في التحليل الاجتماعي، ج1، التنمية والثقافة، تر. م.ع. بن ناصر، ديوان المطبوعات الجامعية، السنة غير واردة، ص12
³ أمين رويحة، الروماتيزم: تكوينه - شفاؤه، دار القلم، بيروت، لبنان، 1960، ص 15
⁴ أمين رويحة، نفس المرجع، ص 15 و16.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

ناقوس الخطر لها، نظراً لما ينجم عن هذه التغيرات والملوثات من آثار سلبية أوبئة وأمراض مع انعدام كفاية المرافق الصحية. وكلها عوامل تؤثر على البيئة الاجتماعية والاقتصادية.

بالنسبة لمنطقة تيديكلت من المناطق المصنفة كمنطقة وبائية على غرار أدرار وتمنراست، بحسب مديرية الصحة العمومية، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر الأمراض المنقولة عبر المياه التي يُعزى سببها الى تدهور جودة المياه وأنظمة الصرف الصحي؛ ضف إلى ذلك أمراض الجهاز الهضمي، الرأس السعال الحساسية، الروماتزم، السكري والضغط الدموي.

1.6 التغيرات الاجتماعية وأثرها على البيئة

فيما مضى، كانت الأمراض المعدية تنتشر بسبب الحروب والاستعمار وما كان يسبقه من استكشافات، وقد وثق أطباء ومستكشفين أوروبيين الأمراض التي كانت تميز المناطق الصحراوية قبيل الاستعمار الفرنسي، وأحصوا أمراض أخرى بعد غزوهم لهذه المناطق والتي ظهرت بسبب جنودهم الذين نقلوا العدوى الى تلك المناطق السليمة.

من بين هذه الدراسات، ندرج دراسة فوانو¹ Voinot "معنونة بالتيديكلت وهي دراسة جغرافية وتاريخية لأعراف المنطقة، حيث تطرق الى الأمراض التي كان يعاني منها سكان المنطقة مع ذكر الوصفات المتخذة في ذلك في حديثه عن الحياة المحلية/الداخلية

أفرد ثلاث صفحات يتحدث فيهم عن الممارسات الصحية المتخذة ضد بعض الأمراض وأثار إلى محدودية الممارسات الصحية هناك. وبطبيعة الحال كانت ميزة الدراسات الأنثروبولوجيا الفرنسية في الجزائر إبان الاحتلال في مرحلتها الأولى، حيث أوكلت هذه الدراسات إلى ضباط عسكريين وموظفين، يتبعون ما تمليه عليهم المؤسسة العسكرية، مما أضف على إنجازاتهم النظرة الإيديولوجية، بمقارنة هذه الشعوب بالغرب والاستخفاف في غالب الأحيان بثقافة الشعب الجزائري المسلم.

مما سبقت الإشارة إليه فان لويس فوانو أشار إلى الممارسات الصحية بمنطقة تيديكلت وقال عنها أنها استخدامات بأدوية بسيطة، ومزوجة مع الكثير من الزبدة أو الدهون، أو حتى إلى لحم الماعز.

هذه الاستخدامات كانت في معظمها من البيئة التي يعيش فيها السكان. ميزتها البساطة بحسب طبيعة عيشتهم البسيطة والغير معقدة كما كان حال الغرب آنذاك.

¹L. Voinot. Le Tidikelt : Etude sur la géographie, l'histoire et les mœurs du pays, Op.cit. Pp 449-451.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

أما أنواع الأمراض المذكورة فكانت ممثلة في:

الأدوية المسهلة Purgatif؛ خلطات مُجَدِّدَة لِلنِّشَاطِ Infusions rafraîchissantes؛ القيء Vomissements؛ الروماتزم/الرثية E.rhumatismes؛ حمى وأمراض الكبد Fièvre et maladies de foie؛ نزلات البرد Rhumes؛ التهاب الشعب الهوائية E.ronchites؛ بصبق الدم Crachements de sang؛ التهاب اللوزتين Angine؛ الدمامل Furoncles؛ إصابة Blessures؛ عتّة Teigne؛ لدغات الأفاعي والعقارب Piquûres؛ اليرقان Jaunisse؛ السيلان Blennorrhagie؛ التريف La saignée؛ ألم الصداع vipères et de scorpions؛ تسمين Engraissement. كما تعرض لطرق اعناية بالحيوانات الاليفة واستعمالاتها.

في المرحلة الموالية لتغلغل الاستعمار الفرنسي، أصبحت هناك دراسات متخصصة يقوم بها أطباء وغيرهم بغرض دمج المجتمع في السياسة الاستعمارية والسيطرة على المجتمع ككل. ومن بين هذه الدراسات، تلك التي قام بها معهد باستور في الجزائر.

6. 2 تغيرات بيئية واجتماعية في بعض دراسات معهد باستور حول تيديكلت

أفرد معهد باستور بالجزائر دراسات حول تيديكلت عن الأمراض البيئية والأوبئة ومنها:

دراسة أرنود Arnaud حول الملاريا بتيديكلت، والتي رأى فيها بأن مؤشر لطحال هو فقط 3.1؛ وأن نوع الملاريا الوحيد الذي وجد آن ذاك هو A. Multicolor. وكانت النتيجة التي توصل لها بعد إجرائه لدراسة طبيعية وبشرية للمنطقة، أنه ربط وجود المياه الفائضة بوجود البعوض المسبب للملاريا. فخلال الطقس الحار الذي يستمر من مايو إلى أكتوبر تجف الأماكن الراكدة الناجمة عن مياه بساتين الخيل، بينما بقية السنة تنتشر مواقع هذه المياه، وبالتالي، ينتشر البعوض. هذا ما جعله يقوم بتجربة امداده بسمك البعوض 'جامبوسيا' من واحة المنيعه، على بعد 420 كيلومترا إلى الشمال، وجعلها تتأقلم تدريجيا بمياه عين صالح المالحة حيث أثبتت نجاحها.

اعتبرت أول تجربة تربية الأسماك، فقد قام القائد Estèbe A. سنة 1933 بفكرة انجاز مشروعه سنة 1934. بهدف القضاء على الملاريا، استناداً الى التقرير الذي قام به الدكتور بوني Bonnet سنة 1923 حول دراسة الوضع الوبائي للملاريا.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

أعدت دراسة جغرافية ومناخية واثنية وكذلك هيدرولوجية حول منطقة عين صالح. تم التعرف من خلالها على بؤر تكون يرقات البعوض في البساتين والآبار والسبخة. وتم تحديد موسم الحر الذي يمتد من شهر ماي إلى شهر أكتوبر؛ ومن شهر أكتوبر إلى شهر أفريل، أين تتشكل التجمعات المائية في البساتين وفي المناطق المنخفضة لبساتين النخيل. تسمح هذه الظروف الجوية بتطور يرقات البعوض في شهر ديسمبر إلى غاية شهر فيفري، حيث تشهد فترة توقف تطور اليرقات.¹

أعتبر بعوض الأنوفيل متعدد الألوان *Anophélins*، الناقل المسؤول عن انتقال الملاريا بحسب بيروني Béreni 1950.² وهو من بين الأنواع البعوض الملتقط، تم التعرف عليه من طرف MM.F.W.Edward و G.Senevet وهي:

Culieines : (*Aopheles multicolor*) (*Aedes caspius*), (*Theobaldia longiareolata*).

(*Th. Annulata*)³

اعتبرت دراسة بيريني "Béreni" نموذجاً لكفاح ضد الملاريا دام ثلاثون عاماً بعين صالح (تيديكلت)؛ وفي سنة 1935 كتب تقريراً عن الأوبئة والوقاية من الملاريا بتيديكلت. وقد اجريت تعديلات بالمنطقة وذلك بحفر المصارف و اجراء بعض التهيئات لزراعة وتربية سمكة البعوض في الأحواض.

وفي عام 1950 كان معدل مرض تضخم الطحال لـ 284 طفلاً لأقل من 15 عاماً من العمر، لم يتجاوز 7 في المائة: أي ممن يعانون من تضخم الطحال في الحافة الضلعية. كما تضمن التقرير القليل من الحالات، إن وجدت، فهي من الملاريا المكتسبة محلياً في عين صالح.

دراسة مير وسافيني⁴ A. Mair et A. Savelli عن المعنونة بـ "عين صالح تيديكلت الشرقية، دراسة تاريخية، جغرافية وطبية، أرشيف معهد باستور بالجزائر" نعد من الدراسات التي خصصها معهد باستور بالجنوب الجزائري كما هو الحال لدراسة ديفورس⁵ Devors. حول منطقة أدرار، والتي تندرج تحت نفس العنوان. وكذا دراسة من طرف رامس Rames بمنطقة بني عباس

¹Arnaud, J. **La prophylaxie du paludisme a In Salah**, Archives del'Institut Pasteur d'Algérie., Vol.13 No.3 1935, pp.369-376, p370.

²Béreni, J. **Trente ans de lutte antipaludique à In Salah (Tidikelt)** Archivent de l'InstitutPasteur d'Algérie 1950 Vol.28 No.4 pp.464-8.

³Arnaud, J. Op.cit.

⁴A.MAIR et A.SAVELLI. **In Salah et le Tidikelt oriental, Etude historique, géographique et médicale**, Archives de l'Institut pasteur d'Algérie. T.32 n° 4 Décembre, 1955, p268

⁵Devors P. **Le Touat. Étude géographique et médicale**. Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, T. 25, n° 3-4sept-déc., 1947, pp 223-274.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

شملت دراسة مير وسافيني مجموع المعلومات حول منطقة تيديكلت اعتماداً على الدراسات السابقة من قبل زملائهم. كانت دراسة الأمراض تتلخص فيما يلي:

الأمراض: الأمراض المنقولة بالنواقل: الملاريا؛ التيفوس الطفحي؛ الحمى المتكررة القمل. داء الليشمانيات الجلدي. الأمراض المعدية: النكاف؛ السعال الديكي؛ الدفتيريا؛ الحمى التيفية؛ الحمى الروماتيزمية؛ الحمرة؛ داء البروسيلات (أو الحمى المتموجة أو الحمى المالطية)؛

حمى الطفح: الجدري؛ جدري الماء؛ الحصبة؛ السل. أمراض الطفولة، المرحلة الأولى والثانية. اضطرابات العين: التراخوما؛ ومكافحة مضادات العدوى. الأمراض التناسلية: السيلان. الزهري. الانعدام البكتيري المتراجع. أمراض الجلد.

أمراض أخرى: التهابات الجهاز التنفسي؛ أمراض الكلى. أمراض القلب والأوعية الدموية؛ أمراض الجهاز العصبي. أمراض الجهاز الهضمي. القصور/النقص الغذائي. البيئة: الدود المعوي. التسمم التشوهات الخلقية الأمراض الجراحية. القبالة/التوليد. طب النساء. وأخيراً الأورام.

وقد حوصل فيما بعد Savelli André في مقال له، عن الأدوار التي شغلها في المجال لطبي تيديكلت والأمراض التي واجهتهم أنداك بالأقاليم الصحراوية وهي معنونه بـ:

L'œuvre humanitaire de la France au Sahara, Le Service de Santé des armées dans les Territoires du Sud algérien (1900 -1976).

وهي دراسة سلط فيها الضوء على الظروف المعيشية لممارسة الأطباء العسكريين. وأبرز الأعمال العلمية المنجزة والتي ذكر فيها أشهرهم: ككانج، وريبول وهنري فولي. واستعرض الكاتب مختلف الأمراض التي واجهتهم، والطرق العلاجية والوقائية المنتشرة؛ في حالة أمراض العين، وأبرز التفاني الاستثنائي لطبيب العيون الشهير بمستشفيات الجزائر، رينيه أنطوان، في العلاج الوقائي للعمى. وأنهى مقاله باستحضار ذكريات شخصية استخلصها بعين صالح في إطار العمل الإنساني لفرنسا في الصحراء دائرة صحة الجيوش في الأقاليم الجنوبية الجزائرية (1900-1976).

وقد سبق لألماني جيرهارد هولفس، أن أشار إلى بعض هذه الأمراض عند اختراجه للصحراء الكبرى سنة 1865، "يكتب هولفس على مرضه في غدامس كما يبينه برغم أن الطقس لا يمكن وصفه فإنه

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

غير صحي للأوربي تحمله، وأكثر الأمراض انتشاراً هناك أمراض العيون، الزهري، والحمى، والدوستاريا، وفي عام 1865 كدت أكون أنا شخصياً ضحية للدوستاريا في غدامس.¹

وقد أبرزوا لنا الظروف الاجتماعية التي كانت تعاني منها هذه المناطق من فقر وحرمان ومجاعات إلخ.

ومما سبق ذكره، فإنه مما لا شك فيه أن التغيرات الاجتماعية التي حلت بمنطقة تيديكلت من مشاريع وانجازات ساهمت في نمو سكاني مع تزايد في الأنماط الاستهلاكية أثرت على البيئة السليمة. فموقع المنطقة بقلب الصحراء يعد مجال مفتوح لكل المستجدات والتغيرات، كالهجرة البشرية للعمل في الشركات البترولية والغازية، أو بغرض التنقل أو التبادلات التجارية وغيرها من التعاملات الاقتصادية. فمن غير المستبعد أن تنتشر أمراضاً جديدة أو متوطنة -لكنها كامنة- على استعداد لأن تعود للظهور مرة أخرى.

7. الأمراض السارية وغير سارية من الأمراض البيئية

1.7 الأمراض السارية: "هي فئة فرعية من الأمراض المعدية التي تنتقل إلى الأشخاص الآخرين، إما عن طريق الاتصال الجسدي مع الشخص المصاب بالمرض، أو عن طريق اتصال الإفرازات أو من خلال الهواء الجوي. تختلف العدوى بين الأمراض"²

2.7 الأمراض المعدية: "هي اضطرابات تحدث بسبب كائنات صغيرة — مثل البكتيريا، أو الفيروسات، أو الفطريات، أو الطفيليات. تعيش العديد من الكائنات الدقيقة في أو على أجسامنا. هذه الكائنات عادةً ما تكون ضارة، أو نافعة. ولكن في ظل ظروف معينة، فإن بعض الكائنات الصغيرة قد تُسبب الأمراض"³

يُمكن أن تنتقل بعض الأمراض المعدية من شخص إلى شخص آخر. بعض الأمراض تنتقل بسبب الحشرات، أو حيوانات أخرى. وقد تُصاب بأمراض أخرى بسبب تناول طعام أو شرب ماء ملوث، أو بسبب التعرض لكائنات صغيرة في البيئة. قد تختلف العلامات والأعراض حسب الكائنات

¹ راينر ك. لانجر، سر الصحراء الكبير اقتفاء اثار باحث الصحراء جبرهارد هولفس، مرجع سابق، ص30.

² <https://ar.wikipedia.org/wiki>

³ <https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/infectious-diseases/symptoms-causes/syc-20351173>

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

الصغيرة مسببة العدوى، ولكنها تتضمن الحمى والإعياء. قد تستجيب العدوى البسيطة للراحة، والعلاجات المتزلية، بينما أنواع العدوى المهددة للحياة قد تتطلب الذهاب إلى المستشفى.¹

كما أن "بعض الأمراض المعدية، مثل الحصبة، وجدري الماء، يُمكن منعها من خلال التحصينات. يُساعد أيضاً غسل الأيدي المتكرّر والشامل على حمايتك من غالبية الأمراض المعدية."²

في 2005 صممت اشتراطات "لتأخذ في الحسبان العوامل البيئية التي تزيد خطورة الأمراض المعدية وتضم: التعدي المكثف للإنسان على البيئة الطبيعية؛ زيادة التحضر والازدحام في المجتمعات الإنسانية؛ التغيرات المناخية والمكانية التي أدت إلى تغير كثافة نواقل المرض وتوزيعها الجغرافي؛ الزيادة المستمرة في السفر الدولي والتجارة الدولية ومنها تجارة المواد الغذائية؛ تغير ممارسات تكاثر الحيوانات؛ تغير أنماط مقاومة الأدوية"³

3.7 الأمراض الغير سارية - أو المزمنة - بحسب منظمة الصحة العالمية "هي أمراض تدوم فترات طويلة وتتطور ببطء في غالب الأحيان. وتنقسم الأمراض غير السارية إلى أربعة أنواع رئيسية هي الأمراض القلبية الوعائية (مثل النوبات القلبية أو السكتة الدماغية) والسرطان والأمراض التنفسية المزمنة (مثل مرض الرئة الانسدادي المزمن والربو) والسكري."⁴ وهي تتسبب في خسائر سنوية في "الأرواح التي تتمثل في الوفاة المبكرة -دون السبعين من العمر- لنحو 16 مليون شخص نتيجة لأمراض القلب والرئة والسكتة الدماغية والسرطان وداء السكري، وفقاً لتقرير جديد (2015) صادر عن منظمة الصحة العالمية"⁵

4.7 نظرة أطباء منطقة تيديكلت حول الأمراض المتواجدة بها

وقصد تعميق البحث من وجهة أكاديمية أخرى، و يعتبر امتداد لميدان بحث الطالبة، توجهنا باستمارة لـ 21 طبيب بمستشفى عين صالح⁶ من مختلف الاختصاصات. شملت محور المعلومات الشخصية، محور الأمراض الأكثر تواتراً في المنطقة وأسبابها، وهل يستعمل الأطباء التداوي بالأعشاب،

¹ Ibid.

² Ibid.

³ دافيد ل. هايمان **مكافحة الأمراض السارية**، ط. 19، 2008. تر. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، منظمة الصحة العالمية، القاهرة، 2010، ص 29.
⁴ منظمة الصحة العالمية، عشر حقائق عن الأمراض غير السارية، آذار/مارس 2013 متاح على الرابط:

https://www.who.int/features/factfiles/noncommunicable_diseases/ar

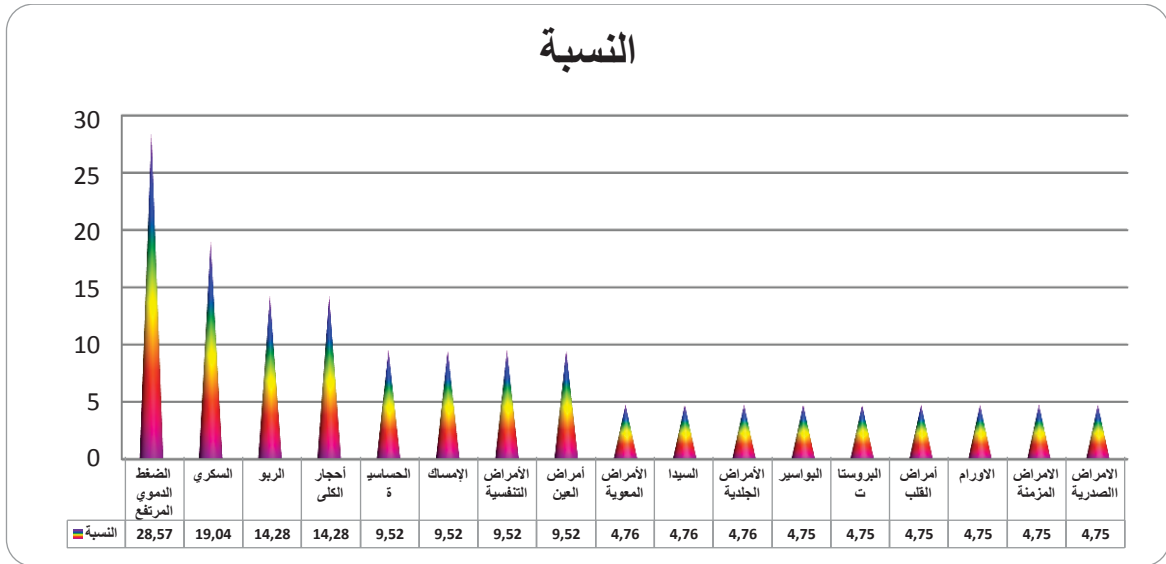
⁵ منظمة الصحة العالمية، الأمراض غير السارية تتسبب في 16 مليون وفاة مبكرة سنوياً، ومنظمة الصحة العالمية تحت على المزيد من العمل متاح على الرابط: <https://www.who.int/ar>

⁶ وكما جاء في تقرير مديرية الصحة والسكان لولاية تمنراست الفترة من 2015/01/01 الى 2015/12/31. شملت الموارد البشرية في المؤسسة الاستشفائية بعين صالح على النحو التالي: أطباء أخصائيين 21؛ طبيب عام 15؛ أطباء جراحة اسنان 2؛ صيدلية 0؛ شبه طبي 186 الفحوصات المتخصصة

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

بغرض التعرف على أهم الأمراض والأكثر تواتر في منطقة تيديكلت وهم: 7 أطباء في الطب العام، طبيب واحد 1 جراحة عامة، طبيب واحد 1 في طب العيون، طبيب واحد 1 في طب أطفال، طيبان 2 في طب القلب، طيبان 2 في الطب الداخلي، طيبان 2 في الإنعاش التخدير، طيبان 2 الأمراض الصدرية، طبيب واحد 1 في جراحة الكلى، طبيب واحد 1 في طب الأنف الأذن والحنجرة، طبيب واحد 1 في الطب الشرعي.

وقد تراوحت خبرة هؤلاء الأطباء ما بين السنة إلى عشرين سنة من كلى الجنسين 11 ذكور و10 إناث ومن ضمنهم صيدلي. الشكل الموالي يبين أهم هذه الأمراض:



الشكل رقم (6): الأمراض الأكثر تواترا حسب الأطباء المستجوبين

يُبين الشكل أن الضغط الدموي المرتفع من أبرز الأمراض في المنطقة، بنسبة 28.57 بالمائة، ويليه السكري بنسبة 19.04 بالمائة، أما الربو بنسبة 14.28 بالمائة.

يعتبر "الضغط الدموي العالي يصاب به أكثر الناس 1/20، أي إن من بين كل عشرين شخص يصاب به شخص واحد من النوع العام الشائع، الذي لا يمنع العيش بحياة سوية عادية، و إن من بين مئة شخص يعانون من حالة إفراط التوتر (ضغط دموي شرياني عالي) يوجد خمسة أشخاص مصابون بالنموذج الخبيث ويسمى إفراط التوتر الشرياني الثانوي ويحدث غالياً عن الإصابة بمرض الكلية

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

الإنتاني المزمّن أو عن تقصير في عمل الشريان الأبهري¹ وغيرها من التفاصيل الدقيقة الخاصة بذوي الاختصاص.

ثم يليها مرض السكري بنسبة 19.04 بالمائة. عمل الغدد الصماء كمعامل صغيرة ودقيقة عبر قيامها بإفراز مواد كيميائية تُسمى هرمونات - تنساب في الدم مباشرة، لتصل إلى مُستقبلاتها المنتشرة على أسطح الخلايا، وتمارس عملها بالتحكم في عمليات البناء والنمو والتمثيل الغذائي والتكاثر. ورغم الكمية الضئيلة التي تتواجد بها تلك الهرمونات، إلّا أنّ أي خلل بالزيادة أو النقصان يؤدي إلى عواقب وخيمة وأمراض خطيرة، ويُعتبر مرض السكري أحد هذه الأمراض.²

والسكري هو حالة مرضية مزمنة (تحتاج لعلاج مدى الحياة) غير مُعدية، ناتجة عن عوامل وراثية وبيئية مختلفة، وتحدث بسبب نقص نسبي مُطلق في إفراز هرمون الأنسولين الذي يقوم بنقل السكر من الدم إلى خلايا الجسم، وهذا بدوره يؤدي إلى عجز الجسم عن الاستفادة من السكر في توليد الطاقة بصورة فعالة. عند ذلك يتراكم السكر في الدم ويتسرب إلى البول عن طريق الكليتين.³

أثبت علمياً، أن هناك علاقة بين المرضين، أين تدخل العوامل البيئية والوراثية في هذه الحالات. "يرتبط ارتفاع ضغط الدم في كثير من الأحيان بمرض السكري وهو عامل مشدد في جميع المضاعفات وهو أمر شائع في مرضى السكري."⁴ قالت الدكتورة إيناس شلتوت، أستاذة أمراض السكر بطب القاهرة ورئيس الجمعية العربية لدراسة أمراض السكر:

"أن مرض ارتفاع ضغط الدم أكثر أمراض العصر انتشاراً، حيث يصيب حوالي 65% من الناس فوق سن الخامسة والستين، وبالتالي تزداد نسبة حدوث المرض مع تقدم السن بسبب تصلب الشرايين. أما قبل سن الخمسين فنجد أن 33% من الرجال يصابون بارتفاع ضغط الدم مقابل 27% من السيدات، أما بعد سن الخمسين فتكون السيدات أكثر عرضة للإصابة به من الرجال بسبب تغيرات الهرمونات وزيادة الوزن. أما الأشخاص ذوي البشرة السمراء، فهم معرضون أكثر من غيرهم بالإصابة بهذا المرض، نتيجة لبعض العوامل الوراثية وزيادة تناول الملح والضغط البيئية المتزايدة."⁵

¹ هرمن بوميرانز، الضغط الدموي وكيف نتعايش معه، عربيه بتصرف عبد الحليم عبد الله العلمي، ط.3، دار النفائس، بيروت، 1985، ص 8
² منير لطفى محمد علي، السكري الداء والدواء، ط.2، دار البدر للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2015، ص 15
³ نفس المرجع، ص 21

⁴M. Kamoun S. Hajem, N. Achour, H. Slimane, **Relation entre hypertension artérielle et diabète en population générale**. Annales d'Endocrinologie Vol 67, N° 5 - octobre 2006 p. 521. Doi : AE-10-2006-67-5-0003-4266-101019-200605781.

⁵عفاف السيد، هل هناك علاقة بين مرض السكر وارتفاع ضغط الدم؟، الثلاثاء 14 ديسمبر 2010 03:32 م موقع مزار يوم 2019/02/07.
<https://www.youm7.com/story/2010/12/14/>

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تيديكلت

وعلى سبيل المثال لا الحصر أوضحت دراسة جزائرية كذلك، أن "مرض السكري من النوع الثاني 2 وارتفاع ضغط الدم مرتبطان ارتباطاً وثيقاً. فارتفاع ضغط الدم (HTA) يزيد بشكل كبير من مخاطر مضاعفات الأوعية الدموية الصغرى والكبرى لمرض السكري. وانخفاض ضغط الدم فعال على الأقل، لتوازن نسبة السكر في الدم وللمحد من مضاعفات مرض السكري. ويحدد فحص القصور الكلوي اختيار العلاج الأولي الخافض لضغط الدم."¹

وبلغت نسبة مرض الربو 14.28 بالمائة، وهي نسبة لها قيمتها بمنطقة تيديكلت، أين يعاني الكثير من المرضى حالات ضيق التنفس، خاصة وأن الموقع الجغرافي عبارة عن أروقة للرياح والزوابع الرملية. ضف إلى ذلك احتوائها على حقول الغاز والبتروول، مما يسبب في تلوث الجو، وربما سيكون له تأثير على صحة السكان في حالة عدم اتخاذ الإجراءات الوقائية.

والربو يندرج ضمن الأمراض الصدرية حيث كانت إجابة المبحوثين تتصدر النسب كما ورد في أعداد 46.6 بالمائة.

كما شملت نفس النسبة الحصى الكلوي (أحجار الكلى) 14.28 بالمائة. وبنسب متساوية 9.52 بالمائة لكل من مرض الحساسية، الإمساك، الأمراض التنفسية وأمراض العين. فبالنسبة لأمراض العين بحسب الأطباء، تمثلت في الماء الأزرق والماء الأبيض وحساسية العين. فالماء الأزرق في العين (الجلوكوما) هو عدة حالات تسبب تلفاً في العصب البصري الناجم عن ارتفاع الضغط داخل العين، ويؤدي إلى تراجع القدرة على الإبصار، وفي حال إهمال العلاج يؤدي إلى العمى - لا قدر الله - فالمريض يرى أحياناً هالات زرقاء حول مصادر الضوء، ومن هنا جاءت التسمية²

و الماء الأبيض، تعريف المرض: الماء الأبيض أو ما يعرف أيضا بـ"الساد أو الكاتراكت"، وهي العتامة التي تصيب عدسة العين التي بطبيعتها شفافة وتوجد خلف القرنية، وعندما يتكون الساد فان العدسة الطبيعية تبدأ بفقد شفافيتها تدريجياً وتصبح معتمه مما يمنع مرور الضوء من خلالها، ومن ثم تصبح الرؤية مشوشة وغير واضحة. وقد يصيب الإنسان في مرحلة عمرية. وهو أحد أهم أسباب العمى الكلي أو الجزئي على المدى البعيد³ وهذه الأمراض منتشرة في هذه المنطقة.

¹N. Lanasri, **Hypertension artérielle et diabète**. Service de médecine interne Hôpital de AIN-TAYA Pr.A.Biad.

http://www.santetropicale.com/santemag/algerie/comscien_pdf/fmc_oebouaghi_2010/12.pdf.

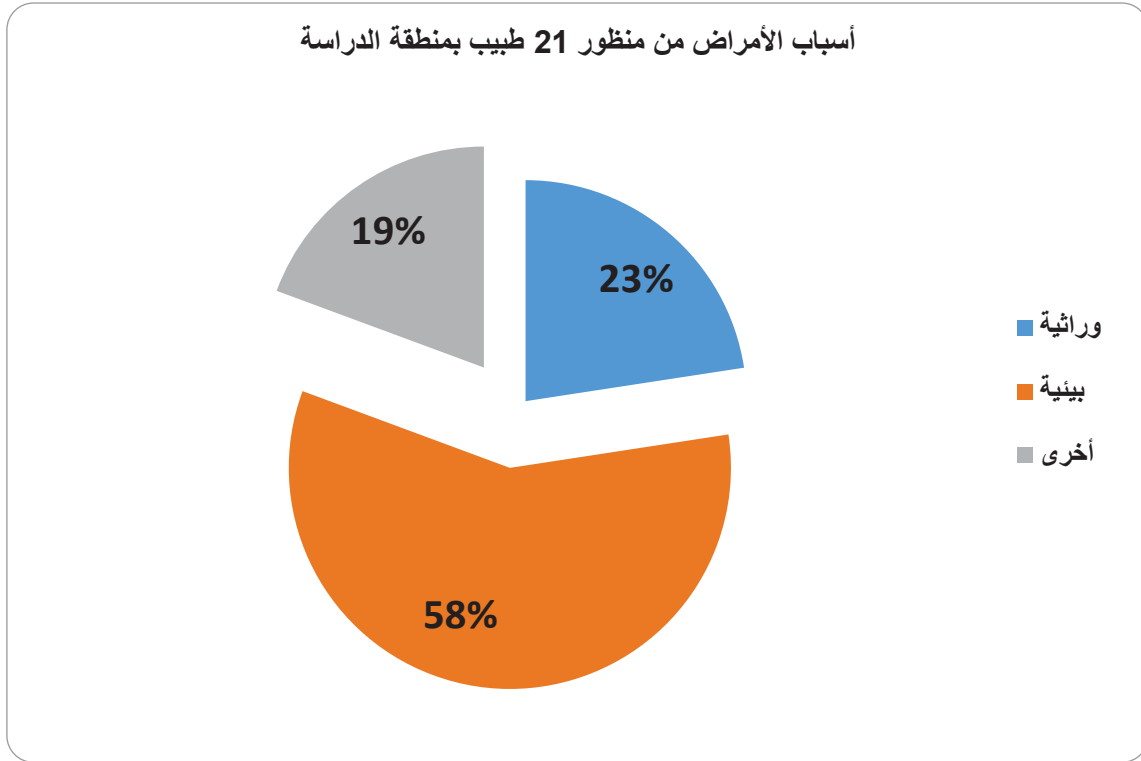
²<https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/DiseasesOp.cit>

³ Op.cit

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

أما النسبة 4.76 بالمائة، فقد اشتملت الأمراض المعوية، والسيدا والأمراض الجلدية، البروستات، الأورام، أمراض القلب، الأمراض المزمنة والأمراض الصدرية وأمراض الفيروسات.

كما حاولنا معرفة طبيعة هذه الأمراض وعن أسبابها من منظور هؤلاء الأطباء (الشكل 2)، إذا ما كانت بيئية أم وراثية أم هناك أسباب أخرى. فكانت نسبة الأسباب البيئية أعلى نسبة 58 بالمائة، ثم تلتها الأسباب الوراثية بنسبة 23 بالمائة، أما أسباب أخرى، فمثلت 19 بالمائة.



الشكل رقم (7): أسباب الأمراض من منظور 21 طبيب بمنطقة الدراسة

يتضح أن للبيئة تأثير على الإنسان وأن الإنسان ابن بيئته، وعن تأثيرات البيئة عليه، كما قال الزهراوي في المقالة الأولى "فصل في الأهواء ومنافعها ومضاره" الهواء الحار ينحف الأبدان، ويصفر اللون، ويهيج العطش، ويولد الجوع، ويحلل البدن. ويسرع الحميات، ويجلب الرعاف ونزف الدم، ويضعف قوى البدن. والهواء البارد أصلح في الأمر الأكثر للأصحاء لأنه يحفظ الصحة ويقوي البدن"¹ وقد أشار أمين رويحة، في كتابه الروماتيزم أن "الصحة والمرض هما تجاوب الجسم للتأثيرات الطبيعية المحتملة والغير محتملة."²

¹الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، تحقيق عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، ط. 1، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2001.
²أمين رويحة، الروماتيزم، دار الفلم، بيروت لبنان، 1986، ص15.

الفصل السادس: دراسة تأثير الإنسان على البيئة الحيوية وتأثره بها في تديكلت

وكل "مرض من الأمراض يبدأ باضطراب في الدورة الدموية، والأبحاث العلمية تسجل في حالة المرض وجود خلل في العمل الفيزيولوجي للعضو المصاب من خلال ما ورد عن الأمراض وما يعانيه المبحوثين، وكذلك إجابة الأطباء بمنطقة الدراسة.

خلاصة الفصل

نخلص إلى أن البيئة تأثر وتتأثر بوجود الكائن الحي، خاصة الإنسان بصفته المتسبب المباشر في مختلف التغيرات الواقعة على البيئة بصفة عامة وفي المناطق الصحراوية بصفة خاصة، مما يدفعه للبحث عن وسائل راحة. في ظل هذا الصراع الدائم للبحث عن سبل الراحة المستدامة، يعاني من الأمراض التي تفرضها عليه الطبيعة القاسية كأمراض الحساسية، والجلدية والروماتزم والضغط الدموي والأمراض السارية والغير سارية، بينما يستمر في التنقيب والبحث عن الثروات الظاهرة والباطنة في الصحراء الواسعة وما يخلفه من تلوثات بيئية، نتيجة لبحثه الجائر في بعض الأحيان عن هذه الثروات، والتي في المقابل تعود عليه بالنفع وربما الضرر، وكذا الثروة وربما المرض، الرفاهية وربما المعاناة.

الباب الثاني:
الدراسة الميدانية

الفصل السابع

التعرف على الأنماط السلوكية

الاجتماعية والتدواي بالأعشاب في

تيديكلت

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

تمهيد

التداوي بالأعشاب سلوك إنساني، يتأثر بالأنماط السلوكية الاجتماعية السائدة في مجتمع تيديكلت. فهو يبين مدى ارتباط المبحوثين بالمجتمع وسلوكياتهم اتجاه المرض؛ وذلك من خلال تمسكهم بالعادات السائدة هناك، في مختلف الفصول والمناسبات. ولرصد المعلومات التي تمنا في الدراسة، للتعرف على هذه السلوكيات اليومية سواء تعلق الأمر بالإجراءات الوقائية اتجاه المرض أو في حالة المرض.

وقد ارتأينا البدء بالتعرف على الأمراض السائدة بالمجتمع، وذلك من خلال معرفة الأمراض التي يشكو منها المبحوثين من جهة، ومن خلال النتائج المحصل عليها عن طريق استمارة مقابلة لأطباء (21 طبيب) يعملون بمنطقة عين صالح، وقد تعرضنا لهم في الفصل الأخير، من الجانب النظري*.

* يُنظر الفصل الباب الأول، الفصل الأخير.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

لمعرفة الأنماط السلوكية الاجتماعية اتجاه الاعشاب حاولنا في بداية الدراسة التعرف على أهم الأمراض التي يعاني منها المبحوثين.

1. التعرف على أهم الأمراض التي يعاني منها المبحوثين.

وكانت إجابة المبحوثين حول تساؤلنا عن الأمراض التي يشتكون منها ممثلة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (18): الأمراض التي يعاني منها المبحوثين

الأمراض	التكرار	النسبة
أمراض الجهاز التنفسي	145	46.6%
أمراض الجهاز الهضمي	200	64.3%
أمراض القلب والأوعية الدموية	118	37.9%
أمراض الجهاز التناسلي	71	22.8%
أمراض الجلد	65	20.9%
أمراض الجهاز العصبي	48	15.4%
المجموع	647	100%

نلاحظ من خلال الجدول ان المجموع الكلي الاجابات المبحوثين يفوق العدد الإجمالي للعينة 311 نظرا لتكرارات الاجابة لديهم ومثلت أمراض الجهاز الهضمي تمثل أعلى نسبة لدى المبحوثين 64.3 بالمائة، وهذه الأمراض تتضمن عدة أمراض بحسب العضو الذي تنتمي إليه في هذا الجهاز وهي¹: القرحة الهضمية؛ عسر الهضم؛ الإسهال عند الأطفال؛ التهاب الكبد الفيروسي؛ متلازمة القولون العصبي؛ الارتجاع المريئي؛ جراثومة المعدة؛ التهاب القولون التقرحي.

¹<https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases>. Site visité le 02/02/2018.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

بينما جاءت أمراض الجهاز التنفسي الأمراض الصدرية بنسبة 46.6 بالمائة، ويشمل هذا التصنيف أمراض الربو؛ مرض الرئة الإنسدادي المزمن؛ السعال الجاف. في حين احتلت أمراض القلب والأوعية الدموية المرتبة الثالثة بنسبة 37.9 بالمائة ويحتوي هذه الأمراض:¹

الكوليسترول المرتفع؛ أمراض القلب؛ التريف الدموي؛ ارتفاع ضغط الدم؛ فشل القلب؛ قسطرة القلب؛ تصلب الشرايين. ثم تأتي أمراض الجهاز التناسلي بنسبة 22.8 بالمائة، وتليها أمراض الجلد بنسبة 48 بالمائة وأخيراً أمراض الجهاز العصبي بنسبة 15.4 بالمائة بحسب إجابة الباحثين.

للإشارة فإن المجموع الكلي للتكرارات لا يساوي حجم العينة، وذلك لكون بعض الباحثين لديهم عدة أمراض أخرى، لذلك كان الاختلاف في حجم إجاباتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن نتائج الاستمارة المدعمة للدراسة، والمتعلقة بما أدلى به الأطباء في مدينة عين صالح، والمعتمدة على التشخيص العلمي للمرضى، سواء في المستشفى أو في عيادات خاصة، جاءت مرتبة على النحو التالي:

الضغط الدموي المرتفع، السكري، الربو، أحجار الكلى، والحساسية، الإمساك، أمراض العين، الأمراض المعوية السيدا، الأمراض الجلدية البواسير، البروستات أمراض القلب، الأورام الأمراض المزمنة والأمراض الصدرية. (وينظر في الفصل الأخير للباب الأول).

¹Ibid.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

2. الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين:

جدول رقم 19: استعمال الأعشاب من طرف المبحوثين باختلاف جنسهم

المجموع	لا يستعمل		يستعمل		استعمال الأعشاب الجنس
	ك	النسبة	ك	النسبة	
127	100%	6	40.19	21%	ذكور
184	100%	4	36.36	59.80	180
311	100%	11	3.53	96.78	301

يتضح من خلال الجدول أن أغلبية المبحوثين يستعملون الأعشاب للتداوي 95.17 بالمائة، وتبين لنا أن دراسة سلوكيات أفراد مجتمع البحث، أن التداوي بالأعشاب حاضراً في مختلف العادات والتقاليد المتوارثة منذ القدم؛ كما أن هناك نوع من التنسيق اتجاه ممارسة التداوي بالأعشاب من حيث بعدها الاجتماعي وهي حاضرة في الموروث الشعبي، وهذا يعني أن هناك بناء اجتماعي له دور محوري لهذه الممارسة.

لماذا البناء الاجتماعي؟ لأن الحياة الاجتماعية قال أبو زيد: "توفر نوع ما من التنسيق في المجتمع، وإلا استحال على أعضائه العيش معا. فالناس لا يستطيعون في الواقع الانصراف إلى شئونهم إلا لأنهم يعرفون نوع السلوك الذي يرتقيه الآخرون منهم، وكذلك نوع التصرفات التي يتوقعونها هم أنفسهم من الآخرين في مختلف مواقف الحياة الاجتماعية؛ كما أنهم يُنظمون نشاطاتهم تبعاً لقواعد مرسومة وحسب قيم معينة متعارف عليها. فهم يستطيعون التنبؤ والتكهن بالأحداث وبذلك يمكنهم ترتيب حياتهم بما يتفق ويتمشى مع حياة الآخرين."¹

والحياة في الصحراء تتطلب نمط معين للعيش فيها وهذا النمط يتطلب الوقاية من الأمراض، بأقصى حد ممكن، نظراً لقساوة طبيعتها التي تفرض على الإنسان التحايل للتأقلم معها، ويتطلب صراع مريع من أجل البقاء.

¹ أحمد أبو زيد محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978، ص 29.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

فلكل مجتمع له خصوصيته وله "صورة أو نمط معين يسمح لنا بأن نتكلم عنه على أنه نسق أو بناء يعيش فيه أفرادهم ويتزولون على مستلزماته. واستخدام كلمة بناء بهذا المعنى يتضمن وجود نوع من التماسك والتوافق بين أجزائه-على أي حال إلى الحد الذي يمكن معه تجنب التناقض الصارخ أو الصراع المشوق، وأنه يتمتع بدرجة من الديمومة والبقاء أكبر مما تحظى به معظم الأشياء العابرة السريعة في الحياة الإنسانية. وقد لا يفطن أفراد المجتمع نفسه إلى أن المجتمع بناء متميزاً".¹

ترقى ممارسة التداوي بالأعشاب، إلى البحث عن الأمان الصحي من خلال اتخاذ التدابير الوقائية لتجنب الأمراض هذا من جهة، ومن جهة أخرى توفير الدواء الطبيعي كإسعاف أولي، ويكون في الغالب من مهارات ربات البيوت اللاتي يضعن هذه الأمور بعين الاعتبار: كالحمى والاسهال والامساك والصداع وآلام الدورة الشهرية وغيرها من الحالات. وفي حالات أخرى تتخذ خبرات الكبار في السن في مجالات معالجات الأمراض التي يمكن السيطرة عليها بفضل الخبرة والدراية، وربما استعين بالمعالجين الشعبيين في المنطقة.

فالسلامة الصحية لأفراد المجتمع تتطلب الوقاية قبل العلاج. وبمنطقة تيديكلت، للوقاية تدابير خاصة ترتكز على عنصر الاستدامة، المنبثق عن ثقافة المجتمع، فهو نظام يسعى لإيجاد سبل لنظام غذاء صحي وأسلوب حياة صحية من أجل حياة صحية. تتبلور في إسعافاته الأولية وتحضيراته الدوائية، التي هي في الغالب متوارثة أب عن جد، وهي سلوكيات نرصدها في الحياة اليومية لأفراد مجتمع تيديكلت تتضمن بناؤها الاجتماعي.

حيث يوافق ذلك ما قاله أبو زيد على أن عن البناء الاجتماعي "الأي مجتمع ينطوي على عدد الأبنية أو الأنساق الثانوية الداخلة في تكوينه؛ وبذلك يمكن أن نتكلم عن النسق القرابي أو النسق الاقتصادي أو النسق الديني أو النسق السياسي في هذا البناء الكلي. ويتخذ السلوك والتصرفات الاجتماعية داخل نطاق هذا النسق شكل النظم الاجتماعية كالزواج والعائلة والأسواق والرياسة وما إليها. وحين نتكلم عن وظائف هذا النظام فإننا نقصد الدور الذي تؤديه في صيانة البناء والمحافظة عليه".²

وفي دراستنا عن التداوي بالأعشاب بمجتمع تيديكلت (عين صالح)، فهو يمثل أحد الأدوار التي تعمل على صيانة البناء الاجتماعي للمحافظة عليه بمجتمع تيديكلت، والحفاظ على سلامته الصحية

¹ أحمد أبو زيد مرجع سابق، ص 29.

² نفس المرجع، ص 30.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

والعقلية، من خلال تلقين الأجيال الصاعدة، السلوكيات الواجب اتخاذها في الحياة من أجل مجتمع سليم.

كما تمثل الأنساق الاجتماعية تفاعلات وطقوس وأعراف في الحياة ومنها طقوس التفاعل في الحياة اليومية. وقد أولى إيرفينغ قوفمان Goffman Erving* لهذه الطقوس "d'interaction rites" اهتماماً أساسياً في مقارباته السوسولوجية للممارسات "البسيطة" في حياة الناس اليومية، مبيّناً ما يقع فيها من انتظام، وما تختفي من وراءها من نظم رمزية، تسيّر عمليات التواصل الأكثر شيوعاً بين الأفراد في الحياة اليومية.¹ ومنها التدابير التي يتخذها أفراد المجتمع في مواجهة المرض، العدو الخفي للصحة، كتدابير الآمان الصحي: الوقاية، حفظ الاسعافات الأولية، تبادل المعارف الصحية التراثية وما تحمله من رمزية.

وقد كشف قوفمان كذلك "عمّا وراء" فوضى "الممارسات اليومية، من أنشطة منتظمة، ينخرط فيها الناس ويتقيّدون بها دون أن ينتبهوا إلى ما فيها من انتظام رمزي، كما بيّن قوفمان أنّ الناس كائنات طقوسية بكلّ امتياز ولا يمكنهم العيش معاً إلاّ بواسطة طقوس تنظم مبادلاتهم الرمزية المختلفة."²

فدور الطقوس يتمثل في أنّ يحقق "إشباعاً رمزية متعدّدة لحاجات الجماعة الكامنة والمتجدّدة باستمرار، كما تمكّن ممارستها من "تقنيات" للتحكّم في الزمن، وتأمين وضع من التوازن المطمئن وتفادي أوجاع قد تواجهه الجماعة خلال حالات التغيّر الاجتماعي السريع."³

تبين الدراسة كذلك أنّ البيئة الصحراوية تفرض على الإنسان شروط المجال الطبيعي الجغرافي الواجب التواءم والتأقلم معه. كما في البيئات الصحراوية العربية، التي تتشابه مع الطبيعة الصحراوية في الجزائر، نجد على سبيل التوضيح، أنّ السلوكيات المتخذة في تلك الظروف تتسم بالبساطة.

ففي التراث الأدبي، كما قال الألووسي عن عادات عرب الجاهلية في المأكل والمشرب:

* Goffman, Erving, les rites d'interaction, (trad. de l'anglais par Alain Kihm,) Paris, Minuit, coll « le sens commun », 1974, p 240.

¹ نقلاً عن منصف المحواشي، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل، إنسانيات، 49 عدد 49، 2010، ص

ص 15-43. DOI : <https://doi.org/10.4000/insaniyat.4331>

² نفس المرجع

³ نفس المرجع

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

"إعلم أن جميع سكان الأقاليم الصالحة أتفقوا على مراعاة آدابهم في مطعمهم ومشربهم وملبسهم وقيامهم وقعودهم وغير ذلك من الهيئات والأحوال وكان ذلك كالأمر المفطور عليه الإنسان عند سلامة مزاجه وظهور مقتضيات نوعه عند اجتماع أفراد منه وترائي بعضها لبعض وكانت لهم مذاهب في ذلك، فكان منهم من يتخذ على قواعد الحكمة الطبيعية، فيختار في كل ذلك ما يُرجى نفعه ولا يخشى ضره بحكم الطب والتجربة"¹

ويضيف الألوسي:

"وكانت عادات العرب في ذلك أوسط العادات ولم يكونوا يتكلفون في المطاعم والمشارب تكلف العجم، وكانت لهم في هذا الباب عوائد مستحسنة ومألوفات يتلقاها ذوو العقول بالقبول، من ذلك أنهم كانوا يبكرون في الغذاء ويرون أن في ذلك أقرب إلى راحة البدن وصحته... ولأن بلاد العرب حارة الهواء فكلما ذهب منه شدة برد الليل كان الطعام أروى، والشهية في الأكل أدعى، والأصل الأصيل في ذلك مراعاة الضيوف فقد كان لهم مزيد اعتناء بأمرهم كما تنطقُ بذلك أشعارهم وأخبارهم"²

الملاحظ أنّ بعض هذه العوائد والسلوكيات التي اشتهرت بها المجتمعات العربية في المناطق الصحراوية، لاتزال راسخة إلى يومنا هذا رغم التطورات والتغيرات التي نعيشها.

وفيما يلي الأطباق الصحية التي أدلى بها المبحوثين:

¹ محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 1، ط 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 2012، ص ص 370، 371.

² محمود شكري الألوسي البغدادي، مرجع سابق، ص 371.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

3. الأطباق الصحية المحلية، مورث ثقافي عريق

جدول رقم 20: الأطباق الصحية المحلية المذكور من طرف المبحوثين (عن الاستمارة)

النسبة	التكرار	الأطباق
32,62%	307	الحساء
32,94%	310	السفوف
33,04%	311	كسكس
14,54%	156	ملح العيد
04,14%	39	'تاق تاق'
3,08%	29	أخرى
100%	941	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول ان المجموع الكلي الاجابات المبحوثين يفوق العدد الإجمالي للعينه 311 نظرا لتكرارات الاجابة لديهم لعدة استعمالات .

يوضح الجدول الأطباق الصحية التي ذكرها المبحوثين في الاستمارة، حيث مثل طبق الكسكس نسبة 33,04%، وبنسب متقاربة لسفوف التمر 32,94% والحساء، 32,62%.

تعتبر هذه الأطباق الأساسية لمنطقة تيديكلت، لكنها تحضر كأطباق صحية في مواسم مختلفة، وتحضر بكيفيات مختلفة خاصة أطباق الصيف وأطباق الشتاء، للوقاية من الظروف البيئية الصعبة، وكذلك لحفظ الصحة، لأن فصل الصيف والشتاء، أهم فصلين يميزان هذه المنطقة واللذان يتميزان بتطرفهما.

فمن بين 30 مقابلة مع المبحوثين، تمكنا من الحصول على 30/25 وصفة لهذه الأطباق، ومنها ما أدلوا به على النحو التالي:

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

تقول السيدات (ع.م 78 سنة) (ز.م 82 سنة) (ح.ع 50 سنة) (ب.ف 65 سنة): كنا فيما مضى نحافظ على صحتنا باتخاذ التدابير الوقائية ضد البرد والحرارة. فعند قدوم فصل الشتاء نعد طبق سلطة يسمى 'أقلاص/أغلاص' حيث نجتمع بعض الأعشاب من البساتين وهي: نبات المرير، البصل الأخضر، الثوم، الشعير، الفصة. ثم نضع جزء من هذه السلطة فوق 'الفدام' وهو ليف النخيل، ثم نقدمه للجيران.

المغزى من هذه السلطة الأصلية من البساتين المحلية، هو الإعلان بقدوم الشتاء للأهل أو الجيران، وصورة من صور التكافل الاجتماعي، ورمزية هذا الفعل تكمن في التنبيه والتأزر وحفظ العادات الخاصة بهذه المواسم.

من الناحية العلمية، تعتبر هذه الأعشاب والنباتات الغنية باليخضور، والفيتامينات مساعدة في توفير الحماية ضد الفيروسات خاصة الثوم والبصل وهذا ما ثبت علمياً عنهما، بالإضافة إلى المرير وهو الطرخشقون/الهندباء البرية Taraxacum كما ورد في كتاب لسان العرب باسم اليَعْضِيدُ: بقلة، وهو الطَّرْخَشَقُوق. نبات ذو خصائص مدرة للبول وتحدث عن هذه النبتة كل من الرازي وابن سناء وعن منافعها. والجدير بالذكر بأنه في الدول الغربية ومنذ القدم يسمونها بسلطة الهندباء (La salade de pissenlit).

هذا ما كان يعتمد عليه في السابق كتدابير احترازية، والعلم يكتشف اليوم فعالية تلك التدابير مع بساطتها وعدم التكلفة في إعدادها وتقديمها، فهي من الطبيعة من التربة وإلى طبيعة الجسم البشري. (كُلُّكُمْ لِأَدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ).

ومما سبق، نرى كيف أن العادات الغذائية المحلية تمثل نموذجاً للأنماط السلوكية في مجتمع تيديكلت. ولذا الأنماط جذور تاريخية تبادلتها الشعوب. تبني على منطق العقل السليم في الجسم السليم، وكون الصحة السليمة تاج فوق رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى. ولكون الغذاء يمثل المصدر الأساسي للحياة، فإن مقولة الغذاء قبل الدواء، تفسر سلوكيات مجتمع الدراسة.

فكما قال أبوقراط: "ليكن غذاؤك دواؤك مقولة أبوقراط (460 إلى 370 قبل الميلاد)، حيث يكون الغذاء السلوك الأول الذي يتبعه الأفراد. لذلك أوليت عناية خاصة بالمطابخ التي تُعد فيها الأطباق.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

فظراً لمكانة الطبخ والمطابخ في الحياة، ما جعل جميع الأنثروبولوجيين يتفقون "على أن كل ما هو مطبوخ ينتمي إلى ثقافة، بينما ينتمي كل ما هو نبيء إلى الطبيعة. ومثلما ينفرد الإنسان باللغة الإبداعية التي تميزه عن جميع الحيوانات، فإنه ينفرد عنها أيضاً بكونه الكائن الوحيد الذي يطبخ ما يأكله، منذ أن اكتشف النار قبل آلاف السنين."¹

ولم تكن النظرة إلى الأدب المطبخي بالإيجابية المطلقة فقد "ظلت تتراوح بين الاحتكار المطلق. فمنذ أن افتقر الإنسان لغز الكتابة الأولى، كان لكتبة المتعلمون الأوائل في بلاد الرافدين القديمة سدنة الأدب المطبخي الأول، في حين كان الطباخ من الأميين في الغالب، كما تدل على ذلك مجموعة ألواح جامعة بيل في الأدب المطبخي البابلي. وفي اليونان القديمة أيضاً لم يتردد فلاسفة كبار من طراز سقراط وأفلاطون في مناقشة الشؤون المطبخية، بل إن المجموعات التي كُتبت على مدار قرون في الأدب الشعبي المطبخي، مثل كتاب أبيكيوس اللاتيني، الذي دُرّن في أواخر الحقبة الرومانية، كانت من نتاج احتكار ثقافي للنخبة التي تميز نفسها عن العامة بما تأكله."²

قال كين ألبالا (Ken Alcala . 1964) من جامعة الباسيفيك: "إن كل مطبخ هو تعبير عملي وفني عن الثقافة التي أنتجته. وهو يجسد قيم كل مجتمع واستيحاءاته، في نظره إلى العالم وكذلك في تاريخه"³ بينت لنا الدراسة أن مجتمع تيديكلت له سلوكيات مميزة بعض الأطباق الصحية التي تتخذ في مواسم محددة والغاية منها الوقاية من الأمراض وحفظ الصحة. ونظراً لتمييز المنطقة بالتطرف القاري، البرد الشديد، أو الحر الشديد، فهناك أطباق خاصة للتخفيف من الحر، وفي المقابل هناك أطباق خاصة لموسم البرد، بحسب ما أدلى به الباحثون على النحو التالي:

3. 1 أطباق الصيف:

يرى 76% من الباحثين أن التمر هو الطبق الأساسي في فصل الصيف، ويستهلكونه على مدار السنة فله تقدير خاص طرف سكان تيديكلت في موسم الحر. وقدم الباحثين مختلف الوصفات التي يحضرونها بالتمر:

¹ كاثي ك. كوفمان، الطبخ في الحضارات القديمة، تر. الغانمي سعيد، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011، ص 7 (مقدمة المترجم)
² نفس المرجع، ص 7 (مقدمة المترجم)
³ نفس المرجع، ص 32.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

فهو يأكل طازجاً (الرطب) أو عتيقاً (التمر الذي مر عليه الحول) ويقول (م.م 71 سنه): يسمى الشخص الذي يتناول التمر العتيق على شكل سفوف بأنه 'يعتق' في وصف حاله للأكل، بمعنى يأكل التمر الذي دار عليه الحول.

وقد ورد حيث شريف فيه ذكر العتيق ما رواه ابن ماجه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يقول بقي ابن آدم يأكل الجديد بالعتيق" الحديث رواه ابن ماجه (3330) والحاكم (121/4).

نظراً لفوائد التمر الصحية، يعكف أفراد المجتمع على تناوله، وعلى مدار السنة ولكن بصفة خاصة في فصل الصيف. ففي الغالب لا يخلو منزل من التمر، حديثاً كان أم عتيقاً رطباً كان أو جافاً. وهذا يبين أن المجتمع يدرك قيمته الغذائية .

فمنذ القدم أمتاز "سكان الصحراء بالقوة والرشاقة وفراغة في الطول ومناعة ضد الأمراض، ومن المؤكد أن الغذاء الرئيس الذي يتناولونه أكبر الفضل في ذلك، فغذاؤهم كان يقتصر على الحليب والتمر."¹

يوجد التمر في كل المناسبات في مجتمع الدراسة، ليس لقيمتها الغذائية فقط ولكن لمكانتها الدينية أيضاً حيث أن التمر "فاكهة الصحراوية الممتازة، غنية بالمواد الغذائية الضرورية للإنسان وقد أطلق عليها لقب (منجم) لغناه بالمعادن هذا عدا فوائده الأخرى التي تجعل منه غذاءً كاملاً، رغم رخص ثمنه وتوفره الدائم في الأسواق صيفاً وشتاءً."²

الكيلو غرام الواحد من التمر يحتوي "عادة، حوالي 3 ثلاث آلاف سعرة حرارية، أي ما يعادل الطاقة التي يحتاجها الرجل المتوسط النشاط في اليوم الواحد، وهو يعطي تقريباً نفس القيمة الحرارية التي يعطيها الكيلو من اللحم وثلاثة أضعاف ما يعطيه كيلو السمك. يحتوي التمر على الفيتامينات A، B1، B2، C، وعلى المعادن، كالحديد والفسفور والكلسيوم والمنغنيزيوم والمواد العضوية كالسكريات والبروتينات والمواد السيليلوزية."³

¹ فاروق فرج باصات، تصنيع منتجات النخيل، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1971، ص 14.

² فاروق فرج باصات، تصنيع منتجات النخيل، مرجع سابق، ص 40.

³ نفس المرجع، ص 40.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

تحتوي التمرة على "فيتامين A بنسبة عالية تعادل نسبته في أعظم مصادره وهي زيت السمك والزبدة وكما هو معروف أن هذا الفيتامين سيساعد على زيادة وزن الأطفال ويحفظ رطوبة العين ويقوي الأعصاب البصرية، أما فيتامين B1، B2 فيساعد في تليين الأوعية الدموية وتقوية الأعصاب وحفظ الأمعاء وغير ذلك، وأخيراً فيتامين C الذي يمنع مرض الإسقربوط وضعف الأعصاب."¹

أ - من الناحية الدينية

للمر مكانة معتبرة، وقد دلت الحفريات التي أجريت في مقابر الفراعنة على شدة تقديرهم للتمر حتى نقشوه على جدران معابدهم وأشادوا بفوائده، وفي كثير من الأديرة القبطية توجد كتابات ومذكرات تدل على مدى ما كان للتمر من قيمة غذائية بالنسبة للمعتكفين والرهبان²

في الديانات البابلية والسومرية القديمة كانت النخلة الشجرة المقدسة فكان لهم عادات في زرع النخيل عند ولادة الطفل لتكون رمزاً له ولحياته وعطائه؛ وعند الزواج حيث يقوم العرسان بزرع نخلة ويهتمون بها وعند الموت. ويعتقدون أن مسار النخلة يعبر عن حياته الأخروية في السماء وقد خصصت شريعة حمورابي المادتين الرابعة والستين (من يقطع شجرة النخيل يغرم نصفاً من نصيبه) والخامسة والستين منها بتلقيح النخيل والاهتمام به (إذا أهمل البستاني ولم يلحق البستان وتسبب في تقليل الحاصل فعليه إن يؤدي إيجار البستان).³

في بعض المنحوتات الآشورية وردت "صور الجنود الآشوريين وقد عمدوا إلى تدمير بساتين أعدائهم وتدمير نخيلهم لحرمانهم من قوتهم. كما ورد في التوراة، أن إقليم ميسان في العراق عبارة عن غابات لا نهاية لها من النخيل ولهذا أطلق على العراق أرض السواد."⁴

في ديننا الحنيف تبرز مكانة التمر في القرآن الكريم وقد وردت شجرة النخيل فيه في ثلاثة وعشرين موضعاً: نذكر منها الآية: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية 99.

¹ نفس المرجع، ص 40.

² نفس المرجع، ص 14.

³ رافد علاء الخزاعي، قضايا وأراء النخلة والمرأة رمز الحياة، صحيفة المثقف، العراق، مارس 2013. متاح على الرابط:

<https://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-12/75351-2013-06-05-01-42-57>

⁴ نفس المرجع.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

أما في السنة النبوية، فقد وردت¹ أحاديث شريفة، تجاوزت 300 حديثاً ومنها ما - روى البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((من اصطحب كل يوم سبعة تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل)). وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ﷺ ((يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرٌ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرٌ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ. قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.)) صحيح مسلم.

ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه : “يا بني : ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان بالله خليلاً صالحاً فإنما الخليل الصالح كمثل النحلة ، إن قعدت في ظلها أظلتك وإن احتطبت من حطبها نفعتك وإن أكلت من ثمرها وجدته طيباً”.

ب. وفي التراث الأدبي: يذكر أن أبو صفوان التميمي المنقري البصري، المعروف بالأهتم - أحد الخطباء البلغاء الفصحاء- وصف لعبد الملك بن مروان الأموي النخل فقال²: "النخل عندنا في منابته كالزيتون عندكم في مآركه، فذاك في أوله كهذا في إبانه، ذاك في أفنانه كهذا في أغصانه يخرج أسفاطاً عظاماً، و أوساطاً، ثم ينفلق عن قضبان الفضة منظومة بالزبرجد الأخضر ثم يصير أصفر و أحمر، ثم يصير عسلاً في شنة من سخاء ليست بقربة ولا إناء، حولها المذاب و دونها الحراب، لا يقربها الذباب مرفوعة عن التراب، من الراسخات في الوحل الملقحات بالفحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل المطعمات في المحل وأما بيوتنا الذهب فإن لنا عليهم خرجاً في السنين والشهور، نأخذه في أوقاته، ويدفع الله عنه آفاته ونفقه في مرضاته. قال فقال هشام: وأنى لكم هذا يا بن صفوان ولم تسبقوا إليه ولم تنافسوا عليه؟ فقال: ورثناه عن الآباء، ونعمره للأبناء، فيدفع لنا عنه رب السماء، فمثلنا فيه كما قال أوس بن مغراء:

فمهما كان من خير فإننا ... ورثناه أوائل أولينا

ونحن مورثوه كما ورثناه ... عن الآباء إن متنا بنينا

قال: فقال له هشام: لله درك يا بن صفوان لقد أوتيت لساناً وعلماً وبيناً فأكرمه وأحسن جائزته وقدمه على أصحابه.

¹ Abdel Karim Gasman, **Le Palmier-Dattier**, Edition El Awrassia, Alger, 2014, p46.

² رافد علاء الخزاعي، قضايا وأراء النحلة والمرأة رمز الحياة، مرجع سابق.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

أما فطاحل اللغة كالخليل بن أحمد الفراهيدي والأصمعي وغيرهما فقالوا عن(النخل):"أثما شجرة التمر وجمعها نخل ونخيل ونخلات)، وقيل أن الإسم مأخوذ من نخل المنخل وأنتحل الشيء أي أختاره. وروى نعمة الله الجزائري في كتابه المشهور (الأنوار النعمانية) إن الله أمر الملائكة فوضعوا التراب الذي خلق الله آدم منه في المنخل فنخلوه وكان صافيا" أخذه لطينة آدم وما بقي منه في المنخل خلق منه الله النخلة، وكان آدم يأنس بها في الجنة وأوصى ولده أن يضع معه في القبر جريدة من النخلة فصارت عادة إلى زمان عيسى. وقد قيل إن أول من غرس النخل هو (أنوش بن النبي شيت)."¹

يسمى التمر لدى الأمازيغ بـ 'التيبي' مثل التين. و'يُعد التمر² الغذاء الرئيسي لسكان الصحراء، لما فيه من منافع حمة كتب عنها العلماء والمثقفين والأدباء والشعراء، ولا زال يكتب عنها.

والتمر مصدره النخلة ويعد العالم النباتي (يتوفر استوس) (287 - 372 ق.م) أول من عرف النخلة في التقسيم العلمي الذي وصفه للفصائل (الاسم العلمي: *Phoenix dactylifera*) وهي من نباتات وحيدة الفلقة، وتتبع الفصيلة الفوفلية *Arecaceae* أو النخلية *Palmaceae* تتعدد أصنافه وتسمياته من منطقة إلى أخرى، حسب شكله أو لونه، أو نسبة للشخص الذي جلبه، أو البلد الذي جلب منه قديماً، في زمن القوافل العابرة للقارات والتي كان الرائد فيها الجمل، حيث ساهم بشكل فعال في ترك آثاره عبر واحات النخيل التي حل بها.

وكما هو معلوم فإن السفر يتطلب العدة والمؤنة، وقد كان التمر أبرز العويل لمجاهة عناء ومشقة السفر نظراً لفوائده العظيمة وإمكانية حفظه على خصائصه الغذائية أثناء التخزين.

للحصول على ثمار التمر، يتخذ سكان تيديكلت مسارات هامة، وكأثما طقوس لا بد من إتباعها للحصول على موسم منتج. فلا بد من تلقيح النخلة، وفي اللغة العربية يسمى كذلك التلقيح بالإبار كما قال عنه ابن وحشية: أبر: واسم ما يُلقح به اللقاح و"الأبوار" ويقال: أبر يأبر أبراً، كما يقال لقمح يلقح تلقيحاً. ويقال للنخلة التي تُلحق "الإبار". في مناطق الجنوب يتم التلقيح يدوياً،

يقول الفلاح المعني بهذه العملية:

بسم الله الرحمن الرحيم.

¹ نفس المرجع.

²Aicha Blama, سفوف التمر وعويل وغذاء لسكان الصحراء على مر العصور, Article publié au journal de 'l'Algérie Agricole', n° 24. Juillet 2018. p 9.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

صلو' على سيدنا محمد

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛

قباليالاتازة؛

تمرة قد عصبانة والعلفة قد الصيبانة: حمرها يامولانا..التضكار ضكرناك والكمال على مولانا.

كما تحدث الأصمعي في كتاب النبات والشجر- وهو ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة -عن مختلف المراحل التي يمر بها التمر وقد اختصرنا بعضها فتكون بدايتها طلع النخيل والذي يسمى محلياً بـ 'غنجة' تخصص لمرحلة التأبير مقاطع غنائية خاصة يردده الفلاحين بقولهم: (غنجة غنجة يا أم الرجاء، ربي يصحي الحالة).

فكلمة غنجة توجد في التراث الجزائري أينما وجدنا مقطع يقولون فيه:

”بو غنجة فوق القرمود، يارب صحي لرعود.“

وعلى ما يبدو أن هذه الترددات لها علاقة بالطقس. أو ربما تعني الشيء المخفي

وعن هذا الطلع 'غنجة' يقول الأصمعي: طلع النخل حين ينشق، هو الضُّحْكُ في لسان العرب. ومن طلعه وإدراك تمره الطلع، وهو الكافور. ويقال الكافور وعاء طلع النخل. فإذا بلغ الطلع فهو الغضيض، ويسمى حابوك- في بعض مناطق الصحراء نسميه 'حب ليلو'- وإذا انعقد الطلع حتى يصير بلحاً، فهو السِّيَابُ والواحدة سيابة. فإذا أخضر واستدار قبل أن يشتد فأهل نجد يسمونه الخلال. كما يقال: خضب النخل وهو البلح. فإذا عظم فهو البسر، فإن انتفض قبل أن يصير بلحاً قيل قد أصابه القشام. يسمى في بعض مناطق الجنوب بـ 'الرشوم' أو 'البورشيم'. فإذا صارت فيه خطوط وطرائق فهو المخطم، فإذا تغيرت البُسرة إلى الحمرة قيل: هذه شقحة وقد أشقح النخل، فإذا ظهرت فيه الحمرة قيل أزهى النخل وهو الزهو. فإذا بدت فيه نقطة من الإرتاب قيل: وكَّت وهي بسرة موكَّتة. فإذا بلغ الإرتاب نصفها فذلك المجذع فإذا بلغ ثلثها فهي حلقة.

تسمى الحلقة في صحراؤنا الجزائرية بـ 'المنقر'، فإذا جرى الإرتاب فيها كله فهي المنسبته وهو رطب منسبت، فإذا أرطب النخل كله فذلك المعو. أما إذا بلغ الرطب اليس فذلك التصلب وقد صلب. فإن وضع في الجرار فصب عليه الماء فذلك الربيط.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

تخصص لباكورة التمر مناسبة المشاركة في التذوق، فنجد السكان يقدمون بواكير ثمرهم للأهل والجيران بقولهم:

”لعقوبة القابل“

بمعنى نتمنى أكله في العام القابل. فهي مناسبة اجتماعية، تساهم في ترسيخ مبادرة التشارك والتبادل لبواكير الثمار بين أفراد المجتمع.

والتمر أنواع حيث يمكن تصنيف ثمار التمر (عند مرحلة صلاحيتها للأكل) طبقاً لما يلي بحسب تصنيف المنظمة العربية للتنمية الزراعية¹: محتوى الرطوبة (على أساس رطب):

أ- مجموعة الأصناف الطرية (لينية) والتي تزيد نسبة الرطوبة بها على 30%.

ب- مجموعة الأصناف نصف الجافة: تتراوح نسبة الرطوبة بها بين 20 إلى 30%.

ج- مجموعة الأصناف الجافة تقل نسبة الرطوبة بها عن 20%.

في كثير من مناطق الجنوب كالمنيعة، جانت، تمرناست، عين صالح وأدرار وغيرهم، يستخدم التمر الجاف في إعداد طبق رئيسي على غرار 'الربيط' ويسمى بـ 'السفوف' حيث يختلف عليه هذا الأخير. فبكونه يركز على التمر الجاف والمعروف في التراب الوطني باسم 'القرباعي'، 'الدقلة البيضاء'. لكن في واقع الأمر، نجد أن هناك تسميات مختلفة تطلق على التمر الجاف. فعلى سبيل المثال في منطقة التيديكلت التي أجرينا فيها تحريات ميدانية حول أصناف التمر، وجد أن صنف: 'تيناصر'، 'تقربوش' وتنقور من أبرز الأصناف التي تتخذ كسفوف.

3. 1. 1. وصف استعمال التمر لبعض المبحوثين:

تقول السيد (ب. ف 68 سنة) عن كيفية تحضير هذا الطبق:

نقوم بجمع التمر في موسم الجني النهائي وتسمى هذه العملية بالتقطاع، وذلك في شهر أكتوبر. يجمع التمر ويوضع في أكياس، ويشارك في هذه العملية كل أفراد العائلة، كبيراً صغيراً.

يتم فرز التمر الجاف من الحشف، بحضر حجر كبير مسطح الشكل وحجر صغير بحجم قبضة اليد تسمى 'حجرة العلف'، وأداة من قماش تصنع على شكل دائري تسمى 'الملمة' توضع فوق الحجر

¹ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، النظام الاسترشادي العربي بشأن الحصول على الموارد الوراثية والمعارف التراثية ذات الصلة واقتسام المنافع الناشئة عن استخدامها، السودان، الخرطوم، 2016.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

لتحجز التمر بداخلها، حتى يتثنى للتمر الجاف التكسير. يوضع التمر المكسر في مناسف مصنوعة من سعف النخيل، لتنقيتها من النوى وكذا قمع التمرة 'السندف' أو كما قال عنه الأصمعي بالثَّفْرُوقُ قِمْعُ البُسْرَةِ والتَّمْرَةِ. ويقال: هو السَّدَى والواحدة سديّة.

يوضع التمر المكسر في مهراس خشبي كبير، ويستعان بالذكور في بعض الأحيان للقيام بعملية الدق، التي تتطلب جهد عضلي كبير. وبغض النظر عن صعوبة العملية إلا أن هذا النشاط التعاوني والاجتماعي يضفي جو من البهجة والسرور للجميع.

تعاد عملية نسف التمر يدوياً بالمناسف، يتم من خلالها عزل دقيق التمر من الخشن، ثم يصفى جيداً ويوضع في إناء كبير. يعاد التمر الخشن إلى المهراس ليدق ثانية، وثالثة ورابعة؛ إلى أن نتحصل على السفوف بحجم مقبول ومستصاغ وقابل للبلع، فالسفوف لا يتطلب المضغ ولذا سمي بالسَّفُوف، وحتى لا يسبب صعوبة البلع لمن يتخذ قبضة يد من السفوف إلى الفم مباشرة على عادات محبيه.

-الدقيق من التمر يسمى محلياً بـ 'أنغاذ'، يصفى ويوضع جانباً، لغرض استعماله في وصفات متعددة، ومنها: إعطائه للأطفال، أو إضافته في المرق الأحمر كبديل عن السكر.

-اللين من التمر الذي يلصق في المدق المسمى بـ 'الكتول' يحتفظ بها لتحلية مرق المعجنات على الخصوص. كطبق 'المردوف' عجينة يحشى بالبصل والطماطم والفلفل الحار، والثوم، والتمر، والشحم وبعض التوابل.

3. 1. 2 السفوف والمناسبات الاجتماعية

تقول السيدات: (ج.ق 66 سنة) (م.م 56 سنة) (م.ك 50 سنة) بأن للسفوف مناسباته الخاصة فهناك سفوف 'العيل' أي الأطفال، وسفوف النفساء، وسفوف الأعراس، والمناسبات ويقترحن الوصفات على النحو التالي:

3. 1. 3 سفوف الأطفال: وهو دقيق التمر بحجم حبوب العدس، يدهن بالسمن، حتى يربطه ثم يعطى للأطفال الصغار مع الحليب، كغذاء متكامل خاصة في حال الضعف العام للصغير. أما الرضع ممن تجاوز السنة يعطى لهم دقيق التمر 'أنغاذ' مع الحليب.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

وكان أنغاد¹ في الماضي "يجمع ويخزن في قلة مصنوعة من طين عندما تحل المجاعة بالمنطقة والتي تحدث عادة في شهر ماي تصنع به أكلة تسمى 'نوهضي'¹

يستعمل انغاد في مرق المعجنات 'كالكسرة' و'الرقاق' (أي رغيف خبز محلي).

أثبتت بحوث علمية ذلك حيث اعتبرت الوصفة مغذية بالفعل، وبدأ بعض الباحثين في إدراج دقيق التمر مع الياغورت/الزبادي ولقي استحسان في الأوساط العلمية بجامعة الجزائر (أشرفت جامعة بومرداس على مشاريع من هذا النوع منذ 7 سنوات).

3. 4.1 سفوف النفساء: وحجمه متوسط؛ بضيف المبحوثات (ج.ق 66 سنة) (م.م 56 سنة) (م.ك 50 سنة) الوصفات التالية فيقولن: سفوف لبفساء مميز حيث دقيق 'البشنة' أو 'أينلي' (بالتارقية) كما يضاف إليه أعشاب مدقوقة على غرار أم النفساء*، وكذا نبات امضريقة/أكمان والسمن لترطبيه. إضافة إلى 'الكليلة'.

وما تعنيه المبحوثات بـ:

- 'البشنة' وهو الدخن (*Pennisetum glaucum*) من فصيلة Poaceae

- 'أم النفساء' / 'تقوف' / 'شعال' / وهو شيح حقلي (*Artemisia campestris*) من فصيلة Asteraceae

- نبات 'امضريقة' / 'أكمان' (*Ammodaucus leucotrichus*) من فصيلة Apiaceae

- 'الكليلة' وهي الإقط باللغة العربية-عبارة عن جبن تقليدي مجفف تشتهر به مناطق السهوب الجزائرية (كالأغواط، الجلفة وغيرهم).

وهناك نوع آخر من هذا الجبن المجفف، يشتهر به التوارق يسمى بـ 'تيكمارين' كان من بين السلع التجارية لقوافل الصحراء، ولا يزال يباع في أسواق تمنراست، أين يستعمل دقيق الجبن المطحون في السفوف كطبق غذائي متكامل. أو يؤكل مع الشاي خاصة عندما يكون طرياً.

في لسان العرب لابن منظور قال عن الأقط والإقط والأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يَمْضُل، والقِطعةُ منه أَقِطَةٌ؛ قال ابن الأعرابي: هو من ألبان الإبل خاصة. أما في

¹ سعيدان التومي، سكان تيديكلت القدماء والانتقال على النفس. ط.01، دار هومة، الجزائر، 2005.
* سميت 'أم النفساء' للدلالة على أن العشب يعطى للنفساء

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن الأثير الجزري قال عن الـ(أَقْطُ): وَهُوَ لَبَنٌ مُجَفَّفٌ يَابِسٌ مُسْتَحَجَرٌ يُطْبَخُ بِهِ.

وهذا الوصف ينطبق على الجبن المجفف عندنا في الجزائر المعروف بـ'الكليلة' أما 'تيكمارين'، فيترك الحليب حتى يمتص فيصفي، ثم يجفف مباشرة على كشرائح على طبق مصنوع من قش نبات نجيلي يسمى 'أصوصر'.

وعن الطعام الذي خلط به الأقط فهو: طَعَامٌ مَأْقُوطٌ خُلِطَ بِالْأَقِطِ. كما جاء في مؤلف مقياس اللغة لابن فارس.

4.1.3 سَفُوف التسمين: قالت لنا (ب.م 60 سنة) بأنهم يستعملونها للتسمين وذلك بإضافة بعض المكسرات كالقنول السوداني (*Arachis hypogaea*) وثمار نبات الحلبة (*Trigonella foenum-graecum*) فصيلة البقوليات Fabaceae. كما ذكرت لنا نوع آخر من السفوف خاص بالمناسبات الاجتماعية فقالت:

3. 5.1 سَفُوف الاحتفالات الاجتماعية: نقدم للترحيب بالضيوف لرمزية حسن الضيافة والكرم، حيث تتكون من 'البشنة' و'الكليلة' وقد سبقت الإشارة إليهما.

1.2. 6 سَفُوف الوقاية والصحة:

بحسب المبحوثين من منطقة فقارة الزوى ومنهم (م. ل 79 سنة) و (و. ف 52 سنة): أن السفوف نضيف لها قى الغالب نبات العقاية والبشنة والكلية والسمن. ويضيف البعض نبات 'نقوفت/أم النفساء'

نبات العقاية وهو (*Zygophyllum album*)

وهذا القول ينطبق على الوصفة التي أشار إليها فوانو Voinot في كتابه عن التيديكلت منذ 1909 حين قال: في حالات التعب العام، الشعور بالألم بالإرهاق بسبب المجهود المطول أو الحمى، تسحق الأوراق الجافة للنبات وتمزج مع الـ'السفوف' (التمر المسحوق). وذكر نبات العقاية أو تبلكوزة ولم يكن محدد التسمية علمياً و آنذاك؛ وهو نبات (*Zygophyllum album*)،

« Aggaïa (A) Tabelkost (T), parait indéterminée .Peu appréciée par les chameaux et les troupeaux, qui ne mangent que les tiges sèches. Cette plante rendrait les ânes malades.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

USAGES: Les gens de l'ouest du Tidikelt en font de l'engrais. Ils se contentent de l'étendre dans les jardins et de la recouvrir de terre.

Dans les cas de fatigue générale, de courbature, on pile les feuilles sèches et on les absorbe mélangées à du sfouf (dattes pilées) »¹

ومن الملاحظ أن الدخن يغلب استعماله في السفوف وذلك لأن الدخن² وهو نوع من الحبوب (*Pennisetum glaucum*)، يعرف محلياً بالبشنة³ ويعتبر من أعلاف الحيوانات، لكنه أدرج مؤخراً في الجزائر، ضمن الحبوب الغذائية الموجهة للإنسان. فقد اعتبرت المنظمة العالمية للتغذية أن استخدامه في المقام الأول للاستهلاك البشري. ولا يزال يشكل مصدراً مهماً للسعرات الحرارية ومكوناً أساسياً من عناصر الأمن الغذائي، في المناطق شبه القاحلة في البلدان النامية.³

من ناحية القيمة الغذائية للسفوف⁴، فيعتبر غذاء متكامل غني بمكوناته، خاصة إذا علمنا ما يحتويه التمر لوحده من فوائد جمّة. وكما نعلم، البيئة الصحراوية صعبة، لكن بتواجد التمر الذي اعتبر قديماً عملة يُشترى بها القمح والشعير في تيديكلت، نظراً لقيمتها المادية والمعنوية.

1.2. 7 الكعبوش: أما 'الكعبوش' قالت المبحوثات: أنه يصنع من التمر المكبوس 'البطانة' نضيف إليها 'لازير' (إكليل الجبل) أو الحبق في بعض الأماكن. يعجن التمر ويخلط 'الكايلة' و'البشنة' نستعملها في غالب الأحيان كعوين وزاد المسافر خاصة الحجاج، ونعدها كذلك خصيصاً قبل شهر رمضان للإفطار من أجل تقوية الصائم.

والسفوف والكعبوش وصفتان تتخذان في حالة الضعف العام بصفة عامة.

1.2. 8 'عسل النخل': وسمحت لنا المقابلة مع أحد المسنات في زيارة قريية لنا كانت نفسها، بأن تحدثنا عن 'عسل النخل' وقالت بأنهم يجمعونه من تحت النخيل لاستعماله في تحلية الأدوية العشبية بدل السكر. وتضيف (ف. ب 61 سنة): نستعمل عسل النخلة في 'الكمامين' (الكمون والسانوج وأم ضريقة) الخاصة بالحديث الولادة بدل السكر .

¹ Voinot, Le Tidikelt : étude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays, Editeur (Calvisson) 1909, p23

² اللثيوم الأغير أو الدخن أو الدرغ (في تونس) (بالإنجليزية: [1] Pearl millet) ويسمى أحياناً الدخن اللؤلؤي نوع نباتي عشبي ينتمي لجنس الثيوم من الفصيلة النجيلية. موطنه الأصلي إفريقيا ومنها انتقل إلى شبه القارة الهندية. يزرع أيضاً في البرازيل. (Wikipedia 2017)

³FAO et ICRISAT 1997 Institut international de recherche sur les cultures des zones tropicales semi-arides. Organisation des nations unies pour l'alimentation et l'agriculture. L'économie Mondiale du Sorgho et du Mil : Faits, Tendances et Perspectives

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

عسل النخل¹ هو في الحقيقة رُبّ التمر: فهو رب يسقط من نخيل البور على الخصوص، مثل كبس الدمعة، فهو "يسقط من النخيل على الرمال، فيجمعه المهتمين والعارفين بفوائده الصحية لمعالجة المريض الذي يكون في غيبوبة ليتغذى منه"¹ إذن هي ثقافة صحية، اتخذها سكان الجنوب أكدت فعاليتها البحوث العلمية المتعلقة بفوائد رب التمر الطبيعي.

يضيف أحد المبحوثين (إ. ح 62 سنة)، هناك من يستعمل شراب منعش في الصيف، يتميز به البدو الرحل من التوارق ويعرف بـ "دغنو"، نعمله بالتمر الجاف خاصة صنف تيناصر وكذلك دقيق البشنة أو أينلي بالتارقة ونضيف له القليل من الفلفل الأحمر و"تيكمارين" وأكام/أم ضريقة والحليب. نخلط المقادير بالهرس في المهراس الخشبي ونضيف الماء البارد بالتدرج إلى أن نحصل على مشروب خاثر كالحساء الخفيف، فهو مغذي وجيد للصحة ويقي من العطش ويُشرب في وقت الحر ولعلاج الحمى أيضاً. وتشتهر منطقة برج باجي المختار، والتيديكلت وكذا الهقار والطاسيلي بهذه الوصفة.

1.2. 9 فدغنو (أغجير mil cru): نوع من الشراب اشتهر به سكان البدو الرحل، مكوناته

بالصيغة العلمية:

- من دقيق الدخن. - والتمر الجاف؛ - راجين الجفف أو لإقط؛ - وثمار القرطوفة/أم ضريقة (*Ammodaucus leucotrichu*)؛ - الفلفل الأحمر (*Capsicum annuum*)؛ والماء والحليب.

فيُعد 'دغنو'، غذاء صحي، لأنه يمتاز ببساطة مكوناته وقيمته الغذائية العالية إذ يحتوي على السكريات والدهنيات والبروتينات فهو إذن يعتبر غذاء صحي ومتوازن من وجهة نظر علمية.

وقد ثبت علمياً بأن "خلط مسحوق التمر الجفف مع الحليب الجفف بنسبة 50% من كل منهما يمكن حفظه مدة طويلة بحالة جيدة ويعطي عند إذابته بالماء محلولاً جيد الطعم ومغذياً."²

كما أن "إضافة الجوز واللوز إلى التمر أو تناوله مع الحليب أو اللبن سيزيد من قوته وغناه بالمواد الدهنية والبروتينية، علاوة على نسبة عالية من السكريات والدهون والبروتينات، وقد ذكرنا أن طعام

¹سعيدان التومي، مرجع سابق،
²فاروق فرج باصات، مرجع سابق، ص 180.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

الأعراب الرئيسي كان مؤلفاً من التمر والحليب، فكانوا مضرب الأمثال في القوة والصحة والرشاقة ولم تعرف عنهم إصابتهم بالأمراض المزمنة الخبيثة¹.

وعن التمر والجبن في الأطعمة العربية نجد على سبيل المثال: ((العبيثة)) وهي الاقط بالسمن والتمر. وقيل هي الاقط الرطب يخلط بالتمر اليابس و((الجيس)) وهو الأقط مع السمن والتمر ((والمجيع)) وهو التمر مع اللبن وهو حلواء رسول الله ﷺ. ((والبسيصة)) وهو كل شئ خلطه بغيره مثل السويق بالأقط ثلثه بالسمن أو بالزيت.²

ولا غرابة أن تكون هذه الصفات متشابهة إلى حد ما، بتلك التي تعد في الجزائر بصفة عامة، وبالجنوب بصفة خاصة.

ويبرز لنا ذلك، الامتداد التاريخي والثقافي للحضارة العربية وتمازجها مع مختلف مواقع الفوتحات الاسلامية بالأخص والتجارية بالأعم.

10.1.3 ملحة عن أهم أنواع التمر بمنطقة تيديكلت:

فحسب دراسة ميدانية أنجزتها الباحثة سنة 2015 حول أنواع التمور فإن أهم الأصناف هي: أقاز؛ الخلط؛ تقربوش؛ تيناصر؛ أحرطان؛ تازرزات؛ تقازة؛ ورقلية؛ الدقلة البيضاء؛ الفرنة؛ غرس؛ لحميرة؛ تزرزات.

بالرغم من أن تمور بعض المناطق الصحراوية لا تندرج من الثمار الممتازة أو الدرجة الأول-بحسب دليل المواصفات العربية الإستراتيجية الموحدة للتمور لسنة 2016، للمنظمة العربية للتنمية الزراعية، أن ترتيبها يندرج في الدرجة الثالثة، إلا أن ذلك لا يمنعها من أن تحظى بقيمة غذائية مهمة، ساهمت في استدامة نمط غذائي مميز لسكان الصحراء على مر العصور.

وللعلم، فإن فوائد التمر الغذائية والدوائية متعددة حيث تشكل السكريات ((الكربوهيدرات)) نسبة تقرب من 70% من وزن التمرة وتمتاز السكريات الموجودة في التمر بأنها سريعة الامتصاص سهلة التمثيل تذهب رأساً إلى الدم فالعضلات، ولا يحتاج امتصاصها إلى عمليات هضمية وكيميائية معقدة إذ تستطيع المعدة هضم التمر وامتصاص السكريات الموجودة فيه خلال ساعة تقريباً، فتسير هذه

¹ نفس المرجع، ص 41.

² محمود شكري الألويسي البغدادي، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، مرجع سابق، ص 384.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

السكريات في الدم حاملة الوقود إلى الدماغ والعضلات، لذا تعتبر التمور مصدراً مهماً لوقود الجسم.¹

2.3 أطباق الشتاء:

تختص منطقة تيديكلت بإعداد أطباق تقليدية تتماشى وطبيعة البيئة الصحراوية. ففي فصل الشتاء المعروف بشدة برودته، تعد أطباق معظمها من الموارد الطبيعية للمنطقة على غرار: الرقاق

أما التلبينة² فهي حساء يعمل من دقيق أو نخالة، ويجعل فيه عسل أو لبن، وسميت تلبينه، تشبيهاً لها باللبن في بياضها ورقتها. وقد قال رسول الله ﷺ عنها: التلبينة تُجَمُّ فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن³ (رواه البخاري (568)، ومسلم (2216) وأحمد.²

ورد الحساء في التراث الأدبي العربي كما جاء في كتاب العقد الفريد، بأن كلمة: "حريرة: الحساء من الدسم والدقيق. والسخينة: حساء كانت تعمله قريش في الجاهلية"³ وهي "تتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء وإنما يأكلونها في شدة الدهر"⁴ كما وردت كلمة الحريرة عند العرب وهي أن "أن ينصب القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة. وأول من عمل الحريرة سويد بن هرمي⁵.

ونصب القدر بهذه الصياغة، ينبق على قول سكان تيديكلت في إعداد القدر للطهي، بقولهم: 'نصبت القدرة'

فنلاحظ كيف أن طبق الحساء الذي يمثل نوعاً من الأطباق العلاجية المحلية، حاضراً في كل المناسبات، (الزواج، الولادة، الوفاة) وكان مفعوله شبيهاً بالتلبينة التي 'تُجَمُّ فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن' صدق رسول الله ﷺ. بمعنى تُجَمُّ الفؤاد أي تريح فؤاده تزيل عنه الهم وتنشطه والجم بالتشدد (المستريح). والمراد بالفؤاد في الحديث الشريف رأس المعدة فإنها تضعفُ باستيلاء اليبس عليها والحساء يربطها ويقويها.⁶

¹ نفس المرجع السابق، ص ص 40-41.

² هاني محمد مرعي، موسوعة الطب البديل، ط.5، المكتبة التوفيقية، 2014، ص 53.

³ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد: الطعام والشراب والنتف والهدايا والفكاهات والملح ج 8: المحقق: مفيد محمد قمبيحة، ج. 8، ط.1، دار الكتب العلمية، 1404 - 1983، ص 5.

⁴ محمود شكري الألويسي البغدادي، بلوغ الأرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد3، ط. 2، دار الكتاب المصري، مصر، 2007، ص 381

⁵ نفس المرجع، ص 385

⁶ هاني محمد مرعي، مرجع سابق، ص 53.

3. 1.2 'الكسرة' المردومة في الرماد:

وهي عجينة لين من القمح الكامل تقريباً، حيث يتم طهي العجين بالرماد الحاصل من نار الحطب. يُعد الطبق على وجه الخصوص في العيد الأضحى المبارك يوم النحر، فيكون طبق بالقمح الكامل، مما يسهل ذلك في عملية الهضم خاصة في هذه المناسبة الفاتحة للشهية، فيكون بذلك توازن ما بين اللحم والعجين.

تقول السيدة (ع. م 80 سنة) بأنه في عيد الأضحى، يُخصص يوم النحر لإعداد الأطعمة الخاصة بأحشاء الأضحية، بينما المشاوي تكون في اليوم الثاني من عيد الأضحى المبارك، نقوم بإعداد كسرة التراب وهي خبز الملة، ويشترط أن يكون الدقيق محلي 'قمح لبلاد' ويعد لها مرق خاص يتكون في الغالب من البصل والعدس والطماطم واللحم، وتوبل محلية. هذا وقد شاركت الباحثة في إعداد هذه الكسرة التي تتطلب صبر وتحمل في إعداد هذه الكسرة الصحية التي تطهى بشكل طبيعي وبمواد طبيعية.

تسمى الكسرة المردومة في لسان العرب "الطُّلْمَةُ الخبزة بعينها والجمع طُلْمٌ. والطلمة خبزة تجعل في الملة وهي الرماد الحار. وفي الحديث: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يعالج طلّمة لأصحابه في سفر وقد عرق وآذاه وهج النار، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يصيبه حرّ جهنم أبداً))، قال أبو عبيد: "والذي يراد من هذا الحديث أنه حمد الرجل على أن خدم أصحابه في السفر؛ يعني أنه خبز لهم."¹

3. 2.2 كسكسي الشعير وكسكسي الأعشاب

بحسب السيدة (ب. خ. 71 سنة) يحضر كسكسي الشعير أو 'البترة' نباتات طبيعية مجففة ومطحونة تضاف إلى الكسكسي المفتول في آخر مرحلة الفتل؛ ونفضل دقيق القمح والشعير المطحون بالرحى الحجرية أو المجراش، ونترع منه النخالة بمناسف سعف النخيل وليس بالغربال، مما يجعل النخالة أو الردة متواجدة في الطحين. بمعنى لا يكون نقياً بالكامل.

كما تبين لنا أن 51 بالمئة من المبحوثين، يفضلن تحضير كسكسي الشعير، نظراً لمنافعه الصحية.

¹ محمود شكري الألويسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مرجع سابق، ص 116.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

في هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الشعير حديث شريف: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَهْلًا هَلْ رَأَيْتُمْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقِيَّ قَالَ لَا فَقُلْتُ فَهَلْ كُنْتُمْ تَنْخُلُونَ الشَّعِيرَ قَالَ لَا وَلَكِنْ كُنَّا نَنْفُخُهُ¹

وقال العسقلاني في فتح الباري: وأظنه احترز عما قبل البعثة لكونه ﷺ كان سافر في تلك المدة إلى الشام تاجرا وكانت الشام إذ ذاك مع الروم ، والخبز النقي عندهم كثير، وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه، فلا ريب أنه رأى ذلك عندهم، فأما بعد البعثة فلم يكن إلا بمكة والطائف والمدينة، ووصل إلى تبوك وهي من أطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت إقامته بها، وقول الكرمانى: نخلت الدقيق أي غربلته، الأولى أن يقول: أي أخرجت منه النخالة.²

2.3. 3 'ناق تاق' /التخلط

تقول السيدة (ق. ف 31 سنة) و(ب.م. 79 سنة) (خ.أ. 55 سنة): بأن تاق تاق أو التخلط - كما يسميه سكان أولف (70 كم، غرب عين صالح) - هو وصفة قديمة تحضر في مهراس خشبي صغير، وتعد بواسطة بعض الأعشاب والنباتات: الثوم أوراق الشعير الغضة، البصل، توابل، كسيرة خضراء، فلفل حار، طماطم، نباتات عطرية.

يدق خليط هذه النباتات في هذا المهراس ويشترط أن تؤكل صلصة الأعشاب بالبصل بدل الملاعق، والغاية من ذلك تدفئة الجسم من البرد القارص والجاف، وللوقاية من الأمراض. والملاحظ أن هذه الوصفة غنية بالفيتامينات، وبالخصوص فيتامين ج في الفلفل الحار والبصل وغيرها من الفيتامينات. وبعد هذه الوجبة الخفيفة الحارة، يؤكل سفوف التمر للتخفيف من لدعة الفلفل الحار.

كما أن الغاية الأخرى لهذه الوصفة 'ناق تاق' من الناحية السوسولوجية، هي اجتماع أفراد العائلة وكذلك الجيران لتناول هذا الطبق بروح اجتماعية مرحية لا تخلوا من التعليقات والمزاح، مما يساهم ذلك في توطيد العلاقات مع أفراد المجتمع. فبمجرد الاجتماع حول طبق معين فذلك يعني أن هناك حوار وتبادل آراء في مختلف المجالات الحياة كما يساهم في توطيد العلاقات الاجتماعية مع الآباء والأبناء والجيران*

¹ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، كتاب الأطعمة، دار ابن كثير، سنة النشر: 1414 هـ / 1993 م، رقم الحديث (5094)
² أحمد بن علي بن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، سنة النشر: 1407 هـ / 1986 م.
* في مرحلة طفولة الباحثة، وفي الثمانينات-شاركت في تناول هذه الوجبة الحارة مع جيرانها، وكانت تجربة بالمشاركة.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

كل هذه الأكلات تحتوي على نباتات طبية وعطرية (بما في ذلك التوابل). تُحضّر هذه الأكلات تحسباً لأمراض الشتاء والبرد، للوقاية ما ينجم عنها من أمراض صدرية تنفسية وكذا أمراض الروماتزم، وتحضر كذلك من باب الترفيه عن النفس والحنين إلى أطباق الأجداد البسيطة بما تنتجه أرض المنطقة من قمح وزرع وغيره من النبات.

وقادتنا الملاحظة بالمشاركة للتعرف على هذه الأطباق وهي:

3. 3 أطباق صحية للترفيه والمشاركة:

لقد وسع علم الحمية مفهوم الحمية نفسها، ليشمل أسلوب حياة صحي: غذاء، جسد وعقل، مصمم للحفاظ على الكائن البشري في أفضل حالاته وبشرة جلده جيدة كما نقول اليوم. هذا هو المعنى لفعلي الذي حدده أبقراط، للحمية. فعلم التغذية يتجاوز مجال الحمية بالمعنى الدقيق للكلمة، لأنه يتعامل مع الخصائص الكيميائية الحيوية للأغذية، وتحولاتها في الجسم، وآثارها على الصحة ووبائيات الأمراض التي تعتمد على النظام الغذائي، ناهيك عن علم الاجتماع وعلم النفس الغذائي.¹

3. 3. 1 من أبرز الأطباق الصحية:

بحسب المبحوثين 54% زدودونا بأهم الأطباق الصحية وهي الحساء، والمردود، سلطة الشعير مع أوراق الثوم.

أ. الحساء: وقد سبقت الإشارة إليه في أعلاه. كان فيما مضى، يجتمع النسوة و الأطفال، ويحضرون حساء جماعي على الكثبان الرملية، حيث يساهم كل جار في مكونات الطبق حسب المستطاع، كما ذكرت السيدة (ب. ج. 81 سنة و ع. ب. 78 سنة و ع. م. 69 سنة) ، نطلب من كل منزل إحضار مكونات الحساء، وهي الدقيق 'زنبو' فعلى كل واحد من الجيران يحضر منه مقدار 'كار' وهو مكيال محلي يساوي 250 غ تقريباً- واحضار الطماطم المجففة المطحونة، والشحم والزيت. يطهى الحساء على نار الحطب، وويوزع الحساء بعد ذلك على الجميع، كبيراً وصغيراً، في

¹Bruno Fourrier, *Les vrais régimes naturels*, science et vie, hors-série, publié par, Excelsior publications s.a. Paris cedex, p89.

* يوجد مكيال يحمل نفس الاسم وهو الكارة، مكيال كان يتعامل به في العراق خصوصاً. والكرّ مكيال بابلي الأصل: ، فالتر هنتس، ، كتاب المكابيل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى، تر. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1970، ص 35. وكذلك ينظر: جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص189.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

فضاء مفتوح. وكانوا دائماً يتشاركون مع الأبناء والبنات الذين يدرسون في المدارس القرآنية، ينتظرون خروجهم من الكتاب ليتشارك الجميع في هذه الوجبة.

لاتزال هذه العادة تقام، وكان في أحياناً أخرى تحضر بالكسكسي الحشن المعروف بالمنطقة 'بالمردود'.

ب. 'المردود': كسكسي حشن، يحضر باستعمال الخضار و البقوليات: (فول، عدس، حمص، لوبياء صنف 'تادلاغ' (*Vigna unguiculata* subsp. *cylindrica*) ، الحلبة، التمر الأحمر صنف 'تيززار' بصل؛ أو يحضر بالسلق أو السبانخ أو الكرنب أو 'أفران' (*Brassica rapa*). بحسب المبحوثات تقول أحدهن (فاطمة) أنه: بالإضافة إلى اللحم يفضل البعض في منطقة تيديكلت استعمال لحم القديد، والغالبية يستعملون لحم الجمل بحسب القدرة الشرائية.

الميزة الأساسية هذا الطبق أنه متكامل من مختلف العناصر الغذائية التي يحتاجها الإنسان والتي تمد الجسم بالطاقة. كما أن إعداده يتطلب كفاءة مميزة حتى يكون على أكمل وجه. يساهم هذا الطبق في خلق جو من الحماسة لدى الأسرة، لدى الضيوف كذلك في مختلف المناسبات، حيث يعد في مناسبات احتفالية مختلفة، مثل إزدياد المولود، الزواج، الوفاة.

ج. سلطة الشعير مع أوراق الثوم: تقول (ع.م) 78 سنة، بأنه بعد موسم الحرث الموازي لشهر أكتوبر بمنطقة تيديكلت، تجمع أعشاب الشعير الغضة وكذلك نبات الفصة (*Medicago sativa*) وتقطع مع أوراق الثوم وتؤكل. كانت هذه الميزة خاصة بموسم الشتاء، عندما يتبع الفلاحين زراعة القمح والشعير فيقومون بإعداد هذه السلطة في البستان/ الحقل 'الجنة' باللسان المحلي.

وقد أثبتت الفائدة العلمية من سلاطة البساتين ، فعلى سبيل المثال "هناك علاج يسمى (ديكومارول Dicomarol) مضاد للتجلط (التخثر) ومصنع من البرسيم المعطب الحلو (ويسمى بالفصة عند العوام (Spailed Sweet Clover) ويستعمل بنجاح للمصابين بجلطة وريدية ملتهبة Trombo-phlebitis"¹

أما بالنسبة لأوراق الشعير الغضة، فقد بينت دراسة بأن أجزاء النباتات الصغيرة تتميز بزيادة محتويات بعض الفيتامينات والبروفيتامينات ومضادات الأكسدة وغيرها من المواد النشطة بيولوجياً. يحتوي عشب الشعير على كميات كبيرة من الكالسيوم والحديد والمغنيسيوم، والبتاكارزتين-β والكلوروفين.¹

¹هرمن بوميرانز، الضغط الدموي وكيف نتعايش معه، عربيه بتصرف عبد الحليم عبد الله العلمي، ط.3، دار النفائس، بيروت 1985، ص 21.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

أيضا، من المعروف أن الأوراق الخضراء للشعير، تمتلك خصائص دوائية قوية، "بما في ذلك مضادات لأوكسدة، مضادة للالتهابات، مضادات الطفور/الأنتميتاجين antimutagen (عامل يتداخل مع طفرات المادة) وأنشطة مضادات الحساسية.

واثبت تقييم الآثار الكيميائية والبيولوجية لهذا النبات في العمل البحثي هذا 'بتحديد التركيب الكيميائي والمكونات النشطة البيولوجية لأوراق الشعير الخضراء الفتية، على مسحوق الرواسب الخضراء كما تم تحديد المساحيق المجففة بالتجميد. أثبتت كفاءة المسحوق المجفف المجمع من الشعير الأخضر، حيث يترك تركيزات مختلفة في خفض فرط كوليسترول الدم hypercholesterolemia. استنتج من هذا العمل أن إضافة مسحوق من أوراق الشعير الخضراء الشابة يحسن وظائف الكبد والكلى في الجرذان شديدة الكوليسترول. كما توصلت الدراسة إلى أنه يمكن استخدام هذا المنتج كعامل تخفيض الكوليسترول ويعتبر أيضا مصدرا لمضادات الأوكسدة."²

تمثل الأطعمة نقطة التقاء العديد من الثقافات والحضارات بوجه عام "والملاحظ أن كثير من الأطعمة متشابهة لأن مناخات البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى كانت تدعم كثير من الممارسات الزراعية المتشابهة، فكانت نباتاتها وحيواناتها متشابهة."³

ومنذ القدم كانت هذه المناطق "تتاجر بمواد الأطعمة، لذلك انتشرت تلك النباتات والحيوانات وطرق تنميتها وزيادتها من مناطقها الأصلية إلى البيئات الجديدة.

ومع ذلك كانت لكل حضارة مزاياها الفريدة التي تنبع من التنوعات في أنظمتها البيئية وتقنياتها وعاداتها التجارية وأديانها وفلسفتها. ويجري التعبير عن هذه التنوعات والاختلافات الطفيفة في طرق تناول الطعام في كل حضارة."⁴

القيمة الغذائية للوصفات المطبخية في أي مجتمع يجب أن تكون مفيدة للجسم خاصة من حيث مضمونها ومأمونيتها وصحتها. وقد كان الغرض من سرد مختلف الوصفات بمجتمع تيديكلت، هو إبراز مدى الحرص على الغذاء قبل الدواء حيث "تلعب التغذية دوراً رئيسياً في صحة الإنسان وفي الوقاية من الأمراض ومعالجتها، وإذا كان من النادر أن تكون عاملاً كافياً للشفاء، إلا أنها غالباً ما

¹Mohamed Foda, *Young Green Barley Leaves As Natural Antioxidants Principles*, Concepts, Bioassay LAP LAMBERT Academic Publishing. 2012.

²Ibid.,

³كاثي ك. كوفمان، *الطبخ في الحضارات القديمة*، مرجع سابق، ص37.
⁴ نفس المرجع، ص37.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

تكون ضرورية. نعي بذلك، أن أمراضاً كثيرة لا يشفيها الدواء، لأن المريض لا يفرض على نفسه تغييراً في نظام غذائه.¹

يرى Michael A. Huffman من منظور تطوري أنه "من المحتمل أن استخدام العديد من النباتات الطبية قد يكون مستمداً من تناول ما يؤكل نادراً أو الأطعمة الاحتياطية التي (تؤكل في فترات النقص الغذائي الرئيسي) مع خصائص طبية داعمة. تتمثل إحدى التحديات والصعوبات التي تواجه تفسير العلاج الذاتي، في التمييز بين الرهان على الفوائد الطبية غير المباشرة المحتملة، المستمدة من النباتات الثانوية الغنية بالمركبات والتي يُفترض تناولها لقيمتها الغذائية مقابل تناول العناصر التي يتم معالجتها فقط لخصائصها الطبية. في بعض الحالات لا تكون ضرورية حتى للتمييز."² ويضيف أن "الاختلاف بين الغذاء والدواء ليس دائماً واضحاً."³

ومن وجهة نظر اعتقادية، أن الغذاء الدواء هو تسخير من الخالق لكل كائن حي على وجه الأرض، لغذائه وفيه في نفس الوقت الدواء، ولكن في حالات قاهرة نضطر للبحث عن النبات كعلاج بديل لما يصيبنا من أمراض وآلام تستدعي البحث عن جدوى أخرى للشفاء، ومن هنا تلعب التجربة والخبرة في حل الكثير من المشاكل التي نعاني منها. ويبقى ذلك كله تسخير من المولى عز وجل لذلك الهدي، يقول تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الجاثية، الآية 13)

3. 4 أدوية الإسعافات الأولية الشائعة بمنطقة تيديكلت:

يقول (ب. أ 81 سنة) والسيدة (ب. 93 سنة) نستعين في حياتنا بالتداوي بالأعشاب وتسمى بعدة مسميات أهمها، دواء 44 عشبة/أو 40 عشبة، 'الصراير' أو دواء 'الكرش'؛ 'الدواء المر'، 'الحشاوش'، 'الصدر'.

عن هذه الأعشاب تقول السيدة، تجمع من وديان الصحراء أو نشتريها من محلات الأعشاب. نعالج بها المرار والمصران لغلظ على الخصوص. وتقصد الغثيان والقيء وأمراض القولون.

¹ دنيز باسو، إرشادات عملية فعالة، تر. محمد كامل ضاهر، ط.1، دار البيروني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص19.

² M.A. Huffman, The animal origins of herbal medicine *Actes du 4e Congrès européen d'ethnopharmacologie*, 11-13 mai 2000, Metz (France) organisé par la Société française d'ethnopharmacologie, l'Institut européen d'écologie et la Société européenne d'ethnopharmacologie, 2000, p33.

³ Op. cit., p 34.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

حيث بينت الباحثة في ورقة بحثية لها¹ أن أمراض الجهاز الهضمي من أكثر الأمراض المتوطنة شيوعاً في المنطقة وهذا ما بينته لنا إجابات الباحثين نسبة إلى 64.3%، كالتهابات المعدة والأمعاء، وانتفاخ البطن وغيرها.

تسمى معظم أمراض الجهاز الهضمي بالمنطقة 'بالمرار'، يعني عدم الاعتدال الصفراوي، وبهذا التشخيص التقليدي يحضر مزيج أعشاب لنباتات محلية ومجربة للإعداد هذا الخليط، الذي يعرف بمسميات متنوعة أهمها، 'الصراير' أو دواء 'الكرش' 'دواء المر' 'الحشاوش' 'الصدور' هذه الوصفات غنية جداً ومميزة في تكوينها، واستخداماتها، وأسمائها المحلية وفقاً لقبائل الصحراء.

تجمع النباتات وتخفف ثم تستعمل بأشكال مختلفة، لتستخدم كإسعافات أولية، مخصصة لمشاكل الجهاز الهضمي سحق، ويتخذ كسفوف يشرب بالماء، وهي الحالة الغالبة في استعمال الأدوية العشبية بمنطقة الدراسة نيديكلت. ومنها ما يترك على طبيعته فيغلى ويشرب نقيعه 'كالشعال' مجموعة أعشاب صحراوية.

فهي في الغالب أدوية بسيطة في تحضيراتها كبساطة سكانها. من أبرز هذه الأعشاب: الشيح، أم ضريقة، الفيحل أو صدره الدواء، السانوج، الحلبة، البساس، الكزبرة اليابسة.

3. 5 ملح العيد:

بمناسبة العيد الأضحى المبارك، تعد وصفات خاصة بهذه المناسبة، وقد مكنتنا مقابلة خمس عائلات من المبحوثين مع كبار السن لكلى الجنسين لمدنا بمعلومات عن أهم الطقوس المتبعة، والتي تبدأ بحسب المبحوثين:

قال (ع. ق 79 سنة) مدرس قرآن: الأيام السبع التي تسبق عيد الفطر وعيد الأضحى تسمى عندنا بـ'العورفات' وهي عطلة الأطفال المتدرسين في الكتاتيب القرآنية (أقريش)، كان الأطفال فيما سبق يجوبون الشوارع مرددين فتح القرابين وبشر المؤمنين. وهذه العادة، وثقها ليسورد ميشال 1938 فقال: "الأيام السبع التي تسبق عيد الفطر وعيد الأضحى، والتي تكون بمثابة عطلة لطلاب المدارس القرآنية وتسمى لدى السكان بالعورفات. وصغار العرب، الذين يرتدون المدرسة القرآنية، يلبسون

¹Aicha Blama Mermaid, **Herbal extracts for digestive system diseases: Ethno-botanical study on Touat area (Adrar- Algeria)**, oral presentation at 'The 2nd Conference on Natural health (2nd ICONAHE) Mostaganem, Algeria, October 26 - 28, 2014

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

أرقى بزاتهم ويمشون في شوارع القصر ويحملون ألواح القرآن في أياديهم، يتوقفون عند كل باب منزل يسعون ويرددون المقطع: فتح القريين وبشر المؤمنين¹

وتضيف السيدة (ع.م 78) نقوم بطحن الحناء وعجنها للتزين، ونحضر على الخصوص ملح العيد يوم عرفة. حيث تجلب الملح من سباح منطقة تيديكلت. وتكسر وتوضع فيها 40 أربعين نبتة/عشبة من (أعشاب طبية برية، مزروعة بذور، حبوب...) ثم نضع جميع المكونات في طبق سعف النخيل ونضع فوقهم سكين، ثم نبيتها في النجوم، بعد ذلك تبدأ عملية الطحن بالرحى الحجرية.

وتواصل الباحثة حديثها وتقول: نوزع ملح العيد على العائلة و الجيران، لتوصير روح المحبة والتضامن وتقول بأن هذا الملح صحي، نعهده منذ القدم لحماية من التخممة بسبب الإفراط في تناول اللحم والشحم.

فوظيفة الملح المتبل هنا، هي الوقاية مما لا يحمد عقباه، وذلك بفضل الأعشاب التي تتكون منها ملح العيد.² وعادة مزج الملح بالتوابل متواجدة في ثقافات المجتمعات أخرى وموثقة.

فعلى سبيل المثال نجد باحثين يشيرون إلى الملح المعطر (Sel aromatiques) تتكون من 80 إلى 90 بالمئة من ملح المائدة (تفضل المحتوية على اليود) أو ملح البحر — 15 بالمئة من الأعشاب الجافة، كالحبق والشبث والمردقوش والبقدونس وإكليل الجبل والكرفس والزعتر والبصل³

وعلى العموم، عادة مزج الأعشاب بصفة عامة تعتر من أشهر الأساليب العلاج الشعبي التي أثبت التحليل العلمي الحديث كفاءتها من الناحية العلمية النباتات، وهي أحد الأساليب التي لجأ إليها القدماء لعلاج مرضاهم ولقد كان يتم تناول النبات إما أخضر أو على صورة شراب أو ممزوج بنباتات أخرى.⁴ يتصف سكان الجنوب بهذه الثقافة المتعلقة بمزج الأعشاب، خاصة باعتبارها صيدلية استعجالية، ونخص لهذه الثقافة في مايلي جانب من الأهمية.

فأهم الأعشاب المزوجة المشكلة لهذه الصيدلية التقليدية بحسب ما اجابة الباحثين لهذه المكونات في الجدول الموالي المعنون بترياق الصحراء.

¹ Michel Lesourd, Dessins géométriques composés par les élèves des écoles coraniques d'In Çalah **Journal des Africanistes** Année 1936, p213

² تفاصيل أكثر، ينظر كتيبنا حول: المهن الحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة أدرار، المعهد الوطني للبحث الزراعي، 2010.

³ Eberhard Teuscher Robert Anton et Annelise Lostein, Plantes aromatiques, édi. Lavoisier, 2005, p 494

⁴ في كتاب الطب الشعبي ص 48.

Ludwing Bradlo, **Ethnomedicine in Tropical Africa in Ethnomedicine: Journal for Interdisciplinary Research**, 1973, Vol. 11, No3-4, P.201.

6.3 تزيق الصحراء

جدول رقم 21 الأعشاب المستعملة كتزيق من طرف الباحثين

النسبة %	التكرار	الاسم العربي	الاسم المحلي
12,08%	299	حلبة	حلبة
12,12%	300	شبح	شبح / زازاري
4,2%	105	دخن	بشنة / اينلي
8,12%	201	قالب	عقاية
6,06%	150	الشبح أحمر الساق	ألالة / تقوفت / ام النفسة / تدوق
8,20%	203	اكليل الجبل	لازير
5,93%	147		قرطوفة / تاكالت
12,08%	299	كمون صحراوي	ام ضريقة
12,12%	300	حبة سوداء	سانوج
4,16%	103	حبق	حبق
8,40%	208	كزبرة	قصر
4,04%	100	فيجل	صدرة الدوا / تيفسكن
2,42%	60	سنا (ثمار)	الزينة / كاسيا
100	2475	/	المجموع

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

يتضح من الجدول النباتات التي يستخدمها المبحوثين كترياق واسعافات أولية في جلات أمراض الجهاز الهضمي على الخصوص، حيث كانت أعلى نسبة لكل من الشيح و السانوج 12,12% وكذلك أم ضريقة والحلبة 12,08%.

وحسب المبحوثين فإن غالباً ما تتخذ هذه الأعشاب والنباتات على شكل مزيج ويسميه كما قالوا بأسماء مختلفة : الدواء المر، الحشاوش، الصراير، دواء المرار-نسبة للشعور بمرارة القيء والغثيان الناتج عن الصقراء المرارة. دواء 40 عشبة، دواء 44 عشبة.)

فالترياق يشبه خليط الأعشاب أو صيدلية الإسعافات الأولية الوارد ذكرها أعلاه. وتوارد خواطر التراكيب الدوائية شيء وارد بين الناس، فلو نظرنا إلى مفهوم الترياق وتاريخه، للاحظنا التشابه في مجز الأعشاب وحتى بعض المعادن.

والترياق "معجون مُركَّب من سبعين مادة ونيّف من أصل نباتي وحيواني ومعدني، كان الدماء يُعدّونه شافياً من كل أنواع السموم ويحافظ على الصحة ويعالج أمراضاً كثيرة، أما استخدامه الرئيس فهو دواءً نافع من لدغ الهوام والحشرات السامة والسموم، وهو ما يمنع ميكانيكياً امتصاص السم من المعدة والأمعاء، وينطبق وصف (الترياق) بأنه دواءٌ لأن الدواء بالتعريف [مادة أو مُركَّب يقدم على أن له خواص شافية أو واقية تجاه الأمراض]."¹

وأصل الترياق التاريخي بحسب المصادر الطبية أنه يوناني، وقد "قام بابتداعه وتركيبه الفيلسوف اليوناني (أندروماخس القديم العهد) ويعتبر الأنصاري أن ابتداء ظهوره في زمن (أندروماخس) إلى وفاة (جالينيوس) في عام 201م هو ألف واثان وثمانون سنة، فيكون الزمن الذي عاش فيه أندروماخس القديم العهد بحدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو زمن ظهور الترياق."²

ويبدو جلياً أن تركيب الأدوية ومن أهمها الترياق له جذور قديمة في "الحضارات القديمة الأخرى. ويشرح الأنصاري كيف اهتدى القدماء كيف اهتدى القدماء إلى تركيب الترياق من وجوه عدة منها: الأحلام والبخت (الحظ) والاتفاق والفكر العام الموجود في جميع الناس والإلهام والقياس وأخيراً ما تقوم به الحيوانات في أفعالها."³

¹محمد فؤاد الذاكري، الطب والأطباء في القدس نهاية القرن الحادي عشر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص 139 و140.

²محمد فؤاد الذاكر، نفس المرجع، ص142.

³ نفس المرجع، ص142.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

قال الأنصاري علي بن عبد العظم-من حفظ معلومات قيمة وموثوقة عن المصادر الطبية والنباتية حتى القرن السابع الهجري.¹

فهو-صاحب مخطوط جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق: "ناهل عصرنا وزماننا قد قلت عنهم الهمم عن الفحص في أسرار العلوم والحكم وخصوصا طلب علم الطب... وعذلوا عن إمعان الفكر في الغوامض والأسرار وخصوصا عن الترياق...فوقع فيه الاختلاف فلم يبق منه إلا الرسم ودثر منه إلا الرسم...وعدل الناس عنه... وأهمل على جلالة قدره الترياق الأعظم والفاروق المكرم.²

نستنتج أن مزج الأعشاب وخلطها، طريقة صاربة في التاريخ وما نشهده في تراثنا الثقافي ما هو إلا امتداد لحضارات غابرة لما خلفه الأسلاف. وعملية مزج الأعشاب أقرب ما تشبه لضربة حظ، حيث لدينا أعشاب وربما معادن أو غيرها من المكونات تساهم تفاعلاتها في القضاء على السموم وهي رأس العلل، وما يعالجها إلا مضاداتها لشفاء البشر منها.

7.3 الممارسات العلاجية الأخرى

أما الممارسات العلاجية الأخرى فقد ذكر المبحوثين وصفات وطرق علاجية أخرى ومنها:

الحجامة بنوعيتها، الجافة والرطبة التدليك، الكي، تجبير الكسور:

التداوي* الحجامة الجافة والحجامة الرطبة:

. الحجامة بنوعيتها، الجافة والرطبة، والملاحظة الميدانية بينت لنا بأن الحجامة الجافة تستعمل بكثرة في منطقة تيديكلت.

أ. الحجامة الجافة: تقول السيدة (ب.ب 65 سنة) أن الحجامة الجافة نستعملها نحن 'المسدات' - أي اللواتي يستعملنا التدليك-، نستعملها 'لسرة الطايفة' أي عندما يحمل شخص ثقل ما أو يسقط بغتة فيحدث اضطراب في الأحشاء، نقوم بعمل الجرة أو قارورة زجاجية على مستوى السرة.

الطريقة الملاحظة في أحد جلسات العلاج من طرف الباحثة:

¹ نفس المرجع، ص166.

² نفس المرجع، ص166.

انفس المرجع، ص142.

*Aicha Blama, Nassima Mokhdani, **Medical practices in the Touat (Adrar) population of the algerian south-west sahara**, Congrès international des plantes médicinales et aromatique à Coimbra, Portugal. le 29, 30 et 31 mai, au 01 juin, 2016. www.CIPAM2016.com

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

يتم إلقاء المريض على ظهره، ثم يبدأ المعالج/المعالجة بعمل حركات تمسيد خفيفة على مستوى البطن بعد صب القليل من الزيت على بطنه، تواصل عملية التمسيد لبضع دقائق حتى يسخن الجلد.

ثم توضع صرة من قماش قد ملئت بالملح ورطبت بالزيت. تشعل تلك الصرة في رابطتها بالنار وتوضع بجذر على مستوى السرة، وبسرعة فائقة وبجذر ذوي الخبرة. يوضع على الصرة المشتعلة الزير أو الكأس فوقها. بعد ذلك تنجذب البطن نحو الزير /الكأس لمدة دقائق معدودات يشعر من خلالها المريض بالراحة والاسترخاء.

في هذه العملية، يتم حرق الأكسجين الموجود بداخل الكأس، فينجذب الجلد داخل الزير/الكأس. ثم تمسد البطن بشكل خفيف، بعدها، يشد بطن المريض بقطعة طويلة من القماش، إلى يتعافى.

تعلقنا على هذه الممارسة القديمة هو أنها تمارس في مختلف التراب الوطني، وقد ذكرت في بعض مؤلفات المهتمين بالتراث لطبي أو الدراسة الأنثروبولوجية على الخصوص، فقد أشار إلى ذلك س. رامس C. Rames في مقال له حول بني عباس،* حيث يستعمل المعالجين الشعبيين، الحجامة الجافة باستعمال 'الزير'، وهذه الطريقة شائعة في مختلف المناطق الصحراوية، وقد لاحظنا ذلك على الخصوص في مدينة المنيعة، أين يحتفظ بالزير خصيصاً لمثل هذه الممارسات التقليدية لدى معالجين تقليديين.

في أغلب الأحيان يركز مستعملي الحجامة الجافة التقليديين على السرة، ويجتسون النبض بدقة متناهية باستعمال أصابع اليد، ويقومون بدهن البطن بطريقة فنية، والغرض من ذلك يهيئون الجلد والبطن على السواء بالتسخين، لتهيئة الدورة الدموية في الجلد ومن ثم يضعون الصرة المشتعلة فوق السرة. فالسرة تمثل لهم مركز التوازن، وبحسبهم فإن أي اختلال في التوازن يعالج من خلالها.

وعلمياً، تستعمل الحجامة الجافة لتحفيز الجلد، بدون جرح الجسم وإخراج الدم كما هو الحال في الحجامة الرطبة، أين يتم شرط الجلد لجذب الدم في الكأس. ولاحظنا بعض ربات البيوت بالمنطقة يستخدمونها بشكل كبير على مستوى البطن، يكون موقع الشفط الجاف بمكان السرة.

وبذلك تنبه أعضاء الجهاز الهضمي من ذلك المركز، حتى تتمكن من استعادة عملها، وبذلك يستعيد المريض عافيته. وبذلك فإنّ السرة -المصدر الأول لغذاء الجنين وهو في بطن أمه- يتم علاج

*Rames, C. Béni Abbés. Étude historique, géographique et médicale. Arch. Inst. Pasteur d'Algérie 1941 Vol.19 No.1 pp.80-157 pp.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

المريض من خلال هذا المركز الذي قطع فيه الحبل السري، استذكراً واستشعاراً أو تنبيهاً أساس غذاء الوليد ليخرج للحياة.

ب. الحجامة الرطبة:

تمارس الحجامة الرطبة وفقاً لما جاء في السنة المطهرة وهدى سيد المرسلين ﷺ، وبحسب هذه العملية في 17، 19، أو 21 يوماً من الأيام القمرية اي بعد أيام البيض كما جاء في هدى النبي ﷺ "عن أنس، عن النبي ﷺ قال: "من أراد الحجامة، فليتحّر سبع عشرة، أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين، ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله" (أخرجه ابن ماجه)

وعن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من احتجم لسبع عشرة، ولتسع عشرة، وإحدى وعشرين، كان شفاء من كل داء" (أخرجه أبو داود). أم الأدوات المستخدمة هي قرون الحيوانات، كؤوس الزجاج. وتتطلب الحجامة الرطبة مختصين متميزين من أهل الدراية والخبرة في هذا المجال لتجنب تلوث الدم وأمور وقائية أخرى لتجنب العدوى.

أظهرت العديد من البحوث العلمية فائدة الحجامة، خاصة تلك التي تتعلق بالإعجاز العلمي في الكتاب والسنة. ودليلها في السنة ما ورد عن جابر بن عبد الله سمعت الرسول ﷺ يقول: "إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي" (أخرجه البخاري).

ج. التدليك: بينت الدراسة أن 25 بالمئة من المبحوثين يفضلون التدليك 'لمسيد' حيث يرون

أنه يشعرهم بالاسترخاء. وقالوا بأن أكثر الأماكن التي يتم التدليك عليها، هي البطن والساقين.

بحسب إدليسى بالفرنسية ماساج massage من الكلمة العربية، جس، لمس بالأيدي.¹ وأظهرت الدراسة بمنطقة تيديكلت أن التدليك لغرض الاسترخاء هو من أكثر الممارسات التي ذكرها المبحوثين. حيث تستخدم هذه التقنيات في غالب الأحيان (للنساء والأطفال ممن يعانون من مشاكل في الجهاز الهضمي مثلاً المغص، ويمكن الاستفادة من التدليك المنتظم في البطن، لمدة ثلاثة أيام.

يتم استخدام التدليك اليدوي كذلك وبشكل خاص للمرأة بعد الولادة، بعد أسبوعين أو ثلاثة من الولادة، مع ربط الشاش على حوض الجسم لاستعادة لياقة جسم المرأة بعد التحولات التي حدثت له

¹Mohamed Amir Bennis. Contribution à l'étude, de l'histoire de la santé en Algérie, autour d'une expérience vécue en ALN Wilaya 5, réflexions sur son développement, OPU. Algér, 1986, 35.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

بعد الحمل، مراعاة للحالة النفسية والصحية لها وكذلك لزوجها. فالجانب الجمالي له خصوصيته في المجتمع وعلى الأسرة أن تحرص على تطبيق كل المهارات الثقافية المتوارثة عن الأجداد، ليكون الفرد في الصورة التي تتماشى والإطار الاجتماعي والثقافي للمجتمع.

—**الاهتمام بتمسيد الجلد من الناحية العلمية:** في هذا الإطار يرى أمين رويحة أن "كل مرض من الأمراض يبدأ باضطراب في الدورة الدموية، والأبحاث العلمية تسجل في حالة المرض وجود خلل في العمل الفيزيولوجي للعضو المصاب. فالمرض هو إذن نتيجة اختلال العمل في العضو أو أنه الاختلال نفسه. ويبدأ هذا الاختلال بالدرجة الأولى في الدورة الدموية."¹

ويوضح أمين رويحة "أن الخلل في الدورة الدموية ليس منبعثاً من الدم نفسه، أي أنه ليس نتيجة عوامل كيميائية، بل أنه أمر خاص بمسالك الأوعية الدموية الشعرية التي يتغير حجمها بازدياد الضرر أو التضيق أو التوسيع فيه. أي أن الخلل المذكور ناتج عن عوامل فيزيائية. وهذا ما يؤدي إلى انخفاض سرعة جريان الدم فيها"²

ويصف طريقة التدليك الصحية بقوله: "إن التدليك يوجه دائماً إلى النسيج الضام حيث يؤثر على الأعصاب النباتية حول الأوعية الدموية فيه". يشرح كذلك التدليك (الكلاسيكي) والذي يفسره بقوله: أن التدليك (الكلاسيكي) يجد في العضلات ميدانه المفضل، فالتدليك بعجنه ومطه للحزم العضلية، يحدث فيه زيادة في كمية الدم hyperamie النقي المشبع بالأكسجين -مولد الحموضة. فيزداد بذلك نشاط العضل وإقباله على العمل الذاتي في أداء حركات (جمناستيكية) مناسبة، يوصي الطبيب القيام بها بعد التدليك مباشرة. والعمل الذاتي المقصود هو الذي يقوي العضل ويزيد طاقته."³

وتحصل الزيادة في الدم النقي في العضل عند التدليك بفضل "الكتل العصبية المنتشرة بكثرة، في النسيج الضام بين الألياف العضلية. فعندما يحتاج العضل إلى المزيد من الأكسجين ترسل هذه الكتل العصبية (نداء استغاثة) إلى الأعصاب النباتية، فتستجيب فروع هذه الأعصاب إلى النداء وتوسع الأوعية الدموية، فتزداد كمية الدم فيها، فالأعصاب النباتية لا تتلقى نداء مباشرة من العضل نفسه بل

¹ أمين رويحة ، مرجع سابق ص 93.

² نفس المرجع، ص 93.

³ نفس المرجع، ص 91.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

تتلقاه بصورة غير مباشرة وبواسطة الكتل العصبية فيه. والتدليك يستهدف إثارة هذه العملية ذاتها، في العضل وليس الألياف العضلية نفسها.¹

أما "تدليك النقاط الحساسة في الأعصاب فإنه يوجه إلى إمكانية تجمع للجهاز العصبي النباتي على امتداد العصب المدلك. وكذلك تدليك سمحاق العظام الذي يتلقى ضغط الأصابع المدلثة. حيث يظل محصورا بين هذه الأعصاب الضاغطة نحو العمق وبين العظم نفسه. ولولا وجود العظم لما أمكن الوصول بالتدليك إلى السمحاق. فتأثير التدليك كتأثير الماء البارد أو الحار: ينتقل بعودة مباشرة أو غير مباشرة إلى فروع الأعصاب النباتية المحيطة بالأوعية الدموية."²

في الآونة الأخيرة، ابتكرت طرق علاج حديثة تهتم بالتدليك، على سبيل المثال لا الحصر، طريقة الساودوجوك وهي من "ابتكار العالم الكوري الجنوبي البروفسور باك تشيجي. ويهدف العلاج بهذه الطريقة، هو الوصول إلى فهم وإدراك قوانين الحياة الأساسية التي تعبر عن ترابط العلم التقليدي الغربي والمعرفة المتراكمة في الطب الشرقي منذ قديم الزمان."³

وتعني "الساودوجوك* اليد والقدم إن منظومات المقابلة لليد والقدم. فهي بحسبه عبارة عن أزرار تحكم عن بعد بصحة الإنسان. فيقول بأنه إذا نظرنا بانتباه إلى اليد والقدم وجدنا صور مكررة لبنية جسدنا عندما تتمكن من فهم بنية هذه المنظومات علاجية وعندما نكرر لبنية جسدنا من بنية جسدنا وتحديد النقاط والمناطق التي يجب تحفيزها في حالة المرض."⁴

إدراجنا لطريقة الساودوجوك يعود لعلاقة تدليك اليد مع الحجامة الجافة. لان لاحظنا بعض المعالجات يقمن بتدليك المنطقة الوسطى ما بين الإبهام والسبابة لاعتقادهم بالارتباط الوثيق بين السرة (البطن) والإبهام. حيث تعتبر هذه المنطقة بمثابة ذر التحكم لإعادة التوازن للجسم لمنعب. بالتدليك الخفيف ثم الضغط قصد إلام تلك المنطقة وتحفيزها. فلاتزال تستخدم الحجامة الجافة مع التمسيد، لعلاج آلام الجسم المختلفة، وكذلك الظهر والكتفين والبطن.

فالجسم ومنظوماته المقابلة " يتواجد في حالة دائمة من التعاون حيث، يتم خلال التعرض للمرض إصدار موجة الإشارة من العضو المصاب في الجسد الى النقطة المقابلة له لتحويلها الى وضعية التيقظ

¹ أمين رويحة، الروماتزم، مرجع سابق، ص 93.

² نفس المرجع، ص 91

³ باك تشيجي فو. المعالجة بتنبية اليد والقدم (الساودوجوك)، تر. احمد عواد. ط. العربية دار القدس للعلوم للطباعة والنشر والتوزيع. 2004 .

* الساودوجوك هو أسلوب تم اكتشافه في كوريا الجنوبية وهي طريقة متممة للطريقة التقليدية للوخز بالإبر بحسب باك تشيجي.

⁴ نفس المرجع، ص 9.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

حيث تصبح في حالة إيلام (تصبح مؤلمة). وعند تحفيز النقطة تولد الموجة العلاجية التي تُعيد العضو المصاب إلى حالته الطبيعية.¹ يرى صاحب هذه الطريقة أن "هذا الأسلوب ناجحاً في حالات الأمراض القديمة والمزمنة المتوافقة مع آلام المفاصل."²

ويشترط في هذه المعالجة "تدليك نقطة المعالجة كاملة حتى اختفاء الألم المتبقي والشعور بالدفء مكانها."³ ويعتبر الإبهام والسبابة أكثر الأصابع استخداماً لتنبية النقاط "بواسطة نهاية الأصبع أو الأظفر ويتم التنبية بطريقتين: التهدة والتحريض. حيث يتخذ تنبيه النقاط بإحدى الطريقتين عدة أشكال، منها التمسيد والتدليك وتطبيق عمودي مستمر أو اهتزازي على النقطة."⁴

وعن الأسباب التي تحدث في (الخلل الوظيفي) في العضل، بحسب أمين رويحة، فهي متعددة ومختلفة: (العدوى infection والتسمم toxin، وفرط التحسس allergies).

يعاني سكان تيديكلت من هذه الأمراض خاصة، وهذا ما سجلته الإحصائيات الطبية للأمراض الواردة عن مديرية الصحة لولاية تمنراست، إلى أن الأمراض المعدية وأمراض الحساسية من بين الأمراض المنتشرة بمنطقة تيديكلت بالإضافة إلى التسممات، ومردّها كما أشرنا أعلاه ربما إلى الخلل الوظيفي في العضل، مما يستدعي إلى ظهور المرض على أشكال مختلفة منها الروماتزم (حيث بلغت الاستشارة الطبية 7 بالمئة، سنة 2017) ويعاني المرضى من أشكاله المختلفة.

وقد بين أمين رويحة بأن " (العوز الموضوعي للأوكسجين): أن مجموع العضلات في الجسم يكون أكبر عضو فيه. وهذا العضو يحوي ثلث قيمة الدم في الجسم كله. ومن المعروف أن كل عضل يفتقر عند العمل إلى الأوكسجين فيشعر بآلام شديدة، ثم يشل بعد وقت قصير ويعجز عن العمل (الحركة) فهذه الحالة في العضل كالروماتزم المفصلي المزمن -مردّها إلى (العوز إلى الأوكسجين - هيبوكس (hypoxie)، ولا فرق بين الإصابتين إلا بتفاوت الدرجات."⁵

فمعاناة المرضى من الروماتزم بسبب فرط الحرارة في الصيف، مع البرودة الشديدة في الشتاء تكلف السكان ثمن صحتهم، بسبب التغيرات المفاجئة والمتطرفة لدرجة الحرارة التي تحدث في البيئة الصحراوية، وهذه التغيرات تؤثر بشكل مباشر على أهم الحواس في الجسم ألا وهو الجلد. وهذا ما

¹باك تشجي فو، المعالجة بتنبية اليد والقدم، مرجع سابق، ص 15.

² نفس المرجع، ص 83.

³ نفس المرجع، ص 86.

⁴باك تشجي فو، نفس المرجع، ص 86.

⁵ أمين رويحة مرجع سابق ص 18

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

يفسر تركيز المعالجين التقليديين على عملية التدليك. "لذلك ليس من المستغرب أن يعنى العلاج الحديث للروماتزم المفصلي عناية تامة بعضلات المفصل المصاب، في تعهدها بالتدليك وخلافة من وسائل العناية والتقوية."¹

لقد أورد أمين رويحة طرق علاج الروماتزم بالطريقة الطبية الحديثة، لكن الاستعمالات العلاجية التقليدية تتم في تيديكلت بحسب ما لاحظناه يتم باستعمال الزيوت ودهون مستوردة أهمها زيت النعام 'زهم النعام' زورو Rub أو 'أبوفاس' و 'كريم البريانتين' وهي خلاصات زيتية ودهنية من زيوت أساسية مصدرها زيت النعناع الأساسي وزيت الكاليتوس أو زيت الكافور أو حيوانية المصدر... وغيرها من المسكنات. وهناك من يستعمل دهن العرائس المعروف باسم 'الخامرة' أو 'المعجونة' لتسكين آلام الروماتزم، نظراً لما تحويه من زيوت عطرية أساسية.

د. الكي: 30/8 من المبحوثين استعملوا الكي، ويرون بأنه يفيدهم في إعادة الحيوية لجسمهم، وقالوا بأن الكي يستعمل سواء بغصن من شجرة الحناء، أو نبات الرتم. و'يستخدم الكي للصداع أماكن محددة من الرأس. معظم المعالجين يستعملون عود لحناء، أو عود شجيرة الرتم. كما يستعمل الكي لعلاج الخوف (الخلعة)، بواسطة كي الأظافر بتقنية سريعة من طرف المعالج."²

يوجد الكي في مختلف الثقافات العالمية للطب التقليدي، بل حتى في الطب البديل وارد استعماله. ونشير إلى نوع من العلاجات التي يستخدم فيها الكي بأغصان نبات الشيح وذلك في ممارسة الساودوجوك، أين قام الدكتور جودونغ لي الكوري الجنوبي بمعالجة مريض، وقد ارتخت رقبته، قام بكي المنطقة المقابلة للرقبة مرتين بواسطة عود مسخن (دون حرقه) من نبات الشيح. ارتخت الرقبة مباشرة وزال الألم. وبعد مرور قليل من الوقت استطاع إعادة الرقبة إلى وضعيتها الطبيعية. خلصته طريقة الساودوجوك من الألم المزمن."³ هذا مثال لعملية الكي في العلاج الطبيعي الحديث.

وفي عصرنا الحالي تستعمل تقنية الليزر (LASER):

وتعني باللغة الإنجليزية: (amplification by stimulated emission of radiation light) وبالعربية الليزر أو تضخيم الضوء بالانبعاث المحفز للإشعاع، تستعمل في مجالات مختلفة ومنها المعالجات الطبية،

¹ أنفس المرج، ص 19

² Aicha Blama, Nassima Mokhdani, Op.cit, 2016.

³ بياك تشجي فوس، مرجع سابق، ص 91.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالاعشاب في تيديكلت

"إنتاج الحرارة لعمليات القطع الصناعي وفي العمليات الجراحية خاصة في العين" وهو ما يدفعنا بربط هذا التطور بما قالته العرب آخر الدواء الكي أو كما قال فاروق مواسي*:

"«آخر الطب الكي»»، ويمكن قبول المثل «آخر الداء...»، على تقدير مضاف محذوف والمعنى: آخر علاج الداء الكي، أو على أن المعنى: نهاية الداء الكي. ثم إن المثل ورد في كتاب الزمخشري «المستقصى في أمثال العرب»، ج1، ص3: آخر الدَّوَاءِ الكيُّ : لأنه إنما يُقَدِّم عليه بعد أن لا ينفع كل دواء، وقيل «آخر الطب...» وقيل «آخر الداء العياء الكي»- أي إذا أعضل وأبى قبول كل دواء حسم بالكي آخر الأمر. على هذا تصح الرواية بمعنى- نهاية الداء العضال هو الكي"¹

ويضيف فاروق مواسي، "ورد في الحديث: أنه كوى سعد بن معاذ لينقطع دم جرحه الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض. من جهة أخرى جاء في أحاديث كثيرة النهي عن الكي، فقيل: إنما نهي عنه من أجل أنهم كانوا يُعظِّمون أمره ويرون أنه يحسم الداء، وإذا لم يُكوَ العضو عطب وبطل، فنهاهم عنه إذا كان على هذا الوجه، وأباحه إذا جعل سبباً للشفاء لا علة له."² وهذا من وجهة نظرنا رأياً صائباً.

هـ. تجبير الكسور: يرى 30/5 من المبحوثين أن تجبير الكسور كان ولا يزال يمارس بشكل متوسط، بسبب قلة جابيري الكسور ولم يبقى سوى شخص كبير في السن يمارس هذه المهنة بقرية الساهلة (شمال عين صالح). وذكرهم الوصفات المتخذة لتجبير الكسور والتي تتكون بحسبهم من: الطيز ومسحوق الحناء مع البيض. وذكروا نظاماً غذائياً يتبع من طرف الشخص المكسور (المقروض) يتكون في الأساس من 'عصيدة البشنة' مع الحليب. سهل التحضير ومغذي في نفس الوقت. يستعمل المبحوثين حسب وصفهم لنوع البشنة أو الدخن الذي تستعمل منه العصيدة يسمى 'الجبار' أو 'المقروض' للكسور. فالشخص المكسور يعطى له حساء أو عصيدة التجبير مع الحليب لإصلاح العظام.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الدخن له قيمة غذائية عالية كما هو غني بالفيتامينات، كفيتامين E و B، المعادن كالحديد والمغنيزيوم والزنك والفسفور والبوتاسيوم. والميزة التي يختص بها الدخن هو خلوه من الغلوتين مما يسمح للمصابين بمرض celiac من تناوله. لهذا النبات الذي ينتمي للحبوب

* بروفييسور، أديب، وأكاديمي فلسطيني، دكتوراه في الأدب العربي.

¹ فاروق مواسي آخر الداء الكي، موقع ديوان العرب الإلكتروني، الأحد 29 تموز (يوليو) 2018 (<https://www.diwanalarab.com>)

² نفس المرجع.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

استعمالات متعددة، بل تعدت أهميته الغذائية والعلاجية إلى دوره البارز في الناحية الاقتصادية. فتاريخياً اعتبر نبات الدخن mil من أهم السلع المتبادلة في الصحراء. هذا وقد أفرد ميمز ميشال Museur Michel دراسة هامة حول تجار القوافل وتبادل الدخن والملح.¹

حيث يرى "معظم المؤلفين حول هذه التجارة العابرة للصحراء من طرف القوافل كانت موجودة بالفعل قبل نهاية القرن السابع عشر."² وبشأن تجارة الدخن لمنطقة تيديكلت يقول: بأنه في القرن الثامن عشر، كان بين السودان ومنطقة تيديكلت وخاصة فيما يتعلق بدخن النيجر الدور الذي لعبه الطوارق والعرب في هذه التجارة. ويرى ميشال ليزورد، أن تجارة القوافل، تلوح أكثر إلى المعايير الاجتماعية والثقافية عنها من المعايير الاقتصادية الصارمة. والواقع أن الطوارق لا يزلوا يقومون بـ 'عُرف' القوافل.

اكتسب نبات الدخن أبعاد اجتماعية ثقافية، تجلت في سلوكياتهم اتجاه التجارة وزراعة الدخن لغرض غذائي علاجي وقائي، ودراية تجريبية لسكان الواحات، تتداول بينهم، نظراً للقيمة الغذائية الجيدة لحبوب الدخن. إن خبرة الاستعمالات الغذائية الخاصة بالطوارق والزواج على السواء للدخن، من المكتسبات الثقافية التي ورثها سكان تيديكلت. ومن بين هذه الأطباق يذكر الباحثين: 'العجيرة التي تخلط مع التمر وحليب الإبل، طبق مميز للبدو الرحل في الصحراء وقد سبقت الإشارة إليه في أطباق الصيف المتداولة في المجتمع.

تبرز السلوكيات الاجتماعية السائدة بمنطقة تيديكلت مكانة التداوي بالأعشاب في المجتمع في مختلف مناسبات الحياة التي تتماشى والنظام الاجتماعي وثقافته.

ويظهر الانصهار الثقافي لمختلف المكونات الاجتماعية الثقافية، درجة التمازج فيما بين أفراد المجتمع، والتي تظهر في سلوكيات حياتهم. وساهم ممر القوافل القديمة في تخزين هذه السلوكيات في تراث المنطقة وفي ذهنيات سكانها بفضل الاهتمام بالنظام الاقتصادي المرتكز على التجارة العابرة للقارات. كما لا يفوت سكان تيديكلت فرصة تمرير ما اكتسبوه عبر الأجيال.

¹Museur Michel. **Un exemple spécifique d'économie caravanière: l'échange sel-mil...** In: Journal des africanistes, 1977, tome 47, fascicule 2. pp. 49-80 ;p 67. http://www.persee.fr/doc/jafr_0399-0346_1977_num_47_2_1795

²Museur Michel, p 49.

4. مقارنة سلوكيات سكان تيديكلت في التداوي بين الماضي والحاضر.

تبين لنا من خلال مقارنة بين أساليب التداوي بالأعشاب في الماضي والحاضر، أن هذه الأساليب لم تتغير في معظمها، وهذا يدل على أن الموروث الثقافي في هذا المجال ظل متوارثاً جيلاً بعد جيل. وسنتطرق لإبراز ذلك بعرضنا للدراسة التي قام بها ميرو سيفي Maire et Seville سنة 1955، مع التعليق على ما جاء فيها وإمكانية العثور عليها في الوقت الحاضر. وقد شملت هذه الدراسة، معظم الدراسات السابقة لزملائهم الفرنسيين من معهد باستور بالجزائر، كما استعانا فيها بالدراسة التي قام بها فوانو Voinot حول تيديكلت.

4. 1 طب الأهالي¹

في عرضهم لمجالات التداوي لدى السكان المحليين يعتمدان على الدراسة التي قام بها ليسورد M.Lesourd سنة 1937 والتي تكلم فيها عن التدابير الطبية الممارسة من طرف 'الحراطين' بعين صالح، وهي دراسة تحمل نزعة اثنية لفئة من المجتمع عينت أدوارها على الخصوص العمل في الزراعة. إلا أن ميروسافيي، ركز على الأمراض السائدة وطرق علاجها. يقول الدارسين: كما هو الحال في الصحراء، فإن سكان تيديكلت، على الرغم من ثقتهم بالطب الحديث، يلجئون إلى المعالجين التقليديين الذين يمررون وصفاتهم من الأب إلى الابن، أين يتم علاج المرضى مجاناً، ولكن من المعناد أن المريض يقوم بشكر مقدم الرعاية له مع القليل من الهدايا.

استعمال الكي بالنار، الحجامة، وكؤوس الشفط، هو على نطاق واسع للغاية. يتم التعامل مع الكسور من طرف الرحل بعد العلاج بالحركة، من خلال وضع الجص مع الطين المختلطة وبياض البيض ممزوج مع كرة الشعير، يتم وضع لوحات خشبية معقودة بشرائط من القماش، لتبقى لمدة 40 يوماً.

المعالجون أيضاً يقومون بالعديد من الأدوية، والتي أغلبها نباتية. فهي تلك المستخدمة كغيرها بعظم البلدان الصحراوية والتي من بينها الشيخ، السانوج، إكليل الجبل، الحلبة، الحلتيت. هذا بالنسبة للنباتات، وأما لحم الضب فهو الأكثر استعمالاً (في الوصفات). اعتقاداً بقول العرب "مئة طب في راس الضب"²

¹Maire et Seville, Op. Cit 429.

* ذكر محمود شكري الألويسي (1856-1924)، في كتابه بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، استحباب العرب قبل الإسلام لأكل الضب.

²Op. Cit, p 430.

الفصل السابع: التعرف على الانماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت

ثم يسرد الباحثان الأدوية الأكثر شيوعاً وفقاً لأعراض المرض. إرتأينا أن ندرج تلك المعلومات الواردة من طرف مير Maire وسيفيي Seville مع درجة تواجدها في وقتنا الحاضر، وقد مثلنا درجة تواترها برمز الزائد (+) وأشرنا إلى عدم استمرارها برمز الناقص (-) (أنظر في الملحق)

إعتماداً على معطيات الباحثان Maire et Seville، نلاحظ أنه لا تزال عينة من أفراد من مجتمع تيديكلت، وخاصة كبار السن، يستعملون بذور 'بوفتاش' لإخراج أي جسم غريب من العين، وذلك بالإعتماد على مقابلة لإحدى المبحوثات التي حدثتنا بذلك.

بالإضافة إلى وجود هذا النبات في دكاكين الأعشاب أو عند نساء يعين بعض الأعشاب أو منتجات محلية كالحناء البخور وبعض عطور السودان وزيوها وغير ذلك من الأغراض القليلة يعرفن باسم 'الدلالات'. كما يشتري من ولايات مجاورة كتمراست وأدرار.

قدمت هذه الدراسة من طرف مختبر الصحراء التابع لمعهد باستور في الجزائر؛ مديرية الخدمات الصحية في الأقاليم الجنوبية. وحسب تحريتنا الميدانية، لا يزال البعض منها مستعمل، خاصة النباتات الطبية أو البرية التي تعرف استمرارية الاستعمال.

مما سبق ذكره يتبين لنا الممارسة الطبية التقليدية بمنطقة تيديكلت بالمقارنة مع ما ورد في بحوث سابقة، أن البعض منها لازال سائداً والبعض الآخر والمليء بالخرافات ولى مع الزمن، وذلك بفضل الاستقلال أولاً وبفضل انتشار الوعي ثانياً. لان الجهل يؤدي إلى استمرار الاستعانة بالخرافات والخزعبلات والعلم يصد طرقة الملتوية.

فهذه الممارسات التقليدية متواجدة جميع أنحاء العالم، وهذا ما أقرته منظمة الصحة العالمية في استراتيجيتها (2014-2023) بأن "لدى العديد من البلدان أعرافاً تقليدية متوارثة تخص شعوبها في مجال التداوي والاستشفاء من الأمراض والأوجاع، ولهذه الأعراف جذورها في أعماق ثقافة هذه الشعوب وتاريخها"¹

وهناك جدول يوضح مختلف النباتات المستعملة من طرف المبحوثين (أنظر في الملحق)

¹ منظمة الصحة العالمية، استراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبى): 2014-2023، سنة 2013، ص 23.

النتائج الجزئية

يتبين لنا مما سبق، أن الأنماط السلوكية الاجتماعية والتداوي بالأعشاب في تيديكلت تتسم بتجانس الوصفات والتدابير المتخذة لمواجهة المرض. ساهم التمازج الثقافي والاجتماعي باعتبار منطقة تيديكلت محور التقاء في تجانس السلوكيات المتخذة في التداوي بالأعشاب والممارسات العلاجية والتي اغلبها مستمدة من الطبيعة، حيث انعكست الحياة البدوية المنصهرة بثقافات متنوعة ساهمت بشكل أو بآخر في اتخاذ التدابير الوقائية لصد المرض قبل وقوعه، واتخاذ أسباب العلاج في حالات المرض.

فالمرض لا يميز بين فقيراً ولا غنياً، ولا صغير ولا كبير، والتداوي بالأعشاب في مجتمع تيديكلت (عين صالح)، يتأثر بالأنماط السلوكية الاجتماعية السائدة في المجتمع، بما فيها من عوامل بيوثقافية أثرت على ممارسات أفراد المجتمع في تعاملاته وتوجهاته اتجاه صحته في الحياة اليومية وفي نظمه الاجتماعية كنظام الزواج والعائلة وما يتضمنه من مجالات ثقافية متنوعة وممارسات تتم في مناسبات سيرورة الحياة، من خطبة وزواج وختان وحج واحتفالات اجتماعية ودينية.

وارتأينا أن نبرز هذا الجانب بشيء من التحليل من جانب البناء الأسري، في الفصل الموالي بشكل من التفصيل والتحليل والمعنون بـ: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية بمجتمع تيديكلت.

الفصل الثامن:

المناسبات الإجتماعية والثقافية
وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

تمهيد

يعتبر استعمال الأعشاب في الحياة اليومية لمجتمع تيديكلت متعدد الاتجاهات والأبعاد. سواء تعلق الأمر في نظمه الاجتماعية، كنظام الزواج والعائلة وما يتضمنه من سلوكيات في مجال التداوي بالأعشاب واستعمالاتها وسواء فيما ما يكتتزه من ثقافات. ارتأينا أن نبرز هذا الجانب في سيرورة الحياة، انطلاقاً من جانب البناء الأسري بداية من الحياة الزوجية، ثم الولادة وما يليها من مناسبات كالحتان، الحج، والوفاء ومناسبات أخرى، مع إبراز البعد الثقافي لكل مناسبة.

وقد تطرقنا إلى أبرز السلوكيات الممارسة في مناسبات مجتمع تيديكلت في الحياة الاجتماعية بدء من مراسيم الخطبة والزواج بمراسيمه المختلفة (مراسيم الحناء، مراسيم ليلة الزفاف، ومراسيم 'الصباح') والولادة والحتان والحج والمناسبات الاحتفالية الأخرى الدينية والمحلية كالزيارة وإبراز أهم الطقوس التي تتخذ في هذه الممارسات وأهم النباتات المستعملة فيها.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية واعدادة انتاج الوصفات العلاجية

1. توجه المبحوثين للاستشارة في حالة المرض:

إرتأينا أن نتعرف على توجه المبحوثين في حالة مرضهم في ظل العائلة أو الأسرة فكانت اجابتهم من خلال الاستمارة على النحو التالي:

جدول رقم 22: توجه المبحوثين للاستشارة في حالة المرض

التوجه	التكرار	النسبة %
الجددة	214	36,51%
الأم	180	30,71%
الأخت	48	8,19%
الزوجة	54	9,21%
العمة/الخالة	19	3,24%
الجارّة	18	3,07%
الخبرة الشخصية	20	3,41%
العشّاب	33	5,63%
المجموع	586	100% (311)

نلاحظ من خلال الجدول ان المجموع الكلي الاجابات المبحوثين يفوق العدد الإجمالي للعينة 311 نظرا لتكرارات الاجابة لديهم لعدة اختيارات.

يبين الجدول، توجه المبحوثين للاستشارة في حالة المرض لاحد افراد العائلة، حيث سجلت التوجه إلى الجددة أعلى نسبة 36,51 بالمئة وتلتها الأم بنسبة 30,71 فيما تلتها استشارة الزوجة بنسبة 9,21 بالمئة.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

التوجه إلى الجدة يفسر الدور الذي يلعبه تواجد الأجداد داخل الأسرة، حيث تلعب الخبرة الحياتية دور هام في العائلة أو الأسرة في نقل التجارب التي مروا بها. ورغم التغيرات التي تحدث في العائلة من حيث الشكل أين أصبحت الأسر هي النمط الغالب في المجتمع والمتكونة أساساً من الأب والأم والأطفال، إلا أن الجدة لا تزال تتمتع بمكانتها الاجتماعية في البناء الاجتماعي ودورها التربوي وثقافتها الصحية، تجعل منها العنصر الأساسي في نقل الثقافة الصحية بشكل عام واستعمال التداوي بالأعشاب بشكل خاص. فالوالدين يأتي مقامهما في الدرجة الثانية في خبرتهما في هذا المجال، وتواجد الجدة تجعل القيم الاجتماعية من الأفراد التقيد بالتسلسل في النظام الاجتماعي واحترام المكتسبات الثقافية لذوي الخبرة الحياتية، لاسيما في المجتمعات الصحراوية والريفية.

يمكن القول، بأن التوجه في حالة المرض بالنسبة للعنصر الأثوي يبرز بشكل جلي في (الجدة، الأم، الأخت، الزوجة، العمّة، الخالة، الجارة).

وفي ما يلي نتطرق إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية لممارسة التداوي وكيف يعيد أفراد مجتمع (تيديكلت) إنتاج الوصفات العلاجية الشعبية بالأعشاب من خلال مناسبات الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع بدء من الخطبة ومراسيمها؛ مناسبة الزواج؛ أعراف الولادة؛ الختان وبعديه الاجتماعي والثقافي؛ رمزية التداوي في الحج والعمرة؛ مناسبة المولد النبوي الشريف؛ مناسبة 'الزيارات'، بالإضافة إلى مناسبات أخرى.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

2. الخطبة:

جدول رقم 23 النباتات/ الأعشاب التي تستعمل في مناسبة الخطبة وبعديها الاجتماعي والثقافي

النسبة %	التكرار	النباتات/ الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
32,62 %	307	حناء
32,94 %	310	بخور
14,54 %	156	عطور
04,14 %	39	أم الناس
33,04 %	311	شاي
3,08 %	29	أخرى
100 %	941	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول ان المجموع الكلي الاجابات المبحوثين يفوق العدد الإجمالي للعينه 311 نظرا لتكرارات الاجابة لديهم لعدة استعمالات.

يوضح هذا الشكل،أهم الأعشاب التي تستعمل في مناسبة الخطبة، حيث رأى المبحوثين أن الشاي من أبرز الأعشاب المستعملة في مناسبة الخطبة بنسبة 33,04 بالمائة، فهو الشراب الحاضر في كل المناسبات بمنطقة تيديكلت، ثم يليه البخور بنسبة 32,94 بالمائة والبخور والشاي يترافقان في غالب الأحيان بتيديكلت. وبنفس النسبة تقريبا تأتي نسبة 32,62 بالمائة للحناء.عطور 16,57 بالمائة أما أقل نسب في خانة أخرى بنسبة 3.08 %.

ترمز الحناء في هذه المناسبة للفرح والسعادة، فالحناء برمزيته تمثل أبرز التعابير الإيجابية لاستقبال المناسبات السعيدة.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

ونبات الحناء ينتمي إلى الفصيلة Lythracea أما اسمه العلمي *Lawsonia inermis* - واسمه بالإنجليزية Henna ، وبالفرنسية Henné. موطنها الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وشبه القارة الهندية وهي تنمو في المواقع المشمسة.¹ واستخدام نبات الحناء يعود "إلى ما قبل العصر البرونزي أي قبل العام 3500 قبل الميلاد، ففي مصر الفرعونية، كانت أوراق الحنة ضمن مواد التحنيط، واستخدمت في تخضيب جلود الموميوات وشعورها وأظافرها، كما كانوا يفرشون بها القبور تحت موتاهم، وقد عُثر على موميوات غُطيت بقماش مصبوغ بالحناء.

كذلك، استخدموا أوراق الحناء بعد سحقها وعجنها بالماء لزينة نساء للطبقات الشعبية الفرعونية. ويعد الفراعنة أول من صنعوا من مسحوق أوراقه معجوناً لتخضيب الأيدي، وصباغة الشعر، وعلاج الجروح، واتخذوا عطراً من أزهاره. كما استعمل الفراعنة العجينة المحضرة من الحناء على جبهة المريض عند شكواه من الصداع، وكان استعمال الحناء قبل حفلة الزواج تقليداً فرعونياً.² موطنها الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وشبه القارة الهندية وهي تنمو في المواقع المشمسة. أدخلت إلى مصر في حكم الأسرة العشرين، وكانت يدا وقدمي مومياء رمسيس الثاني يديه وقدميه مخضبة بالحناء.³ واشتهر أن كليوباترا كانت قبل لقاء انطونيو تنقع أشرعة قاربها بزيت وزهر الحناء الذكي الرائحة.⁴

يقول عبيدات سليمان أن الحناء "شاع استعمالها في العصر الجاهلي عند العرب، والعصر الإسلامي أيضاً، وساعد على انتشارها نشاط التجار العرب الذين كانوا يستوردونها من بلاد الهند على شكل صبغة نباتية ذات لون أحمر أو أسود."⁵

ويقال "أن عبد المطلب (جد النبي ﷺ) أول من خضب بالحناء في مكة، وكان رجلاً من حمير قد خضبه به وانتشر بعد ذلك بين أهل مكة، وأصبح له نوع من القدسية بعد ذلك عند كثير من الشعوب الإسلامية فصاروا يخضبون به الشعر والأيدي والأقدام ويفرشون به القبور تحت جثث موتاهم."⁶ في طقوس دينية.

¹M. Gast, Henné, in 22 | Hadrumetum – Hidjaba, Aix-en-Provence, Edi .Sud (Volumes n 22), 2000, p. 3437-3440.

²سهير ابوك الشاذلي، الحناء العربية زينة وطقوس اجتماعية، مجلة العربية الشهرية (العدد الإلكتروني)، السبت <http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=2396>. 2013/01/12

³M. Gaste, Henné, in 22 | Hadrumetum – Hidjaba, Aix-en-Provence, Edi .Sud (Volumes n 22), 2000, p. 3437-3440.

⁴أندرو شوفالبييه، مرجع سابق، ص 225.

⁵كامل عمران، عز الدين دياب و ايفا سليمان خراما، الحنة: وظائفها وطقوسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 33 العدد 1 سوريا، 2011. ص171.

⁶محمد نزار الدقر، الحناء، مرجع سابق.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

أما السنة النبوية قال عنها رسول الله عليه السلام (سيد ریحان أهل الجنة الحناء)¹ حيث "كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الأشياء الحسنة والجميلة، ويرشدنا إليها، وما فيها من المنافع والمعنى أن نور الحناء وزهرتها برائحها الطيبة تكون أعلى أنواع الروائح الطيبة في الجنة، ويسمّيها الناس الفاغية أو التمر حنا؛ وهذا لأن الحناء تُستخدم في خضب الشيب عند الرجال، وهي للزينة عند النساء، وهذا من الحث على اتخاذها واستعمالها."²

عملت أوراق الحناء في شبه الجزيرة العربية كخضاب وقد وردت أحاديث نبوية في ذلك، ففي هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الصداع والشقيقة، فقد روى البخاري في «تاريخه» وأبو داود في «السنة» أن رسول الله ﷺ ما شكى إليه أحد وجعا في رأسه إلا قال له: «احتجم»، ولا شكى إليه وجعا في رجله إلا قال له: «اختضب بالحناء».³

القراءات والبعد الذي تأخذه الحناء في المجتمع يرى في هذا الإطار كل من كامل عمران، عز الدين دياب و ايضا سليمان خراما، "أن هذا التلوين له وظائفه الاجتماعية:"⁴ وهي وظائف تزيينية ووظائف علاجية ووظائف اجتماعية.

أما وظائف الحناء التزيينية: "إذ غالباً ما كانت تتفنن المزيينات بوضع الحنة على كفي العروس وقدميها وبعض الخصال من شعرها، لإضفاء شيء من الجاذبية والجمال عليها من جهة، ويسهم من جهة أخرى، في إخفاء بعض مظاهر الشقاء كالتشققات الجلدية التي كان يتركها العمل الزراعي على أيدي النسوة الريفيات وأقدامهن في الماضي؛ فضلاً عن دور الروائح العطرية التي تخلفها مادة الحناء على جسم العروس، ومايزيدها رونقاً وبهاءً، ويُضفي على ليلة الدخلة شيئاً من الجاذبية والإثارة."⁵

وظيفة علاجية: حيث أن الجواهر الفعالة في الحناء تحتوي على مواد ملونة Lowson، ومواد عفصية Tannins، ومواد راتنجية Resins. أما الاستخدام الطبي: الخضاب بالحناء، يقوي الرغبة الجنسية، حيث أنها تزيد من إفراز هرمون (Follicle Stimulating Hormone) F.S.H في الغدة النخامية، ومفعولها قوي

¹ الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: 3677 | خلاصة حكم المحدث : صحيح. التخریج : أخرجه الطبراني (609/13) (14527) واللفظ له، والخطيب في (تاريخ بغداد) ((55/5)، وابن الجوزي في ((الموضوعات)) (56/3) باختلاف يسير. (عن شرح حديث الدرر السنوية) مؤسسة الدرر السنوية 1441 هـ. <https://www.dorar.net/hadith/sharh/115546>

² نفس المرجع، الدرر السنوية، مؤسسة الدرر السنوية 1441 هـ.

³ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، دار الهلال - بيروت، عدد الأجزاء: 1، 2010، ص 66.

⁴ كامل عمران، عز الدين دياب و ايضا سليمان خراما، الحنة: وظائفها وطوقسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 33 العدد 1 سوريا، 2011، ص 171

⁵ كامل عمران، عز الدين دياب و ايضا سليمان خراما، مرجع سابق ص 173

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وليس في الخضاب ما هو أقوى منها منفعة لتخفيف آلم الجسم، فتذهب أنواع الصداع وقروح الرأس، وتصلح الشعر، وتقطع التزلات والجرب والبهاق، وتفتت الحصى، وتحلل الأورام، وإذا مرخ الجسم به حلل الإعياء، وتعجن إما بالماء، أو بإضافة سوائل أخرى، كالخل والعسل، وأنواع من الزيوت؛ لفائدة أعظم.¹

وفي "دراسة حديثة للبروفسور ناتوأستاذ الأمراض الجلدية في جامعة نيويورك نشرت في مجلة «الجلد» الأمريكية يؤكد فيها أن الحناء الذي يستعمل في المجتمعات الإسلامية التقليدية، يمتاز عن الأصبغة الكيماوية بعدة ميزات أهمها: يمتاز الحناء في تاريخ استعماله الطويل بأنه سليم بالمقارنة مع الأصبغة الاصطناعية ولم يذكر عنه سوى حالات نادرة جداً من التحسس الجلدي.² أم محذورات الحناء فإنه "لايستعمل داخلياً، لأنه قد يضر الحلق والرئتين."³

الحناء "نبات يألف بيئة الواحات، نبتة مخضبة من المجال المتوسطي الحار."⁴ تزرع الحناء بالخصوص في المغرب (أزمور، دو كالة، تافيلالت، سوس، درعا) وفي موريتانيا وفي توات والساورة، الجريد، طرابلس، مصر، النوبة، إلا أنها لا توجد في وسط الصحراء حيث تتطلب زراعتها موسم حار وطويل وكذا الري الجيد.⁵

الدراسات الحديثة: كالتالي أجريت على حناء توات (أدرار) أين "تم فحص مقتطفات نبات الحناء من منطقة أدرار، (محطة التجارب الفلاحية) التي تستخدم من قبل المعالجين التقليديين في الجزائر، لعلاج الأمراض المعدية للنشاط. فهي مضاد ضد الفطريات الخيطية. أشارت النتائج إلى أن هذا النبات، لديه نشاط مضاد يمكن أن يكون ذا صلة إلى وجود لوسون في أوراق النبات. وهذه النتائج يمكن استغلالها إلى حد كبير في مجال البحوث في أدوية جديدة مضادة للفطريات."⁶

¹ عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية، ط.4 دار ألفا للطبع والنشر، عمان، الأردن، 2010، ص 390.

² محمد نزار الدقر، الحناء، موقع إعجاز القرآن والسنة، الخميس/ديسمبر/2019 <https://quran-m.com>

³ عبد الباسط محمد السيد وعبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق، ص 390..

⁴ Abdeslam Tchah, **Lexique des plantes**: Français-Arabe Editeur Casablanca, Afrique Orient, 2009, p 125.

⁵ M. Gast. Op.cit.

⁶ N. Rahmoun, Z. Boucherit-Otmani1, K.Boucherit, M.Benabdallah, and N.Choukchou-Braham, Antifungal activity of the Algerian *Lawsonia inermis* (henna) **Informa Healthcare**, USA, 2013, Inc, Pharmaceutical Biology
Downloaded from informahealthcare.com by Universiti Kebangsaan Malaysia on 12/20/12

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

أما وظيفة الحناء الاجتماعية فلحناء "دلالة رمزية اجتماعية تميز العروس من قريناتها الأخرى، ويُضفي عليها بهاء ورونقاً وجمالاً؛ وبذلك تكون الحناء مظهراً من مظاهر مُباهاة المرأة الريفية في ليلة الزفاف"¹ وهي لا تختلف عن الوظيفة الاجتماعية التي تلعبها في مجتمع تيديكلت الصحراوي، الريفي. كما ذكر بعض المبحوثين أعشاب أخرى كالشيع والكزبرة، والسانوج. تستعمل لغرض رمزي للعين.

فنبات الشيع اسمه العلمي: *Artemisia herba alba* جنس نباتات عُشبية برّية مُعمر. في الأدبيات يقال "فلانٌ يَمْضَعُ الشَّيْحَ وَ الْقَيْصُومَ : لَمَنْ حَلَصَتْ بَدْوَيْتُهُ؛ كما في الأساس."² وقال الزمخشري: "أن الله تعالى خصّ النباتات البدوية كالعُصَا وَ الْقَيْصُوم وَ الشَّيْحَ، مع كونها مُبتدلةً، بأسرارٍ وَ دقائقٍ لم تُوجد في النباتات الحَضْرِيَّةِ المُعْظَمَةِ المُعدَّةِ للشَّمِّ وَ النَّظَرِ كَالترَّجِسِ وَ الياسمين وَ الزعفران، وَ في ضمن هذا الكلام تخصيصُ العربِ بالفصاحة وَ البلاغة، وَ اقتضى أن في عُروقِ رَعِي أَرْضِهِمْ وَ حِصْبِ زمانهم من النفع وَ الخاصية ما لم يكن في فاجرٍ مَشْموماتٍ غيرهم."³

أما الكزبرة واسمها العلمي *Coriandrum sativum* نبات عشبي حولي يتبع الفصيلة الخيمية. ويعتقد أن عشبه الكزبرة أو الكسبرة "من أصول برية في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط منذ 5000 سنة."⁴ وكانت الكسبرة ضمن هبات الملوك للمعابد. وقد وجدت بذورها في مقبرة توت عنخ آمون، كما عثر على غيرها في أماكن أخرى"⁵ وقد ورد ذكرها في المحفوظات المصرية والسنسكريتية والعبرية والرومانية"⁶

هذا وقد استخدمت الكزبرة "للأغراض علاجية وروحانية واجتماعية منذ القديم. حيث استخدمت كعلاج للضعف العام الجنسي والسعال وسوء الهضم. كما كانت تعلق في المنازل، أو تحرق كبخور، لطرد الأرواح الشريرة عنها. وتشرب كشاي أثناء الطقوس الدينية ولتقليل الفراق بين الأفراد ويوضع في الوسادة للنوم الهادئ ويوزع أثناء الزواج لزيادة الخصوبة. ووضع في أهرامات الفراعنة لعلاج سوء الهضم عندما يعترهم في الحياة الثانية...فضلا عن استخدامها في تتبيل الخبز والخمور

¹ كامل عمران، عز الدين دياب و ايفا سليمان خرما، مرجع سابق ص 173.

² المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج. 17 ص : 578.

³ المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج. 1 ص : 70

⁴ داود بن جاسم الربيعي، موسوعة النباتات الطبية،

⁵ ليز مانكه، التداوي بالأعشاب في مصر القديمة، تر. أحمد زهير أمين، ط. 2، مكتب، القاهرة، 2008، ص 202.

⁶ أحمد شمس الدين، التداوي بالأعشاب قديما وحديثا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1991، ص

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وعلاج أمراض الأبقار والخيول، بل وقد اعتبر الصينيون البذور، مانحة للخلود مما يدل على فاعليتها العلاجية.¹ بينما في العصور الوسطى كان يتخذ عقاراً يعطى للعاشقين.²

أما استعمال الكزبرة بمنطقة تيديكلت التي أدلى بها المبحوثين خلصت إلى الاستعمالات الآتية:

الاستعمال الطبي: تدخل الكزبرة في معالجة بعض الأمراض مثل الصداع الأمراض المعدية أو المعوية، لطرد الغازات والمغص الغثيان.

الاستعمال التابلي: تدخل الكزبرة في الأطباق المحلية على الخصوص مثل الحساء، فهي تستعمل أوراقها الخضراء واليابسة تدخل في إعداد التوابل والتي تعرف محلياً بـ'براس الحانوت' لتطيب الأطعمة.

الاستعمال العرفي: في بعض المناسبات الدينية والعرفية، تدخل الكزبرة في هذا المجال تستعمل مع الصموغ التي تبخر في البيوت لإبعاد العين.

أما السانوج واسمه العلمي *Nigella sativa* وهو نبات عشبي يتبع الفصيلة الحوزانية. تتخذ ثمار النبات لدرئ العين تيمناً بحديث الرسول ﷺ: حيث روى البخاري ومسلم في كتاب الطب، وابن ماجه وأحمد وغيرهم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام. أي الموت. وروى البخاري أيضاً الحديث عن عائشة بزيادة.

وحول الإجراءات المتخذة لتحضير الخاطب والمخطوبة، كانت إجابة المبحوثين تتجه إلى أن الخاطب في غالب الأحيان مجبر على إعداد السكن للزوجة المستقبلية كشرط يفرضه عليه نظام المجتمع بالإضافة إلى العمل، وبالتالي فإن السكن يولد الطمأنينة النفسية لكلا الطرفين وباقي الشروط الواجبة على الخاطب فهي كما تقره الشريعة الإسلامية.

أما بالنسبة للمخطوبة فعليها أن تلتزم بالأعراف والتقاليد المتبعة، حيث تحاول الأسرة تجهيزها مادياً وتأهيلها نفسياً، وتحضيرها جسدياً، كيف ذلك؟ لأن شكل المرأة بمنطقة تيديكلت له دوره في الحياة الاجتماعية ونحن نتحدث هنا على ظاهرة تسمين المخطوبة، فهي من الظواهر المتطلبة لتحضيرها للزواج.

¹ داود بن جاسم الربيعي، الموسوعة العربية للعلاج بالأعشاب، ط. 1، المجلد 1، الجزء 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 2013
² ليز مانكه، مرجع سابق، ص 202.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

ومن أبرز الأعشاب والنباتات المرغوبة في ذلك حسب المبحوثين كانت كما يلي:

الجدول رقم 24: متطلبات الخطة للعناية بالجسد

النسبة%	التكرار	النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
19,30%	210	حلبة
15,16%	153	دخن 'بشنة'
28,03%	305	تمر
28,21%	307	كسكسي/معجنات
8,82%	96	أخرى
100%	1088	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول ان المجموع الكلي الاجابات المبحوثين يفوق العدد الإجمالي للعينة 311 نظرا لتكرارات الاجابة لديهم لعدة اجابات .

يتضح لنا من خلال الجدول أن الاتجاه يتمثل في 28,21% من المبحوثين يستعملون الكسكسي/المعجنات، لغرض تسمين المخطوبة، وتدعم هذه الإجابة بـ 28,03% من المبحوثين الذين يرون أن التمر مفضل لديهم للتسمين. و تأتي نسبة 19,30% من المبحوثين يرون أن الحلبة تفضل للحصول على جسم ممتلئ وبالقابل نجد نسبة 14,59% من المبحوثين يرون أن الدخن تستعمل لهذا الغرض.

أ أعشاب أو نباتات (أخرى) مثلت أقل نسبة 8,82% وهي أعشاب تدخل في عملية إعداد المخطوبة للعرس قد ذكرها بعض المبحوثين للعناية بجمال الجسد وهي:

حب الرشاد، كمون، عسل، زنجبيل، حلبة، دخن، فستق، حبوب الطلع (دكار)، الأكاجو، المفتقة، اللوز، الهيل، الفول السوداني، جنسنغ، قمحة، فلفل، غذاء الملكات، الطين، منكل، كركم، بابونج، نعناع، السدر.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

من خلال النسب الموجودة في الجدول، يمكننا القول بأن هناك إهتمام المبحوثين بحصول المخطوبة على نباتات تمكنها من كسب جسم ممتلئ، فكلما كانت مكتنزة كلما زاد من جمالها.

نستطيع القول أن الاهتمام بجمال المخطوبة من خصائص منطقة الدراسة، إذ يركز المبحوثين على ذكر النباتات بوصفاتها المتنوعة في اكتساب المخطوبة على الخصوص البدانة. وتكون وصفات هذه النباتات المذكورة كما يلي:

الكسكسي/المعجنات: ونعني بها الحبوب، حيث يساهم القمح بأنواعه بمنح الجسم كل من بروتينات وكاربوهيدرات، كما أن أساسه، القمح و'القمح منشط للجهاز العصبي المركزي وكعقار يعد غذاء للسواد الأعظم من شعوب العالم، فهو يبني العظام، ويمنح الجسم الطاقة الحيوية، ويكون في المعدة العصارات الهاضمة، ويقوي الأعصاب والدماغ، والناحية الجنسية، والدم، ويحفظ الجسم ويقيه من عدة أمراض، ويقوي الشعر. وتعمل النخالة (التي تحتوي أهم مكوناته) على وقاية الجسم من سرطان الجهاز الهضمي؛ لاحتوائها على نسبة من الألياف.¹

وكثيراً ما يكون القمح الصلب يستعمل وهو "السميد (Semolina): دقيق مصفر يصنع من الكيس الجني للحنطة الصلدة؛ وهو يطحن بدرجات من نعومة، لكل منها استعمالته الطهوية المختلفة.² وبالنسبة للحنطة الصلدة " (*Triticum Durum*) حنطة عارية يعتقد أنها نتجت عن اتقاء الحنطة وحيدة الحبة البرية بالحنطة النشوية البرية؛ وفي العالم الحديث، تستعمل في الأساس في صناعة معكرونة الباستا، وإن كان الخبز المخمر يمكن تحضيره من الحنطة الصلدة بنجاح. وهي بديل أساسي عن الحنطة النشوية في وصفات الخبز والعصائد من العالم القديم.³

أما التمر فهو غذاء رئيسي بمنطقة تيديكلت، ويؤكل على مدار السنة وخاصة الجاف المسمى 'بالسفوف' وقد سبقت الإشارة إليه في موضوع الوصفات التي ذكره المبحوثين. واستعماله للتسمين يعتمد على ما يبدو اقتداء بما جاء في السنة النبوية حيث ورد في حديث الرسول ﷺ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من حديث محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أَرَادَتْ أُمِّي أَنْ تُسَمِّنَنِي لِذُخُولِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَقْبَلْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تُرِيدُ حَتَّى أَطْعَمَنِي الْقَثَاءَ بِالرُّطْبِ فَسَمِنْتُ عَلَيْهِ كَأَحْسَنِ السَّمَنِ). رواه أبو داود (3903).

¹ عبد الباسط السيد، وعبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق، ص 588.

² كاثي ك. كوفمان، مرجع سابق ص 27.

³ نفس المرجع، ص 24-25.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

والجدير بالذكر أن أرداف المرأة كانت "هي المقياس الوحيد لجمالها، وكانت المرأة ينتابها العيب إذا اكتشفت أن أردافها ليست بالحجم المطلوب فكانت تلجأ للقضاء مع الرطب حتى يزداد وزنها، فبقدر ما ينقص من المرأة وهو في طريقه إلى النحافة بقدر ما يأخذ معه في الطريق نفسه قسطاً - متورداً- من الجمال والعافية والجاهزية"¹ وكذلك الدخن أو 'البشنة' *Pennisetum glaucum* ، وقد سبق الحديث عنه وعن منافعه.

لأن المظهر الخارجي للزوجة المستقبلية له دوره في الحياة الاجتماعية، ولتحقيق هذا الدور تعد هذه النباتات والأعشاب المتاحة أفضل حل بالنسبة للمبحوثين. ويبرز مما سبق أن أهم معايير الجمال للمرأة بمنطقة تيديكلت المرأة الممتلئة وهي معايير الجمال عند الأفارقة وعند العرب. والتراث العربي غني بالشعر والنثر خاصة في العصر الجاهلي فيما يتعلق بالمرأة والتغزل في محاسنها وجمالها، كطرفة بن العبد، وأمرئ القيس وغيرهم.

فمثلاً جاء في الشعر الجاهلي الفصيح في معلقة الأعشى ميمون بن قيس بن جندب لشاعر المخضرم (ردّ عَ هريرةَ إن الركبَ مرتحلُ)،

غراءُ فرعاءُ مصقُولُ عوارِضُها،
كأنّ مشيَّتها من بيتٍ جارَتها
سمعُ للحليِّ وسواساً إذا انصرفتُ
ليستُ كمن يكره الجيرانُ طلعتها،
نمسيّ الهويّنا كما يمشيّ الوجيّ الوحِلُ
مرّ السّحابةِ، لا ريثٌ ولا عجلتُ
كما استعانَ بريحٍ عَشْرِقُ زَجِلُ
ولا تراها لسرّ الجارِ تحتلّي
إذا تقوّمُ إلى جارّاتها الكَسَلُ
واهترّ منها ذنوبُ المتنِّ والكفَلُ
بِهكّنةٍ إذا تآتّى يكادُ الحَصْرُ يَنْخَزَلُ
مِلءُ الوشاحِ وصِفْرُ الدَّرَعِ

فالجسد الجميل يكون معياره بالجسد الممتلئ.

فتقول العرب في المرأة الممتلئة "« الجميلة هي السميّة» من الجميل وهو الشحم. قالت أعرابية لابنتها: «أي بنية... تعفني وتحملي... فقامت ابنتها إلى قليل من اللبن كان في الشكوة (وعاء من

¹صلاح عبدالستار، في عصر الموضة والنحافة: البدنية الفاتنة في التراث والشعر العربيين، مجلة اليمامة، مؤسسة اليمامة الإلكترونية، الرياض، السعودية، 25/08/2013.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

الجلد) فشربته، وإلى وعاء فيه شحم مذاب فأخذت منه ما تأدمت به» وقد قيل: السَّمَن نصف الحسن، وهو يستر كل عيب في المرأة وييدي محاسنها. كما جاء في معجم الوسيط: الجُمَيْلُ: الجمَّالنة الجُمَّلُ: المرأة السمينة ومن يذيب الشَّحْم (ج. جُمَّل. الجميل: الشحم المذاب المتجمع.

وقد خلد الشعر المرأة البدينة "وحل لها صوراً محببة إلى النفس، فأطلق عليها خرساء الأساور. وخرساء الساق، حيث كان العرب يرون في البدانة الجمال، ويصفون المرأة البدينة الجميلة بخرساء الأساور، حيث تمتد هذه البدانة إلى الرسغ فتمنع ارتطام الأساور فتصبح خرساء"¹.

وكذا في الثقافة الأفريقية نجد حرصاً على الجسد الممتلئ وهو مقياس لزوجة مستقبلية قادرة على تحمل المسؤولية وتربية الأطفال.

وكما رأينا في فصل الدراسة التاريخية لمنطقة تيديكلت أنه يتكون من جماعات بشرية مختلفة، شكلتها ظروف تاريخية متنوعة، مما جعل المجتمع يتميز بامتزاج ثقافي أمازيغي، عربي وزنجي، تعكسه ثقافة مجتمع الدراسة حاضراً.

تسمى وليمة الخطبة عند العرب: "الملاك: وهي الوليمة التي تُقام بمناسبة الخطبة."²

¹صلاح عبدالستار، مرجع سابق.

² محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 1، ط. 2، دار الكتاب المصري، ص 386

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

2. مناسبة الزواج:

قبل البناء الأسري تجتهد النساء في إعداد مستلزمات الزواج للعروس المادية، من تجهيزات المنزل واللامادية من وصايا ونصائح. من بين التحضيرات الملحوظة عند المبحوثين ما يلي:

الجدول رقم 25: زينة العروس المقترحة من طرف المبحوثين

النسبة %	التكرار	المكونات الأساسية
26,01 %	301	حناء
26,53 %	307	بخور
25,84 %	299	خامره
21,60 %	250	عطرية
100 %	1157	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول ان المجموع الكلي الاجابات المبحوثين يفوق العدد الإجمالي للعينة 311 نظرا لتكرارات الاجابة لديهم لعدة استعمالات .

يتضح لنا من معطيات

هذا الجدولان من أبرز مكونات تجهيز العروس المقترحة من طرف المبحوثين هو البخور، حيث سجل أعلى نسبة 26,53 بالمائة، وتلي هذه النسبة 26,01 بالمائة تمثل الحناء. و 25,84 بالمائة تمثل 'خامرة'. أما نسبة 21,60 بالمائة تمثل العطرية.

يعتبر البخور للمبحوثين من أهم الأمور التي تركز عليها مناسبة الزواج، فالبخور له رمزية خاصة في مختلف حضارات الشعوب والبخور يدخل مجاله في تقديس المقدس، فالجانب الروحي فيه أكثر من أي جانب. فقد قدم 15/5 مبحوث هذه الوصفة :

مسك، سرغينة، زعفران، قرنفل، قماري، جوزة الطيب، جاوي عود، ريحان، عنبر، الورد، مستكي، ام الناس، حناء، خامرة، عطرية، كحل، مسواك.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

تفسر معطيات الجدول هذا أن بخور العروس، له مكانة في مجتمع البحث، ويتبين لنا أنه موروث ثقافي يعبر عن سلوكيات قائمة بحد ذاتها في النظام الأسري، حيث لا يتم لحد الساعة زواج من دون إعداد هذا البخور والذي يتكون من مصادر نباتية بالدرجة الأولى. وللتدقيق في مكونات هذا البخور استعنا ببعض الدراسات التي أجريت في منطقة الأهقار (تمراست) حول هذه الصناعة الحرفية، كالتي قام بها موريس قاست M.Gast حول البخور،¹ حيث تطرق إلى مختلف مكونات البخور ومناسبات استعماله بوسط الصحراء. واعتمدنا على دراسة ميدانية، لمنشور علمي حول البخور، قامت به الباحثة²

قمنا بدراسة حول طريقة تفاصيل دقيقة في كيفية تحضير بخور العروس، وكيف أصبح البخور يشكل تقليد راسخ في نظام اجتماعي تشكله النساء ويتخصصن فيه، وكيف تحرص المرأة على ترسيخ ثقافة البخور في مجتمعها رغم التطورات الحديثة في الصناعة العطرية. وتبدأ التحضيرات حول هذا الموضوع باجتماع نسوة متخصصات في هذه المناسبة تتراوح أعمارهم من 60 سنة فما فوق، ويتراوح عددهم ما بين 5 إلى 7 نسوة، يعرفن بالبخارات³، أي اللواتي يقمن بإعداد البخور.

كما مكنتنا زيارة لحفل زفاف أحد القريبات من الوقوف على كيفية تحضير البخور والتعرف عن كثب حول البخور ومكوناته ومقاديره، وهو بالنسبة لدراستنا يمثل: عنصر من عناصر التداوي بالأعشاب لما له من منافع أثبتتها البحوث العلمية، حيث أصبح اليوم ما يعرف بالعلاج بالعطور أو الروائح، وأهم مكونات البخور هي على النحو التالي:

‘سرغينة’ السرخين اسمه العلمي *Corrigiola Telephiuifolia*. يُحصد على سواحل المغرب وموريتانيا. هذا الجذر يهرسس/يدق بالحجر أو لهاون ويشترك مع محاليط قابلة للحرق. يطرد دخانها الطفيليات،... السرخين وصفه علماء النبات العرب (ابن البيطار وعبد الرزاق الجزائري) بـ ‘بخور البربر’، خاصة بالمغرب الكبير والصحراء، موجود في جميع محلات العطارة وتجار النباتات الطبية.⁴ وذكر تجارته كل من ابن بطوطة وليون الإفريقي.

¹ينظر: Gast M., *Usages des encens dans le Sahara central*, Libyca, t. XVI, 1968, p. 171-174.

M. Gast, *Encens*, in Encyclopédie berbère, 17 | Douiret – Eropaei [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 31 October 2017. URL : <http://encyclopedieberbere.revues.org/2146>

²Aicha Blama, *L'art de l'encens traditionnel 'Bokhor' dans la région du sud Algérien*. Editions Universitaires Européennes (13.10.2016).

³أسماء المتخصصة في إعداد البخور بتديكلت: السيدة دابو جـ، سالمى فـ، دابو فـ. أعراب فـ.

⁴M. Gast, *Encens*, in Encyclopédie berbère, 17 | Douiret – Eropaei [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

يقول ابن بطوطة في وصفه لرحلته ببلاد السودان وعن تجارة السرغين/ تاسرغينت: "والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا و لا إداما و لا دينارا و لا درهما، إنما يحمل قطع الملح و حليّ الزجاج الذي يسمّيه الناس النظم، و بعض السلع العطرية، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي و تاسرغينت و هو بخورهم."¹

بعد رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان التي مر عايتها²أزيد من قرن ونصف، جاءت بعده رحلة الحسن بن محمد الوزان مع بداية العصر الحديث. الذي تضمن تفاصيل مشاهداته وانطباعاته التي كانت نتاج رحلاته هذه في مصنف عرف باسم "وصف إفريقيا". والذي تضمن قسما عن أخبار بلاد السودان خلال العقد الأول والثاني من القرن 16م، وهي فترة تميزت بشح الكتابات عنها على وجه الخصوص.³

قال الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي عن السرغين: "جذر عطري يوجد على ساحل المحيط إلى جهة الغرب و يجلبه تجار موريتانيا إلى بلاد السودان حيث يستعمل عطرا رفيعا، و لا حاجة إلى حرقه أو تسخينه، لأنه إذا حفظ في حجرة نشر فيها نفس الرائحة على أية حال."³

وعن خاصية السرغين قال غوبيرت E.-G. Gobert نقلا عن غاست Gast أن النبات: "له خاصية تحييد الخاصية في رائحة الجنسين، وخاصة الجنس الأنثوي، فمن المرجح أن تثير المسافة أو تعارض التعبير الكامل عن الرغبة"⁴

'عود نوار' وهو القرنفل اسمه العلمي *Syzygium aromaticum*. بلده الأصلي آسيا. تستعمل ثمار النبات العطرية ويسمى كذلك بكبش قرنفل.

يستخدم حسب دراسة حول النبات في المغرب "لعلاج الأنفلونزا، الأمراض الجلدية، الالتهابات، القرحة، السعال، اليرقان، التخدير، ومدرات البول."⁵

¹محمد بن عبد الله ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الجزء 4، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب 1417، ص 248
²الطاهر خالد، مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتاب وصف إفريقيا، المجلة التاريخية الجزائرية العدد 04 سبتمبر 2017، ص 50.

³ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ط 2، ج 1، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1982م.

⁴M. Gast, Op. cit. p3.

⁵Hind Lakmichi, Fatima Zahra Bakhtaoui, Chemseddoha A. Gadhi, Aicha Ezoubeiri, Younes El Jahiri, Abdellah El Mansouri, Ibtissam Zrara, Kenza Loutfi. **Toxicity Profile of the Aqueous Ethanol Root Extract of *Corrigiola telephiifolia* Pourr. (Caryophyllaceae) in Rodents.** Evid Based Complement Alternat Med. 2011; 2011: 317090. Published online 2010 Sep 7. Doi: 10.1155/2011/317090. PMID: PMC2952298

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

‘زعفران حر’ زعفران واسمه العلمي *Crocus sativus* البلد المنتج اسبانيا؛ إيران؛ المغرب؛ فرنسا؛ المملكة العربية السعودية؛ الجزائر. الجزء المستعمل في النبات هي مياسيم زهرة الزعفران. يستخدم الزعفران في الطب الشعبي مضاد للتشنج، هاضم، مهدئ لثوي، مضاد التزلة، مهدئ، طارد للريح معرق، طارد للبلغم، منشط، مقوي معدى، مثير للشهوة الجنسية ومحفز للحيض. علاوة على ذلك، أثبتت دراسات فارماكولوجية حديثة أن مستخلص الزعفران نشط يحتوي على مكونات مضادات الاختلاج، ومضادات الاكتئاب، مضاد للالتهابات وتأثيرات مضادة للورم، كاسح جذري إضافة للتعليم والذاكرة. تحسين الخصائص وتعزيز انتشار الأوكسجين في الأنسجة المختلفة... مستخلص الزعفران له أيضا الوقاية الكيميائية و التأثيرات الوراثية ويحمي من السموم الوراثية الإجهاد التأكسدي في الفئران.¹

‘تمرة الطيب’ وهو ثمار شجرة جوزة الطيب، إسمها العلمي *Myristica fragrans* من الفصيلة Myristicaceae موطنها الأصلي "جزر مولوكاس" وتنمو في نيلجيريس وكيرالا و كارناتاكا والبنغال الغربية... وهي طارد للريح، مزيل للتشنج، مضاد للقيء، فاتح للشهية؛ مضاد موضعي للالتهابات. قشرة جوزة الطيب، طارد للريح ومنشط. مخدر بجرعات عالية... وضد الروماتيزم، وشكاوى الأمعاء المزمنة والربو. عند تحميصه يستخدم جوزة الطيب وقشرته للإسهال والمغص وانتفاخ البطن وعسر الهضم.²

في تيديكلت كما في منطقة الأهقار يستعمل الجاوي كبخور "بوضع كميات صغيرة على الفحم الحار. يوصى بعطرها ضد الحمى والصداع والسل وذات الجنب وألم الروماتيزم وآلام الكبد. وضد جميع الأرواح الشريرة التي تهدد صحة وحياة الإنسان. إذا لم يكن دخانه كافيا لعلاج كل هذه الشرور، يقوموا بهرس الجاوي في الماء ويعطى للمريض ليشربه.³

‘مسك العنبر’ عبارة عن مسك جامد، مادة تنتج من تجشأ حوت العنبر: *macrocephalus Physete*. فحين يتجشأ تطفو على سطح البحر مادة عطرية، فتجمع تلك المادة العطرية، تشتهر باكستان بهذه التجارة.

¹Hossein Hosseinzadeh1 and Hamid R. Sadeghnia, **Safranal, a constituent of *Crocus sativus* (saffron), attenuated cerebral ischemia induced oxidative damage in rat hippocampus.** J Pharm Pharmaceut Sci (www.cpscanada.org) 8(3):394-399, 2005, p 394.

²Khare C. **Myristica fragrans** Houtt.. In: Khare C. (eds) Indian Medicinal Plants. Springer, New York, NY, 2007, pps 53-91.

³M. Gast, Encens, in Encyclopédie berbère, 17 | Douiret – Eropaei [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

جاوي واسمه العلمي *Styrax benzoin* عائلة *Styracaceae*. موطنه الأصلي: جنوب شرق آسيا وجزر الهند الشرقية. فاعليته أنه صمغ مطهر، قابض، مضاد للالتهابات، مقشع (يستخدم للسعال ونزلة الجهاز التنفسي). يستخدم كمطهر للبول التناسلي، كغسول للفم في التهاب الفم، استعمال موضعي على الجروح والقروح مثل الاستنشاق في نزلات البرد والسعال والتهاب الشعب الهوائية. الجزء المحبب للدهون يحفز البلعنة. يحتوي الصمغ بشكل رئيسي على استرات حمض سيناميك وبترويك وسومارينوليك وبتراالدهيد وفانيلين¹.

هذا بالنسبة للبخور ومكوناته، أما بالنسبة للزيوت العطرية التي تحضر للعروس فقد أضاف المبحوثين وصفة دهن العروس، ندهن به وتتعطر لزوجها، يسمى المستحضر بالـ "الخامرة" أو "أخواض" و وكذا العطرية:

بالنسبة إلى "الخامرة" أو "أخواض" فيتكون من:

"المستكى الحرة" أو المطصكي أو الماستيك *Mastic* وهو صمغ شجرة القضماسمه العلمي *Pistacia lentiscus* والتي تعرف في الجزائر باسم شجرة الضرو، وهي نوع من الأشجار التي تفرز سائلا من لحائها؛ نتيجة لأسباب طبيعية أو عند تجزيرها. وتبقى بعض هذه الإفرازات في شكل سائل غليظ... تجف (هذه) الإفرازات وتصبح قاسية. والماستيك *Mastic* لا يذوب في الماء لكنها تذوب في الكحول تماماً وإلى حد كبير.² "لم تكن إضافة الصمغ والراتنج إلى المراهم بسبب رائحتها العطرية فقط، ولكن أيضاً لكونها من المواد المثبتة للمكونات الأخرى."³ وهو صمغ يجلب في الغالب من جزيرة خيوس بأثينا، ويصدر إلى اسبانيا والمملكة العربية السعودية، وفرنسا واسبانيا والمغرب وغيرهم من البلدان. الكثير من سكان منطقة تيديكلت يشترونه من المملكة العربية السعودية أثناء أداء مناسك الحج أو العمرة.

كما تضاف للخلطة القليل من جوز الطيب، والجاوي، والقرنفل والزعفران. وقد سبقت الإشارة إليهم. وهناك من يضيف نبات القرطم *Carthamus tinctorius* الذي تستخدم مياسيه في التلوين، كونه يشبه الزعفران.

¹Khare C. *Styrax benzoin* Dry.. In: Khare C. (eds) *Indian Medicinal Plants*. Springer, New York, NY, (2007) pps 79-91

²نايقل قروم، تجارة البخور واللبنان دراسة لتجارة البخور العربية، تر. عبد الكريم سحيم الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2008، ص ص15-16.

³لنيز مانكه، مرجع سابق، ص98.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

بالإضافة إلى الزيوت العطرية والطور الكحولية التي تضاف إلى هذه الوصفات ذكرها المبحثين. وهي منتجات أغلبها مستوردة من بلدان مجاورة وعربية وأجنبية. فمن السودان (مالي النيجر، نيجيريا، السنغال) كالعطر الزيني بنت السودان 'Sodania' كان، نيجيريا؛ 'داندولا' Dundula نيجيريا؛ 'ديقوما' وغيرها. ومن البقاع المقدسة كذلك يغتنم الحجاج شراء هذه المنتجات الغير متاحة في بلدهم. ومن أوروبا (فرنسا، اسبانيا). بوماريا Pomaria من الجزائر. أنظر الجدول الموالي:¹

الجدول رقم 25: العطور الزيتية والكحولية

الاسم	أصل بلد المادة	البلد التجاري	الكمية
«Dundula» داندولا	نيجيريا	الجزائر	
«Sodania» السودانية	كان، نيجيريا	الجزائر	50 مل
«Pomaria» بوماريا	الجزائر	الجزائر	
«Parfum rouge» الرائحة الحمراء	العربية السعودية	الجزائر	75 مل
«Rêve d'or»	فرنسا	الجزائر	1000 مل
«Eau de Cologne F» ماء كولونيا	اسبانيا	الجزائر	750 مل

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على معطيات المبحوثات

أما بالنسبة للعطرية: فتتكون هذه التوليفة من:

المستكي (راتنج شجرة الضرر) والزعفران الحر المسحوقين على حجر خاص، مع القليل من الماء. توضع على الظفيرتين الأماميتين في مقدمة رأس العروس، لتعطير شعرها. وما تبقى من العطرية يوزع على المدعوات. فهناك من يضع نقطة من الخليط على الأنف وهناك من يضعه على الجبهة.

نستخلص مما سبق أن للبخور وصناعاته أبعاد اجتماعية، حيث رأينا كيف تساهم هذه الظاهرة من توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتمكنهم من الحفاظ على هذا الموروث من خلال تلقين

¹Aicha Blama, L'art de l'encens traditionnel 'Bokhor' dans la région du sud Algérien. Éditions universitaires européennes (13.10.2016)

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

الأجيال بالمشاهدة والفعل أو ممارسة الأعراف في الأسر أو العائلات، والأجواء التي يحظون بها البخارات من ترحيب وتقدير. وكلها قيم تربوية ونشئة عليها المجتمع في تديكلت.

وهذه السلوكيات لها بعدها الثقافي، حيث تمثل طرق تحضير البخور ثقافة مجتمع يسعى بطرق شتى للتمسك به. اجتماع البخارات يوفر مناخ حوار متبادل في التقنيات والتشاورات التي لا تنقطع، من أجل الحصول على منتج وهو البخور ترضي رايحه الجميع.

ساهمت المقابلة في إثراء المعلومات فإذا ما نسيت واحدة منهن شيء، ذكرتها الأخرى بما يلزم من بيانات. كانت هؤلاء النسوة (السيدة هلاوي عائشة: 62 سنة، دابو فاطمة 72 سنة، عابد جمعة سنة 77، عابد مباركة 75 سنة) يجد متحمسات لما تقوم به من جمع معلومات، ويشجعنا على تسجيل هذا التراث وحفظه. إن البعد الثقافي لهذه المناسبة يفسر إظهار السرور والبهجة كما يرى جيرت هوفستد¹ وهو عالم الأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي صاحب نظرية الأبعاد الثقافية. فال محور الأساسي لإعداد هذه الروائح والعطور للزواج هو إضفاء البهجة والسعادة كتلميح وتعبير لحياة طيبة وكريمة. لذلك نرى تركيز المجتمع على جلب المكونات التي هي في غالبها مستوردة أو مجلوبة من بلدان مجاورة.

بالإضافة إلى ذكرهم وصفة أخرى وقائماً لدرى العين:

كالشيخ، *Artimisia herba alba*. نبات يتبع الأرتيميسيا *Artemisia* وهو أشهر أجناس عائلة النجمية *Asteraceae* وهي "جنس عالمي ملقح بالرياح، موزع بشكل رئيسي في المناطق المعتدلة من خطوط العرض المتوسطة إلى المرتفعة من نصف الكرة الشمالي، مستعمرة في المناطق البيئية القاحلة وشبه الجافة، مع وجود عدد قليل من الممثلين في نصف الكرة الجنوبي. آسيا الوسطى هي مركز تنوعه، بينما منطقة البحر الأبيض المتوسط وشمال غربها أمريكا مجالان ثانويان²" وهو بنجوي على العديد من الأنواع.

– الاستخدامات العرقية النباتية:³

1. يستخدم مسحوق نباتي كامل لمرض السكري. 2. يستخدم ديكتيون النبات لأغراض التبريد.

¹ عالم اجتماع هولندي. ولد يوم 2 أكتوبر عام 1928. كان موظفا سابقا في شركة IBM وبروفيسور في جامعة ماستريخت بهولندا. اشتهر بأبحاثه المتعددة في ثقافات المجتمعات من حول العالم وابتكاره لنظرية الأبعاد الثقافية (ويكبيديا، 2019)

² Hayat MQ, Khan MA, Ashraf M, Jabeen S. *Ethnobotany of the genus Artemisia L. (Asteraceae) in Pakistan*. *Ethnobotany Research and Applications* 7, 2009:147-162 p147.

³ Op. cit, p151

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

3. يستخدم التبخير مع النبات لآلام العضلات.4. تستخدم النباتات الجافة لأغراض الحرين.

الحنثيت، المحروت/ الحلتيت: واسمه العلمي *Ferula Assafoetida* وهو "راتنج له نكهة ثومية من نبات يشبه الشمرة، يستعمل كبديل عن السلفيوم المنقرض"¹

هذا النبات الذي كان ينمو في "قورينا (ليبيا القديمة) وأرمينيا. ولقد كان السلفيوم نادراً جداً وغالي الكلفة في القرن الماضي. في القرن الأول الميلادي؛ ووصفت بعض أقدم الوصفات التي جمعت في مجموعة كتاب أيكيوس كيفية تمديد التابل بجزنه في جرة مع جوز الصنوبر ثم استعمال جوز الصنوبر الذائب لتطيب الأطباق، بما يشبه كثيراً الممارسة المعاصرة في حفظ فول الفانيلا بالسكر لتطيب السكر. وكان الحلتيت يستعمل كبديل عن السلفيوم حتى في العالم الروماني"²

يستخرج من نبات الحلتيت و"التي تبلغ من العمر خمسة أعوام فأكثر صمغ كريبه الرائحة-على نطاق تجاري- مفعوله منه ومضاد للتشنجات ومنخم (طارد للبلغم) وطارد للريح، وقد وصف لعلاج بعض الحالات العصبية، والالتهاب الشعبي، والربو، والتطبل (الانتفاخ)"³

ورد استعمال الحلتيت في وصفات قديمة بتيديكلت وأشار لها كل من مير Maire وسيفي Seville بقولهم: في منطقة تيديكلت يعالج "الحُمى، الصداع، التوجُّع. بالتبخير أو بشم الصمغ من خلال القماش المغلف."⁴ وسبقهم لويس فوانو بقوله: "أن الطلبة" يعالجون المجانين بالجمر على بطنهم (الكبي) ويستخدم البعض الآخر الحنتيت. وهو نوع من صمغ عطري مجلوب من طرابلس(ليبيا). يُحرق تحت أنف الشخص الذي سيتم طرد الجن منه، فلا يتحمل الشخص تلك الرائحة؛ فيصرخ. في هذه الأثناء يقرأ الطالب آيات من القرآن، وتحديداً تنطق بصيغة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) بينما يكررها المريض"⁵

وقد ذكر قبلهم لويس فوانو (1909)، في كتاب تيديكلت، أن الحلتيت في ذلك الزمان، كان يجلب من مدينة طرابلس بليبيا، كما أشرنا في أعلاه.

¹كاثي ك. كوفمان، الطبخ في الحضارات القديمة، تر. الغانمي سعيد، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011، ص25.

²كاثي ك. كوفمان، مرجع سابق، ص 27.

³تليز مانكه، مرجع سابق ص 221.

⁴ Maire A. Savelli A. In *Salah et le Tidikelt oriental ; étude historique-géographique et médicale*. Archives de l'Institut Pasteur d'Alger. 1955 Déc. ; 33(4) :367-43. P 268

⁵L. Voinot, *Le Tidikelt: étude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays*, éd. Jacques Gandini, 1909, p109

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

أم الناس صمغ راتنجي لشجرة البلسان الإفريقي *Balsamodendron africanum* "ويعرف عادةً باسم المر الإفريقي، نوع نباتي شجري نفضي صغير ينتمي إلى الفصيلة البخورية، وهي فصيلة شبيهة بالبطمية. وتوجد على نطاق واسع في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.¹ وفي مناطق افريقية أخرى. تفرز هذه الشجرة، سائل صمغي غليظ، مواده الصمغية "لا تذوب في الكحول لكنها تذوب في الماء ولها القدرة على امتصاص كمية كافية من الماء لتكوين المادة الهلامية."²

قال عنه غاست Gaste: "ويطلق على هذا الصمغ الراتنجي هذا بالهجة العربية، أم الناس، لأن دخانها يجذب الخير للمتل في الحياة الأسرية، ويمنع دخول الأرواح الشريرة في العلاقات الإنسانية التزاعات الغضب، وما إلى ذلك. ونحن أيضا نمضغ بعض الجسيمات."³ أي أنه هو الآخر جرب أم الناس بمضغه. كثيراً ما يعلق هذا الصمغ أو يبخر لإبعاد العين كذلك.

وهو ما ذهب إليه جمال بالأخضر بقوله: "في المغرب، يسمى هذا الصمغ المستورد _عندما يجلب على شكل قطرات أو قطع_ بـ "أم الناس"، كونه اسماً ملمحاً (لـلجن) لأنه يستخدم في بخور الاستحضار. واسمه يحمل أيضاً راتنج الصنوبر الذي يجل محله أحياناً لنفس الاستخدام."⁴

ويبين لنا بأن "البادليوم bdellium الإفريقي عبارة عن راتنجات صمغية يمكن أن تتراوح /قطراتها السائلة من الأصفر إلى الأسود البني، بما في ذلك البرتقالي والبني، اعتماداً على مصدر وأساليب حصادها. مبدئياً باللون الأبيض، فإنه يأخذ مظهرًا أصفر أو محمر عند ترسيخه. مكدسة فوق جذوع تلقائياً، وبتحفيفها وضغطها، فإنها تصبح سوداء بسبب جزيئات اللحاء التي تمزج معها."⁵

تحمل رمزية أم الناس المرتبطة بالبركة في تسمياته الإفريقية، حيث "يباع في الأسواق الإفريقية، تحت أسماء 'المباركة'؛ (بالعربية المغربية)، البادي أو الركانتي بلغة البامبارا: صامت، šamut أو هامت hamut، (وولف) غافل أو لبان (بلنجيرية العربية)... لطلما كان للبدليوم الإفريقي العطر المطلق لدى بلدان السود - بخور الساحل - الذي يحرق في مواقد صغيرة، لأن دخانه له سمعة ممتازة كمطهر

¹<https://ar.wikipedia.org/wiki> cite visité le 05/05/2020.

²نايقل قروم، مرجع سابقص16.

³M. Gast, **Encens**, Encyclopédie berbère, 17 | 1996, 2627-2630, p3.

⁴Jamal BELLAKHDAR Deuxième contribution à l'étude de la 'umdat aṭ-Ṭabīb d'abulḤayr al-išbīlī: commentaires à propos de quelques items et propositions d'élucidation. AAM, 18 (2011) 47-63, p51

⁵Jamal BELLAKHDAR, p 51.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

عام وبلسمك ومضاد للصداع النصفى ومبيد حشري.¹ كما تستعمل حبة البركة (سانوج)، عرعار، كزبرة. نستعمل هذه النباتات كذلك لدرء العين.

3. 1 ليلة الزفاف:

تسمى العرب ليلة الزفاف أو الدخول بالعروس 'ليلة الدخلة' بليلة البناء، 'إنما سمي الدخول على المرأة، لأن العرب كان عادتهم أنهم إذا أرادوا الدخول على المرأة بنوا لها بيتاً جديداً يدخلون عليها فيه. فقولهم بنى بها، أي بسببها.'² وهو شرط من شروط اتمام الزواج بمنطقة عين صالح، إذ يفرض على العريس بناء منزل خاص بالعروس، وكان يجري فيما مضى البناء بالطوب، وفي الوقت الحالي هناك من يبني شخصياً أو يستفاد من السكن الذي تنجزه الدولة بطرقه المختلفة.

تقول مجموعة من النساء 'البخارات' ممن يعتنين بالعروس: نزين العروس بعطور الغوالي، من مسك ودهن يتكون من مواد طيبة الرائحة تضفي من الناحية الجمالية جمالا للعروس، ونزين وجهها بنقاط على أنفها والجديلتين الأماميتين على وجهها بالعطر الدهني التقليدي الصنع الزكي الرائحة 'الخامرة'، بمختلف المكونات المحلية والمستوردة. تُزين بها العروس في ليلة زفافها. تسمى هذه التوليفة محلياً بـ 'العطرية' وقد سبقت الإشارة إليها.

تتجسد في هذا المقام، قيمة اجتماعية مرتبطة بأسس التنشئة الاجتماعية، تتجسد صورتها في الأدبيات القديمة، وخير مثال على ذلك، وصية أمامة بنت الحارث.³ كما كأنها حاضرة في تقاليد وأعراف المنطقة-عندما قالت لابنتها حين زفت للحارث بن عمرو ملك كندة:

(فأما الأولى والثانية فالمعاشرة وحسن السمع له والطاعة... وأما الثالثة والرابعة فلا تقعيناه منك على قبيح، ولا شم أنفه منك إلا طيب الريح، واعلمي أي بنية، إن الماء أطيب الطيب المفقود، وإن الكحل أحسن الحُسن الموجود). فعلى غرار هذه الوصية تلتزم الأمهات والكبيرات في السن، على تلقين نفس الوصية، من ساعة التحضير للزفاف، وعند تزيين العروس.

قال المناوي في هذا المجال: "أما التطيب والتزين للزوج فمطلوب محبوب، قال بعض الكبراء: تزئِنُ المرأة وتطيبُها لزوجها من أقوى أسباب المحبة والألفة بينهما، وعدم الكراهة والنفرة؛ لأن العين رائد

¹Jamal BELLAKHDAR, p 51.

² شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أباطة، ط.1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983، ص 45.

³أمامة بنت الحارث الشيباني كانت زوجا لعوف بن محلم الشيباني وكانت تتصف بالحكمة والعقل والفصاحة وسداد الرأي قوة البيان. (وكيبديا)

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

القلب، فإذا استحسن منظرًا أوصلته إلى القلب فحصلت المحبة، وإذا نظرت منظرًا بشعاً أو ما لا يعجبها من زي أو لباس تلقىه إلى القلب، فتحصل الكراهة والنفرة، ولهذا كان من وصايا نساء العرب لبعضهن: إياك أن تقع عين زوجك على شيء لا يستملحه، أو يشم منك ما يستقبحه.¹

والمثل العربي يقول: "لا عطر بعد عروس، لا مخبأ لعطر بعد عروس"

ولأن الطيب محبب في السنة الكريمة، لما جاء عن النبي ﷺ في أحاديث مختلفة تشيد بمنافعه الحسية والجمالية، "فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: (كان يحب الطيب، ويأمر به).

وقال ابن القيم: "لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب، وسائر الأعضاء الباطنية، ويُفرح القلب، ويسر النفس، ويسيطر الروح، وهو أصدق شيء للروح، وأشدُّ ملاءمةً لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة، كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه."² "وإذا كان العطر فنا، أو إبداعاً، فكل فعالية مبدعة تعتمد على إمكانات أهمها: المخيلة، والحدس، والذكاء، وروح الابتكار، والذوق، والحركة، والتقانة."³

وقد أصبح الآن ما يعرف في الغرب بالتداوي بالعطور/العلاج بالروائح l'aromathérapie حيث قام بعض الكيميائيين بتطوير هذا التخصص من العلوم في عصرنا، وحثوا على استخدام الزيوت العطرية في مستحضرات التجميل والتدليك ويعتبرون أن أول من استخدم هذا الفن من التداوي، في نهاية القرن الماضي. كالكيميائي الفرنسي ريني موريس جاتفوس Rene-Maurice Gattefosse، صاحب كتاب (aromathérapie) والكيميائي روبرت تيسرند (Robert Tisserand) الذي صنّف كتابه هذا الفن (The Art of Aromatherapy)*

ترى باتريشيا دافيس Patricia Davis في هذا العلاج: "بأنه الفن والعلم لاستعمال الزيوت لأغراض علاجية، فالمعالجة بالعطور أو العلاج بالروائح، هو نهج شامل حقاً، بالمعنى الذي يأخذ بعين الاعتبار العقل والجسد والروح للفرد، فضلاً عن أنماط الحياة، كمنطه الغذائي وعلاقته، وهلم جرا. فعلى

¹ موقع اسلام ويب على الشابكة.

² زاد المعاد محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، المحقق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة - عبد القادر الأرنؤوط، المجلد، 4. 1418 - 1998، ص 256.

³ أنظر هاني محمد مرعي، موسوعة الطب البديل، ص 449.

*Robert B. Tisserand, **The Art of Aromatherapy: The Healing and Beautifying Properties of the Essential Oils of Flowers and Herbs** (Anglais) Broché - 1 avril 1978

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

الرغم من أن كلمة التداوي بالعبور استخدمت لأول مرة إلا في القرن الماضي (من قبل فرنسي) لوصف استخدام الزيوت الأساسية للنبات لأغراض علاجية.¹

وتضيف: "أن المبادئ التي استند إليها تعود إلى روابط ممارسة من قبل أقدم البشرية. فالنباتات التي نستخلص منها الزيوت، كانت في حقيقة الأمر تستخدم بالفعل منذ آلاف السنين قبل اكتشاف تقنية تقطير الزيوت. وقد وجد علماء الآثار نباتات ذات خصائص علاجية عديدة."² من خلال حبوب اللقاح.

فمنذ آلاف السنين، كان الناس يستخدمون القوة العلاجية للنبات وبعض أنواع الخشب. هكذا لجأ الأوروبيون الأوائل إلى الأعشاب العطرية مثل الزعتر أو إكليل الجبل لصنع البخور أو حرقه بغرض التبخير. وكان يمارس هذا التبخير لدرء الأرواح الشريرة، ولإيجاد الصحة الجيدة، أو ببساطة لجلب النعاس والفرح... من بين هذه الأساليب العريقة، تبخير جسم المريض، والذي لا يزال يستخدم من قبل بعض الشعوب التي تسعى في كثير من الأحيان لتهدئة غضب الآلهة أو تهدئة الأرواح من أجل رفاهية المجتمع. هذه الممارسات لا تزال تلاحظ لدى البوذيين، الهندوس والكاثوليك. فعلى سبيل المثال، لمحابات حالات التأمل، يتم حرق البخور. ناهيك عن ذلك، فمنذ وقت ليس ببعيد، كانت التبخير شائع في المستشفيات الغربية³.

وكان العرب "من أشهر من اقتنى الطيب والعطور. وكان الطيب في أسواق عدن، من أشهر ما يباع. وكان للتجارة عبر البحار التي يقوم بها العرب، وأهل الخليج، فضل كبير في ترويج العطور والبخور العربية في بلاد الهند. كذلك قام التجار بذلك في بلاد فارس والروم. وكان لنساء قريش في الجاهلية دور في بيع العطور حيث كن يقمن ببيع العود والطيب في مكة. وقد بين النبي ﷺ أنواعاً من الطيب للرجال، وأخرى للنساء، فلقد ميز الطيب للرجال بأنه: ما ظهر ريحه وخفي لونه (مثل: المسك، المعيز، والعود والكافور والذيرة. بينما طيب النساء فهو ما ظهر لونه وخفي ريحة) مثل الخلوف والزعفران⁴.

¹Patricia Davis, *Aromathérapie de A à Z: Le guide le plus complet jamais publié sur le sujet*, éd. Vigo 2007 p5.

²Op. cit. p5.

³Anne Huete, *HUILES ESSENTIELLES POUR TOUS LES JOURS*, Tradu. Marta Minarro, ed. Artémise Losange, Chamalières, France, 2012, pp 14 et 15.

⁴هاني محمد مرعي، موسوعة الطب البديل، المكتبة التوفيقية، ط5، 2015. ص 448. (<https://books-library.online/d-5-download>)

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

يرى بيتينا مال، Bettina Malle، وهيكل سكميكل Helge Schmickl، إن الزيوت العطرية الحقيقية هي منتجات طبيعية نقية لا يمكن تقليدها صناعياً بسبب مكوناتها التي لا تحصى والعديد من المواد الفعالة والعطور.¹

فكما تسميها باتريسيا دافيس Patricia Davis (جواهر السماء) وهي "جواهر النباتات Quintessence الزيوت الأساسية أو (جواهر السماء) les huiles essentielles ou (essences du ciel) هي أكثر من مجرد مزيج من الجزيئات. فهي تمثل التعبير الأكثر خفية في المملكة النباتية، والتي تركز كل ذكاء الطبيعة. إنها المواد العطرية المتقلبة، التي أنشأها التمثيل الضوئي والمخزنة في أجزاء مختلفة من النباتات. حيث يمكن العثور عليها في الجذر (كالزنجبيل والكرفس)، الجذع (الأرز والصندل)، على شكل راتنج (كالجاوي والبخور) والأوراق (كالكاפור، والحبوب الصغيرة) والفواكه (كالحمضيات) والزهور (كالورد، البابونج).²

تبين لنا في منطقة تيديكلت، أن عادة التبخير والبخور من الأمور السائدة في هذا المجتمع والحاضرة في كل المناسبات.³ والبخور، صناعة تعبر بالفعل عن التمازج الثقافي بين الحضارات والأعراق (عرب، بربر/أمازيغ، زنوج)، والدليل على ذلك تنوع مكونات هذا المنتج، فالبخور معطر للجو ومطهر للجراثيم وطارد للحشرات ومثيراً للتوافق نظراً للخصائص التي تتمتع بها هذه العطور.

¹Bettina Malle, Helge Schmickl, *The Essential Oil Maker's Handbook*, Hardcover – September 1, 2015

²Valérie Rousseau. *L'aromathérapie : des huiles essentielles pour votre bien-être*. Institut Cassiopee Formation © 2008. www.cassiopee-formation.com

³لمزيد من التفاصيل أنظر مرجعنا السابق:

- Aicha Blama, *L'art de l'encens traditionnel*, Op.cit.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وتجدر الإشارة بأن وقفنا على عادة سائدة بمنطقة تيديكلت، وهي عادة بيع البخور العطري المعد أو المحضر في البيوت بين النساء، مهنة تسترزق منها النساء. ففي كثير من المناسبات والأفراح، هنالك من يقوم ببيع البخور في وسط التجمعات النسوية، بسعر يتماشى وجهد صانعات البخور وبحسب المكونات المستعملة ودرجة جودتها. وحدة بيع البخور، تتمثل في مقدار كوب شاي، أما السعر وهو في الغالب يتراوح ما بين 150 دينار جزائري إلى 200 دينار جزائري. ومثل هذه المهن الحرفية المنزلية يصطلح عليها اليوم منتجات الدرج *produits des terroirs*، التي نأمل أن توثق كعنصر من عناصر التراث الوطني.

3. 2 أهم الطقوس التي ترافق تحضير البخور:

من خلال حضورنا لعرس قريبة وهي بصدد إعداد بخورها 'دق بخورها' قبل أن تزف إلى بيت زوجها إرتأينا أن نضيف هذا المقطع الغنائي والذي تردده النسوة كثيراً قبل، وهو يعبر عن التمازج الثقافي المتنوع بتيديكلت مع مناطق المجاورة والحركة السائدة منذ القدم للعلاقات التجارية والدينية.

"الني والصلاة على محمد؛

التكريزة للنبي؛ محمد يزار أميزار والسعدة لالة؛

تيمبكتو والسودان معدن كل شيء؛"¹

فمجموعة من النساء خاصة المسنات يبدأن الأغنية بالصلاة على الرسول الكريم ومدى الشوق لزيارته بقولهم 'التكريزة' وتعني الحماسة. ثم ترد المجموعة الأخرى؛ محمد يزار أي يزار بالبقاع المقدسة؛ يا 'أميزار' وهو اسم يطلق على الإناث، والسعدة لالة مكة، أي مكة المكرمة. ثم يقلن 'تيمبكتو والسودان معدن كل شيء'. و ذكر تيمبكتو وهي عاصمة مالي، كانت في القديم مركز تجارياً وسوق للمعادن كالذهب، يقول الطاهر خالد في مقاله عن ابن الوزان "ازدهار عدة مدن صحراوية بسبب التجارة مع بلاد السودان والتي أصبحت من المراكز التجارية المهمة خلال القرن العاشر الهجري/16م، وأوضح لنا أثناء زيارته (أي ابن الوزان) لهذه المراكز أنها تتميز عن بعض المدن الصحراوية بأن سكانها أغنياء بسبب نوعية السلع التي يصدرونها، أو كونها مجمع القوافل بين تجار

¹سعيدان التومي، سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، ط2 العالمية للطباعة والخدمات، 2012، 51.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

بلاد المغرب الإسلامي وتجار بلاد السودان. إلى جانب ربط علاقات تجارية مع بلاد السودان بفضل الرحلات التي يقوم السكان بما¹ وذكر تيقورارين (تيميمون) وسجلماسة (المغرب) والميزاب (غرداية). هذا الغنى تجلى في هذه المقاطع التي تخلد ذكرى تلك الحقبة التاريخية الزاخرة. وكأها إشارة إلى أن المعادن بما فيها الذهب اشتهرت به بلاد السودان وعلى نحو خاص تيمبكتو (عاصمة مالي). وقد وثق الرحالة هذه التجارة، ومن بينهم البكري والسعدي وابن حوقل وابن بطوطة وابن الوزان، هذا الأخير الذي حدد موقع تلك التجارة الرائدة.

فموقع بلاد السودان بحسب ابن الوزان الذي أشار بأنه "زار 15 مملكة، وفاته ثلاثة أضعاف منها، فحدد موقعها الجغرافي، بأنها تمتد على طول ضفتي نهر النيجر وروافده، وتقع بين قفرين يتدئ أحدهما عند نوميديا وينتهي بما... الممالك ابتداء من الغرب إلى الشرق ولاته، جني، مالي، تنبكتو، كاوو، كوبر، أغس، كانو، كلاتسينة، زكرك، زنفرة، ونكرة، بورنو، كاوكا، والنوبة. كما أشار لوجود ممالك في الجنوب تتاحم الممالك التي زارها فيوهييتو، وتميام، وداومة، ومدرة، وكرهان، ويصف سكانها بأمر أثرياء وكثيرو الاتجار ويحكمون بالعدل."²

نلاحظ كيف يكون لبعض تعابير التراث المكتوب، محتراً له دلالاته في التاريخ، من خلال تناقل مثل هذه المقاطع التقليدية الدالة على حقبة تاريخية مزدهرة في الحياة الاجتماعية الصحراوية رغم قدمها، والتي لا تزال مخلدة في ظواهر اجتماعية ثقافية - كالزواج مثلاً - لتلك المجتمعات. فهي بمثابة كلمات مفتاحية تشير إلى تراث خفي بين طياته.

أما الزينة التي تدخل في هذه الطقوس فهي:

3.3 الاكتحال الاختضاب

على العروس والعريس إلزامية الاكتحال بالإثمد والاختضاب بالحناء، كما يجب على العروس التزين بمسواك 'الديرم' وهو لحاء شجرة الجوز والمعروف بـ 'المسواك' حتى تصير لثتها حمرة ويبرز بياض أسنانها وتطهره بهذا العود الصحي من الجراثيم والبخر، ليزيدها جمالا.

بالنسبة للعروس في يوم زفافها ومن خلال تجربة شخصية عاشتها الباحثة، يتم جعل الحناء في يديها، تعجن في قيصعة، وما تبقى من الحناء يوزع على الحاضرين قرب العروس كفال لنزويج بناتهم.

¹ الطاهر خالد، مرجع سابق ص 69.

² نفس المرجع، ص 55

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

فهي ليست ليلة الحناء، بل هو طقس آخر يتم قبل أن تبدأ مراسيم مشط الظفائر التي تسمى بـ'الدجة' للعروس من طرف المشاطات، والتي تبدأ في العادة بعد الزوال، حيث تنبطح العروس بين إمرأتين مختصتين في الظفائر مع مساعدات لهما وهن البخارات كذلك. تضع على وجهها قطعة قماش أبيض تغطي بها وجهها، حتى لا يرى منه شيء، وتلزم بالصمت وعدم الحديث أثناء عملية 'لمشاط'.

فحتى يكتمل جمال العروس لا بد من العناية بالشعر وتصفيفه، لأن تصفيف الشعر له جاذبية خاصة، يبرز محاسن المرأة بصفة عامة والعروس بصفة خاصة، لذا تعد ظفائر 'الدجة' هي التي يفضلها الكثيرين كما يفرضه الضمير الجمعي للمنطقة.

لكن هذا لا يمنع من إلقاء نظرة على العروس وهي تمشط شعرها، وهذه النظرة تتطلب من المتأمل الزغاريد وإلقاء ما تيسر من النقود في طبق السعف، والذي تحرسه زميلة المشاطات والبخارات لتشجيعهم وطلب العون من الله لمن على حرصهن واتقانهن وتفانهن في واجبهن وهو اظهار العروس في أسمى حلة.

تبدأ كل واحدة بالبسملة و الصلاة على الرسول والغناء بالمقطع السابق منهما جزء من الشعر وتقوم بظفر سبع ظفائر ملتسقة في الرأس وتنتهي بجديلة التي تثبت عليها بعض المواد الزينة وهي: قطع مربعة الشكل تسمى أحجبة الفضة، وصدف أبيض يسمى 'البيضات'، وعقيق ومرجان وخيوط سوداء من الصوف. تلتصق هذه الزينة بكل تقانة على الجديلتين. كما تظفر جديلة بينهما، في آخر الرأس.

بعد الإنتهاء من 'المشاط' يوضع القليل من 'الخامرة' على الجديلتين الأماميتين فيبدو ذلك الطلاء ظاهر في مقدمة الرأس والوجه. كما تبخر العروس بالبخور الخاص بها ويقال له 'التعئين': تَبْخِيرُ الثَّوْبِ بِالْبَخُورِ. يقال: عَشَّتِ الْمَرْأَةُ بَبْخُورِهَا: إِذَا اسْتَحْمَرَتْ. وَعَشَّتُ الثَّوْبَ بِالطَّيْبِ: إِذَا دَخَّنْتَهُ عَلَيْهِ حَتَّى عَبَقَ بِهِ.¹ ويطلب من العروس فيلك الأثناء أن تستاك بالمسواك. وتكحل بالكحل، تُزَيِّنُ بمواد طبيعية خالصة. كيف هو هذا المسواك والكحل؟

وبنظرة عن هذه الزينة الطبيعية نعرف هذه المكونات كما يلي:

¹ محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، على شيري، ج. 18 دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005، ص367.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

والمسواك هنا ليس الأراك بل هو لحاء جذر شجرة الجوز، واسمها العلمي *Juglans regia* تحتوي الأوراق وأغلفة الثمر على قلويدات، بنسبة 2.5-3% . الاستخدام الطبي كعقار (الأوراق والأغلفة) قابض، قاطع للزيف، مهدئ للجهاز العصبي، مضاد للتشنج، والسُموم، والأمراض الجلدية، الإضطرابات المعدية والمعوية، وبعض أمراض الفم كغرغرة.¹ كما توجد باللحاء مركبات نشطة التي اثبتت في دراسة الفحص الكيميائي النباتي لمستخلصات لحاء الجذع من *Juglans regia* اظهرت نشاط واعد مضاد للفطريات² "لحاء الجذر والساق تستعمل ضد الديدان، قابض، مضاد للجراثيم ومنظف. يتم تخفيف لحاء الساق واستخدامه كمنظف أسنان. ديكوتيون من الأوراق واللحاء يستعمل مع الشب لتلوين الصوف البني. تستخدم الفلقة في علاج السرطان منذ فترة طويلة. بعض مقتطفات النبات أظهرت نشاط مضاد للسرطان. يحتوي اللحاء على المكونات الكيميائية: β -سيتوستيرول، حمض الاسكوربيك.³ فأصبح "الجوز الأخضر، والأصداف، واللحاء، والقشور الخضراء وقشرة الثمرة والأوراق، تم استخدامها في مستحضرات التجميل والصناعة الصيدلانية.⁴

فالمسواك، يستعملان لغرض صحي وقائي ضد الأمراض كما يستعمل لتحميم الشفاه، وهي ظاهرة منتشرة الاستعمال في تاريخ زينة المرأة العربية والهندية وغيرها من قديم الزمان. فهو إذن زينة تستعمل من مواد طبيعية والمسواك فهو "ديرم" في الكويت و«ديرمان» في السعودية و«عين الجم» في مصر مروراً بـ«زوز» تونس و«لوز خزانين» ليبيا وانتهاء بـ«جرجع» في المغرب⁵ والجوز/أقوسيم في الجزائر.

يسمى في الهند 'داندا' Dandas في وادي كشمير ويستخدم لتنظيف الأسنان البراقة. كما يستخدم اللحاء الجذر من قبل النسوة لتلوين الشفاه.⁶

'المسواك'، هذا الطقس يمثل أحد الحلقات التي تشكل أعراف الزواج يستعملان بالفعل من أجل الزينة إلا أنهم يستعملان لغرض صحي وقائي ضد الأمراض.

¹ عبد الباسط السيد و عبد الله عبد التواب حسين، مرجع سابق ص 382.

²V Upadhyay, S Kambhoja, K Harshaleena, **Antifungal activity and preliminary phytochemical analysis of stem bark extracts of *Juglans regia* Linn** – nternational Journal of Pharmaceutical & Biological Archives 2010; 1(5):442-447, p1.

³Ibid. p1.

⁴Tarique N Hasan, Leena Grace B, Gowhar Shafi, Amal A Al-Hazzani, Ali A Alshatwi, **Anti-proliferative Effects of *Juglans Regia* L.** Asian Pacific Journal of Cancer Prevention, Vol 12, 2011, p525.

⁵محرر مجلة القبس الإلكتروني «الديرم».. مستحضر تجميل وعلاج للنساء في الكويت، 27 يوليو 2017، متاح على: <https://alqabas.com/article/420451>

⁶Tarique N Hasan, and all. Op. cit, p.525

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

أما الكحل وهو الإثم، في الحديث الشريف. يقول ابن القيم عنه "الإثم وأجوده: السريع التفتيت الذي لفتاته بصيصٌ، وداخله أملسٌ ليس فيه شيء من الأوساخ."¹

كما ذكر فوائده الطبية فقال: "وفي الكحل حفظ لصحة العين، وتقوية للنور الباصير، وجلاء لها، وتلطيف للمادة الرديئة، واستخراج لها، مع الزينة في بعض أنواعه، وله عند النوم مزيد فضل؛ لاشتمالها على الكحل، وسكونها عقيبها عن الحركة المضرة بها، وخدمة الطبيعة لها."²

الإثم من الناحية الفيزيائية فهو عنصر معدني، بلوري الشكل، يُسمى بالأنثيمون، يكتحل به فيؤدي إلى نفع العين بتقوية أعصابها وتنقية أوساخها."³ وهو مصدر تزييني قديم، حيث اعتبر المصريين القدماء ممن استعمله، فكان الكحل يصنع من الجاليتيا galena - وهو خامة معدنية أساسها كبريتور الرصاص - وكان يحفظ في كتل معبأة في أكياس كتانية أو جلدية وكان يسحق جيداً بواسطة الهاون. وكان هذا المسحوق (البودرة) ينقل في أواني فخارية (زهريّة أو فائزة) أو قوارير فخارية انبوية الشكل تستخرج منها المادة عند الاستعمال باستخدام مرودا خشبية. وكان الكحل يوضع في العيون بواسطة نفس المروود بعد ترتيبه، كما يفعل نساء مصر الآن⁴ وهي نفس التدابير التي تتخذ للكحل العروس الخاص بها.

الحناء⁵

وقد سبقت الإشارة إليه في الخطبة، فهو "نبات، تزييني، عطري، طبي، وملون، وصابغ، صالح لكل زمان ومكان. كما أن استعماله المتعددة ضاربة في التاريخ، متميز بسماته التراثية الثقافية المتنوعة في مختلف المجالات الدينية، الطبية، والطقوسية."⁵ لها أبعاد اجتماعية وثقافية في مختلف الحضارات. وكما هو في المغرب أوتونس أو الجزائر وفلسطين وسوريا، فإن تحنية العروسين لها مدلوليتها كما قال عمران وآخرون أن "لتحنية العروسين قبل الزفاف، مدلولاتها الوظيفية الأخرى في مجتمع الريف الساحلي، من حيث أنها تشكل معنى جماعياً اجتماعياً/ثقافياً يجمع عليه أبناء القرية، فالحناء ليست مجرد اجتماع

¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - عبد القادر الأرنؤوط، المجلد، 4. 1418 - 1998، ص 252.

² الجوزية، نفس المرجع، ص 257.

³ هاني محمد مرعي، مرجع سابق، ص 43.

⁴ ليز ماكنه، مرجع سابق ص 186.

⁵ عائشة بلامة، شجيرة الحناء، دراسة ميدانية حول زراعتها واستعمالاتها بمنطقة توات (أدرار)، مجلة الإرشاد الزراعي، المعهد الوطني للإرشاد الفلاحي عدد خاص رقم 21، سنة 2016.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

بعض قرينات العروس وصديقاتها المقربات من فتيات القرية ونسائها فحسب، بل هذا الأمر يشكل بحد ذاته طقساً اجتماعياً يُكرّس قيم التواصل والتعاقد والتضامن الاجتماعي.¹

وبنفس الطقوس المتبعة في ليلة الزفاف بمنطقة تيديكلت، تعجن الحناء وتسبق العروس عملية التحنية من طرف قرية لها. ثم توزع على الحاضرين وفي العادة يكونوا من صديقاتها وجاراتها العازبات. في الوقت الحالي ادخلت بعض الحلويات والأطباق المتنوعة. لكن يوم الزفاف تعجن الحناء قبل أن يبادر المشاطات في ليّ أو مشط ظفائر للعروس. والغاية من ذلك إضفاء نوع من الحنان للعروس وإشعارها بشوق أهلها لفراقها. "في الوقت الذي يدعم فيه هذا المعنى الاجتماعي بعض الأمثال الشعبية والحكم المتوارثة من جيل إلى جيل، أو من خلال الأغاني والأهازيج التي تعبّر عن أهمية ممارسة عادة التحنية"².

تقول 'المشاطات' اللواتي اجتمعت بهن في عرس قرية لي في شهر جوان سنة 2019، أنه: في يوم الـ'المروح' تدعوا أم العروس النسوة لتناول وجبة الغداء، التي يكون الطبق الرئيسي فيها هو الكسكسي، ففي هذا اليوم يتم عمل الظفائر لشعرها 'تمشط الدججة'. ونبداً في العادة بعد الزوال، ونفرغ من الظفائر عند العصر تقريباً، ونجهز العروس نفسياً بنصحها وارشادها.

3.3 'المروح'

بعد ذلك، تستعد العروس 'للمروح' إلى بيت زوجها بعد صلاة العصر، يطلب من الزوجة -وهي المرأة التي ترعاها طوال فترة الزواج- تطلب منها أن تضع يدها على رأس والدتها وتطلب منها السماح والاعتذار.

بالنسبة لوالدة الزوجة يلاحظ أنها لا تترين في يوم زفاف ابنتها حسب العادات وتكون على طبيعتها، حتى تضيء جمالاً لإبنتها كما هو الطقوس، بل تبدو في ملابس عادية وبدون حلي. بيتما أم العريس فترتدي 'الجوالي' وهو يشبه 'الملاية' مثل العروس وتظفر مع بناتها أو أخواتها 'الدججة' وبصفة عامة أهل العريس يرتدون نفس الشيء ويستقبلون العروس.

¹ عمران ودياب وخرما، مرجع سابق ص 174.

² نفس المرجع، ص 174.

3. 4 'النقاب'

يقول السيد ع ب 72 سنة "يهيئ العريس ويتزين بملابس يرتديها من طرف الإمام وهو برفقة والده وأهله ويسمى ذلك بالنقاب، وهو يتكون من عباءة بيضاء وبرنوس أسود، ويقوم بإرتداء هذه الملابس مع تحصينات ترافق ذلك الطقس وهي عادة تتم بالبسملة والموعوذتين وآية الكرسي. ويطلب من العريس عدم الكلام إلى أن يغادر مجلس الرجال. ويحمل العريس معه سيف ليحميه من العين والشياطين لمعتقد أن الشياطين تخاف من الحديد حتى لا يصيبه مكروه؛ كما يوضع قليلاً من الحناء على شاش العريس.

في ليلة الدخلة تغني النساء للعروس أغنية التفاؤل بالرفأ والبنين مطلعها:

(يارب) 'ياسيدي عوام، يجعلها تتاوم وتربي الأولاد'.

بينما العريس يؤتى به من المسجد والمرافقين له ينشدون قصيدة البردة يكون برفقة 'الوزير' هو الآخر إنه "سلوك متكرر، مكتسب، اجتماعياً، ويُتعلّم اجتماعياً، ويمارس اجتماعياً، ويتوارث اجتماعياً."¹

تقول 'البخارات' ممن اجتمعت بمن في صباح عرس قريبة لي: في الصباح يتم 'الحزام' أي ترتدي العروس اللباس التقليدي 'الجوالي' وتزين بالكحل والمسواك، ويطلب منها الخروج إلى الخارج لتنظر إلى النخلة وذلك طقس يبين مدى أهمية النخلة في حياة سكان تيديكلت، وهي ترمز إلى أن تكون المرأة مثل النخلة في ثباتها وميزاتها.

ولعل ما قاله العراقي رافد الخزعلي، يفسر بشكل واضح هذا الطقس في مقاربة له عن المرأة والنخلة: "إن المرأة والنخلة في مقاربات كثيرة فهن سواء في العطاء الدائم والحب والحنان والجمال والشموخ ان تشبيه المرأة بالنخلة وذلك في أنها تُعَدُّ أشرفَ الشجرِ وأعلاها مرتبة، وفي كثرة خيرها، ودوام ظلّها، وطيب ثمرها، ووُجودِها على الدوام، فإنه من حين يَطْلُعُ ثمرها لا يزال يؤكل أنواعاً حتى يُجَدَّ ثمرًا ويُقَطَّع وهي ثرية في التغيير والتجدد وكذلك ترى عطاء النخلة بأنواع مختلفة من التمر."²

¹نقلًا عن عمران ودياب وخرما، مرجع سابق ص 174.

² رافد علاء الخزاعي، قضايا وأراء النخلة والمرأة رمز الحياة، صحيفة المنقف الإلكترونية. يوم 5 جوان 2013 الرابط: (https://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-12/75351-2013-06-05-01-42-57)

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

فهو يرى أن "لا حياة بلا نساء وبلا نخيل فالحياة حينها تكون صحراء قاحلة فالنخلة رمز الحياة كما هي المرأة رمز الحياة والخصوبة والعطاء."¹

أم هدية العروس، بحسب ملاحظتنا، يهدي لها الأقارب والجيران والأنساب، الذهب والفضة والنقود. هذه الهدايا تسمى بالنقود وهي عادة عند العرب وهي "كلمة دمشقية معناها هدية مالية تعطى للعروسين أو لأحدهما، ثم صارت لأية هدية في أية مناسبة مفرحة."²

3. 5 'الشامية'

بينما يأخذ الزوج رفقة الوزير ورفقائه إلى بستان من البساتين، في نزهة مليئة بالأهزيج والمشاعر، لجلب ما تيسر من الأعشاب والنباتات والتي تسمى بالشامية، وعند وصوله يصعد إلى سطح البيت ويلقي تلك الأعشاب على رأس الزوجة. تسرع النساء لأخذ تلك الأعشاب لحيوانتهن، اعتقاداً منهن أن ذلك يجعل خرافهم ومعزهم تتكاثر .

تقول السيدة د.ف (82 سنة): هذه العادة تميز أعراس عين صالح، وخاصة سكان قصر المرابطين، حيث يذهب العريس رفقة وزيره المكلف برعايته وتوجيهه طوال أيام الزفاف ورفقة أصدقائه في موكب مليئ بالأهزيج، إلى البساتين لجلب 'الحشيش' (أي مختلف النباتات الموجودة في البستان) ليلقيها على رأس العروس.

أما السيدة ض. م (65 سنة): فتقول أنه بعد الزفاف بيوم، يسمى بـ"الصباح" وكان فيما مضى في العادة صباح يوم الجمعة، يحضر المهنتون رجال ونساء لتهنئة العروسين في منزلها ويستعدون لطقس الشامية. يقوم أصدقاء العريس بتجهيز موكب ذكوري، للتوجه إلى البساتين ويتم اختيار 7 سبع بساتين (وتسمى محلياً بالجنة من جنان) مخضر الذي يحتوي على نخيل التمر، ونباتات مختلفة كالحناء والرمان الشعير، يقطع العريس هذه النباتات بسيفه فقط ويضعها في برنوسه الأسود مع الحلوة والنقود. تلتقط صور تذكارية مع العريس، ثم يعود الموكب إلى دار العروس.

وتصف لنا السيدة ض. ف طريقة نثر النباتات على رأس العروس فتقول: يصعد العريس فوق سطح البيت يحمل ماتم جمعه ليرميه على رأس العروس، التي تخرج بكامل زينتها ولباسها التقليدي مغطاة

¹ نفس المرجع.

² شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أباطة، ط.1، دار الفكر، دمشق، سوريا،

1983، ص 48.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

بالإزار وبرفقة الوزيرة التي تلازمها هي الأخرى. في وسط الأهازيج والطبول تجمع النساء والبنات والأطفال في هذه الأونة يلقي الزوج 'الشامية' على رأس العروس فتشر الأعشاب والنباتات والنقود والحلوى. تتسابق النساء في جمع ما تبسر مما سقط، تفاؤلاً بالنماء، والزواج والتكاثر.

حيث يرى الأستاذ و. ح. مهتم بالتراث: أن الغاية من هذا العرف يكمن في التفاؤل بزواج الفتيات اللاواتي لم يتزوجن بعد؛ كما أن الحشيش يعطى للنعاج الحلوب لإدرار حليبها وكذلك تفاؤلاً بالتوالدها بالتأم؛ والحصول على الرزق والبركة للعروسين في مترهم الجديد.

وتربط الأستاذة ح. ع. جذور عادة النثر على رأس العروس إلى عصور قديمة وردت في الإرث الأدبي العربي، حيث يبرز بيت في قصيدة المتنبي ني مدح سيف الدولة أثناء معركته على الروم التي انتهت بنصره عليهم. متخذ فيه مجموعة من الكنايات التي تعبر عن الشجاعة

نثرهم فوق الأحيب نثرة... كما نثرت فوق العروس الدراهم

هنا "استعارة، لأن «النثر» في الأصل للأجسام الصغار، كالدراهم والدنانير والجواهر والحبوب ونحوها، لأن لها هيئة مخصوصة في التفرق لا تأتي في الأجسام الكبار، ولأن القصد «بالنثر» أن تجمع أشياء في كف أو وعاء، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة واحدة، والأجسام الكبار لا يكون فيها ذلك،... فالتفرق الذي هو حقيقة «النثر» من حيث جنس المعنى وعمومه، موجود في المستعار له بلا شبهة... الأحيب: جبل، والنثر: التفريق، يقول: فرقتهم على هذا الجبل مقتولين، ونثرهم نثر الدراهم على العروس، فتفرقت مصارعهم على هذا الجبل، كما تتفرق مواقع الدراهم إذا انتشرت، وهذا من محاسن أبي الطيب، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة* تحكم في الروم قتلاً وأسراً ونثر جيشهم فوق هذا الجبل نثراً.¹ فالقصة وقعت في بلاد الشام في العصر العباسي.

3. 5 التهنة 'التبراك'

أم التهنة الخاصة بمناسبة الزواج، فبحسب المبحوثين، فإن قبل الزواج يقال لأهل العروسين هذه العبارة: 'الله يكمل بالخير'. بمعنى أتم الله لكم بالخبر. بينما بعد دخول العروس لبيت الزوجية تكون

* سيف الدولة (سيف الدولة العباسية) (303 - 356 هـ / 915 - 967 م) هو علي بن أبي الهيجاء بن حمدان بن الحارث سيف الدولة التغلبي مؤسس إمارة حلب، التي تضم معظم شمال سوريا وأجزاء من غرب الجزيرة (عن موقع وكبيديا، 2020)
¹ التنبیان / 2 / 301. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471 هـ) أسرار البلاغة في علم البيان، المحقق: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1422 هـ - 2001 م، ص49

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

صياغة التهنة على هذا النحو: 'لله يتمر' يمكن أن تكون كلمة يتمر من النمر وهو تعني الثمار الطيب في الحياة الزوجية. أو ربما يعني أن يثمر الزواج.

يمثل الزواج "أهم طقوس التحول مثلاً، فالطقس يضبط للمنخرطين فيه مكانات محددة مثل وضع العروسين' بما أنّهما محور عملية العبور، ووضع المشاركين (الأهل، الضيوف...) ومثلما قال كلود ريفيار Claude Rivière* —"إنّ الوظائف التي يضطلع بها المنخرطون في طقوس الزواج، هي نفسها تلك الأفعال التي يمارسها الأفراد بوصفها نماذج مسرحية théâtralisés. فطقس الزواج يهيئ للعريسين تقمّم أدوار الزوج والزوجة، تتولّد منها علاقات جديدة تتصل بتلك المراكز التي هي علاقات المصاهرة والنسب."¹

ويساهم طقس الزواج "في ترسيخ العادات والمثل المشتركة ومعايير الجماعة ويضعها موضع العمل. وتكون الطقوس خلال ذلك مسرحاً لأفعال دالة، كالألبسة (بيضاء للعروس تعبيراً عن العفة والشرف والرقة، وسوداء أو زرقاء للعريس تعبيراً عن السلطة والقوة والفحولة)، أو ضرورة أن تخرج العروس إلى دار زوجها من بيت أبيها، إعلاناً عن انتمائها وأصالتها، وغير ذلك من الأعمال الدالة."²

وعلى رأي فريال عباس، مراسيم الزواج في الريف تكون أكثر استعراضية حيث "أن نصيب المراسيم في الأوساط الحضرية قليل، فمعظمها كانت تتوجه بخاصة لطقوس الزواج في الأوساط الريفية و ذلك يعود ربما لكونها أكثر استعراضية."³

تسمى مناسبة الزواج عند العرب بوليمة العرس وهي الدخول "وهي سنّة لثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً؛ ففي السنن الأربع، عن أنس، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أو لم على صفة بسويق وتمر، وفي الصحيحين عنه، أنّه عليه الصلاة والسلام وليمتها التمر والسمن والأقط."⁴

وفي مايلي المراسيم التي تتم بعد حصول الحمل والولادة والتي تلقي عناية خاصة من طرف سكان تيديكلت، وذلك حسب إجابات المبحوثين في استمارة المقابلة والمقابلة الموجهة والملاحظة بالمشاركة.

* Claude, Rivière, Socio-Anthropologie des religions, Paris, Armand Colin (coll. «Cursus», Série. Sociologie), 1997, p.23.

¹ نقلاً عن: منصف المحواشي، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل، مجلة إنسانيات، عدد 49، 2010. URL : <http://journals.openedition.org/insaniyat/4331> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/insaniyat.4331>

² نفس المرجع.

³ فريال عباس، مراسيم الزواج بمدينة قسنطينة، مقاربة أنثروبولوجية، مجلة إنسانيات، عدد 29-30، 2005، ص ص 49-62. <http://journals.openedition.org/insaniyat/4450> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/insaniyat.4450>

⁴ شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، مرجع سابق، ص 41.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

3. 6 الولادة والنفاس

3. 1.6 أعراف ما بعد الولادة والنباتات الطبية:

تمثل الولادة الحياة الجديدة والنمو والزيادة، وكل أسرة تسعى لأن يكون لها بنين وبنات. في تساؤل لنا حول الأعشاب أو النباتات التي تتخذ بعد الولادة أجاب المبحوثين إجابات مصنفة حسب وصفات متعلقة بالنفاس ووصفات خاصة بالمولود الجديد، و20/10 منهن أضافوا وصفات لهذه النباتات.

الجدول الموالي يمثل النباتات التي ذكرها المبحوثين الخاصة بالنفاس.

جدول رقم 26: النباتات /الأعشاب التي ذكرها المبحوثين الخاصة بالنفاس

النسبة	التكرار	النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
20,09%	300	حلبة
15,20%	227	إكليل الجبل
14,53%	217	شيع
6,76%	101	أم الناس
20,62%	308	حناء
13,59%	203	سانوج
6,89%	103	تمر
2,27%	34	أخرى
100	1493	المجموع

يبين الجدول في الأعلى أن نبات الحلبة مثل أعلى نسبة من طرف المبحوثين بنسبة 20,09% بالمئة. تلتها نسبة 20,62% للحناء تم تأتي نسبة 15,20% لنبات إكليل الجبل.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية واعداد انتاج الوصفات العلاجية

تعتبر الحلبة من الحبوب التي تستعمل بكثرة في النفاس و يستعمل معها في الغالب بحسب المبحوثين الذين أضافوا الوصفات الخاصة بالنفاس. أما إكليل الجبل وهو 'لازير' يعطى للمرأة الحامل في حالة المخاض، أي عند اقتراب الولادة.

البعد الثقافي لاستعمال الحلبة نجده موثق في تاريخ مطابخ الشعوب. فعلى سبيل المثال لا الحصر، تسمى وصفة الفِثْرَة وهي "حُلْبَة و تَمْرٌ يُطْبَخُ، شَبِيَّةٌ بالدَّوَاءِ، يُعْطَى لِلنَّفْسَاءِ، وَفِي التَّهْدِيبِ: هِيَ حُلْبَةٌ تُطْبَخُ حَتَّى إِذَا قَارَبَ فَوْرَانَهَا أُلْقِيَتْ فِي مِعْصَرٍ فَصُفِّتْ، ثُمَّ يُلْقَى عَلَيْهَا تَمْرٌ، ثُمَّ تَتَحَسَّاهَا الْمَرْأَةُ النَّفْسَاءُ."¹ وهو طعام أهل اليمن عامة والحلبة: الفْرِيقَةَ، طَعَامُ النَّفْسَاءِ."²

وبحسب المبحوثين، فإن المرأة قبل الحمل وبعده، تتمتع بوضع خاص في المجتمع، يمنحها راحة نفسية أكثر ويمنحها الثقة بنفسها، لتهيئ بشكل جيد للتنشئة الاجتماعية إحدى ركائز المجتمع. يشارك المجتمع في الحفاظ على هذا التراث الثقافي من جميع النواحي. بالإضافة إلى ذلك، يتم تمرير هذه العلاجات من الأم إلى الابنة. ومختلف البلدان العربية تزخر بمورث ثقافي مميز للمرأة التي ستساهم في تكاثر المجتمع، حيث تحضر لها وليمة عند العرب وتسمى "وليمة الخرس" وهو طعام الذي يقدم بمناسبة الولادة. نكون التهنية بقول 'مبروك عليكم الضيف إن كان المولود ذكراً، ومبروك عليكم الضيفة، إن كان المولود أنثى يترى في عزكم انشاء الله'.

عند العرب تكون التهنية "ويستحب أن يُهَنَّأَ الوالد بولده؛ روى أن رجلاً جاء إلى الحسن وعنده رطل قد رزق مولداً فقال: يُهْنِكُ الفارس. فقال الحسن: وما يدريك أفرس هو أم حمار فقال: كيف نقول؟ فقال: قل بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده ورزقت بعده."³

وليمة الخرس "ويقال أيضاً بالصاد المهملة ويقال الخرسية: وهي الطعام الذي يصنع لسلامة المرأة من الطلق في النفاس، وهو الولادة. يقال نُفِست المرأة بضم النون إذا ولدت، وفي الحيض بفتحها (نُفست). قال الصفدي في تثقيف اللسان: يقولون امرأة نافسة، والصواب نُفساء."⁴

بالنسبة إلى الاستخدامات الخارجية والداخلية للنباتات التي ذكرها المبحوثين، فهناك نباتات تستخدم قبل الولادة وهي:

¹محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، على شبري، ج: 7، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005، ص 335.

²محمد بن مرتضى الزبيدي، نفس المرجع، ص ص: 439-440

³فص الخواتم ص 50.

⁴نفس المرجع، ص 50.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

التمر؛ لازير والقرفة والبصل.

لازير وهو إكليل الجبل واسمه العلمي *Rosmarinus officinalis* أما القرفة فهي *Cinnamome zeylanicum*، أما البصل فاسمه العلمي *Allium cepa*.

وذكر المبحوثين التمر؛ اقتداء بما جاء في القرآن الكريم في سورة مريم الآية 25 قال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَلِيمًا﴾ وقد ثبت علمياً فوائد التمر لتسهيل الولادة خاصة في بحوث الإعجاز العلمي للكتاب والسنة.

قال رافد الخزعلي في هذا الشأن¹ كان اهتمام سيدنا ومعلمنا رسول الله ﷺ أكرموا عمتنا النخلة وأكد على زراعتها والاهتمام بها، فولادة سيدنا المسيح كانت في ظل نخلة وان تمرها ساهم في تسهيل الطلق وهذا ما أثبتته العلوم الطبية إن للتمر فاعلية في إفراز هرمون الاوكسيستين وهو هرمون الحب والحليب ويساهم في انقباض الرحم وتسهيل رجوعه لوضعه الطبيعي ومدد للحليب وفي إعطاء النضارة للبشرة لاحتواء التمر على 68 عنصر من الفيتامينات جميعاً والعناصر الضرورية من زنك وحديد وسليسيوم وبروتين وعناصر أخرى ويعتبر صيدلية وموسوعة دوائية طبيعية.¹

بالإضافة إلى أهم النباتات التي ذكرها المبحوثين في الولادة وهي كانت 23 ثلاثة وعشرون نبات أهمها: التمر *Phoenixdactylifer*؛ الحبوب *Triticum*؛ حلبة *Trigonella foenum-graecum*؛ شيح *Artemisia herb2-alba*؛ حناء *Lawsonia inermis*؛ حارة *Erica sativa*؛ بخور *encense*؛ تغوفت *Artemisia* *Balsamodendronafricanum, campestris* ام الناس.

6.3. 2 الأطباق الصحية للنفساء

تقول السيدة (عسكري مبروكة 78 سنة): أول ولادة للمرأة تكون مدة النفاس أربعين يوم بالتمام، ومن عادة النفاس في منطقة تيديكلت أن يكون عند أهل الزوجة فيكون النفاس في حضن والدة النفساء أي تقوم الأم برعاية ابنتها، وتبقى معها نسبتها/حماها مدة أسبوع لتساعدها على كيفية رعاية صغيرها.

وبحسب 52 بالمئة من المبحوثين يرون بأن هناك وجبات خاصة للنفساء لتسهيل شفائها بعد الولادة ولاسترجاع قوامها، لذلك تلقي اهتمام خاص خاصة إذا تعلق الأمر بأول وضع. فتبرز مكانة

¹ رافد علاء الخزاعي، قضايا وأراء النخلة والمرأة رمز الحياة، مرجع سابق.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

التداوي بالأعشاب ببعديها الاجتماعي والثقافي، في هذا الموضوع بشكل جلي، لأن الوضع يتطلب مجهودات وتجهيزات خاصة لهذا الحدث المعبر عن النمو والتكاثر، حيث تبدأ الرعاية بالمرأة الحامل بتلبية رغباتها بقدر المستطاع لما تشتهييه من مأكولات، حفاظاً على سلامتها وسلامة المولود.

تقول ع. م 82 سنة: قبل أن تضع المرأة الحامل مولودها، تتناول التمر لتسهيل الولادة، كما يعطى لها شراب خاص لتسهيل الطلق والوضع، يتكون هذا الشراب من إكليل الجبل 'لازير' المغلى. وهذا النبات يجلب من المناطق الحارة، لأنه لا ينمو في المنطقة، يجب أن تكون الأطباق مميزة للنساء والغنية بالبروتينات النباتية والحيوانية من أعشاب وحبوب محلية ومنها:

«الصفاية» عبارة عن لحم قديد يغلى في ماء متبل بالحلبة والطماطم المجففة المرحية، ملح قليل من الزيت، تشربه النساء مباشرة بعد الولادة والأيام الأولى من النفاس وفي إناء خشبي خاص يسمى 'تاغرييت'.

3.6.3. الجانب الجمالي للمرأة للنساء

لهذا الجانب خصوصيته خاصة أن المرأة تغيرت شكلياً، وهي بذلك بحاجة لرعاية خاصة، فبحسب 75% من المبحوثين يقولون:

إن الاهتمام الخارجي بالنساء، يتمثل في تدليك النساء وربطها ودهنها ومسدها وتدويرها، أسبوع بعد الولادة حتى تعود أعضائها إلى شكلها الطبيعي تدريجياً، وتستطيع بذلك أن ترعى مولودها. والتدبير تقوم به نسوة مختصات في هذا المجال*، حيث يتم بلف الملائية أو البطانية، بشدها بجبل الوبر، في الجزء السفلي للمرأة للنساء. الغاية منه هو إعادة شد الأعضاء لهذه المرأة.

ومن الناحية العلمية فإن التدبير وهو لف الجسم أو جزء منه بالملايات الجافة أو الرطبة والبطانيات الصوفية. ولف الجسم بالملايات والبطانيات يجب أن يكون لفا محكما لا يترك فراغات هوائية بين الجسم وبين ملاءة اللف... وهذا أمر ليس بالسهل عمله ويتطلب تمرين وخبرة. وننصح كل ربة منزل بالتمرين على ممارسة اللف وفقاً لقواعد وإرشادات للاستفادة منها في المعالجة المتزلية¹

* نبات إكليل الجبل مؤخراً شاهدنا تأفلمه في بعض مناطق تيديكنت كعين صالح وفقارة الزوى
* كانت والدة الباحثة - أطال الله في عمرها - مختصة في تدبير النساء.
أمين رويحة، الرومانزم، ص 141.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

نخلص إلى أن الاهتمام بصحة النفساء من الأمر الحساسة، كونها أساس التنشئة الاجتماعية التي تبدأ من بيت الأسرة. وصحة الأم من الأولويات، لتربية الناشئة، لذا كان من الواجب مراعاة هذا الجانب.

3. 4.6 الصحة النفسية والجسدية للنفساء

بعد عملية الوضع تطراً على المرأة تغيرات فيزيولوجية ونفسية، فتسعى الأسرة وخاصة الأم لمساعدتها لتجاوز مرحلة التغيرات بترسيخ مبادئ التربية والعناية الجسدية للأم والطفل. ففي مرحلة النفاس يطلب من النفس أن تعتني بجمال وجهها وذلك بطلاء الوجه بالطين الأحمر الحميرة وشد البطن بالشاش، لإعادة لياقتها، وذلك طوال مدة النفاس. لكن في مواقيت محددة، فكل ممارسة لها ضوابطها، والهدف الأساسي هو محاولة إعادة الجسم لوضعه الطبيعي. (وهذا ما كانت تقوله والدة الباحثة دوماً).

يدخل في هذا المجال، ثقافة الجسد، وكيف يتعامل المبحوثين في تديكلت مع جسد المرأة باعتباره ثقافة بحد ذاتها، لإرضاء المرأة النفس لنفسها، ولزوجها في الأساس، ثم لمجتمعها. تركز ثقافة جسد المرأة النفس وإعادة ترميم الإجهادات التي طرأت عليه، عن طريق نظام صحي يمارسه السكان منذ القدم وراسخ في نظام المجتمع وثقافته.

يعتمد الغذاء بالدرجة الأولى والأعشاب الطبية التي تأخذ في الحسبان المولود الذي سيكون غذاؤه الرئيسي هو لبن الأم. فالثقافة الغذائية للنفس تلقن أثناء الفترة التي تقضيها لدى والدتها في أول مولود لها، أين تلقن كل القيم والمبادئ اللازمة للتربية منذ لحظة الولادة، ما يجب أن تأكل وتشرب ومالا يجب تناوله.

بالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أن بعض الأطباق المصممة للنساء بعد الولادة هي: الحساء؛ الكسكس؛ شاي عشبي؛ (مزيج الأعشاب). وكذلك تدليك الجسم؛ مع وصفات الجمال من أبرزها الطين الأحمر الحميرة.

تتناول النفساء الحساء مرتين في اليوم، في الصباح الباكر، وفي المساء. هناك من يضيف للحساء 'لختيم' وهو عبارة عن معجنات مجففة تتكون أساساً من هريش القمح (دشيشة زنبو) تجمع

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

بواسطة لبن الأغنام حتى تتشربه جيداً، بعدها تضاف لها أعشاب الراجحة والتوابل، تم تشكل على هيئة خبزات صغيرة ثم تجفف تحت أشعة الشمس. يستعمل الختيم في الحساء أو ما يعرف بالحريرة.¹

ولختيم لا يختلف من الناحية التاريخية على حساء الخاثر في حضارة واد الرافدين، في تركيبه وتكوينه أين "يحتفظ مطبخ الشرق الأدنى التقليدي بالحليب الفائض بتحويله إلى حليب مجفف بالهواء أو لبن مخلوط مع الحبوب أو البقوليات ككريات صغيرة، يمكن بسهولة إعادة تكوئها إلى حساء محمول ومغذ. والبرغل، المستخلص من حبيبات الحنطة المطحونة بخشونة والمحففة والمبخرة، غالباً ما يستعمل، وإن كان يمكن استخدام الحمص المطحون أيضاً. ولم يتمكن الباحثون من ترجمة جميع المفردات التي تنطوي عليها قوائم المطبخ الرافداني، لكن بعضهم يرى أن اسم حساء الخاثر خفي في المفردات غير المترجمة، مادامت التقنية قديمة."²

وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على الامتداد التاريخي للوصفات على مر الزمن، ويبرز دور ثقافة الحضارات في إعادة بناء هذا الموروث الاجتماعي المستمد من التجارب الإنسانية في تدبير الطعام والاحتفاظ به.

6.3. 5 العناية بالمولود: 30/15 من المبحوثين أعطوا وصفات حول العناية بالمولود بعد الولادة

وتكون على النحو التالي:

أولاً. الآذان: يؤذن الأب في أذن المولود أو أحد الأقارب.

ثانياً. التحنيك: وبعضهم يقوم بتحنيك المولود، وذلك إقتداءً بالسنة النبوية في تحنيك الولود بالتمر.

ففي السنة المطهرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي التمر من اليوم الأول للمولود وهو ماورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، " أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، قَالَتْ : فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتَمِّمَةٌ فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ قُبَاءَ فَوَلَدْتُ بِقُبَاءَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَعَهَا، ثُمَّ تَفَلَّ فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَةِ ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ

¹ عائشة بلامة مرزاية، المهن الحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بولاية أدرار، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، الجزائر، 2010، 31.

²المطبخ في الحضارات القديمة، ص 98.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

في الإسلام“ رواه البخاري. وقد ثبت فوائد كثيرة للتحنيك موثوقة في بحوث علمية للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.

ثالثاً. التمليح: تمليح المولود: هناك من يقوم بتمليح المولود حتى يضيء عليه ملوحة. وبحسب المبحوثين يتم ذلك بفرك قليلاً من الملح على المولود.

يرد هذا الطقس في ثقافات مختلفة كما رأينا سابقاً، أن "الملح كان مستخدماً في طقوس المباركة والأعياد الدينية"¹ وفي ثقافة المشرق العربي، كمنطقة فلسطين مثلاً يقومون بتمليح الطفل حيث "هناك عدة طرق لتمليح الطفل الرضيع، منها: وضع القليل من الملح في ماء الحمام أثناء تحميم الطفل، وفرك جلد الطفل ببعض الملح ثم القيام بغسله مباشرة، ووضع الملح على جلد الطفل وتركه لفترة ثم غسله، وأفادت بعض السيدات اللواتي تم إجراء مقابلة معهن بأنهن لا يعرفن الفائدة من ذلك وإنما هكذا جرت العادة، بينما أشارت أخريات إلى أن التمليح يقلل التعرق عندما يكبر الطفل."²

واعتبر الأطباء أن هذه الممارسة "تندرج تحت قائمة المخاطر بعض الممارسات التقليدية التي كانت ولا زالت بعض الأمهات والجدات تمارسها...تمليح الطفل الوليد وذلك بفرك جلده بالملح أو غسله بماء وملح لاعتقادهم بوجود فوائد أو ضرورة لذلك."³

يقول الدكتور أكرم سعادة، وهو مدير عام مستشفى الاتحاد وأخصائي طب الأطفال والخدج بفلسطين، أشار إلى "قيام الأهالي أحياناً بأكثر من هذا كوضع الملح على جلد الطفل عدة مرات دون القيان بتحميم الطفل إلا بعد عدة أيام، حتى أن البعض يقومون بوضع الملح في فم الطفل."⁴

3.6.6 الإسعافات الأولية للمولود:

ذكرت السيدة ح. ب. 79 سنة، أن الجدة والأم يقومان بإعداد الوصفات اللازمة للمولود، والمتمثلة في تحضير بعض الأعشاب التي تعطي له في حالة توعكاته وتسمى بـ (كموسة الكمامين) وتتكون من كمون صحراوي مع القليل من الشيح، السانوج، الكمون، عسل نخيل البور. نضعها في قطعة قماش كالصره بحجم حبة الحمص وننقعها في كوب لتتقع ثم يقطر الماء في فم الصغير للتخفيف من ألامه.

¹امارك كير لانسمي، تاريخ الملح في العالم، تر. أحمد حسن مغربي، ط. 1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005.

² أكرم سعادة، خطر تمليح الطفل، 2 فبراير 2020 | <https://www.altibbi.com>

³ نفس المرجع

⁴ نفس المرجع

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وتضيف قائلة:

- ندهن جسم المولود يومياً ويكون في الغالب دهن الماعز، لكن هناك من يستعمل زيت الزيتون. وهنا نقف نرى أن زيت الزيتون لا يستعمل بالشكل الذي يستعمل في شمال الجزائر، بل يفضل استعمال دهن الحيوانات (بقري معز أو شاة). ذلك يعود لتغلب البيئة المحيطة على العادات والتقاليد، واستغلال ما هو متاح للمجتمع، في هذه البيئة الصحراوية.

7.6.3 العقيقة³ السبوع:

كما ذكر المبحوثين - 'السبوع' وهو اليوم السابع للمولود يخصص للعقيقة كما جاء في السنة المطهرة فكما ورد في الموطأ في هديه ﷺ في العقيقة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العقيقة فقال: (لا أحب لعقوق) كأنه كره الاسم. وضح عنه من حديث عائشة رضي الله عنها (عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة) قال: "كُلُّ غُلامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُحَلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّى."¹

تعتبر العقيقة من ولائم العرب، يقول الألووسي وقوله ابن طولون: "العقيقة: الوليمة التي تعدُّ في اليوم السابع من ولادة مولود جديد في البيت"²

وبذلك تذبح الشاة أو الشاتان للمولود، ويحضر طبق الرقاق مع مرق العدس والبصل والتوابل، (كالثريد) ويقدم في المسجد أين يتم الإعلان عن اسم المولود الجديد الذي يظل سرّياً إلى اليوم السابع.

تقول السيدة (م. ك 66 سنة) و (ب. م 58 سنة): نطلب من النفساء أن تذهب للإستحمام، ثم نقوم بالإهتمام بالمولود، فتجتمع سيدات كبيرات في السن حوله، وتقوم احدهن بحلق رأسه، وتشريطه بشكل خفيف في جانبي رأسه وفي ركبتيه، وتذكران بأنه في الوقت الحالي قلت عملية التشريط خوفاً من أثار جانبية تتسبب في أذبة صحة المولود.

وقالت: 'دى المبحوثات: بأنه في هذه الأثناء تنشُد النسوة مديح يرافق هذا الطقس أو هذه الممارسة، و وكأنه بلسان المولود، فيه دعاء ورجاء، باللسان المحلي:

¹ زاد المعاد، مرجع سابق، ص 68.
² محمود شكري الألووسي البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص 386.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

طلبتك يا من لا ترد السائلين حرمت رسول الله تقبلني

قبل ما نشرب ماء ولاناكل طعام مولانا في لرحام صورني

كملت سبعة أيام بعداد الزمان ذبحو ليا شاتي وسموني

طلبتك يا من لا ترد السائلين حرمت رسول الله تقبلني

المديح يعبر كناية عن المولود الذي يترجى المولى من لا يرد السائل، ويصلي على الرسول في بداية المديح، ثم يقول بأنه قبل أن يشرب الماء أو يتناول طعام خلقه الله في الرحم، ثم يقول: أتممت سبعة أيام بحسب توقيت الزمان— ويطلب بأن تذبح له شاة وبعدها يسمونه.

_____ وتضيف إحدى المبحوثات: وبعد ذلك نكحل المولود ويلبس ثوباً جديداً، ثم نقوم بتغطية المولود مع السيدة التي حلقت رأسه بإزار، وينثر على رأسها مع المولود 'براز'، وهو مكون من الحلوى والحبوب والبقول السوداني، اللوز والجوز. تتسارع النساء الحاضرات في السباق لأخذ ماتيسر من 'براز' في جو كله مرح وطرفة، تبركاً، وتقأل بالنماء وزيادة الخير وحلول البركة وصلاح للمولود. بعد ذلك تأتي النفساء وتستلم المولود، وترش عليه قليلاً من ماء شعرها، ثم ترضعه، ليشعر بالإطمئنان.

ونرى كيف يتكرر موضوع نثر الحبوب والمكشرات والحلوى كرمز للنماء والبركة لحفظ المولود ورعايته.

8.6.3 بخور النفساء:

وعن بخور النفساء تقول (م. ك 66 سنة) و (ب. م 58 سنة): ويتكون من بعض النباتات والصمغ: كالشيخ والكزبرة، أما الصمغ مثل: أم الناس، 'بخور السلام'. الغاية من هذا البخور هو حماية ووقاية النفساء ومولودها من العين الشريرة والأمراض.

من الناحية العلمية، قد ثبت علمياً أن الشيخ من النباتات المطهرة بعد تبخيره، فتنتلق جواهره الفعالة من أوراقه المحترقة على الفحم، لتطهر المكان من الجراثيم والهوم. وهناك مقالات علمية أكاديمية منشورة ذكرت حائص الشيخ المطهرة لمن يرغب في الاطلاع عليها.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

ما يلفت للانتباه من خلال تصريحات بعض المبحوثات، أن الكثير من الأسر خاصة في المولود الأول للمرأة، يركزون على تخصيص مكان خاص لقضاء فترة النفاس المقدرة بأربعين يوماً رفقة مولودها، بغرض رعاية صحتها النفسية وبعيداً عن الضوضاء والضجيج في البيت. وهذا يفسر مدى الاهتمام بالجانب النفسي للأم وكذا الطفل. إضافة إلى حرصهم على عدم إزعاجها أثناء الرضاعة، حتى لا يتأثر حليبها فيؤثر حليبها على معدة الصغير.

تحتل تربية الطفل مكانة مرموقة، خاصة في السوات الأولى "لما لها من أثر في تشكيل شخصية الفرد تشكياً يبقى معه بعد ذلك بشكل من الأشكال".¹ فيحرص سكان عين صالح على اعطاء أولوية لهذه المرحلة من العمر.

9.6.3 الأربعين يوماً من النفاس:

يحتفل بمرور الأربعين يوماً من النفاس بتجهيز النفساء بملابس جديدة، هذا ما أكدته السيدة (د. ف 86 سنة) وتقول: تحمل المرأة ونزين بلباس تقليدي وبيارك النساء لها بقولهم 'مبروك لوفاية'. ثم تأخذ إلى بيت زوجها برفقة المولود الجديد، وكأنها عروس، وذلك قبل غروب الشمس. وهناك من يقوم بإعداد وجبة غذائية على شرفهما وتمنح لهم الهدايا والنقود. تسمى وجبة الولادة بوليمة 'السلامة' كالحساء أو 'المردود' أو العصيدة. أما وليمة 'لوفاية' تسمى بـ 'خروج النفاس'.

يقصد من 'لوفاية' إتمام مرحلة النفاس: 40 يوم، وهو رقم له دلالة، نورد فيما يلي كيف أن خلق الإنسان بمراحله يتم في الأربعين، وهو كما جاء في السنة الشريفة:

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيَوْمَئِذٍ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِّبَ رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ." رواه البخاري ومسلم.)

كما أنه في حكم النفاس ينتهي لحديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: كانت النفساء تقعد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً). فمن هذا المنطلق تتبع طقوس النفاس بمنطقة عين صالح، وخاصة في وضع الحمل الأول.

1 كريمة بدير، رعاية الطفل من الجنين حتى العامين، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص148.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

6.3. 10 إتمام سنة من ميلاد المولود وعادتهما:

وعندما يتم الطفل السنة، تقول السيدة (ف. ب. 69 سنة): نضع في طبق من سعف النخيل، مصحف وسبحة وقلم وقعة لحم، ثم ينتظر الجميع ماذا يختار. فإن اخذ المصحف يقولون سيصبح امام، وإن أخذ السبحة فيكون متدين وإن اخذ القلم، قالوا ستصبح عالم، وإذا اختار اللحم، سيقولون بأنه سيصبح جزاراً.

وعن الغذاء المخصص للأطفال في المرحلة العمرية الأولى تخبرنا السيدة (ع. 65.ع سنة) "أن أهم الأغذية لمن يتم السنة فما فوق، هو دقيق التمر 'أنغاز' مع القليل من الدهن.

3. 11.6 عند التسنين:

تخبرنا (ف. ب 61 سنة) أنه عندما يبدأ الطفل بالتسنين، يؤتى بثمار الحارة (*Eruca sativa*) ومقلاة قد سخنت بالنار، توضع فوق رأس الطفل بطريقة غير مباشرة، ونقوم بنثر بذور الحارة في المقلاة وتبدأ في التفرقع. تفسر هذه العملية محاربة تماثل طريقة فرقة البذور بالتسنين، ولتسهيل ظهورها، ثم تدهن اللثة بشحم أحشاء الدجاج.

نلاحظ كيف أن رمزية ثمار نبات الحارة ترتبط بالتسنين، وتشكل علاقة وظيفية بين النبات وتسنين الصبي، فكما تتفاعل بذور الحارة مع حرارة المقلاة والتي تؤدي لفرقتها، تتماثل هذه افرقة مع نخورج الأسنان، وكأنها تهدف من ذلك توهم واعتقاد هذه العملية في تسهيل مهمة التسنين استعانة بنبات الحارة. وفي حقيقة الأمر، هذا النبات غني بالكالسيوم والحديد وفيتامين ج يتخذ كمقاربة للتسنين، نظراً لتوافر هذا النبات في بساتين المنطقة واستعملاته المختلفة، خاصة في طبق الحساء. جعل من النبات يحتل مكانته الرمزية في الحياة الاجتماعية لمجتمع تيديكلت.

نبات الحارة تعتبر تابل من "توابل البذور Seed Spices بذورها بيضوية الشكل. "يطلق إصطلاح خردل Mustard على البذور ذات الطعم الحريف التابعة لمختلف الأنواع الحولية ذات الأزهار الصفراء التي تنتمي إلى أجناس، *Brassica, Sinapis Eruca* ويرجع موطنه الأصلي إلى جنوب وشرق أوروبا حتى الهند والصين¹ ويسمى كذلك "بالخردل الفارسي (TheL.) (*Eruca vesicaria* (L) Cav. ssp. sativa (MilL.) نظراً لتوافر هذا النبات في بساتين المنطقة واستعملاته المختلفة، خاصة في طبق الحساء. جعل من النبات يحتل مكانته الرمزية في الحياة الاجتماعية لمجتمع تيديكلت.

Roquett Persian mustard وبذور الخردل لا يتم طحنها.²

¹ عرفة أحمد عرفة، مورفولوجيا نباتات التوابل، المكتبة العصرية، المنصورة، مصر، 2008، ص 129

² نفس المرجع، ص 147

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

(تستعمل بذور الحارة في عين صالح بدون طحنها، وتستعمل كتابل في الحساء، وهناك من يستعملها في العجة خاصة بمنطقة أدرار لمن يعاني من الأمراض الصدرية.)

وعن عادة النثر هذه، نشير المراجع التراثية، إلى أن عادة نثر الحبوب في مرحلة تسنين الصبيان واردة في عادات العرب وطقوسهم؛ وتعرف بالحذق، والإحتفال بحذق الصبيان كما ورد في كتاب فص الخواتم: "روى الدوري في جزئه عن أبي بكر الهذلي قال: سألت الحسن يعني البصري وعكرمة عن الصبي تنبت أسنانه فينثر عليه الحبوب، فقالوا: حلال. وسألتهما عن الغلام يحذق فينثر عليه الجوز، فقالوا: حلال"¹

يتضح لنا أن الغاية من ذلك كله هو حضور الحبوب بشكل عام (حارة، شعير، قمح) أو جوز وما لرمزيتها في الطقوس.

وبصفة عامة، فإن وليمة الحذاقة، تكون بمناسبة التسنين، أو حفظ القرآن الكريم، كما قال ابن طولون: "وهي التي يسمونها في زماننا التحلية- وهي اطعام شئ حلو عند النجاح أو عند حصول مسرة- تقول أولاد الكتّاب: ((حلاّن فلان بن فلان)). وكذا إذا تعلم الآداب، وكذا إذا نبتت أسنان الصغير، ونحو ذلك... وقال في الصحاح للجوهري حذق: وحذق الصبي القرآن والعمل (يعني الزيادة في أمر محبوب)".²

2. 12.6 وصفات النباتات الواردة عن المبحوثين وكيفية استعمالها (أنظر في الملحق) وقد ذكر المبحوثين وصفات وطرق استعمالها كمايلي:

¹ شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أباطة، ط.1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983، ص 66.

² شمس الدين محمد بن علي بن طولون، نفس المرجع، ص 66

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

جدول رقم 27: طرق تحضير الأعشاب المقترحة من طرف المبحوثين

النسبة	التكرار	طريقة التحضير
53.22%	33	مستحلب/نقاعة/شراب
3.22%	2	لبخة
32.25%	20	مسحوق
4.83%	3	تبخير
6.45%	4	أكل
100	62	المجموع

يبين الجدول أن أبرز طرق التحضير المقترحة من طرف المبحوثين هي المستحلب أو الشراب أو النقاعة بنسبة 53.22%، ونسبة قريبة للمسحوق 32.25%.

وذلك يفسر بأن المبحوثين يرون أنها أفضل الطرق للعلاج خاصة لربات البيوت، فيما يتعلق بالإسعافات الأولية وقد سبقت الإشارة إليها في الفصل الأول من الباب الثاني.

كما يلاحظ أن طريقة الاستخلاص أو المستحلب أو (النقاعة) أو بالغلي هي التي تغلب في الوصفات في المقام الأول، مسحوق الأعشاب يأتي في المرتبة الموالية.

4. البعد الاجتماعي والثقافي للتداوي في مناسبة الختان

عرف الختان منذ القدم لدى المصريين القدماء¹ ويبدو أنهم كانوا يمارسون الختان في مرحلة معينة (اقتبسه العبرانيون من مصر من دون شك).¹ حيث أشار سارتون لذلك بقوله: "وكان الختان طقساً

¹جان شارل سورنيا، مرجع سابق، ص 34.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

من طقوس المصريين منذ عصر سحيق، دلت عليه آثاره في الجثث التي استخرجت من مقابر عصر ما قبل التاريخ (أي منذ عام 4000 ق.م.). وفي مقبرة الأسرة السادسة (حوالي 2625-2475 ق.م.)¹

ويعتبر الختان من سنن الفطرة، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الفطرة خمس: {الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط}

إن كلمة ختن حسب جواد علي: "ترجع إلى أصل سامي شمالي قديم وتطلق كلمة ختن على الزوج عند عرسه في اللغة العبرية. وهو قريب من لفظ ختن، والختن: وهو كل من كان من قبل المرأة وزوج ابنته والصهر. ولذا كان يقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ختن النبي أي زوج ابنته وعند اليهود كلمة خوتر تطلق على الصهر."²

وفي وجوب الختان "قال بعضهم: وأحسن ما يستدل به على وجوبه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ظَانَ أَتْبَعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ وكان من ملته الختان، لأنه أختن وهو ابن ثمانين سنة، كما رواه البخاري ومسلم، أو مائة وعشرين كما رواه ابن حبان، أو سبعين كما قاله الماوردي. وفي رواية لأبي داود أن النبي ﷺ قال لرجل أسلم: " ألق عنك شعر الكفر واختن ". ولأنه قطع عضو عذير والعورة تكشف له فدل ذلك على وجوبه"³

يعتبر الختان من قبسات النبوة في مجال الطب الوقائي، "رقد أثبتت الأبحاث الطبية العديدة، فوائد الختان في فترة الطفولة الباكرة مثل يوم الميلاد أو اليوم الأربعين على الأكثر. وكلما تأخر الختان كلما كثرت التهابات القلفة والتهابات الحشفة والتهابات المجاري البولية. ولذا، فإن أفضل أوقات الختان يوم مولد الطفل أو اليوم السابع."⁴ وقد أجاب المبحوثين عن النباتات التي تستعمل في مناسبة الختان وأهم الطقوس التي تتخذ من طرفهم. وفيما يلي جدول هذه الأعشاب:

¹ جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج.1، تر. نخبة من المترجمين، سلسلة ميراث الترجمة، مصر، القاهرة 2010، ص 111 و 112.

² نقلاً عن: محمد علي البار، الختان، ط.1، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، مكة، 1994، ص 48

³ شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أباطة، ط.1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983، ص 61

⁴ محمد علي البار، المرجع السابق، ص 60.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

جدول 28 النباتات أو الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين في وصفات مناسبة الختان

النسبة	التكرار	النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
17,00%	311	حناء
12,57%	230	أم الناس
11,64%	213	شايح
6,45%	118	زيت الزيتون
7,49%	137	حلبة
9,25%	170	أكاسيا(قرنيات)
15,74%	288	بخور
3,82%	70	جاوي
12,68%	232	شاي
3,28%	60	أخرى
100%	1829	المجموع

يوضح الشكل أهم النباتات التي تستعمل في مناسبة الختان ومن أبرزها الحناء بنسبة 17,00% للشاي بنسبة 15,74% وأم الناس بنسبة 12,57%. والشايح بنسبة 11,64% وتأتي الأعشاب في خانة (أخرى) بنسب متقاربة 3,28% وتشمل كل من: سدرة الدواء، حبة سوداء، حلتيت، ام النفساء، زعيترة، 44 عشبة، حبق، قرفة، كابوبا، دواء المر، ماء الورد، حارة، عرعار، قطران، زيت المائدة، بخور الإسلام، عطرية خياطة، سانوج، نقد، عود، أمضريقة، زعفران.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

يُجرى مقابلة مع بعض المبحوثين 5 ذكور و6 إناث من كبار السن حول أهم الوصفات المتخذة في الختان، تبين لنا أن الختان يتم للذكور في اليوم السابع بعد الولادة إلى سبع سنوات، بحسب كل أسرة أو عائلة، وللختان مكانة اجتماعية خاصة، كما هو الحال في باقي المدن الجزائرية. يتم في العادة، دعوة الأقارب والجيران لمشاركة المختون فرحته، وتعد أطباق الكسكسي 'المردود' خصيصاً لهذه المناسبة.

تسمى وليمة الختان عند العرب الأعذار: وهي وليمة تُقام عند الختان¹

وهي كما ذكر ابن طولون "وليمة العذيري العين المهملة والذال المعجمة. ويقال العذيرة كذا في الاستقصاء، والإعذار بكسرة الهمزة مصدر أعذره، وهي الدعوة للختان. قال ابن الأثير: وفي الحديث: "الوليمة في الإعذار حتى" الإعذار الختان، يقال: عذرته وأعذرتة فهو معذور، ثم قيل للطعام الذي يطعم في الختان إعذار. ففي حديث سعد: "كنا أعذار عام واحد" أي ختنا في عام واحد. وكانوا يختنون لسن معلومة، فيما بين عشر سنين وخمس عشرة سنة.²

ويسمى الختان في المنطقة المدروسة 'بالطهارة' أو 'الزيانة'. وقد وردت بهذا المعنى فيما "روى الدوري عن شرحبيل قال: لما ختنت دخل علي خالد بن عبد الله، قال: أبشر يا ابن أخي فقد طهرك الله عز وجل، فقد بلغني أن الحجر ينحسه بول الأقف إذا أصابه، أربعين صباحاً."³

وبحسب المبحوثين، فإن أهم الوصفات الخاصة للمختن، هي مرق اللحم 'الصفاية' وهي كتلك التي تقدم للنساء بعد الولادة. الغاية من مرق اللحم هذا المتبل بالحلبة والسانوج، هو منح الطاقة والجهد بعد عملية الختان، بالإضافة إلى البيض على الخصوص لتسريع شفائه. يعلق للمختون الكبريت الأخضر⁴ لكيلا يصيبه مكروهه، والكبريت من المعادن التي كانت لها "أهمية في الطب الشعبي في الجزائر ويعتقدون بفعالية الكبريت."⁵

يعتبر الكبريت مادة عضوية ذات أصل نباتي، وهو من بين المواد التي وردت في مواضيع المعتقدات ورمزيتها في الماورائيات لما يعتقد بدورها في الطاقة الايجابية وإحباط الطاقة السلبية كدرء العين مثلاً.

¹ محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 1، ط. 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 2007، ص 386.

² شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق نزار أبابطة، ط. 1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983، ص 62

³ نفس المرجع، ص 62.

⁴ سعيدان التومي، مرجع سابق، ص 52.

⁵ Mohamed Amir Bennis : Contribution à l'étude de l'histoire de la santé en Algérie autour d'une expérience vécue en ALN, Wilaya 5, Réflexions sur son développement, OPU. Alger, 1986, p 31.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

ووظيفته لا تختلف تقريبا عن صمغ أم الناس الذي يربط في قطعة من قماش على شكل صرة صغيرة تربط في يد المختن وفي رجله. دون نسيان الاكتحال والاختضاب بالحناء وهوشيء مفروغ منه بمنطقة تيديكلت.

تقول السيدة (ر. م 50 سنة): عندما اختن ولدي قاموا النسوة ببوضع الحناء في ليلية الاختتان وخضبت قندورته الفضفاة الجديدة (القرطاسة) ببضع نقاط من خضاب الحناء. وصنعن له عقد يسمى 'الخضاب' يعد من القرنفل 'عودنوار' بعد نقهه في الماء ثم نضمه في الخيوط، كما تصنع له بعض الاحجة التي تحتوي على آيات قرآنية، مغلفة بالجلد. في صباح الاختتان يكتحل ويرتدي قرطاسته مع ذلك الخضاب والأحجة التي يصنعها في العادة الحداد. ثم علقوا تلك الأحجة على جانب كتفيه. وصرتين تحوي بخور سبعة وعشرين في معصمه والآخر في رجله وتجري عملية الاختتان.

وتضيف قائلة: بالنسبة للأم، فقد أحضروا لي إناء (باسينة) به ماء ووضعوا فيه حجر من الطوب، وطلبوا مني وضع قدماي على حجرة الطوب، في الوقت الذي تتم فيه عملية الختان لإبني.

عندما سألنا عن سبب وضع الطوب في الماء، قالت السيدة (ع. ن 63 سنة) ذلك يكسب المرأة الراحة ويذهب عنها القلق حتى تكون عملية الختان سهلة وحتى لايتأذى الصغير (تبرد عليه حر الزيانة). كم نعد للمختون 'المطهر'، بخور خاص به ووصفت لنا مكونات كما يلي:

أ-بخور 'سبعة وعشرين' يقصد به: مجموعة الأعشاب والصموغ التي يستبرك بها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وتترك وتوضع في المسجد أثناء تلاوة القرآن وقيام رمضان بنية حصول البركة من هذه الأعشاب: (كزبرة، شيح، أم الناس، ملح بخور الإسلام). وهي نفس الصرة الحاملة لهذه الأعشاب والتي توضع على معصم ورجل المولود وأمه.

ب-بخور الإسلام وهو البخور الأسود، وهو على ما يبدو المعروف في منطقة تيديكلت ببخور الإسلام (بخور الإسلام) أنه أسود اللون ويشترى من العطارين الذين يجلبونه من جنوب الجزائر.

(البخور الأسود 'أزنان' بالتمهاق/التارقية)، شكل عجينة سوداء، قطرانية صلبة، تستخدم لنفس الأغراض كالجاوي. إن تسميته 'بخور الإسلام' بمنحه قوة خاصة مضادة للأرواح الشريرة.¹

¹Gast, Op. Cit.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وقد بين أبو الحسن الأشبيلي، في الرقم 856، أن هذا المنتج عبارة عن عجينة تم الحصول عليها عن طريق خلط العسل بمواد مختلفة مثل راتنج الصنوبر، القار (القفر)، السعد (اللان) *ladanum* العهر *storax* (أهل) *sabine*... وهو المنتج الأكثر استخداماً كعطور منطرف السود في إفريقيا.¹

بخور الإسلام كثيراً ما يسمى بخور السودان، وصل المغرب في الخمسينيات من العقد الماضي، كما ورد عن جمال بلخضر، وصل على ظهور الجمال، للمراكز التجارية، بجنوب المغرب و جنوب الجزائر وحتى في مصر، يقدم (البخور) على شكل أقراص أو على شكل أحجار سوداء، ويتداول باسم بخور السودان. والواقع، هو ليس مجرد صمغ بلديوم نقي *bdellium* 'أم الناس' فهذا البخور الأسود عبارة عن (مزيج من الصمغ الراتنجية والمواد النباتية العطرية) معروفاً اليوم عند الدوجنو (Dogons) في (جمهورية) مالي يطلقون عليه 'أوردو'.² والبلديوم *bdellium* (أم الناس). أما الدوجنو "قبائل زراعية تعيش في مالي غرب إفريقيا".³

على كل فإن "بخور السودان عبارة عن محاليط البخور والعطور التي نجدها اليوم في غرب أفريقيا السوداء مثل *wusulan* مالي و *thiuraye* في السنغال. هذه الخلائط ذات تركيبة متغيرة، ولكن مكوناته تعود في الغالب إلى الأجزاء التي توجد تحت التربة لمختلف أنواع نبات السعد السودانية وكذلك البديوم الأفريقي [راتنجات صمغية من *Commiphora africana* (A. Rich) Engl. Eurseraceae]، منتجين من منطقة الساحل. أكثر أنواع نبات السعد *cyperaceae* والأكثر استخداماً في هذه المستحضرات الأفريقية هي الأصناف الاستوائية من *Cyperus rotundus* L. التي يكون شكل الجعثن أو الكورمة كروي، ولونها أسود-بني، ونوع *Cyperus maculatus* Boeck. بأعضاء أصغر على شكل مغزل وبني داكن اللون.⁴

يسمى نبات السعد باللهجة البربرية في الجزائر (بتميمون وأوقروت بولاية أدرار) بـ 'تاموساي'. وربما أصل الكلمة هندي كما ذكر جمال بالأخضر حيث قال: "رهكذا، البربر يسمونها تاموساي كما ذكر في عمدة الطبيب أنه نوع السعد هو *C. longus*. لكنه في الواقع *C. rotundus*،

¹ Jamal BELLAKHDAR Deuxième contribution à l'étude de la 'umdat aṭ-Ṭabīb d'abulḤayr al-išbīlī: commentaires à propos de quelques items et propositions d'élucidation. AAM, 18 (2011) 47-63, p48.

² Op. Cit 50

³ جان شارل سورنيا، تاريخ الطب مرجع سابق، ص 19

⁴ Jamal BELLAKHDAR, Op. cit 51

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

كما هو الحال دائماً في المغرب لـ *C. rotundus*، حيث لاحظنا تموساي... موسنا muštahأفها كلمة تنطبق على (نبات السعد 'تارة') *C. rotundus* ميستا musta ميتا mutha بالسنسكريتية والهندية.¹ كما أن هذه الأنواع من السعد تباع في أسواق الجزائر "لا تزال هذه الأنواع المستوردة من أفريقيا السوداء، تباع اليوم في المغرب تحت اسم 'تارا' وهي كلمة سودانية (تارا: تارا السودان أو السود) أو تارا صحراوية (تريت: تارا الصحراء). تارة tara مشتقة من عامية سنغاي Songhai وبلغه الهوسا haoussa تيرار; turare (التي تعني = عطر)، كلمتان تميزان، الأجزاء الأرضية لنبات عطري والمرادف للسوداء بالعربية.²

وبالنسبة للقرنفل، فإن عادة تعليق 'لخصاب' المصنوع من القرنفل المشكل كالعقيق، فإنها عادة يشترك فيها الكثير من الجزائريين كمنطقة القبائل مثلاً. الغرض من تعليق عقيق القرنفل فهو لتعطير المختن وإنعاشه بالرائحة الطيبة.

فالتختان من المناسبات الاجتماعية تلتقي في نقاط عديدة مع الزواج كالحضاب والإكتحال وحين يقومون بالباس المختن يصلون على النبي، في حين في الزواج يلبسون العريس بترديد قصيدة البردة. كما يتناول المختن الصفاية أو مرق اللحم المجفف المهروس، وهي وصفة تقدم للنفساء. كما ترتدي أم المختن لباس العروس التقليدي وتستقبل الضيوف وهي في كامل زينتها. ويقدم للضيوف المختصين في الختان قليلاً من 'الصفاية' كالتى تقدم للنفساء-وقد سبقت الإشارة إليها- لأنهم يعتقدون بأن الحالة النفسية للمختن تشابه الحالة النفسية للنفساء، فيجعل مرق اللحم المتبل للتخفيف عن نفسيته. كما يحضر طبق الشريد المعروف 'بالرقاق' أو 'الخبز' بالمرق الأحمر. بينما يقدم للضيوف البركوكس 'المردود'.

وبحسب المبحوثين، تكون صياغة التهنئة من طرف المدعوين أو الضيوف، بقولهم: مبروك الطهارة. . تقدم بالمطهر أو 'المزبن' النقود في غالب الأحيان، لإسعاده وإلهائه حتى لا يلقي اهتمام بختانه.

¹Ibid. p 51

²Ibid. p55

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

6. الحج والعمرة ورمزية التداوي في هاتان المناسبتان

الحج اصطلاحاً: التعبد لله بأفعالٍ وأقوالٍ مخصوصةٍ، والعلم عند الله تعالى. أما العمرة أو الاعتمار: هو التعبد لله تعالى بزيارة بيت الله الحرام، بإحرام وطواف وسعي بين الصفا والمروة، وحلق أو تقصير، ثم تحلل.¹

الجدول رقم 29: الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين في مناسبة الحج

النسبة	التكرار	النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
%21,14	300	حناء
%21,00	298	شعير
%14,86	211	بخور
%21,35	303	شاي
%14,09	200	دواء المر
%7,54	107	أخرى
%100	1419	المجموع

يتضح من معطيات الشكل المتعلق بالنباتات التي تستعمل في مناسبة الحج، أن أغلبية المبحوثين يستعملون الحناء بنسبة 96,46%. فالحناء تمثل الفرحة والسرور على ما سيقوم به الفرد من مناسك تقربه لله تعالى فيكون أداء هذه المناسك بالاختضاب استعداداً لأداء هذه المناسك، وذلك لما لنبات الحناء من رمزية في الحياة الاجتماعية. ومعظم المبحوثين الإناث يختضبون بالحناء في معظم المناسبات الدينية والاجتماعية.

¹ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة. مركز الدعوة والإرشاد، القصب، 1431 - 2010، ط. 2، ص 10 و 11.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

تلت هذه النسبة الشعير بنسبة 74,54%، واستعماله رمزي في هذه المناسبة، يدخل في سياق المعتقدات التي يتصورها المجتمع بكونها تشير إلى النماء والتكاثر والوفرة، حيث أن الشعير من الحبوب التي تدخل في كثير من المعتقدات الشعبية لدرء العين والحسد، لكن في منطقة تيديكلت استعمل الشعير كعلف للحيوانات من أجل التكاثر حيث أنه سهل الإنبات.

والشعير من الحبوب وله عدة أنواع وكذلك الحنطة "الأكثر شعبية وطلباً وانتشاراً... وينمو الشعير نمو أيسر من الحنطة، ويزدهر في عدد من النظم البيئية تمتد من المناطق الساخنة القاحلة إلى المناطق الباردة ويمكنه أن ينمو في التربة الملحية الفقيرة."¹

ذلك ما جعل الشعير يكتسي مكانة رمزية في بعض الحضارات التي اشتهرت بزراعته. ففي مصر القديمة مثلاً "وجدت حبوب الشعير في مخلفات عصر ما قبل الأسرات. ووجد في تابوت الملك أمنحتب الأول نبات شعير بكامله وبراعم الشعير التي وجدت أثناء الحفائر الأثرية كانت جزء من شعائر الدفن، اتخذت كرمز لبعث أوزوريس-إله الموتى"²

استعمل الشعير في مصر القديمة في التشخيص المبكر للحمل في المجتمع وذلك بملاحظة النمو المقارن لنباتين مغمورين أحدهما في الماء والآخر في بول المرأة التي يفترض أنها حبلية. ندهش اليوم أمام هذه البصيرة غير العادية للمصريين، حيث أننا نعرف الآن أن الهرمونات التي تفرزها المرأة الحبلية يمكنها تنشيط نمو النبات."³

والنبات الذي استعمل لهذا الغرض هو "الشعير مع قمح الأيمر في التنبؤ بنوع الجنين ونجاح الحمل: الشعير والأيمر: تملأ المرأة منهما حقيبتان ثم تقوم بترطيبهما يوماً بيوها كما يرطب البلح والرمل. فإذا نما الصنفان فسوف تلد مولوداً. أما إذا نما الشعير فسيكون المولود ذكراً. وإذا نما القمح فستكون المولودة أنثى. أما إذا فشل كلاهما في النمو فلن تلد المرأة أبداً. وقد قيل أن جنس المولود حسب هذا التشخيص قد بني على أساس لغوي بحت: فالشعير في اللغة المصرية القديمة مذكر، والإيمر مؤنث ومهما كان الوضع فإن الشيء المثير حقاً هو اعتقاد المصريين القدماء أن نوع المولود يمكن التنبؤ به عن طريق البول."⁴

¹ كاشي ك. كوفمان، الطبخ في الحضارات القديمة، تر. الغانمي سعيد، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011، ص 45.

² ليز مانكه، مرجع سابق، ص 234.

³ جان شارل سورنيا، تاريخ الطب، تر. ابراهيم الجلاطي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002، ص 35.

⁴ ليز مانكه، مرجع سابق، ص ص 236 و238.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

يرى سورنيا، أن "هذا التفسير المتسرع نسبياً خاطئ جزئياً. فمن الناحية الطبية أولاً، لا يستخدم هذا الاختبار إلا في تحديد جنس الجنين، وهو تحل يل غير دقيق، لأن تأثير الهرمونات على النبات يظهر بالطريقة نفسها، بغض النظر عن جنس الجنين. ومن الناحية المعرفية ثانياً، لا نستطيع قبول فكرة البصيرة هذه، لكن بالأحرى، وبناء على فرضية محتملة، من الممكن أن يكون نوعاً من السحر المابعد -تجريبي: ففي المرة الأولى نتثبت من أن بول المرأة الحبلى ينشط نمو النبات، وفي المرة الثانية، نستخدم هذا الثابت التجريبي، ليس في الوصول إلى تشخيص موضوعي للحمل الأسهل، بقدر ما أن نتنظر عدة أسابيع، لكن في التنبؤ السحري بجنس المولود، وفي ذلك معلومة مهمة من وجهة النظر الاجتماعية. هكذا، يقدم الطب المصري العديد من الشواهد التي نعتبرها في القرن العشرين انحرافاً عن المنطق."¹

وفي الوقت الحالي نجد مثلاً في بعض المعتقدات الشعبية الخاصة بالموروث الثقافي الفلسطيني في الزواج، أنه يوضع على رأس العريس الشعير والملح لأبعاد العين عنه. وفي الجزائر يقال عن المرأة بأنها كالشعير، أينما حلت أثمرت.

في منطقة الدراسة بتيديكلت، رمزية الشعير نلمسها في مراسيم عودة الحجيج، حيث يوضع الشعير مع أوراق الحناء الجافة في طبق من سعف النخيل، حتى يستقبل الحاج زوجته التي تترين كالعروس في لباسها التقليدي 'الجوالي'. قال التومي سعيدان -رحمه الله- عن هذه العادة: "فبعد أداء فريضة الحج يستقبل الحاج من طرف والدته في حجرتها وعند وصوله يصبون فوق رأسه الشعير والحناء. أما إذا كانت أمه متوفاة تقوم بذلك زوجته."²

في مناسبة قدوم أحد الأقارب لاحظنا كيف يتسارع الحاضرين في هذه اللحظة: لأخذ ما تيسر من ذلك الشعير المتساقط من أجل الحصول على 'البركة' أو 'القبول'. وكل تلك المراسيم تعبر عن فرحة الأهل بعودة الحاج سالماً غانماً، يتشارك الجميع في هذه المناسبة. يقدم الحاج للضيوف القليل من ماء زمزم.

كما تبين لنا من خلال مقابلة مع الباحثين حول التجهيزات الخاص بالحجاج والمعتمرين، أن معظمهم يحضرون عويل السفر المعتمد منذ القديم والمتمثل في التمر المكبوس 'الكعبوش'، والتمر

¹ نفس المرجع، ص ص 236 و238.
² سعيدان التومي، مرجع سابق، 2012.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

المجفف 'السفوف'، دقيق الحساء وقد سبقت الإشارة إليهم، بالإضافة إلى الكسكسي 'العيش' و'المردود'، إضافة إلى خليط الأعشاب الخاص بالجهاز الهضمي واضطراباته أثناء السفر، والمعروف بالدواء المر أو 44/40 عشبة، والتي تمثل الإسعافات الأولية لإصلاح حال المعدة 'بيت الداء'. وعادة حمل هذا الخليط المسحوق لا يستغنى عنها حيث تكون الجاهزية للوقاية من المرض قبل استفحاله، قصد تحمل أعباء مناسك الحج بصحة جيدة لإتمام الفريضة كما يجب.

نلاحظ مدى ترابط النسق الثقافي لهذه المناسبة والحياة الاجتماعية التي أساسها البناء الاجتماعي. وكيف تعبر رمزية الأشياء وطقوسها ومعتقداتها على إحياءات التماسك والتواصل والحماية للأسرة وأفرادها من خلال تعابير فرحتهم وأحاسيسهم وممارساتهم الاجتماعية الثقافية. يبارك الأهل والأصدقاء الحجاج، ويساهموا بمساعداتهم المادية والمعنوية من أكل وشرب لاستقبالهم.

كما أن بعض السلوكيات تستمد جذورها من الإرث الثقافي للمجتمع الإسلامي، بالنسبة لهدية المسافر "ما رواه البيهقي من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا قدم أحدكم على أهله من سفر، فليهد لهم، وليطرفهم، ولو كان حجارة"؛ فهو حديث ضعيف، لكنه أصل لما يفعله بعض الحجاج، أن يستصحب معه من مكان يعرف بفرش الرز حجارة بيضاء. وأما ما يفعله بعضهم من استصحاب أكف من تراب الحرم أو أحجاره ونحو ذلك فهو حرام، وكما يجرم أخذ شيء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره والله أعلم. قال الأذرعى: والصواب الأول.¹

وقد ورد عن "الحليمي في منهاجه: ويستحب للمسافر إذا رجع وأستقر في منزله أن يطعمه الناس، وعليه الصالحون من سلف هذه الأمة. ثم ذكره عن ابن عمر وجماعة من التابعين، ويشهد له ما في البخاري عن جابر "أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزوراً أو بقرة." ثم قال البخاري: وكان ابن عمر يذبح لمن يغشاه.²

تسمى عند العرب وليمة قدوم المسافر "وليمة النقيعة بالقاف ثم العين المهملة وهي ما يصنع للقدوم من السفر وقيل النقيعة التي يصنعها القادم، والتي تصنع له تسمى التحفة.³ يعني وليمة التحفة.

¹ شمس الدين محمد بن علي بن طولون، مرجع سابق، ص 58.

² نفس المرجع، ص 58.

³ محمود شكري الألوسي البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص 386.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

7. مظاهر التداوي وعلاقتها بالوفاة

جدول رقم 30: النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين، في مناسبة الوفاة

النسبة %	التكرار	النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين
24,95%	311	حنوط
23,11%	268	حلبة
5,37%	67	حناء
3,21%	40	أم الناس
12,60%	157	كافور
8,90%	111	مسك العنبر
15,65%	195	ورد
6,17%	77	طين 'منكل'
100%	1246	المجموع

يوضح الشكل أن نسبة إجابة المبحوثين حول المواد المستعملة في الوفاة تمثلت في الحنوط 24,95% وتليها الحلبة بنسبة 23,11%. ثم تلي هذه النسبة الحناء بنسبة 15,65%.

يفسر هذا الشكل، أن الحنوط من التحضيرات الرئيسية في الجنازة. فحيثما تبدأ الحياة تبدأ الولادة، فتخصص تحضيرات خاصة بمناسبة الحياة مع مختلف الاستعدادات اللازمة لها، هناك في المقابل تحضيرات جنائزية خاصة بالمتوفى، وكأنها تحضيرات لحياة أبدية حيث تعطر جثته بالعطور والذي يعرف بالحنوط، والذي يتكون من نباتات ومواد عطرية.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وفي لسان العرب قال الجوهري: "الحنوط ذريرة، وقد تحنط به الرجل وحنط الميت تحنيطاً الأزهرى: هو الحنوط والحناط،... وهذا يدل على أن كل ما يطيب به الميت من ذريرة أو مسك أو عنبر أو كافور من قصب هندي أو صندل مدقوق، فهو كله حنوط."¹

عرف التحنيط في العصور القديمة على الخصوص عند المصريين وقد اشتهروا بالكيمياء لإعداد مواد التحنيط. وكانوا يحتفلون للتحنيط احتفالات عظيمة، ويتولى ذلك الأطباء الذين هم من الكهنة القائمين بالخدمة الدينية، فأتقنوا ذلك كل الإتقان، حتى تفوقوا على غيرهم، وساعدهم على ذلك جفاف الهواء وانتظام الجو والاعتقاد الديني، فغصت المتاحف بمحنطاتها المتقنة. وكان المحنطون طائفة تتوارث الصناعة خلفاً عن سلف.²

وقد وصف هيرودوت Hérodote التحنيط Embalming باستخدامهم "للمر Myrh (صمغ) في أعمال التحنيط في عصره، بأنها كانت تتم من خلال ثلاث عمليات تتفاوت في تكلفتها. وفي أغلاها تكلفة كان الجثمان يُفرغ من الأحشاء ويتم تنظيفه، ثم يحشى بمسحوق المر المنقى والقرفة الصينية وجميع المواد العطرية الأخرى، باستثناء اللبان. ثم يتم خياطة الجسد مرة أخرى، ويُنقع في نظرون جاف لمدة سبعة يوماً. قدم ديودورس Diodorus وصفاً مختلفاً نوعاً ما حول عملية التحنيط أوضح فيها أن الجسد بعد نزع أحشائه وتنظيفه يتم مسحه بالمر لكي يحفظه ويعطره."³ والمر نعرفه عندنا (بالمر والصبر).

ويدهنون الجسم بنوع من تراب الفخار ولعله مادة «المومياء» وهي كلمة حبشية (لا يونانية كما ذكر بعضهم) معناها الطين الأسود، استخدموها لحشو بعضاً جوف الجسم أو لدهنه بها، ويسمونها اليونانيون «تاريخس» أي: قابض ومجفف وعرفها العرب باسم «المومياء» فذكرها كثير منهم مثل، ياقوت في معجم البلدان، والهمداني في البلدان أيضاً، وداود البصير في تذكرته المشهورة، وقال فيها ابن التلميذ الطبيب النصراني العربي مصرحاً باتخاذها لجبر العظام المكسورة:

جودة، كالطبيب فيها يداوي سوء أحوالنا بحسن الصنيع فيها كالمومياء إذا انكسر العظم ومثل الترياق للملوسع⁴ والحنوط على الميت من الجانب الشرعي "قال ابن القاسم: وسألت مالكاً عن المسك والعنبر للميت؟ فقال: لا بأس بذلك، وقال ابن القاسم: يجعل الحنوط على جسد الميت

¹ ابن منظور، معجم لسان العرب، حرف الحاء.

² عيسى إسكندر المعلوف تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2014. ص 12

³ نايفل قروم، مرجع سابق، ص 78

⁴ عيسى إسكندر المعلوف، مرجع سابق، ص 11.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

فِيمَا بَيْنَ أَكْفَانِ الْمَيِّتِ وَلَا يُجْعَلُ مِنْ فَوْقِهِ.¹ وكما جاء في السنة قَالَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: إِنَّ السُّنَّةَ إِذَا حُنِطَ الْمَيِّتُ يُدْرُ حُنُوطُهُ عَلَى مَوَاضِعِ السُّجُودِ مِنْهُ السَّبْعَةُ. قَالَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: أَحَبُّ الْحُنُوطِ إِلَيَّ الْكَافُورَ، وَيُجْعَلُ مِنْهُ فِي مَرَاقِهِ وَإِبْطِيهِ وَمَرَاجِعِ رِجْلَيْهِ مَعَ بَطْنِهِ وَرَفْعِيهِ وَمَا هُنَالِكَ، وَفِي أَنْفِهِ وَفَمِهِ وَعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ رِيَجْعَلُ الْكَافُورُ يَابِسًا. وَأَنَّ ابْنَ عُمَرَ حُنِطَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالُوا: يَا تُتُوكَ بِمِسْكِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ.²

ولا يختلف المجتمع التيديكليتي عن هذا المنهاج؛ حيث يقول (ع. ق 76 سنة) وتقول والسيدة (م. م 61 سنة) تغسل الموتى، بأنه: يحضر الحنوط من الكافور وبعض العطور الزيتية كالمسك. ويفرش قبر الميت بنبات الحناء قبل قبره. ورمزية الحناء اعتقاد منهم أنها تحن على الميت.

قال التومي سعيدان عن الحنوط: "يعد حنوط الميت من نباتات عطرية ومسك تدق بحجر خاص يسمى 'حجرة لحنوط' أي الحجارة التي تهرس بها تلك المواد، فالنساء هن منيقمن بهذه العملية- دقاقت الحنوط-هن يصلين على النبي ويسحقن الحنوط الذي يتحنط به الميت أي العطر المركب من الاشياء الطيبة."³

يظهر لنا من خلال ما سبق أن الحنوط ليس مجرد عطور لتحنيط الميت، بل ملتقى جماعي تضامني بين أفراد المجتمع، يبين مدى تماسكهم بمواساتهم لمن فقد فرد من أفرادهم. هذه المواساة تعبر عن استمرار الحياة بعد إبراز التقدير والاحترام للميت من خلال تحنيطه بالمواد العطرية. وللإعلان عن انطلاقة جديدة في بيت المتوفى بعد ثلاثة ايام من وفاته، توزع الحناء على الحاضرين لأخذ القليل من ذلك الخضاب ووضعه في راحة اليد، معلنين بذلك انقضاء ثلاثة أيام من الوفاة.

نلاحظ أن الحناء حاضرة في مختلف المناسبات، وهي في الجنازة بعد الأيام الثلاث تعلن عن انتهاء الحزن والاستمرار في الحياة.

تقول مجموعة من المبحوثات في إحدى جنازة قريبة للباحثة في مارس 2019: نقوموا بعجن الحناء في اليوم الثالث للوفاة، ونوزعها على أهل العزاء بقدر قليل في ملعقة أكل، والغرض من ذلك هو الاعلام بانتهاء الحداد. لأنه عند الوفاة في أيام العزاء تحظر، الزينة والتجمل، وحتى دهن الشعر أو الإختضاب بالحناء. لكن بعدما 'يخرج العود' يعني انقضاء ثلاثة أيام يرخص ذلك. حيث تعجن

¹مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) المدونة، ج. 1، ط. 1، دار الكتب العلمية 1415 هـ- 1994م، ص 262.

²نفس المرجع، ص 262.

³سعيدان التومي مرجع سابق.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

الحناء وتوزع على المعزين، وتأخذ النسوة القليل منها لوضعها في راحة اليد على شكل قرص صغير، إعلاناً بانقضاء أيام الأحزان. فالحناء هنا لها دور الانطلاق لما بعد الحزن.

تصبح الحناء في هذه المناسبة دائماً للإعلان عن طي صفحة الحزن ومواصلة الحياة وما تحمله من فرح ومأسي. ولا يتوقف دور الحناء كخضاب فقط ثلاثة أيام بعد الوفاة بل سنجد أوراق الحناء الجافة ترافق الميت لتعطير قبره اين تفترش في القبر قبل وضع الميت. حسب معتقدات مجتمع تيديكلت أن الحناء ومن خلال اسمها انما فهي تدل على الحنان وهي بذلك ستحن على ذلك الميت في القبر ووحشته.

وكما هو ملاحظ في الجزائر العاصمة أن من عادات المجتمع وضع الريحان على قبر الميت ولذلك يسمى الريحان في الشرق العربي (مرسى القبور) وهو الاس " وقد جرت العادة لدى النسوة الجزائريات بوضع اغصان الاس على القبور كدعاء بالرحمة لساكنيها."¹

لكن في الجنوب الجزائري يفتقد الريحان الأخضر الطازج ولا نجد في السوق سوى الأوراق الجافة، وبالمقابل تستعمل الحناء بدل عنه في القبور. فلكل قيمته في كل مجتمع يقدر موروثه الثقافي.

وبما أن خبر الوفاة وما يحمله من أسى مع درجة تقبل أفراد المجتمع للفاجعة، وجدنا في إجابات بعض المبحوثين ورود نبات الحلبة والطين الأصفر المنكل.

تبين لنا أن الحلبة من بين النبات الأكثر استعمالا(للخلعة)وهي عادة منتشرة في الجزائر. "والْحَلْبَةُ بِالضَّمِّ: نَبْتُ لَه حَبُّ أَصْفَرٌ يُتَعَالَجُ بِهِ، وَ يَنْبُتُ فَيُؤْكَلُ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَالْجَمْعُ حَلْبٌ، وَهُوَ نَافِعٌ لِلصَّدرِ أَي أَمْرَاضِهَا؛ وَالسَّعالِ بِأَنْواعِهِ وَالرَّبِّ وَالْحَاصِلِ مِنَ البَلَاغِمِ، وَيَسْتَأْصِلُ مَادَّةَ البَلْعَمِ وَالبَوَاسِيرِ، وَفِيهِ مَنَافِعُ لِقُوَّةِ الظَّهْرِ، وَتَقْرِيحِ الكَبِدِ، وَقُوَّةِ المَثَانَةِ، وَتَحْرِيقِ الباءةِ مَفْرَدًا وَ مُرَكَّبًا، عَلَي ما هُوَ مَبْسُوطٌ فِي التَّذْكِيرَةِ وَ غَيْرِها مِنَ كِتابِ الطَّبِّ، .. وَفِي حَدِيثِ خالِدِ بْنِ مَعْدانَ «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما فِي الحَلْبَةِ لاشْتَرَوْها وَلَوْ بوزَنِها ذَهَبًا»."²

أما الطين الأصفر فيجلب خصوصاً من منطقة أقبلي، غرب مدينة عين صالح. حيث يمزج القليل منه في الماء ويسقى لمن هاله خبر الوفاة أو تأثر به. دون أن ننسى دور الرقية في هذه المناسبة لتهدئة الأنفس.

¹ حلمي عبد القادر، النباتات الطبية في الجزائر، ط.2، بيرتي للنشر، الجزائر، 2014، ص 9.
² محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، على شيري، ج: 18، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

7. 1 الرعاية النفسية للأرملة

تلقي المرأة الأرملة رعاية خاصة في مجتمع نديكلت، حيث شهدت الباحثة الكيفية التي عملت بها والدتها بعد وفاة الوالد -رحمه الله- حيث كانت مجموعة خاصة بالمدح الديني لمواساة الأرملة طوال عدتها. يزورونها في أمسية كل أسبوع تقريباً كالمدمح 'ليروحن عنها، وهي مدائح دينية تراثية كلها وعظ وارشاد وتذكير، فهن بذلك، يقدمن لها دعماً معنوي ومادي.

مثال مديح: بسم الله بديت خالق جود علي

بسم الله بديت خالقي جود علي ... ياسعدي وليت ... مجدو لسيد رقية
معظم يوم الموت كاملة تبكي لخون... راه الحال يفوت ولا من سال علي
نفسى كذابة الا نصحتها ماتابى ما تحرص تابى كافرة نصرانية
داروني في ازار ودق حنوطي بحجار... يارب جود برضاك علي
داروني فانعاش هذي وانا ماشي... ساجدي راشي بحال بايصة مطوية
داروني في غار سطحو عني بحجار... يارب الغفار لين صلاو علي
يعملي تيسير في سوالي كيف ندير لا يرهب لقين جود برضاك علي
امة محمد نشالله ماتتمرد ... تمشي في المجد سالمة كيفن هي

بهذه المناسبة، يتم تحضير طبق الحساء الذي يتشارك الجميع في إعداده، مع الشاي والمشروبات تضامناً مع الأرملة، ومؤانستها.

تقول أحدي المبحوثات م. ع 85 سنة، أحد النساء المختصات بالمدح في مناسبات الوفاة تقول: نقوم بزيارة الأرملة لنمدح لها ونؤنس وحشتها، ونفاجؤها بتنظيم المدح في بيتها على مدار أشهر عدتها ونعد لها الحساء.

إعداد الحساء في أيام العزاء بصفة عامة يكثر في أيام العزاء، خاصة في الصباح الباكر، ويقدم للمعزين. فنظراً لمنافعه الصحية، اعتاد المجتمع على هذا التقليد الذي يحمل العديد من الأبعاد الاجتماعية من خلال جمع العائلة حول طبق محبوب في المأتم والعزيمة. كما له بعد ثقافي، حيث تتشارك مطابخ الحضارات القديمة في وصفاته في واد الرافدين، والحضارة الفرعونية والجزيرة العربية.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية و إعادة انتاج الوصفات العلاجية

قال ابن الأثير: "الحساء طَبِيخٌ يُتَّخَذُ مِنْ دَقِيقٍ وَ مَاءٍ، وَ دُهْنٍ، وَ قَدْ يُحَلَّى وَ يَكُونُ رَقِيقًا يُحْسَى."¹ ويعتبر "الحساء (Potatage)، صنف عام من الأطباق التي تطبخ بالسائل، يمتد في نسيجه من الحساءات إلى اليوخنات إلى العصائد"² واليوخنة هو (Ragoût)

الحساء هنا هو بمقام التلبينة التي تجم الفؤاد للمريض كما جاءت في الأحاديث النبوية الشريفة. "التلبيين والتلبينة، بهاء: حَسَاءٌ يُتَّخَذُ مِنْ نُحَالَةٍ وَ لَبَنٍ وَ عَسَلٍ، وَ هُوَ اسْمٌ كَالْتَمِينِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُعْمَلُ مِنْ دَقِيقٍ أَوْ مِنْ نُحَالَةٍ وَ يُجْعَلُ فِيهَا عَسَلٌ، سُمِّيَتْ تَلْبِينَةً تَشْبِيهَا بِاللَّبَنِ لِبَيَاضِهَا رِقَّتِهَا، وَ هِيَ تَسْمِيَةٌ بِالْمَرَّةِ مِنَ التَّلْبِينِ. فِي الْحَدِيثِ: «التَّلْبِينَةُ مَجْمَعَةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ». أَي تَسْرُو عَنْهُ هَمَّهُ. «عَلَيْكُمْ بِالتَّلْبِينِ الْبَغِيضِ النَّافِعِ»."³

كما قيل عن التلبينة الحديث: (عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرَّةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبَخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصَبَّتْ التَّلْبِينَةَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: التَّلْبِينَةُ مُجَمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِيَعُضِ الْحُزْنِ). رواه البخاري في كتاب الطب باب التلبينة للمريض 5689(120/7).

وعن القيمة الغذائية للحبوب، تبرز ساندرنا ناب (تعمل في إدارة علوم الحياة) متحف التاريخ الطبيعي في لندن تقول "إننا نسي أحياناً اعتماد البشرية على النباتات، التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي؛ لتزويدنا بالأكسجين، وكان لذريتها التي لم تولد-التمثلة في البذور- دور لا يُنكر في دعم الحضارات الإنسانية عبر العصور... في أي بذرة من البذور يكون الجنين محاطاً بالطعام تماماً، كما في بيضة الدجاجة. ولأنها غنية بالكربوهيدرات والدهون والبروتين والدهون، غدت البذور غذاءً مثالياً للبشر."⁴

قالت إحدى المبحوثين عن الحساء وهي الحاجة فاطمة-رحمها الله- مثل شعبي عن الحساء " أن الحساء يشفع في الأمعاء كما يشفع النبي محمد في أمته!

¹محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، على شيري، ج: 18، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005، ص 497.
²كاثي ك. كوفمان، مرجع سابق، ص 24.

³محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، على شيري، ج: 19، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005، ص 318.
⁴ساندرنا ناب الحضارات والبذور على مر العصور ص 48 مايو 2015 nature الطبعة العربية الدورية الشهرية العالمية للعلوم: (تعمل في إدارة علوم الحياة) متحف التاريخ الطبيعي في لندن

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

وكان الشيخ محمد بلكبير شيخ زاوية أدرار - رحمه الله - يقول "الحساء والونسة". بمعنى نتناول الحساء ونستأنس بالحديث " فيطيب الحوار.

في التراث العربي تسمى وليمة العزاء بوليمة الوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة، وهي لحدوث مصيبة. ومن يصنعها؟ قال النووي: ولجيران أهله وأقاربهم الذين لم يشتغلوا بالمصيبة، سواء كان الميت بذلك البلد أو بغيره، تهيئة كعام يشبعهم يومهم وليلتهم، لقوله ﷺ لما جاء قتل جعفر: " اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم " حسنة الترمذي وصححه الحاكم . ويلح عليهم في الأكل إن احتيج إليه، فرما يكرهونه استحياء، أو لفرط الجزع، ولا بأس بالقسم إذا علم الخالف أنهم يبرون قسمه.¹

¹ شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، مرجع سابق ص 55.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

7. مناسبة المولد النبوي الشريف والنباتات المستعملة فيها

جدول رقم 31: مناسبة المولد النبوي الشريف والنباتات المستعملة فيها

الأعشاب/النباتات المستعملة من طرف المبحوثين	التكرار	النسبة
بخور	213	23,27%
قماري	157	17,15%
شاي	301	32,89%
حساء	151	16,50%
طعام	71	7,75%
أخرى	22	2,40%
المجموع	915	100%

يوضح الجدول الموالي، أهم الأعشاب التي يستعملها المبحوثين في مناسبة المولد النبوي الشريف حيث مثلت نسبة استعمال الشاي أعلى نسبة، 32,89%، وتلتها نسبة البخور 23,27% ثم نسبة 17,15% بالنسبة للقماري وتلتها نسب أخرى تتعلق بالحساء 16,50%، ثم الطعام بنسبة 7,75%.

ترتكز الاحتفالات الدينية عامة على الروائح والعطور والتي من أبرزها البخور كوسيلة للتقرب للمعبودات قبل الإسلام، حيث كان "للبخور أهمية دينية منذ الحضارات المبكرة، واستمرت عبر فترات التاريخ حتى يومنا هذا. فقد كان السومريون والبابليون يحرقونه تطهيراً وتقرباً لمعبوداتهم"¹

وقد وجدت كرات من البخور في مقبرة توت عنخ آمون. والاسم الحقيقي لبعل هامون، المعبود الرئيسي للفنيقيين يعني "سيد مذبح العطور." وبالنسبة لليهود العبرانيين كان دخان البخور يحجب رؤية المعبود في الهيكل المقدس. وقد استخدم الفرس البخور والعطور في عباداتهم... وكان الإغريق

¹ نايقال قروم، اللبان والبخور دراسة لتجارة البخور العربية، تر. عبد الكريم بن عبد الله سحيم الغامدي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2008، ص 1.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

والرومان، وبشكل خاص الرومان، يحرقونه بكميات كبيرة في معابدهم وأخذ المسيحيون عن الرومان والإغريق هذه العادة بعد أن أحجموا عنها في أول الأمر. ومنذ ذلك الوقت استمر استخدام البخور في الكنائس الشرقية والغربية حتى يومنا هذا.

أما القماري عود قماري بالعربية واسمها العلمي *Aquilaria agallocha* Boxb. تنمو هذه الشجرة الصغيرة لعائلة الفربيون في جزر الهند الشرقية، في سريلانكا، وملقا وفي الرخويات. خشبها البني الفاتح، الذي يباع في قطع مربعة تقريباً من بضعة جرامات إلى عشرة كيلوغرامات، يتم اختزاله إلى أغصان صغيرة والتي، عند الحرق، تطلق رائحة لطيفة.¹

وفي كتاب «سرور النفس» قال البدر مظهر ابن قاضي بعلبك قال عن العود: "خشب يأتي من قمار ومن الهند، و من مواضع أخر، وأجوده القماري الرزين الأسود اللون الذكي الرائحة، الذائب إذا أُلقي على النار، الراسب في الماء، ومزاجه حار يابس في الثانية. انتهى. وهو مدر نافع للكبد جداً، والمعصر، والثود، وحمى الربع شرباً؛ وللزكام والنزلات و الوباء بخوراً، وللبهق والكلف طلاءً ويحبس البطن ويطرُد الرياح، ويُقوي المعدة والقلب، ويوجب اللذة. ويدخل في أصناف كثيرة من الطيب، وهو أحسن الطيب رائحة عند التبخر."² ونجد في "معجم البلدان: قمر بضم فسكون.. جزيرة في وسط بحر الزنج.. يوجد في سواحلها العنبر و ورق القماري و هو طيب."³

رغم أن البخور لا يشكل جزء من الشعائر الدينية في الإسلام، إلا أن التقاليد سمحت باستخدامه كرائحة زكية لأبدان الموتى، كما أن بعض المسلمين اعتادوا على حرق البخور عند أضرحة أوليائهم.⁴

مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، من المناسبات الدينية التي تم منذ مطلع شهر ربيع الثاني قراءة قصيدة "البردة" للبوصيري، وأيضاً قصيدة مطولة في المديح النبوي لابن مهيب، حيث يُقرأ كل ليلة جزء منها إلى غاية يوم الثاني عشر من ربيع الثاني، حيث تتم عدة احتفالات في مناطق الجنوب الجزائري، وخصوصاً في منطقتي زاوية كنتة بتوان (أدرار) وتيميمون بإقليم قورارة، تقام احتفالات كبيرة، يُحتفى فيها بما تُسمى بـ "العلمة"، وهي عبارة عن أعلام تمثل كل منها ولياً من الأولياء

¹Gast, Op. Cit.

² المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، ج. 10، ص 379.

³ نفس المرجع، ص 379.

⁴ تايقال قروم، مرجع سابق، ص 2.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

الصالحين الذين تضمهم هذه المناطق، تلتقي في مكان واحد تصويراً لالتقاء أولئك العلماء والصالحين.¹

ولعل رمزية البخور في هذه المناسبات له علاقة بالتقرب على الخصوص حيث أدى انتشار دخان البخور وصعوده إلى أعلى إلى الإحاء بوجود علاقة رمزية بين البخور والتعبد.² كما قالت كروم نايفل في كتاب البخور.

9. الوصفات العلاجية في 'الزيارات' عند مجتمع تيديكلت.

الجدول رقم 32: النباتات/الأعشاب المستعملة من طرف المبحوثين في مناسبة 'الزيارة'

النسبة %	التكرار	الإجابة
14,33%	122	حناء
15,04%	128	بخور
13,27%	113	أم الناس
1,88%	16	قماري
27,73%	236	أخرى
100%	851	المجموع

يتضح من الجدول أن إجابة المبحوثين أن استعمالات أخرى ومنها قراءة القرآن مثلت أعلى نسبة 27,73% أعلى نسبة في مناسبة الزيارة مما يدل على التمسك الديني والتعاليم في معظم المناسبات وهذا أن دل على شيء فانه يدل على أن صفة الندين تميز المجتمع الصحراوي أو الريفي بوجه عام. ويأتي هذه النسبة، نسبة استعمال البخور 15,04%، ثم استعمال الحناء 14,33%، ثم تلتها نسب أخرى تدخل في إطار الروائح والبخور.

¹ عاشور سرقة العادات والتقاليد في الجنوب الكبير، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، المنور، وهران، كتب كراسك، 2016، ص. 19-39.

² نايفل قروم، مرجع سابق، ص 2.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

كلها تبرز حالات الابتهاج والسرور والطمأنينة بهذه الاحتفالية الرمزية لإبراز الوقار والاحترام لأولياء الله الصالحين. كما تتضمن هذه المناسبة المشاركة لمختلف أفراد المجتمع في تلاوة القرآن والصلاة الجماعية، مع المدائح الدينية واللقاءات والاجتماع بين مختلف فئات المجتمع. من أبرز الزيارات التي تقام بمنطقة تيديكلت.

يقول سرقة عن هذه العادات: "ومن تلك العادات نجد ما يُسمى بـ: 'المعروف' أو 'الزيارة' أو 'الوَعْدَة'، وهي عبارة عن لقاء سنوي يُقام تحليداً لمناب بعض الأولياء الصالحين، يجتمع فيه مريدوهم وأحفادهم ومحبوهم، من أجل المشاركة في قراءة القرآن والأدعية والمدائح وإطعام الطعام وصلة الأرحام، وتقام على هامش هذه اللقاءات بهذه المناسبة أسواق واحتفالات شعبية".¹

هذه التحضيرات تفعل البناء الجماعي من خلال مشاركة المجتمع الذي تبذل فيه مجهودات لا تتبينها الأعين في مثل هذه المناسبات، بغض النظر عن البعد الديني لها.

10. مناسبات أخرى ذكرها المبحوثين

من خلال سؤال مفتوح حول مناسبات أخرى يدخل فيها استعمال النباتات أو الأعشاب فكان إجاباتهم متنوعة منها:

أ. العيدين وهما العيد الأضحى وعيد الفطر؛

ب. شهر رمضان؛

ج. مناسبة حفظ القرآن الكريم وختمه؛

د. مناسبة عشوراء؛ العرفات؛

ه. 'فضيلة' عرفة.

أن إجابة المبحوثين المتعلقة بالفضيلة، وعرفة، تندرج ضمن العيدين، أي عيد الفطر وعيد الأضحى. بالإضافة إلى عاشوراء.

ففي هذه المناسبات الدينية تحضر نباتات وأعشاب خاصة بالمناسبة ونختصر فصائلها كما يلي:

¹سرقة عاشور، مرجع سابق، ص 20.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

جدول رقم 33: فصائل أهم النباتات والأعشاب الخاصة بملح العيد (عيد الأضحى)

2 نبتان من العائلة النجمية Astéracées	8 نباتات من الفصيلة الخيمية Apiacées
2 نبتان من العائلة البقولية Fabacées	1 نباتات من الفصيلة السروية Cupressacées
3 نباتات من العائلة الشفوية Lamiacées	2 نبتان من الفصيلة الخنجليية Ericaceae
2 نبتان من الفصيلة النجيلية Graminées	1 نبتة من العائلة الغارية Lauracées
2 نبتان من العائلة الفراشية Papilionacées	2 نبتان من العائلة الآسية Myrtacées
1 نبتة من العائلة الحوزانية Renonculacées	1 نبتة من العائلة الوردية Rosacées
1 نبتة من العائلة السذابية Rutacées	2 نباتات من العائلة الفلفلية Pipéracées
1 نبتة من لعائلة الناردينية Valérianacées	1 نبتة من العائلة الباذنجانية Solanacées
1 نبتة من العائلة القديسية Zygophyllacées	3 نباتات من العائلة الزنجبيلية

وحسب المبحوثين، فإن أضحية العيد تخصص لها عادات وتقاليد، حيث يستهلك اللحم الطازج للأضحية بما يفي للغرض، أما باقي اللحم فيجفف ليصبح قديداً. والقديد هو "اللحم المشرر المقطع"¹ وعادة حفظ اللحوم بالتجفيف عادة ضاربة في التاريخ، حيث نجد في مطابخ مصر القديمة طرق والتي مناخها ساخن أين "تفسد اللحوم بسرعة في مناخ مصر الساخن، ولذلك فإن حفظ جزء من اللحم المذبوح بتجفيفه كان ممارسة متبعة يصورها كثير من رسوم المقابر. ويشكل خليط أدوات المعالجة لغزاً من الألغاز، بالرغم من أن الملح كان معروفاً لمدة طويلة بأنه يسرع التجفيف. وقد اثبت العلماء أن بعض التوابل يكبح نمو البكتيريا في اللحوم، ولكن يظل من غير المعروف هل حدس المصريون هذه الكيمياء من سنوات مراقبتهم الطويلة."²

¹ محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 1، ط 2، دار الكتاب المصري، مصر، 2007، ص 297.

² كاثي ك. كوفمان، مرجع سابق، ص 77.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

10. 1 وصفات: الكسرة المردومة 'كسرة التراب'

وقد سبقت الإشارة إليها في الفصل الأول من الباب الثاني. ويعتبر طبق الكسرة من بين التحضيرات الضاربة في التاريخ والتي لاتزال إلى يومنا الحاضر. وهي عبارة عن جين رخو يطهى بالرماد الساخن والمعروف بخبز الملة، 'تاقلى' بالتارقية، والتي يعتبرها المبحوثين غذاء صحي، لأنها في نظرهم تمنع من التخمرة. بفضل استخدامهم للقمح المحلي، والذي يستعمل في غالب الأحيان برده أي النخالة مما تسهل في عملية هضمه.

ولا نسغب من توارد الخواطر بين البشر، حيث نقرأ في تاريخ حضارة الرافدين أن هذا النوع من الخبز وجد في قصيدة هذه الحضارة "أفضل خبز المدينة لا يضاهي الفطيرة المخبوزة تحت الرماد" من قصيدة *إبر!*: كانت ارغفة الخبز المسطح تخبز على أحجار ساخنة محمية وسط رماد نيران مشتعلة، وهي ممارسة تواصلت لدى الثقافات البدوية والبدائية. وتمجد 'قصيدة غيرا' الجنود الذين يصطربون على الحرمان في المعارك، وكان الخبز غير المخمر مهماً على نحو خاص للجنود عند الحركة أو الفقراء الذين قد يفتقرون إلى امتلاك افران.¹

10. 2 وصفات المبحوثين في شهر رمضان

من أهم التحضيرات التي ذكرها المبحوثين في شهر رمضان تحضير الحساء والتمر، فهما أساس ذلك. وقد لاحظنا أن الشراب الخاص بشهر رمضان المعروف 'بدفيء' ليس له إشارة كبيرة من طرف سكان تيديكلت، حيث نجد أهم الأشخاص الذين ينحدرون من غردية المنيعة وخاصة قبائل الشعانية.

تبين لنا من خلال مقابلة مع مختصة في تحضير هذا الشراب وأطلعنا عن كيفية تحضيره، وأهم المكونات التي تدخل فيه. وقد سبق وأن قمنا ببحث ميداني عن دفيء في منطقة أدرار سنة 2010 وتوصلنا إلى أن دفيء: عبارة عن شراب مستخلص من الأعشاب التي تنقع في القربة لمدة معينة، يستهلك خصوصاً في شهر رمضان عندما يكون الجو حار، وهو شراب وارد للمنطقة منذ القدم، جاء به السكان القادمين من المناطق الشرقية للولاية كمنطقة غرداية متليلي، المنيعة وغيرها.

¹كيث ك. هيثمانرجع سابق ص 77.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

تستخدم في إعداد نباتات محلية وأخرى من المناطق المجاورة وأخرى مستوردة، كجوز الطيب والزنجبيل. يتم تحضير أربعين عشبة من مختلف أجزاء النبات، وتؤخذ من مجموع الأعشاب كمية تفي بالغرض كوب لكل فرد، باستثناء الأطفال والحوامل، تنقع صرة الأعشاب ليلة كاملة في شكوة من جلد المعز، أين يتم نقع هذه المكونات.

وأثبتت دراسة بحثية حول هذا المشروب نشرت سنة 2011، أين "تم التحقيق في العديد من الأنواع وأبرزت نتائج دراساتهم المركبات الكيميائية والأنشطة البيولوجية التي تشرح فوائد هذا المشروب التقليدي المحضر من النباتات الأصلية الطبية."¹ توصل الباحثين إلى دفي يحتوي على نباتات هضمية، ومنشط مُنقّي وعطري. وجود الأنواع على التوالي المعروفة باسم مُقوّيات القلب cardiotonics، مضادات السكر أو المشار إليها في حالات الاكتئاب. كما وجنوا أن "دفي، مشروب هضمي ومنشط جيداً مما يجعل الإماهة ممكنة خلال فترة الصيام الصعبة في شهر رمضان."²

البخور والعطور من المكتسبات الثقافية والسلوكية التي توارثت جيلاً بعد جيل بفضل الأسرة ثم المجتمع وهو ما يبرز البعد الاجتماعي لاستخدامها في تيديكلت. كما أن تكرار ظاهرة البخور والعطور في مختلف المناسبات له أبعاد أخرى مرتبطة بالجانب الطبيعي للمناطق الصحراوية ذات الجو الحار مما يستدعي استعمالهما في ظل هذه الظروف. وكما كان هو الحال في مصر القديمة التي اشتهرت بالروائح اشتهرت مصر في الدنيا القديمة بالروائح والعطور. وكان لمصر شهرة بأن مناخها مناسب لهذه الصناعة. «فترى كيف أن "في الجو الحار تكون هناك رغبة ملحّة للتعطر."³ بالإضافة إلى أن الكحول لم يكن "قد اكتشف بعد، إذ لم يعرف إلا في القرن الرابع قبل الميلاد. لذلك كانوا يستخرجون العطور من النباتات، أو الزهور، أو عروق الأخشاب العبيرية بغمرها في الزيت؛ وبذلك استخلصوا الزيوت العطرية ومزجوها حسب الظروف بالزيوت الأخرى أو الدهن."⁴

وعلى غرار ما توصل إليه جمال بالأخضر في تحقيقه لبخور السودان كما جاء في عمدة الطبيب يبين أهمية "توضيح أسماء بعض النباتات، مثل بخور السودان والسعد، المذكورين في كتاب عمدة الطبيب لأبي الخير الإشبيلي (القرن السادس هـ. الثاني عشرة م). إشارة إلى عدة منتجات نباتية ذات

¹ Khadra Maiza, Victoria Hammiche and Fadila Maiza-Benabdesselam, Traditional medicine in north sahara: the "deffi" Life sciences Leaflets 16:551 – 560, 2011, p553

² Ibid. p553.

³ نفس المرجع، ص 81
⁴ نفس المرجع، ص 91

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

أهمية بالغة من الناحية الطبية والدوائية والعطرية والتجارية، لم تفسر حتى اليوم هويتها التصنيفية وتسميتها ولا انعكاساتها النباتية العرقية"¹

ويرى الزائر للمناطق الصحراوية والمتدوق لأطباقها، قوة التوابل المستعملة في الأطباق، ويعزى ذلك إلى للمناخ، كذلك، الذي يقلل الشهية فيضرب إلى إعداد توابل تحفزهم للأكل، وكذا الشاي الذي يشرب على مدار السنة للتخلص من التعب والحرارة. نلاحظ كيف كان لهذا التشابه في الاستعمال يحمل بعد آخر وهو البعد التاريخي لكل تلك الاستعمالات، وكأنه توارد خواطر بين الشعوب.

¹Djamal Bellakhder, Op. Cit p 49.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة انتاج الوصفات العلاجية

11. رأي المبحوثين في التداوي بالأعشاب

الجدول رقم 34: رأي المبحوثين في التداوي بالأعشاب

النسبة %	التكرار	رأي المبحوثين في التداوي بالأعشاب الاجابة
19,93 %	62	جيد جداً وفعال
17,36 %	54	جيد وفعال
25,72 %	80	جيد
14,46 %	45	حسن
11,57 %	36	جيد بشرط زيارة الطبيب
10,93 %	34	استعماله بحذر
100 %	311	المجموع

الجدول يوضح رأي المبحوثين في التداوي بالأعشاب، حيث سجلت أعلى نسبة لمن رأى من المبحوثين أن التداوي بالأعشاب جيد 25,72%. وسجلت أقل نسبة 10,93% لمن رأوا بأن جيد بشرط زيارة الطبيب.

هذا يفسر أن التداوي بالأعشاب بالنسبة للمبحوثين حاضر ويتداول بين أفراد المجتمع، كما نلمس درجة من الوعي في التعامل مع الأعشاب، وذلك بفضل الخبرة التي اكتسبها هؤلاء في الحياة، وفي زمن فقدت فيه الثقة في الأدوية الكيميائية بشكل لمسناه في وصف المبحوثين أن "الأعشاب أفضل من الأدوية الكيميائية" عبارة تكررت في آراءهم.

الفصل الثامن: المناسبات الاجتماعية والثقافية وإعادة إنتاج الوصفات العلاجية

النتائج الجزئية

يتبين لنا مما سبق، أن التداوي بالأعشاب أو النباتات بمنطقة تيديكلت له أبعاد اجتماعية تبرز في النظام الاجتماعي وفي مختلف سلوكيات أفراد المجتمع التي تهدف للحفاظ عليها من خلال الممارسات في الحياة الاجتماعية. كما أن التداوي بهذه الأعشاب أو النباتات يحمل في طياته موروث ثقافي تشارك فيه ثقافات متعددة، مما يدل على التمازج الثقافي بين الشعوب، أو ما يصطلح عليه بالثقاف. فمن ناحية الوصفات التي تستخدم في لكل مناسبة اجتماعية تهدف إلى تحقيق ظروف صحية أفضل في ظروف بيئية طبيعية صعبة، تتطلب التواءم مع يحيط بالمجتمع. وأغلب الوصفات تهدف كذلك للوقاية أو الحماية مما سيكون قادم. حيث نجد أن مختلف الأعشاب أو الوصفات تعد لمواجهة الأمراض البيئية في الغالب، كالأمراض التنفسية، والحساسية الأمراض الجلدية، أمراض الروماتزم، وأمراض الجهاز الهضمي.

الفصل التاسع:

دور المعالجين الشعبيين في تداوي

المبحوثين في تيديكلت

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

تمهيد

نعالج في هذا الفصل، علاقة المبحوثين بالمعالجين الشعبيين في مجتمع تيديكلت، حيث تعتبر هذه الفئة الاجتماعية الأكثر بروزاً في مجال التداوي بالأعشاب، فكيف ما كان الحال، فإن التطرق إليهم وإلى علاقاتهم بالمبحوثين، يساهم في إثراء موضوع البحث. وسنعالج ذلك من خلال بعض المتغيرات المتعلقة بجنس وسن المبحوثين وحالاتهم العائلية، وعلاقته باختيارهم لطرق العلاج في حالة اعتلال صحتهم باختيارهم لطرق العلاج في حالة اعتلال صحتهم؛ ومدى استفادة المبحوثين من وصفات المعالجين.

بالإضافة إلى نوع علاقة المبحوثين بالمعالجين الشعبيين. ومدى معرفة المبحوثين بأشهر المعالجين بالمنطقة ومعرفتهم لأسماء هؤلاء المعالجين. ورأي المبحوثين في التداوي بالأعشاب، والتعرف على مجموعة من المعالجين المبحوثين في المنطقة التي ورد ذكرهم من طرف المبحوثين.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدابي المبحوثين في تيديكلت

توجههم للعلاج في حالة اعتلال صحتهم:

جدول رقم 35 جنس المبحوثين وعلاقته بنوع توجههم للعلاج في حالة اعتلال صحتهم

التوجه الجنس	المستشفى	للصيدلية	للمعالجين	للراقي/الطالب	المجموع
ذكور	(84) %66,14	(15) %11,81	(23) %18,11	(5) %3,93	(127) %100
إناث	(103) %53,97	(25) %57,77	(45) %13,58	(11), 24,45 %24,45	(184) %100
المجموع	(187) %60,12	(40) %12,86	(68) % 21,86	(16) % 5,14	(311) %100

بالنظر إلى بيانات الجدول، والمتمثل في جنس المبحوثين وعلاقته بنوع توجههم للعلاج في حالة اعتلال صحتهم، أن أعلى نسبة قُدرت بـ 55,97% من المبحوثين هن إناث يتجهون للمستشفى ثم تلتها نسبة الإناث أيضا في توجههم إلى المعالجين حيث مثلت 13,58%. تلتها توجه المبحوثين من الإناث بأعلى نسبة للراقي أو الطالب. بينما كان التوجه للمستشفى بالنسبة للذكور سجل نسبة 66,14%. ثم المعالجين بنسبة 18,11% وهذا يفسر أن لتدابي لدى المبحوثين يسير في حط متوازي، المستشفى كتحخيص أكاديمي بالدرجة الأولى لقطع الشك باليقين، ثم التوجه للمعالجين الذين سيستفدون من تحخيص الطب الأكاديمي وبالتالي تقدم وصفاتهم على نتيجة الأطباء. وفي هذه الحالة سيستفاد المريض من العلاج بالأعشاب.

هناك دلالة سوسولوجية في توجه الاناث للتدابي سواء للمستالجزائري يدعمين ويرجع لثقتهن بالطب الشعبي والمتمثل في المعالجين الشعبيين فنشأت أفراد المجتمع على التدابي بالأعشاب في أحلك الظروف، جعلهم لا يتخلون عن هذه الثقة التي فتحوا أعينهم عليها، بالرغم من وجود الطب الأكاديمي. ومع انعدام التخصصات الطبية التي يعانى منها مرضى الجنوب الجزائري يدعم هذه الثقة.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداولي المبحوثين في تيديكلت

وعلى كل، وبناء على ما تقدم، يمكن أن نستنتج أن كلا الجنسين يتوجهون في حالة اعتلال صحتهم إلى المستشفى في سبيل الحصول على الشفاء، وهو مؤشر لمدى الوعي بالنسبة للمبحوثين للتشخيص الأكاديمي خاصة إذا علمنا أن المستوى التعليمي بالمنطقة له دور كبير في ذلك. الجدول رقم 36: جنس المبحوثين وعلاقته بمدة تكرارهم زيارة المعالجين.

الجنس	زيارة المعالجين	دائماً	أحياناً	لا أكرر الزيارة	المجموع
ذكور	(18) %14,17	(91) %71,65	(18) %14,17	(127) %100	
إناث	(61) %33,15	(108) %97,82	(15) %8,15	(184) %100	
المجموع	(79) %25,40	(99) %63,98	(33) %10,61	(311) %100	

يوضح الجدول السابق جنس المبحوثين وعلاقته بمدة تكرارهم زيارة المعالجين. يبين الاتجاه العام للجدول أن نسبة 63,9% من المبحوثين يقومون بزيارة المعالجين. وتدعم هذه النسبة بـ 97,82% من المبحوثين الإناث يقومون أحياناً بزيارة المعالجين. تليها نسبة 71,65% من المبحوثين الذكور وهم يزورون كذلك المعالجين أحياناً. وبالمقابل نجد نسبة من المبحوثين ممن يزورون المعالجين دائماً، وتدعم هذه النسبة بـ 33,15% رأي الإناث من المبحوثين. كما أن نسبة 14,17% من المبحوثين الذكور ممن يزورون المعالجين دائماً.

وهذا ما يفسر أن كلا الجنسين يقومون بزيارة المعالجين في حالة اعتلال صحتهم في سبيل الحصول على الشفاء، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الجدول السابق. كما أن الفئات العمرية للمبحوثين ستبين لنا أكثر توجههم في حالة المرض في الجدول الموالي.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدابي المبحوثين في تيديكلت

الجدول رقم38: سن المبحوثين وعلاقته باختيارهم لنوع العلاج في حالة اعتلال صحتهم

نوع العلاج فئة السن	للمستشفى	للصيدلية	للمعالج	الراقي أو الطالب	المجموع
<20	(23) %58,82	(4) 14,70 %	(6) %23,52	(1) 2,94 %	(34) %100
30-21	(47) %66,66	(5) 8,69 %	(14) %20,28	(3) 4,34 %	(69) %100
40-31	(57) %62,79	(10) %16,27	(16) %17,44	(3) 3,48 %	(86) %100
50-41	(29) 45 %	(12) %16,66	(17) %25	(2) 3,33 %	(60) %100
60-51	(24) %47,82	(8) 19,56 %	(12) %23,91	(2) 4,34 %	(46) %100
60<	(7) %31,25	(1) 6,25 %	(6) %43,75	(2) 18,75 %	(16) %100
المجموع	(187) %55,94	(40) %14,46	(71) %18,32	(16) 22,50 %	(311) %100

من خلال الجدول سن المبحوثين وعلاقته باختيارهم لنوع العلاج في حالة اعتلال صحتهم.

يتضح لنا من الوهلة الأولى أن عدد الإجابات أكبر من عدد المبحوثين بسبب تعدد آراءهم في اختيار طرق العلاج.

كما تبين لنا أن الفئات العمرية اقل من 20 سنة، 21-30 سنة، 31-40 سنة، 41-50 سنة وفئة 51-60 سنة في حالة اعتلال صحتهم اغلبهم يتوجهون إلى المستشفى و اقل نسبة منهم يتوجهون إلى الراقي/الطالب، أما بالنسبة للفئة العمرية أكثر من 60 سنة أكبر نسبة منهم يتوجهون إلى المعالج بـ 43,75 %، و اقل نسبة منهم يتوجهون إلى الراقي /الطالب 18,75 %.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

يرجع ذلك، إلى ارتفاع نسبة الوعي بين الشباب بفضل التعلم وارتفاع المستوى التعليمي في المجتمع. أما الفئة العمرية الأكبر من 60 سنة ربما سببه تغلب المعتقد الاجتماعي بحسبهم في العلاج بالتقليدي والمتوارث أباً عن جد.

الجدول رقم 38: الحالة العائلية للمبحوثين وعلاقتها باختيارهم الذهاب للعلاج في حالة اعتلالهم

المجموع	للراقي/الطالب	للمعالجين	للميدلية	المستشفى	التوجه الحالة العائلية
140) %	2,14 (3) %	20 (28) %	13,15 (20) %	63,57 (89) %	أعزب
152) %	3,94 (6) %	3,94 (6) %	20,39 (31) %	71,71 (109) %	متزوج
12) %	8,33 (1) %	25 (3) %	16,66 (2) %	50 (6) %	أرمل
7) %	14,28 (1) %	28,57 (2) %	28,57 (2) %	28,57 (2) %	مطلق
11) %	11) %	74) %	55) %	206) %	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أن الحالة العائلية للمبحوثين وعلاقتها باختيارهم للذهاب للعلاج في حالة اعتلالهم، أن عدد الاستشهادات أكبر من عدد الملاحظات بسبب نعدد الإجابات، حيث أن المبحوثين الذين يتوجهون إلى المستشفى أغلبهم من المتزوجين بنسبة 71,71 %، في حين التوجه للمعالجين مثل 20,39% للمتزوجين كذلك. وأقل نسبة مثلتها فئة المطلقين بنسبة 14,28%.

وما يفسر سبب ارتفاع نسبة العزاب والمتزوجين في اختيار سبل العلاج، هو التغيرات الفيزيولوجية التي تطرأ على المتزوجين من حمل وولادة وأمراض، تصيب أبنائهم في مراحل نموهم... الخ. فأقبال المرء في هذه الحالة يتطلب مساندة التغيرات التي ترافق المراهق والمتزوج.

ونلاحظ كيف أن التوجه لكلا الطبيين لافت للإنتباه، وهو ما يؤكد ترسخ العلاج الشعبي وثقافته في ذهنيات المبحوثين رغم توجههم للطب الأكاديمي.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

كما يفسر توجه المبحوثين للمستشفى من أجل تشخيص حالتهم، لكنهم يذهبون للمعالجين الشعبيين، وهذه الظاهرة منتشرة في مناطق أخرى وهو ما وجدناه في دراسة بمنطقة تافيلالت واحة من واحات المغرب قام بها الغفاري حيث قال: "في بعض الحالات يتم التشخيص من قبل طبيب ولكن يطلب المريض العلاج العشاب أو المعالج (l'herboriste ou le guérisseur)"¹

الجدول رقم 39: الحالة العائلية ومدة تكرار زيارة المعالجين.

المجموع	لا أكرر الزيارة	أحياناً	دائماً	زيارة المعالجين الحالة العائلية
100(140)%	12,14(17)%	69,28(97)%	44,28(26)%	أعزب
100(152)%	13,81(21)%	66,44(101)%	19,73(30)%	متزوج
100(12)%	0(0)%	41,66(5)%	58,33(7)%	أرمل
100(7)%	28,57(2)%	42,85(3)%	28,57(2)%	مطلق
100(311)%	12,86(40)%	64,63(206)%	20,90(65)%	مجموع

يتضح من خلال الجدول الحالة العائلية ومدة تكرار زيارة المعالجين في حالة اعتلال صحتهم أن اغلب فئة الأعزب والمتزوج والمطلق يقومون بزيارة المعالجين 'أحياناً'، بينما أقل نسبة منهم لا يكررون الزيارة مرة ثانية، أما أغلب المطلقين يقومون بزيارة المعالج دائماً. وسجلت أقل نسبة لمن لا يكررون الزيارة! للمعالجين. ومنه نستنتج، أن اغلب المبحوثين يهتمون بزيارة المعالجين.

¹ El Rhaffari U, Zaid A Pratique de la phytothérapie dans le sud-est du Maroc (Tafilalet). Un savoir empirique pour une pharmacopée rénovée , Actes du 4e Congrès européen d'ethnopharmacologie, 11-13 mai 2000, Metz (France) s, 2002, p 297.

الفصل التاسع: دور المعالجات الشعبية في تداولي المبحوثين في تيديكلت

الجدول رقم 40: الاستفادة من وصفات المعالجات حسب الحالة العائلية

الإجابة الحالة العائلية	يستفيد	لا يستفيد	المجموع
أعزب	92,14(129)%	7,85(11)%	100(140)%
متزوج	83,55(127)%	16,44(25)%	100(152)%
أرمل	100(12)%	0(0)%	100(12)%
مطلق	100(7)%	0(0)%	100(7)%
المجموع	88,42(275)%	11,57(36)%	100(311)%

يتضح لنا من الجدول المتعلق بإجابة المبحوثين حول استفادتهم من وصفات المعالجات، حسب الحالة العائلية أن أغلب المبحوثين أجابوا بنعم بنسبة 88,42%، وأن أكبر مستفيدين من الوصفات هم من فئة الأرمل والمطلق بنسبة 100%. وهي كذلك تمثل أقل فئة للمبحوثين. بينما الذين أجابوا بـ لا يستفيدون كمن هذه الوصفات.

وهذا ما يفسر مدى ثقة المبحوثين في المعالجات وعلاقتهم بهم ومدى استفادتهم من وصفاتهم. كما لا ننسى بأن الجانب النفسي يلعب دور في حصول الشفاء وهو الجانب الذي ركز عليه الطب في حضارات الشرق، بأن الطب روح وجسد. كما أن المعاملة التي يتلقاها المريض من طرف المعالجة تساهم في تسريع الشفاء أو تخفف من معاناته ربما.

يرى Yves Pelicier أن الإنسان "يحتاج إلى معتقدات ليعيشها، ويحتاج المريض إلى الثقة للشفاء: الثقة في الطبيب والثقة في الدواء الذي يقدمه. من المحتم أن تنشأ لحظات من عدم اليقين أثناء الشفاء الأفضل، مثل لحظات الشك بين المؤمنين الأكثر إقناعاً. ثم يهرب المريض من "احتضان" العلاج المقترح له، وسيبحث عن شخص آخر سري وغامض وأكثر جاذبية، على الأقل لبعض الوقت."¹

¹Yves Pelicier, **Les exigences de l'objectivité**. Science et vie hors-série Les Médecines "Parallèles" publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداولي المبحوثين في تيديكلت

الجدول رقم 41: مدى معرفة المبحوثين بأشهر المعالجين بالمنطقة

النسبة%	التكرار	معرفة أشهر المعالجين	الإجابة
89,71%	279	يعرف	
10,28%	32	لا يعرف	
100%	311	المجموع	

يوضح الجدول من خلال الاتجاه العام أن 89,71% من المبحوثين مدى معرفة المبحوثين بأشهر المعالجين بالمنطقة، في المقابل نجد نسبة 10,28%.

يفسر ذلك أن الروابط الاجتماعية في المجتمع المدروس هي روابط وطيدة مبنية على نظم اجتماعية تمكن الفرد من التواصل وتبادل المعلومة بشكل سريع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبرز لنا البعد الثقافي لهذه المعرفة التي تبين مدى حرص المبحوثين على الحفاظ على الموروث الثقافي المتعلق بالتداوي بالأعشاب والمعالجين الشعبيين، لأن هذه المعرفة تمثل جزء هام لتصور التمثلات الاجتماعية لهذه الفئة من المجتمع. والمحافظ عليها بشكل شفوي يتداول بين أفراد المجتمع يفسر هذا التمسك برموز التداوي بمنطقة تيديكلت.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداولي المبحوثين في تيديكلت

الجدول رقم 42: معرفة المبحوثين بأسماء المعالجين الشعبيين

النسبة	التكرار	ذكر أسماء المعالجين الإجابة
67,52%	210	ذكر اسم معالج أو أكثر
32,47%	101	لم يذكر
100%	311	المجموع

يوضح الجدول مدى معرفة المبحوثين بأسماء المعالجين فمثلت نسبة 67,52% للمبحوثين الذين ذكروا أسماء المعالجين بينما مثلت نسبة 32,47% من المبحوثين الذين لم يذكروا أسماء المبحوثين. وهذا يفسر أن مجتمع البحث مجتمع على تواصل فيما بين أفرادهِ وعلى أنه مجتمع متجانس في علاقته.

في سياق متصل، سمح لنا المبحوثين من تشكيل قائمة لأسماء المعالجين الشعبيين، اعتماداً على إجابات ممن ذكروا أسماء المعالجين نوردها لاحقاً. وذلك يفسر بأن دراية المبحوثين بمؤلاء المعالجين، تتم عبر التواصل بين أفراد المجتمع المتجانس، ويجعل معرفة المعالجين من الأمور السهلة، بمجرد السؤال عن معالج معين أو معالجة ما، وهذا يفسر كذلك مكانة اجتماعية متميزة

وذلك يدفعنا إلى الاستدلال بما ذهب إليه ابن خلدون في تفسير هذه الصناعة حيث قال: "ثم إنا نجد في النوع الانساني أشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا من غيرها إنما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرهم التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الأجسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الخنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع أحدا جحدها ولا إنكارها وكذلك المجانين يلقي على ألسنتهم"¹

¹ ابن خلدون، المقدمة، مقدمة ابن خلدون / كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ج1، ط. 4، ص دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان، ص 107.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

جدول رقم 43: تشكيل قائمة لأسماء المعالجين الشعبيين

النسبة %	التكرار	المعالج
15,27%	62	سهام
16,99%	69	شلالية عاية
14,28%	58	بالمبروك الطيب
15,27%	62	سوكنية فاطمة
5,91%	24	سودانية عائشة
3,44%	14	ديدي محمد
4,43%	18	مامونبي قدور
6,15%	25	سليماني
0,49%	2	عثماني
1,23%	5	جماوي
1,72%	7	تاهني عائشة
7,3%	3	سايحي
0,49%	2	تباري
0,49%	2	نجاري
0,98%	4	نغريبو
0,49%	2	أكاسا
1,23%	5	عزاوي
0,98%	4	محمادة
2,70%	11	قران فاطمة
3,20%	13	مبروكة عسكري
7,3%	3	علواني عبد الحميد
0,24%	1	بايازيد حمزة
0,24%	1	بن عبد الكرم فاطمة
7,3%	3	أميحة
1,47%	6	بن جديد
100%	406	المجموع

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

يوضح الجدول الذي يمثل إدلاء المبحوثين بأسماء المعالجين، أن أعلى نسبة كانت للمعالجة شلالية عاية بـ 16,99 %، وتلتها المعالجة سوكنية وسهام بنسبة 15,27% هذا بالنسبة للإناث. أم الذكور أعلى نسبة سجلت للمعالج الطيب بمبروك بـ 14,28%.

والجدير بالذكر أن المبحوثين أدلوا بأسماء بعض المعالجين المتوفون، لكن أثرهم لا زال في الذاكرة. هؤلاء المتوفون هم السيدة: نغريبو، سايجي، بريكية، وبوية، والسيد محمادة -رحمهم الله جميعاً-.

المعالجين المتوفون وبعض اختصاصاتهم العلاجية

-الأخوات سايجي: زهن أخوات من تماراست، اشتهرن بممارسة العلاج التقليدي القائم على النباتات الطبية، التدليك والتمسيد وكذا الاستفراغ 'التحقان' لمعالجة مرضاهم. بعدما توفين لم يعد هناك خليفتهن بعين صالح.

- السيدة نغريبو من مدينة تماراست، اشتغلت بالتداوي والأعشاب، والتدليك والتمسيد.

-السيدة بريكية من مدينة عين صالح، اشتغلت هي الأخرى بالتمسيد وتدليك المرضى والأعشاب.

-محمادة اختص في العظام.

-السيدة بوية من منطقة اينغر، اختصت في التداوي بالأعشاب والتمسيد والتدليك.

التعرف على ممارسة المعالجين: الجدول الموالي يوضح لنا ممارسة المعالجين التي ذكرها المبحوثين.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداولي المبحوثين في تيديكلت

الجدول رقم 44 التعرف على ممارسة المعالجين

المعالج	الجنس	اختصاص العلاج	مكان العلاج	ملاحظة
سيهام	أنثى	تدليك والعلاج بالأعشاب	عين صالح، أقبور	/
ميلودة بلامين	أنثى	الكحالة التدليك والعلاج بالأعشاب	فقارة الزوى	/
بلمبروك الطيب	ذكر	الرقية والعلاج بالأعشاب	السهلة	/
عثماني	ذكر	الرقية والحمامة والعلاج بالأعشاب	عين صالح	/
شلاي عاية	أنثى	تدليك والعلاج بالأعشاب	قصر العرب	/
جماري	ذكر	الرقية والعلاج بالأعشاب	قصر المرابطين	/
تاهني	أنثى	تدليك حمامة كي والعلاج بالأعشاب	تمنراست	تتنفل
سايحي	أنثى	تدليك والعلاج بالأعشاب	عين صالح	توفت ولا بديل
تبياري	ذكر	العلاج بالأعشاب	لحدب عين صالح	/
سليمانى	ذكر	الرقية والعلاج بالأعشاب	السهلة	/
نجاري	ذكر	تجبير الكسور	إنغر	توفي ولا بديل
نغريو	أنثى	تدليك والعلاج بالأعشاب	عين صالح	توفت ولا بديل
أكاسا	ذكر	تجبير الكسور	تمنراست	/
عزاوي	ذكر	نجير الكسور والعلاج بالأعشاب	السهلة	/
سكنى	أنثى	تدليك، حمامة جافة، كي، أعشاب	البركة	/
السودانية	أنثى	تدليك والعلاج بالأعشاب	السهلة	/
مامو	ذكر	الرقية والعلاج بالأعشاب	قصر المرابطين	/
محمدادة	ذكر	تدليك، جبر الكسور	البركة	توفي ولا بديل
شلاي	أنثى	تدليك، حمامة جافة، كي، عشاب	قصر العرب	/
قران	أنثى	تدليك حمامة جافة وأعشاب	أقبور عين صالح	/
علواني عبد الحميد	ذكر	العلاج بالأعشاب	عين صالح	/
مير وكة عسكري	أنثى	تدليك، حمامة جافة، العلاج بالأعشاب	عين صالح	/
بايازيد حمزة	ذكر	العلاج بالأعشاب	عين صالح	/
بن عبد الكريم ف.	أنثى	تدليك والعلاج بالأعشاب	عين صالح	/
أمبيجة	أنثى	الرقية والعلاج بالأعشاب	اقسطن	/
بن جديد	ذكر	الشقيقة والصدفية والتأليل والرقية والعلاج بالأعشاب	فقارة العرب	/

الفصل التاسع: دور المعالجات الشعبية في تداوي المبحوثين في تيديكلت

تبين لنا من خلال الجدول السابق أن مجموع المعالجات الوارد ذكرهم من طرف المبحوثين هو 26 معالجاً من بينهم 13 أنثى و13 ذكر، وهو عدد معتبر في المجتمع. واتضح لنا من وجهة نظر أخرى، من خلال التقصي حول هؤلاء المعالجات، أنهم يتوزعون في مختلف قصور تيديكلت كل حسب تخصصه؛ وذلك بتقدير كل معالج أو اثنين في كل قصر.

والملاحظ أن كل المعالجات يتخذون الأعشاب في المعالجة أو الاستطباب، لكن تختلف وصفاتهم، وذلك ما تبين لنا من خلال المقابلة نصف موجهة مع مجموعة من المبحوثين المعالجات (12 مبحوث معالج). وبنوضح ذلك فيما سيأتي لتدعيم إجابة المبحوثين ومعرفة ممارساتهم العلاجية.

يشكل المعالجات الشعبيين في مجتمع تيديكلت فئة متعددة الاختصاصات منذ القدم. من خلال المعطيات الواردة عن المبحوثين في الدراسة، قمنا بإجراء مقابلة نصف موجهة مع مجموعة منهم عن كتب، لمعرفة ممارستهم واهتمامهم والوصفات التي يقدمونها للأشخاص الذين يقصدونها. وقد تم توزيعهم بحسب منطقة إقامتهم، وتصنيف علاجاتهم في جداول تتضمن:

أهم الأمراض التي تعالجها؛ أهم الوصفات المقترحة للمبحوثين؛ الملاحظة إن وجدت. وذلك بحسب ما أدلوا به من استشهادات.

معالجات منطقة تيديكلت وأهم طرق التداوي المتداولة:

1. منطقة فقارة العرب من الناحية الشمالية الشرقية لعين صالح:

- السيد بن جديد لحبيب من مواليد 1946 يقرأ ويكتب، له خبرة مكتسبة في المعالجة والمداواة.

اشتهر بعلاج الشقيقة، عرق النساء، الأمراض الجلدية: 'التسييسة' (نوع من الأكزيما)، معالجة التأليل وكما سيأتي توضيحه في الجدول التالي:

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

1. وصفات المعالجين الشعبيين بتيديكلت:

جدول رقم 45: بعض وصفات المعالجين الشعبيين بمنطقة الدراسة، السيد بن جديد

الملاحظة	أهم الوصفات المذكورة	الأمراض المعالجة
تقنية طب بديل ينظر شرح التقنية في أسفل الجدول		اشتهر بمعالجة أمراض الشقيقة*
	-نوى المشمش، والقطران ييخر. بالقرنفل، الحبة السوداء 'السانوج'	الصداع أمراض الرأس
	بعض الأعشاب والتي تبقى سر المهنة بالنسبة للسيد بن جديد.	العقم
ملاحظة المعالج**	بعض الأعشاب والتي تبقى سر المهنة بالنسبة للسيد بن جديد.	أمراض الجهاز الهضمي، وخاصة القولون
	استعمال الطين موضع الحرق	- الحروق.
بعض الأمراض النفسية	فيقوم بمعالجتهم، بطرق خاصة.	العلاج النفسي

* يعالج الشقيقة بواسطة الأذن وذلك من خلال شرط عرق معين في خلف صيوان الأذن الخارجية بشرطتين سطحيتين خفيفة.

** ويقول السيد بهذا الشأن: "أن النمط الغذائي للسكان غير متوازن، واستهلاك المصابين للعجائن بشكل دائم أدى إلى معاناتهم من القولون، بحسبه."

يتضح من الجدول أن معظم الأمراض التي يعالجها السيد بن جديد من الأمراض الشائعة والتي تكون في الغالب أمراض بيئية، أي ناتجة عن الظروف البيئية التي تحيط بالإنسان، كما قال عنها سيلاي Selye: "أمراض الروماتزم، والربو والأكزيما والشقيقة، والإمساك، والجحوظ، والسكري، واضطراب ضغط الدم، سماها بأمراض التلاؤم"¹ وقد أشرنا إليه في الجانب النظري عندما تطرقنا إلى تأثير المتغيرات البيئية على الصحة، الإنسان والبيئة، بين الصحة والمرض، الفصل الخامس.

¹ أمين رويحة، الروماتزم، دار الفلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1970 بيروت، لبنان، ص ص 15-16.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

كما تبين لنا أن السيد بن جديد تميز في ممارسته العلاجية بعلاج الشقيقة، وذلك بشرط صيوان الأذن. هذه الطريقة التي اشتهر بها في المنطقة، وجد أثرها في البحوث العلمية:

حيث تعتبر تقنية العلاج بواسطة الأذن الخارجية، والتي تسمى Auriculothérapie، من العلاجات التي اعترفت بها منظمة الصحة العالمية. كما سبق وأن رأينا في الجانب النظري في فصل سوسولوجيا المعالجين الشعبيين، وما يثير الانتباه في هذه التقنية هو نقطة التقاء بين الممارسين وهي الأذن، حيث أن السيد بن جديد من عين صالح يستعمل الأذن لمعالجة الشقيقة بينما تستعمل هذه التقنية لدى رافيل نوجيه ووالده بيار نوجيه لعلاجة أعضاء من الجسم.

وقد حدثنا رافيل نوجيه أثناء دورته التكوينية حول العلاج بواسطة الأذن، أن هذه التقنية انتقاها والده من امرأة تعيش بمارسيليا، مما جعله يهتم أكثر بهذه التقنية فدرس الطب وتعمق في البحث في التقنية بالصين، إلى أن صنفها المنظمة العالمية للصحة ضمن الطرق العلاجية العالمية. ومن الممكن في بعض الحالات استخدام الوخز بالإبر المعقمة وذلك بوخز الصيوان قصد الحصول على العلاج.*

كما لاحظنا في وقت مضى أن بعض المعالجين بمنطقة العبادلة في الجنوب الغربي للجزائر، بولاية بشار (900 كلم عن منطقة تيديكلت)، يعالجون الشقيقة بشرط حافة صوان الأذن، بشرط خفيفة للتخفيف من ألماها الحادة. وكانت السيدة بركات في العقد السابع من عمرها من منطقة العبادلة، قد حدثنا عن هذه التقنية العلاجية بواسطة شرط الأذن، والتي ورثتها هي الأخرى عن أجدادها.

هذا يفسر، أذ اختلاف طرق العلاج من خلال العضو الخارجي لجسم الإنسان، لمعالجة أمراض لها علاقة بالأذن وهي عضو يعد تابع للجلد. كما قال أمين رويحة "ينتشر في الجلد أكبر قدر من فروع الأعصاب النباتية، ولولا ذلك لما تكونت أعضاء حواسنا (العين والأذن) في الإحساس من الجلد نفسه."¹ وتعتبر الأذن مصدر لمعالجة الألم في أي عضو من أعضاء الجسم.

فبفضل التمازج ثقافي بعيد الأمد لما مر على البشرية من رحلات ونزوح وحروب، أدت إلى هذا التشابه إلى حد ما في طريقة العلاج بالأذن، سواء بإثارتها بمشط، أو بوخزها بالإبر أو كيهها بالنار.

* للتعلم في هذه المعالجة تمت مشاركة الباحثة في دورة تكوينية من طرف نجل الدكتور بول نوجيه وهو الدكتور رافيل نوجيه بمركز خاص بالطب التكميلي) واستفادة من الملاحظة بالمشاركة مع أطباء وأخصائيين أكاديميين حضروا لهذه الدورة. وكان هناك نوع من التحسن والتخفيف من الألم. أمين رويحة، الروماتيزم، دار القلم، بيروت، لبنان، 19، ص18.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

وهنا يبرز البعد الاجتماعي للتداوي بالأعشاب من خلال هذا التداخل في تقنية العلاج بالأذن. كما قال الفيلسوف سارتون، هو توارد خواطر. ونقصد في بحثنا توارد خواطر لطرق العلاج.

-فقارة الزوى، شمال شرق عين صالح:

المعالجة الثانية السيدة بالة مباركة المعروفة بميلودة بلامين، تقرأ وتكتب: معالجة شعبية تداوي بمنطقة فقارة الزوى، من مواليد سنة 1940.

الخبرة في العلاج: خبرة شخصية من خلال الممارسة، اكتسبت خبرتها من تلقاء نفسها، وربما لرغبتها في معالجة المرضى وتقديم المساعدة لهم.

جدول رقم 46: بعض وصفات المعالجين الشعبيين بمنطقة الدراسة، السيدة بالة

الملاحظة	الوصفات	الأمراض المعالجة
احترام لخصوصية المبحوثين نورد إلا الأشياء التي لديها قبول في كتابتها	أهم مكونات دواء العيون: الليمون، مع مكونين تعهدت على عدم الاطلاع عليها.	أمراض العيون
ملاحظة المعالجة*	وصفة 'الرأس المحلول' أم الناس 'العلك' أي الصمغ، والطين البيضاء، تعجن بالخل تربط برأس الطفل الصغير.	مراس الرأس 'الشواط' تعالج 'حمامة' الرأس، ضربة الشمس تعالج 'الرأس' 'المحلول'
يباع كوب خليط الأعشاب بسعر 100 دج.	مقابل كمية معينة من خليط هذه الأعشاب	أمراض الجهاز الهضمي
لم تذكر المبحوثة أسماء هذه النباتات	بالأدوية التي تتكون من ستة نباتات	'العرق الحايل' بمعنى البواسير.

* نقول السيدة: عالجت طفل صغير كان رأسه مفتوح، بعدما عانى من مشاكل صحية، وقد شاهدنا الطفل وهو في ظرف صحي حسن-بفضل الله ومعالجة هذه السيدة.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

أهم الأمراض التي نعالجها: تستعين السيدة بالة مباركة في العلاج، ببعض الزيوت مثل سمن الصحراء 'دهان تناع الصحراء' كما قالت، نظراً لما يحتويه من منافع. لأن الأغنام والجمال التي ترعى في الصحاري، تكتسي ألبانها وأجبانها وأدهانها فوائد جمّة، وذلك بفضل النباتات الصحراوية تتميز بخصائص علاجية حباها الله بها، وتبينت قدرة هذه النباتات في تحديدها للظروف القاسية والصعبة من أجل البقاء.

-في مجال الكحالة، اشتهرت هذه السيدة في معالجة أمراض العيون، في وقت انعدم فيه الكحالين بمنطقة تيديكلت. تقوم السيدة المعالجة بإعداد الدواء بنفسها، محتفظة بسر مهنتها الخاصة. أدلى بعض الأشخاص باستفادتهم من هذا الدواء خاصة القاطنين بفقارة الزوى بالخصوص.

-منطقة إقسطن، شمال شرق عين صالح:

المعالجة الثالثة السيدة أميحة وهي شايي ابنة محمد الطالب أحمد بالحاج لا تقرأ ولا تكتب: معالجة شعبية من المرابطين العرب؛ تجاوزت المائة سنة.

الخبرة في العلاج: ورثت هذه السيدة مهنة التداوي المختلفة عن طريق نسيبتها أي أم زوجها. كقول مداواة لها، بدأت مع أبنائها، ترعرعت في صغرها بمنطقة تمراسن، ثم انتقلت إلى عين صالح، وهنا عرفت ببراعتها في الطب الشعبي. فبدأت تداوي الأطفال الصغار، من جيرانها. فتقول بأنها قصدتها جارتما لترى ما حل بابنها من انتفاخ في البطن، فبدأت بما أوتيت من خبرة في معالجة الصبي الذي تحسنت حالته. ومنذ ذلك الوقت زاع صيتها في القرية، وكانت تستقبل المرضى في بيتها، أين بدأت بمعالجة الكبار من النساء والأطفال والرجال. وقد حدثتنا عن معالجتها لرجل عانى من عدم القدرة على الحركة والمشي، فقامت بتدليك أعصابه حتى تمكن من المشي مجدداً. تستعين السيدة باستعمال لأعشاب التي هي في الغالب متواجدة بالمنطقة، وتفضلها في علاجها.

وبحسب السيدة ميحة، مكنتها معرفتها بالنباتات الصحراوية من معالجة العديد من المرضى، فهي تدرك مواصفات النبات واستعمالاتها ومقاديرها. إضافة إلى معرفتها بمدى خطورتها والنافع منها والضار على صحة الإنسان. مثال على ذلك تقول أن 'الشعال' هو ما ينمو في البرية مثل 'المخيترة' (*Cleome arabica*) 'تغوفت' / 'أم النفس' (*Artemisiacomperise*) أم ضريقة (*Ammodaucus*) الشيح (*leucotrichus*) (*Atimisia herba alba*) العقاية (*Zygophyllum sp*) القرطوفة (*Cotulacinerea*)

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

شندقورة (*Eva ajuja*) صدرة الدواء (*Haplophyllum tuberculatum*) سيدي محمد الحرمل (*Peganumme harmala*).

ملاحظة: يسمي البعض الأعشاب الطبية التي تنمو في البرية بالـ 'الشعال'.

جدول 47 رقم: بعض وصفات المعالجين الشعبيين بمنطقة الدراسة، السيدة شايبي*

الملاحظة	الوصفات المقترحة من المعالج	الأمراض المعالجة
	بالدبغة (<i>Acassia radiana</i>) قرنيات الشجرة.	معالجة حريق المعدة
	ـ البخور 'صمغ' أم الناس الكزبرة الحنتيت. ـ أو ملعقة زيت الزيتون خل للعجن والريجة الحمراء.	الدهنات للأعصاب:
	ملاحظة هامة في نظر المعالجة*	الكلبي

استقبلتنا السيدة أميحة بصدر رحب، وأمدتنا بكل ما تستطيع مساعدتنا به في بحثنا. وهي وصفات مستمدة من خبراتها وتجاربها مع أبنائها وجيرانها ومن قصدها شخصياً للعلاج.

ونبقى خصوصية كل معالج محاطة بالسرية لما يسمح لنا بتسجيله أو بعدم تسجيله. ومساعدتنا بمعلوماتها كان بإرادة منها، لتساهم في الحفاظ على الموروث الشعبي للتداوي بالأعشاب.

كما تبينا لنا من خلال مقابلة مع عينة من الأشخاص الذين عالجوا عندها، أنهم استحسنوا وصفاتها وعلاجاتها. في الوقت الحالي تتولى إحدى بناتها مهنتها التي توارثتها أمها.

نخلص إلى أن أهم الطرق العلاجية التي تعالج بها السيدة أميحة تعتمد على النباتات الطبية الصحراوية، فكان الحل والترحال من أبرز الأمور التي أكسبتها خبرة التعرف على الأعشاب؛ كما تعتمد على التدليك كطريقة أخرى للمداواة.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدابي المبحوثين في تيديكلت

كما قالت في ختام حديثها لنا: ”أوصيك بالمخيتزة: حفنة (قبضة يد من نبات) مخيتزة (Cleome arabica) في البراد (سعة 50 سل) يطبخ ويشرب مع اضافة نبات القزاح (Pituranthos chloranthus) يندق مع المخيتزة يفيد أمراض الكلى.“

منطقة البركة، عين صالح

المعالجة الرابعة السيدة سكي فاطمة المعروفة بسكنبة، تقرأ وتكتب سيدة تجاوزت الستينيات تسكن بقرية البركة، تبعد عن وسط المدينة عين صالح بـ 5 كم. عرفت كأحد المعالجات المعروفات في مدينة عين صالح.

قالت بأنها: ”متهنت الحرفة بعد معاناة ابنها من مرض أصابه، واستعصت أمور علاجه، وحينها تمت أن تقوم بعلاجه بما أوتيت من قوة وخبرة، مما جعلها تتعلق بممارسة المهنة، بعدما شفي ابنها بمختلف الجهود. وبعد ولوجها في عالم التدابي، ’شيخت’ من طرف امرأة عربية مرابطة، ومنحتها موهبة المداواة. منذ ذلك الوقت وهي تستقبل المرضى في بيتها، أين خصصت غرفة تمارس فيها مهنتها، وهي تحتوي على أغراض الحمامة، وأعشاب طبية طبيعية ومنقوعة، جاهزة للاستعمال.“

تتمثل طرق علاجها، في فحص المريض، وجس نبضه وتمسيد البطن والتحسس للأعضاء البطنية.

وطريقة التمسيد هذه، تشترك فيها مختلف المعالجات بالمنطقة. وهي فحص شامل، مع تبادل أطراف الحديث مع المرض، مع ما يتخللها من نكات، يجعل المريض يسترخي ويبيح ما به من معاناة، في خلوة بينه وبين المعالج. لأن عملية الفحص تتم على انفراد ما بين المريض، وباقي المرضى المتواجدين في قاعة الانتظار، أو في مدخل البيت، وفي بعض الأحيان خارج منزل المعالج، عندما يكون عدد المرضى كثير، يتجاوز العشرين شخص في اليوم.

وقد زدتنا العالجة بالمعلومات التالية:

الفصل التاسع: دور المعالجات الشعبية في تدابي المبحوثين في تيديكلت

جدول رقم 48: بعض وصفات المعالجات الشعبية بمنطقة الدراسة، السيدة سكني

الملاحظة	أهم الوصفات المقترحة للمبحوث	أهم الأمراض التي تعالجها
*الطريقة	فحص لمريض، وجس نبضه تمسيد البطن والتحسس للأعضاء البطنية.	التمسيد
لم تصرح عن بعض الوصفات (سر المهنة).	خليط الأعشاب	معالجة الأمراض الداخلية،
	خليط الأعشاب	أمراض الكلى،
	خليط الأعشاب	الأمراض الجلدية،
	خليط الأعشاب	العقم،
	خليط الأعشاب	الكسور والالتواء
	خليط الأعشاب	الشقيقة
	خليط الأعشاب	أمراض القولون
	الكي	عرق النساء.
		الحروق
وهذه الطريقة متواجدة في الطب العربي الإسلامي كما توجد في الطب الهندي	خليط الأعشاب	العلاج بالاستفراغ 'التحقان'
.		الحجامة الجافة
		تجبير الكسور
	الكي بالسكين المحمي على الجمر وتمريه بسرعة على الجسد في أماكن محددة.	'الخلعة'

* وطريقة التمسيد هذه، تشترك فيها مختلف المعالجات بالمنطقة. وهي فحص شامل، مع تبادل أطراف الحديث مع المرض يتخلل هذا الفحص نكات، يجعل المريض يسترخي ويبيح ما به من معاناة، في خلوة بينه وبين المعالج. لأن عملية الفحص تتم على أفراد ما بين المريض. وكثيراً ما يسمع من

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدابي المبحوثين في تيديكلت

المعالجين القول أثناء عملية التدليك قول 'فيك لرياح' 'عندك لرياح' لذلك يتطلب مرضك التدليك لطرده الأرياح. وتبدأ بالتدليك بالزيت على متسويات مختلفة، كالـبطن والصدر على العموم.

هذه المماالتدليك، يك لا تختلف كثيراً عن طرق التمسيد في بعض المناطق الإفريقية فعلى سبيل المثال في السنغال "في معظم الحالات، يتم استيعاب المرض لعامل قادم من من الخارج ، وغالباً ما توصف بأنها 'رياح سيئة'؛ يدخل في مكان معين في الجسم : ويمشي' في الجسم ويمكن أن يصنع كرات تسبب الأعراض. فمن خلال التدليك ، يعمل المعالج من الخارج على الجسم للوصول إلى المرض. بحركاته الموجهة من أعلى إلى أسفل يجعله يتزل ثم يخرج. سيؤدي هذا إلى تبريد الجسم، حيث تعتبر الحرارة علامة على المرض"¹

ويبرز الباحثون Burtscher D., Heidenreich F., Kalis S عن دراستهم للتدليك أو التمسيد في السنغال المعروف بـ Seereer الدور الرمزي للتدليك والذي يرون بأنه: "ليس عجن بالمعنى الغربي للمصطلح ، بل هو طريقة لتمرير اليدين على الجسم خاصة على الأجزاء المصابة بالمرض. مصطلح Seereer للتدليك، 'يا موس' ، يعني "المداعبة" إنه يشير إلى المعنى الصحيح للأهمية العلاجية بشيء من الحنان بين المعالج والمريض، فيقوم بإنشاء ارتباط وثيق. وقاعدة الثقة، تعتبر ضرورية للشفاء... فهناك الثقة الكامنة بين المعالج ومريضه هي أكثر أهمية بالنسبة إلى العلاج من الأدوية نفسها."²

بمعنى أن الجانب النفسي يلعب دور في كسب هذه الثقة والراحة النفسية اتجاه المعالج تقلل من توهم المرض لمرضه.

أما البعد الاجتماعي لهذا التدليك أو التمسيد للمعالج فهو "تعبير عن إعادة دمج المريض في المجتمع، حيث لأي تدخل المعالج "على مستوى جسم المريض فقط، بل يتم قبوله كسلطة تقليدية واجتماعية تساعد على إعادة دمج المريض في مجتمعه. يعيد التوازن الاجتماعي بين المريض وحاشيته، والذي يعتبر اضطراباً من مسببات الأمراض. فيرى كل من أوج Auge و زنبليني Zempléni أنه

¹ Burtscher D., Heidenreich F., Kalis S. Le massage, une forme de traitement dans la médecine traditionnelle chez les Seereer Siin du Sénégal, *Actes du 4e Congrès européen d'ethnopharmacologie*, 11-13 mai 2000, Metz (France) organisé par la Société française d'ethnopharmacologie, l'Institut européen d'écologie et la Société européenne d'ethnopharmacologie, Éditions Institut de recherche pour le développement (IRD); Société française d'ethnopharmacologie, Paris, 2002, p 341.

² Ibid. p. 341.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

اضطراب بيولوجي واضطراب اجتماعي وبالتالي، يمكن اعتبار لتدليك كرمز لعمل المعالج على الجسم الاجتماعي.¹

والتدليك تقنية كثيرة التداول من طرف المعالجين، حيث "تستحضر بعض هذه الأدوية مبدأً عالمياً: على سبيل المثال، عندما يحدث انزعاج في الأحشاء بسبب اضطراب عظمي عضلي، فحركات معينة على المفاصل ستؤدي إلى شفاء المعدة المضطربة. كما في حالة اعتلال العمود الفقري، كالعلاج بتقويم العمود الفقري واعتلال العظام. وهي تستند إلى تعميم اختزالي يحتوي على شيء يغوي."²

من الناحية العلمية، يفسر أمين رويحة طريقة استجابة الجسم للتدليك فيقول: بأن التبدل في حجم الأوعية الدموية الشعيرية هو عمل الجهاز العصبي النباتي الذي لا سلطان للإدارة أو للوعي عليه. فروع هذا الجهاز العصبي اللاإرادي منتشرة في جميع أجزاء الجسم وهو يعصب كل خلية في جدار الأوعية الدموية الدقيقة وبذلك يرتبط كل حدث بالأوعية الدموية بالجسم كله.³ والتدليك يوجه دائما إلى النسيج الضام حيث يؤثر على الأعصاب النباتية حول الأوعية الدموية فيه.⁴

وقد تمكنا من حضور بعض الممارسات العلاجية بدعوتها لنا قصد الملاحظة في كفاءات وطرق عمل الحجامة الجافة والتشريط وتجبير الكسور وتمسيد الأطفال الصغار الذين تعرضوا للكسور. لاحظنا كيف تقوم بتطهير مكان العلاج قبل أن تبدأ العلاج للمرضى من خلال استعمال النباتات والتي أهمها نبات الشيح.

وحدثنا المعالجة كذلك عن تنقلاتها الشخصية لجمع أعشاب معينة وجمع معلومات أخرى من طرف زملاء لها أكبر خبرة منها حتى تفيد الناس بها.

فمختلف طرق العلاج التي تتخذها هي الأعشاب الحجامة التدليك على الخصوص. من خلال ملاحظتنا الميدانية لفت انتباهنا أن السيدة سكنية في حالات الأمراض المستعصية كالعقم مثلا، تعتمد على التقارير الطبية. كالأشعة / الاكغرافي.

¹ Burtscher D., Heidenreich F., Kalis S., Op. cit, p 342.

² Yves Pelicier, Les exigences de l'objectivité. Revue Science et vie hors-série Les Médecines "Parallèles" publié par Excelsior publications S.A.paris cedex.1985.

³ أمين رويحة، الرومانزم، مرجع سابق، ص ص 18-19.

⁴ نفس المرجع، ص 93.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدابي المبحوثين في تيديكلت

يقصد هذه السيدة الكثير من المرضى فهناك من المستجوبين الذين قابلناهم عندها عبروا عن ارتياحهم لوصفاتها أو لعمليات التدليك التي قاموا بها. كما لاحظنا أن هذه السيدة لا تشترط مبلغ محدد للمعالجة كما تقوم ببيع بعض النقاعات لأعشاب برية صحراوية ومستوردة، لمختلف أمراض الجهاز الهضمي على العموم. لا تتجاوز 200 دج، إضافة إلى بعض الأعشاب المسحوقة لنفس الغرض.

قصر العرب بعين صالح

المعالجة السيدة صديقة شلاي زوجة عثماني، من العرب، تقرأ وتكتب، تعلمت مهنة التدابي من حماها/نسيبتها التي كانت تمتنها من قبل. كما كان زوجها مختص بالحجامة. تمارس التدليك، الحجامة الجافة، والرطوبة. أهم الأمراض والوصفات كما في الجدول الموالي:

الفصل التاسع: دور المعالجات الشعبية في تدوي المبحوثين في تيديكلت

جدول رقم 49: بعض وصفات المعالجات الشعبية بمنطقة الدراسة، السيدة شلالى:

الملاحظة	أهم الوصفات المقترحة للمبحوث	الأمراض التي تعالجها
بعد يومين فقط من الدورة الشهرية	-قرنفل + فيجل + خزامى.	دواء الحمل
	تغلى ثمار الكزبرة ويُشرب ماؤها كل صباح وكل مساء	ضعف ماء الرجل
يشرب مغلي عود قرفة	تشرب الميرمية (شجرة مريم) يومياً أو	لتزول العادة:
	الميرمية، بردقوش، تطبخ وتشرب.	للحمل والبرود:
خلال أسبوع	فلفل أسود، حلبة، حبة البركة، حب الرشاد	وصفة لزيادة فرصة الحمل*:
	النعناع، أم ضريقة، فص ثوم، العرعار	للضغط الدموي
تشرب على الريق.	الينسون، حبة البركة، الكمون، أوراق النعناع،	لازالت الشحم من البطن:
	يستعمل مساج***	للتخلص من البرود
	النوار، السانوج مرحي.	علاج البرود في الرأس:****
	العرعار، أم ضريقة، البساس، حبة حلاوة، يخلط الجميع وينقع في ماء ساخن ثم يشرب	وصفة للقولون:
	وصفة مركبة****	دواء الخلعة:
.	وصفة مركبة*****	دواء السكري:

الفصل التاسع: دور المعالجات الشعبية في تدوي المبحوثين في تيديكلت

* وصفة للحمل: كابوية يابسة، عش القرعة يابس، زريعة الكتان، زريعة الجزر، زريعة اللفت، طلع النحل، خزامى، ألاة، الحنة. يخلط مع العسل. للرجل والمرأو.

** وصفة أخرى للحمل: كمية متساوية من فلفل أسود، حلبة، حبة البركة، حب الرشاد، يطحن كل واحد من المكونات على حدي، ماعدا حب الرشاد، لا يطحن. يخلط الكل وتأمل ملعقة كل صباح. ملعقة متوسطة في اليوم الثالث من العادة من اليوم الرابع إلى أن ينقطع الطمث. تشرب لمدة عشرة أيام مغلي شجرة مرهم (مريمية). وتأكل لمدة 4 أيام الأناناس. 4 غ ذنب الخيل.

*** تخلط الدهينة الصفراء، الدهينة الخضراء والفازلين. ثم يحمص الزنجبيل العود لبيض، القرنفل النوار' ويطحن ويغربل ثم يمزج مع الدهينة.

**** الخزامى، الحنة، النوار، السانوج، الشيخ، الخل، زيت الزيتون. وصفة أخرى تتكون من:

-حبة بصل حمراء كبيرة، خل، زيت الزيتون، الشيخ، الحنة.

***** البابونج، سواك النبي، زريعة البساس، كل عشبة بمقدار ثلاث ملاعق، يسحق الكل وتؤخذ منه ملعقة صغيرة كل يوم في كأس حليب.

***** الجعيدة، الرنء، أم ضريقة، ذرور، اليازير، قشور نشينة، بسباس، قشور رمان، ورق الحنة، ورق نعناع، قصير، حبة حلاوة، قشر الليمون، ورد، قليل من الحلبة، نبات الضمران.

المعالجة السيدة مبروكة عسكري

السيدة مبروكة عسكري، من مواليد مدينة المنيعه سنة 1943. تقرأ وتكتب، درست لدى الأخوات الراهبات بمركز النسيج. ورثت مهنة المعالجة من أمها وأختها الكبرى الزهراء، أين عرفت هذه الأسرة في المنيعه بمعالجة الأطفال الصغار، وعملية التربعين للنفساء، أي ممارسة بعض الوصفات والعادات للمرأة بعد الولادة وللمولود الصغير، احتفالاً بانقضاء فترة النفاس. سكنت السيدة مبروكة منذ الستينات بعين صالح، اشتهرت بالتمسيد والتدليك والحجامة الجافة.

الفصل التاسع: دور المعالجات الشعبية في تدابي المبحوثين في تيديكلت

الجدول رقم 50: بعض وصفات المعالجات الشعبية بمنطقة الدراسة. السيدة عسكري

الأمراض	الوصفات	الملاحظة
النفساء	لف وتدثير وتدليك النفساء	يتم لف وتدثير النفساء بواسطة حبل خاص من وبر الإبل
التواء المفاصل	تدليك	يتم بهذه المعالجة الشخص الذي أنجب التوأم، وهي عادة متداولة في المنطقة.
الحجامة الجافة للسرة، لتنشيط الجسم	تستعمل أكواب، أو بالزير، زيت، وصرة تحتوي على الملح.	بعد تدليك للبطن، توضع الصرة المبللة بالزيت فوق السرة، وتشعل بالنار وتغطي بسرعة بالكوب أو بالزير، حتى تتم الحجامة الجافة على مستوى البطن

اختصت السيدة مبروكة كذلك بإعداد شراب الأعشاب الخاص بشهر رمضان والمسمى 'بدفي' وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل السابق. فكون السيدة تنحدر من منطقة المنيعه، حيث يشتهر سكانها بإعداد هذا الشراب، فنقلت هذه التقنية في الإعداد إلى عين صالح.

بالإضافة إلى إعداد وتحضير ملح العيد، وقد سبق ذكره في الفصل السابق وهي طريقة اكتسبتها بمنطقة عين صالح بعدما قدمت إليها. وملح العيد تقول السيدة مبروكة التي تحضرها بأربعين عشبة من بذور وحبوب وجذور وأوراق النباتات إضافة إلى 'الملح الحية' المستخرجة من السباح، وكذلك ملح البحر. نطحن كل المكونات قبل يوم عرفة، وتوضع الملح المطحون وفوقها سكين إلى يوم الغد، حيث يوزع عشر الملح على الجيران ويستعمل الباقي في لحم الأضحية المشوي منه والمقلي، لتفادي التخمة. يحتفظ ببعض هذه الملح لمعالجة أمراض الحلق، بواسطة لعق الملح.

يفسر ذلك أن الملح الممزوج بالأعشاب، والذي أعد في يوم من أيام أشهر الحرم، وفي خير أيام عشر من شهر ذو الحجة، يتضمن العديد من الأبعاد، ومنها البعد اجتماعي يتمثل في مشاركة الآخرين في الاحتفال وإعداد ما يلزم للوقاية من الأمراض في يوم عيد الأضحى. كما أن له بعد ديني

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

لما يتضمنه هذا الشهر من شعائر وتجليات، بالإضافة إلى البعد الثقافي والعادات والتقاليد التي ترافق تحضير ملح العيد في تراث وفي معتقدات مجتمع تيديكلت.

قصر المرابطين: السيدة ناصري سهام، من مواليد 1981 بمدينة تيميمون، مستوى دراسي ثالثة ثانوي شعبة آداب وفلسفة. التحقت بالمعهد التكنولوجي المتوسط الزراعي تيميمون. كما تعلمت مهنة التداوي بالأعشاب من أحد الأقارب وتشيخت* على يد أربعة نساء. كما أن لها أخت تعالج بالحجامة. وقد تعلمت المهنة على يد سبعة (7) أشخاص منهم رجال ونساء.

جدول رقم 51: وصفات مقدمة من طرف السيدة ناصري سهام:

الوصفات	الأمراض
المرمرية، غذاء ملكة النحل، طلع نخيل حبوب اللقاح، الجنسنغ. -الحجامة الرطبة	أمراض النساء: الدورة الشهرية، التأخر في الإنجاب -نشاط المبيض -لتقوية المني رق النسل
-الحجامة الرطبة	-السحر
	-الأمراض الجلدية
الحجامة الرطبة	-عرق النساء
الحجامة الرطبة	-الغدة النخامية
الحجامة الرطبة	آلام المفاصل
المرمرية، البردقوش.	-كل الأمراض
الحجامة الجافة	-تصلب الشريان لدى النساء
الحجامة الجافة	-التريف الدموي
الحجامة الرطبة	-الشقيقة

هم الأمراض التي تعالجها: العادة الشهرية، التأخير في الإنجاب، أمراض جلدية، آلام المفاصل.
*تشيخت: ففي فقه اللغة نجد كلمة: "الشَيْخَة وهي التي استبانت فيها السن. وقيل: هي من خمسين إلى آخر عمرها، أو إلى الثمانين، وقد شاخت تَشِيخًا، وشَيَّخَتْ وتَشِيَّخَتْ"¹.

¹ حسين يوسف موسى و عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ج.1، ط. 4، مكتب الإعلام الإسلامي، ص 17.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدابي المبحوثين في تيديكلت

أما ما يقصد به لدى العامة فليس ببعيد عن هذا التعريف من حيث نقل موهبة العلاج والتداوي من امرأة كبيرة في السن الى شخص رات فيه بواذر حمل المشعل بفضل فراسة المعالجة او لرؤيا راتها.

الساهلة التحتانية، شمال غرب عين صالح السيد عزاوي في عقده السابع، يعد من أبرز جابري الكسور بعين صالح، يقطن في الساهلة التحتانية التي تبعد عن عين صالح بـ 10 كم. يقصده الكثير من المرضى المكسورين، لعمل الجبيرة، وقد تقابلنا مع بعض المبحوثين الذين عالجهم السيد عزاوي، بعدما زاروا المستشفى قبل كل شيء، إلا أنهم تحسنا بالفعل بعدما مارسوا العلاج التقليدي. تروي لنا السيدة فضيلة ب. بأنها تعرضت لكسر على مستوى الحوض، في حادث مرور، وكانت داخل السيارة التي صدمتها شاحنة، فتسبب لها في شق، لم يتبين في الأشعة، إلا أن السيد عزاوي استطاع أن يدرك أن هناك كسر، من خلال الاستعانة بتقنياته الخاصة في معرفة حالة الكسر.

-تقنيات التشخيص: يعتمد المعالج على الإصغاء التام للمريض، بعدما يطلب منه تحديد مكان الألم ووصف معاناته بدقة. بعد ذلك يقوم المعالج بإعداد صندوقه المتواضع ليبدأ في عملية الجبر.

-أدوات العلاج: يستعين هذا الجابر بالطين المحلي (الطين الأبيض، الطين الأخضر)، وزيت الزيتون وقطعة قماش. يقوم بعجن الطين ويجعلها مكان الكسر، ثم يضع قطعة القماش في ماء دافئ ويضعها على الطين، حتى تبرد ويعيد الكرة عدة مرات، وفي آخر مرة يضع تلك القطعة محل الكسر، ثم يغلفها بالطين. تظل هذه الجبيرة إلى أن يرى المعالج شفاؤه من خلال الموهبة التي اكتسبها.

-قابلنا شاب أصيب بفحص على مستوى القدم، ووصف لنا كيفية علاج السيد عزاوي له.

يقول السيد (ه. م)، 25 سنة: "كان بسخن الماء ويضع الطين، ثم يدهن بزيت الزيوت بعد تسخينه ويدلك ويمسد الرجل والعروق ثم يضع الطين في أماكن محددة. بعد ذلك يلفها بضمادات باستعمال الطين الساخن ويطرعه بعد 4 أيام."

-تجدر الإشارة أن السيد عزاوي، الوحيد في العائلة، من يقوم بتجبير الكسور. سكان المنطقة يثقون في جابر الكسور بمنطقتهم، فسواء زاروا المستشفى أم لم يزوروه، يصر أفراد المجتمع بضرورة زيارة هذا السيد. فالثقة هنا تلعب أكثر من عامل نفسي لشفاء المريض.

كما أن هناك من يقصد السيد أكاسا أحد ممارسي العلاج التقليدي بمنطقة تمنراست، التي تبعد عن المنطقة بـ 700 كم لطلب العلاج عنده. يعالج السيد أكاسا الكسور بالدقيق 'الفرينة' والبيض.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

منطقة الساهلة التحتانية، شمال عين صالح

السيدة السودانية وهي سيدة وافدة للمنطقة، تعود أصولها إلى بلدان السودان، (مالي، أو النيجر) لذلك تكنى هذه السيدة بهذا الاسم.

يعتبر التدليك، والتدثير والشد بحزم لشاش، من أبرز الاستعمالات العلاجية التي تقوم بها هذه السيدة، بالإضافة إلى النباتات الطبية التي تصفها للمرضى. تنيم هذه السيدة بالقرب من جابر الكسور، بمنطقة الساهلة التحتانية يقصدها النساء على الخصوص لتعالجهم، أين يفضلون التدليك عندها، حتى يشعرون بتحسن.

تعالج مرضاها بزيت الزيتون والحجامة الجافة والعسل. تستعين بتدثير المرضى بقطع طويلة وعريضة من القماش. كما أنها تستعين بجبل (الحبل معلق بخشبة) يشده المريض، قصد التأهيل الحركي.

تعالج الرضوض والشقوق في الجسم بالطين الأحمر والتي يسمونها بالحميرة (الطين الأحمر يجلب من النيجر) 'العلك' الصمغ والعسل. تعالج العقم، وأمراض النساء والأطفال بالنباتات الطبية المحلية والجلوبة/ المستوردة والمتوفرة عند بائعي الأعشاب الذين تتعامل معهم في توفيرها من مختلف مناطق الوطن، ومن خارج الوطن، خاصة المالي والنيجر عبر تمناست.

منطقة الساهلة، شمال شرق عين صالح

السيد بالمبروك، وهو في الخمسينات من العمر يسكن منطقة الساهلة، اهتم بالأعشاب والنباتات الطبية، وكذا الرقية الشرعية. كانت ممارسته للعلاج بمختلف هذه الطرق، قد سمحت له بأن يفتح محل الأعشاب بشكل ممنهج في وسط المدينة. يقصد السيد بالمبروك الكثير من المهتمين بهذا الجانب، فيعالج بالرقية والحجامة على الخصوص.

منطقة تمناست

المعالجة السيدة هني فاطمة: معالجة شعبية متنقلة، عرفت في منطقة تمناست وعين صالح، التقينا معها في مناسبة عائلية، سمحت لنا لفرصة أن نجري معها مقابلة، وملاحظة بالمشاركة أثناء قيامها بمعالجة المرضى الذين توافدوا عليها، لمعاينتهم في تلك المناسبة.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدوي المبحوثين في تيديكلت

سميت السيدة فاطمة بتهني نسبة إلى ما لقب به والدها. وقد ولدت سنة 1972، ورثت مهنة التدوي بالأعشاب عن عائلتها منذ صغر سنها. نعد هذه المعالجة من أهم المعالجين التقليديين بمنطقة تماراست، ونظراً لاستفادة البعض من علاجها، يكثر عليها الطلب في البلدان المجاورة، لذا تنتقل بين الحين والآخر إلى أماكن أخرى لمعالجة المرضى الذين يطلبون مساعدتها، فتقوم بممارسة مهمتها بالتنقل من بلد لآخر وخاصة منطقة تيديكلت ومعالجتها تتم بطلب مبلغ معروف لدى المعالجين.

ومن بين الأمراض التي تعالجها ما يلي: الحميات، 'برد العظام' الروماتيزم، الالتواء، القولون، التقرحات، العقم، التدليك علاج أمراض أخرى.

بعض الأدوية التي تعالج بها:

الحلبة، الكزبرة، كوهمني(التبلدي) أو البواباب، البشنة/أينلي، السفوف/التمر الجاف، أم ضريقة/الكمون الصحراوي، تيزليت(قرون الأكاسيا) /تاهرت، أقار.

بمنطقة اينغر (عين غار)غرب عين صالح

تبين لنا من الزيارة الميدانية لمنطقة اينغر أنه كان هناك ممارسين تقليديين وخاصة النساء. كانت من بينهم سيدة من بدو الطوارق عرفت بالسيدة 'التارقية' رحمها الله. ثم خلفتها أختها التي بلغت من الكبر عتياً فلم تعد تعالج، نظراً لكبر سنها. ثم عرفت امرأة أخرى من الممارسات الشعبيات بهذه المنطقة.

السيدة بوية، نوفيت منذ ثلاث سنوات، وكانت تعالج النساء والأطفال، اكتسبت المهنة من امرأة من العرب، شيختها واصبحت تعالج مرضى منطقة اينغر.

تقابلنا مع إحدى بناتها، وقد علمنا من حوارنا معها أن أختها تتمهن المعالجة الصحية ولكن بوتيرة أقل، إلا أننا اكتشفنا خبرتها في بعض النباتات وفوائده الصحية، مما يدل على أن هذه المهنة متوارثة من الأم إلى البنت، وسيأتي اليوم الذي تبرز فيه هذه الموهبة -ربما- في المستقبل.

المعالجة السيدة ماسنا، وافدة للمنطقة تسكن منطقة فقارة الزوى. اكتسبت خبرتها بفضل 'الشيخ' وبدأتتقوم بمعالجة المرضى، وهي تسكن بفقارة الزوى. لم تتسنى لنا مقابلتها، ولكن حوارنا

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

مع سكان الحي أخبرونا بعلاجاتها، خاصة المعالجات المعروفة بالمنطقة. لأن الأخبار تتداول بسرعة في المناطق المعزولة. وقد علمنا من تلك المقابلات بأن هناك من يقصد المعالجة الجديدة بالمنطقة.

فحب الاطلاع على كل ما هو جديد من صفات البشر، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالصحة وأحوالها، وبالخصوص في المجتمعات النائية. هذا من وجهة نظرنا، لأننا لاحظنا أن هناك من يقصد المعالجين كمكتشف لما يجول من أحداث حول المرض، والوصفات العلاجية الجديدة، ثم إجراء المقارنة بين غيرهم.

الرقاة: هناك العديد من الرقاة بالمنطقة وخاصة ممن يشتغلون بالإمامة أو تدريس القرآن. فهم يقومون بالرقية الشرعية للعائلة فقط أو على المستوى العام.

للإشارة، فقد ارتأينا أن نترك المجال مفتوح للباحثين لدراسة الموضوع في مجال الرقية لأننا بصدد البحث في التداوي بالأعشاب، بالرغم من أن بعض الرقاة يستعينون ببعض الأعشاب والزيوت المرقية كنبات السدر وزيت الزيتون، إلا أننا لم نتعمق كثيراً في مجال الروحانيات.

قال سعيدان التومي -رحمه الله- عن المعالجين التقليديين بمنطقة تيديكلت المهتمين بتراث المنطقة أن "الطبيب حكيم تقليدي من العشيرة أو القرية يقوم بالمداواة التطبيب معروف بالحكمة والتجربة الطويلة، في مجال العلاج. وقد يختلف العلاج لدي كل مداوي طبيب. منهم من يداوي بالنار أي الكي، ومنهم من يداوي بالأعشاب أو بالآيات القرآنية أي الرقية ومنهم من يستعمل الطين للمكسور و'المفدوع'/'بالتلميص'* العضلي وكلهم يقومون بذلك في سبيل الله."¹

تبين لنا من خلال الدراسة الميدانية، أن المعالجين الشعبيين يمثلون فئة معروفة في مجتمع الدراسة.

وكما سبق وأن أشرنا في فصل سوسولوجيا المعالجين بالأعشاب في الباب الأول، أن المعالجين الشعبيين أو التقليديين في الوقت الحاضر، أصبح من اهتمامات المنظمات العالمية، كمنظمة منظمة الصحة العالمية، التي وضعت إستراتيجية للطب التقليدي 2014-2023. وكانت الصين الرائدة في تدريس الطب التقليدي حيث يتم تدريسه "في 27 جامعة ويتم توزيعه في المستشفيات المتخصصة،

* الوثي أو التواء مفصل في اليد أو الرجل.

¹ التومي سعيدان، سكان تيديكلت والاتكال على النفس، ط.2 العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2012.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدوي المبحوثين في تيديكلت

وقد تطورت لأكثر من 2000 عام وتعايش مع الطب الغربي الحديث. لقد ساعدت المشاركة الرسمية للسلطات الصينية في تعميق روابط بهذا الطب التقليدي¹

ارتأينا أن نشير إلى بعض النقاط التي تصب في محتوى هذا الفصل، فيما يتعلق بالواقع العالمي للمعالجين الشعبيين أو التقليديين؛ حيث أطلقت هذه المنظمة، مصطلح ممارسي الطب التقليدي (الشعبي) "وبالأجنبية نراديراتشيان أو تراديثيرايوت"²

Traditional medical practitioners/ Praticiens de médecine traditionnelle)

الطب الشعبي والممارسين الصحيين الشعبيين من منظور منظمة الصحة العالمية

توصلت مسوح ودراسات منظمة الصحة العالمية إلى أن المعارف والممارسات الخاصة بالطب التقليدي التي "لا تزال تُتناقل شفهيًا، بين الممارسين الصحيين الشعبيين للإقليم الإفريقي، منذ أجيال عديدة. لكن بعض البلدان عمدت خلال السنوات الأخيرة إلى تقوية البرامج التدريبية بهدف تطوير المعارف للممارسين الصحيين الشعبيين. إضافة إلى ذلك، فإن الطب التقليدي (الشعبي) في بعض البلدان، قد أُدرج في المناهج الدراسية الجامعية لطلبة الأقسام المعنية بالصحة."²

من بين هذه البلدان "دول غرب إفريقيا؛ كجمهورية الكونغو الديمقراطية، وجوب أفريقيا، وتزانيا تُضمّنُ الطب التقليدي (الشعبي) في المناهج الدراسية الخاصة بطلبة الصيدلة والطب. وبغية دعم الدول الأعضاء في توجيهها نحو التدريب الجيد، قامت المنظمة بنشر سلسلة من المعايير، الدلائل الإرشادية التدريبية حول الموضوع."³

وكانت "أول الدراسات للأدوية الأفريقية والتي جمعت رئيس الوزراء الرئيسي، وقد وضعت من قبل منظمة الوحدة الأفريقية في عام 1985"⁴

وأوضحت المنظمة بأن هناك "طلب شديد على ممارسات الطب التقليدي (الشعبي) وممارسيه في جميع أنحاء العالم. ففي استراليا تزايدت بسرعة ملحوظة الزيارات التي يستقبلها مهنيوا الصحة

¹ Actes du 4e Congrès européen d'ethnopharmacologie, 11-13 mai 2000, Metz (France) P 14

² منظمة الصحة العالمية، استراتيجية للطب التقليدي 2014-2023.

³ نفس المرجع.

⁴ Camara Mohamed Karfalla, *Médecine traditionnelle*, DEA de Phytothérapie et Pantes Médicinales, université Gamal Abdel nasser de conakry, Guinée, 2011, p 13.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تداوي المبحوثين في تيديكلت

التكميلية. كالمختصين بالوخز الإبري وممارسي الطب اليدوي، والمداويين الطبيعيين، بزيادة بلغت 30% خلال فترة 1995-2005، عندما سجلت 750 000 زيارة خلال فترة أسبوعين.¹

أما في الصين فقد بين مسح وطني "أن عدد الزيارات الخاصة بالطب التقليدي (الشعبي) التكميلي قد بلغ 907 ملايين في عام 2009 من مجموع الزيارات الطبية للمؤسسات التي شملها المسح؛ وهو ما يشكل 18% من مجموع الزيارات للمؤسسات التي شملها المسح؛ كما بلغ عدد مرضى الطب التقليدي والتكميلي الداخليين 13.6 مليون شخص أو 16% من مجموع المستشفيات التي شملها المسح."²

أما في "جمهورية «لاو» الديمقراطية الشعبية يعيش 80% من السكان مناطق ريفية تضم من 9113 قرية : في كل قرية منها ممارس أو ممارسان في مجال الصحة الشعبية. ويقدم ما مجموعه 18226 ممارساً صحياً شعبياً جانباً كبيراً من خدمات الرعاية الصحية لحوالي 80% من مستلزمات صحة السكان . وأما في المملكة العربية السعودية فقد أظهرت دراسة أجريت مؤخراً أن كل فرد يدفع من جيبه 560 دولار أمريكي كل عام لقاء خدمات الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي."³

"كما يلعب الطب الشعبي في العديد من البلدان النامية "دوراً هاماً في تلبية احتياجات السكان من الرعاية الصحية الأولية؛ ولاتزال أنماط نوعية من الطب التقليدي (الشعبي) تستعمل هناك منذ أمد بعيد"⁴

¹ منظمة الصحة العالمية، مرجع سابق.

² نفس المرجع .

³ نفس المرجع

⁴ منظمة الصحة العالمية، مرجع سابق.

الفصل التاسع: دور المعالجين الشعبيين في تدوي المبحوثين في تيديكلت

النتائج الجزئية

توصلت الدراسة إلى أن المعالجين الشعبيين بمنطقة تيديكلت لكلا الجنسين، ذكور وإناث، وقد صنفوا بحسب المقاطعات / الدوائر الثلاث لمنطقة تيديكلت عين صالح، فقارة الزوى وإنغر. كما ينتمون إلى المنطقة وخارجها، وإلى ثقافات متنوعة.

كما تبين لنا أن هناك علاقة بين المبحوثين والمعالجين الشعبيين في مجتمع نيديكلت، حيث يعتبر المعالجين الشعبيين الفئة الاجتماعية الأكثر بروزاً في مجال التدوي بالأعشاب. وللمبحوثين دراية بهذه الفئة الاجتماعية وبتخصصاتها؛ وذلك يفسر، أن هناك تجانس قى المجتمع، وهذا التجانس يفتح مجال لتبادل المعلومة بين أفراد المجتمع. إضافة إلى أن المبحوثين يزاولون زيارة المعالجين بغض النظر عن جنسهم وسنهم وحالتهم العائلية.

كما تبين لنا أن المعالجين الشعبيين يشتركون في نشاطاتهم العلاجية كباقي المجتمعات التقليدية في نواحي العالم كما أقرت ذلك منظمة العالمية للصحة.

وكما قال YVES PELICIER:

« La santé est un bien très précieux. La thérapeutique ne s'improvise pas. Il n'y a pas de méthode miracle. Il n'y a que des méthodes vérifiables, répétables, testables. Le reste est du domaine de la croyance personnelle. Cela n'est pas forcément à rejeter mais il faut savoir à quel niveau d'objectivité on entend se situer. ».

الإستنتاج العام

الإستنتاج العام

ان التداوي بالأعشاب بمثابة حجر الزاوية لكل ما نشهده من تطور حالي للعلاجات المختلفة. فكل حضارة وضعت أسس تابعة من تجاربها الخاصة أو من خلال احتكاكها بالمجتمعات الأخرى، في ظروف مختلفة ناتجة عن الحرب أو السلم. نتج عن ذلك تراكم تراث ثقافي متنوع جداً في فنون العلاج، التي تداخلت هي الأخرى وامتزجت بالمعتقدات والروحانيات وغيرها من الطقوس المصاحبة للتداوي بالأعشاب أو التداوي بفنون أخرى، لهذه الصناعة التي تركت بصمتها الى يومنا هذا، وخلدت في وصفات دوائية تتداول إلى يومنا هذا، كأدوية العين التي انفرد بها الفراعنة وعرفت مصداقيتها.

كما تواصلت بعض الوصفات عبر الزمن في الظهور، ولكن مع تغيرات رافقتها. مثلت الطقوس والممارسات في بعض المناسبات الاجتماعية والدينية. ومنها الاعتقاد بالأولياء، وتصورات بعض الأمراض المستعصية، كالعقم وبعض الأمراض الجلدية، والسرطنات... الخ، وكيفية معالجتها بطقوس معينة، الخ.

إن البناء الاجتماعي في مختلف المجتمعات يعتمد في تنظيماته على المعالين التقليديين الشعبيين فهم متواجدين لتقديم خدمة للمجتمع فيما يتعلق بالحماية أو الوقاية أو المعالجة.

منحت المكانة التي يحظون بها في المجتمع، بعداً رمزياً يتضمنه الموروث الثقافي للطب الشعبي لأي مجتمع. وتبقى الأسرة أو العائلة والقبيلة أساس تداول هذا المورث والمحافظة عليه وبقائه جيلاً بعد جيل.

أن التداوي بالأعشاب أو النباتات بمنطقة تيديكلت له أبعاد اجتماعية تبرز في النظام الاجتماعي وفي مختلف سلوكيات أفراد المجتمع التي تهدف للحفاظ عليها من خلال الممارسات في الحياة الاجتماعية. فهو يحمل في طياته موروث ثقافي تشارك فيه ثقافات متعددة، مما يدل على التمازج الثقافي بين الشعوب، أو ما يصطلح عليه بالتثاقف.

فمن ناحية الوصفات التي تستخدم في لكل مناسبة اجتماعية تهدف إلى تحقيق ظروف صحية أفضل في ظروف بيئية طبيعية صعبة، تتطلب التواءم مع يحيط بالمجتمع. وأغلب الوصفات تهدف كذلك للوقاية

الاستنتاج العام والخاتمة العامة

أو الحماية مما سيكون قادم. ومنها الأمراض البيئية في الغالب، كالأضرار التنفسية، والحساسية الأمراض الجلدية، أمراض الروماتزم، وأمراض الجهاز الهضمي.

التعرف على الخصائص الطبيعية تسمح لنا بتفسير وضع الانسان في بئته ومدى تفاعله مع عناصرها، كما تبين لنا مختلف استعمالاته لهاته المصادر الطبيعية المحيطة به. فالبيئة تأثر وتتأثر بوجود الكائن الحي، خاصة الإنسان بصفته المتسبب المباشر في مختلف التغيرات الواقعة على البيئة بصفة عامة وفي المناطق الصحراوية بصفة خاصة، مما يدفعه للبحث عن وسائل راحة.

التداوي بالأعشاب في مجتمع تيديكلت (عين صالح)، كما لاحظنا، يتأثر بالأنماط السلوكية الاجتماعية السائدة في المجتمع، بما فيها من عوامل بيوثقافية أثرت على ممارسات أفراد المجتمع في تعاملاته وتوجهاته اتجاه صحته في الحياة اليومية وفي نظمه الاجتماعية كنظام الزواج والعائلة وما يتضمنه من مجالات ثقافية متنوعة وممارسات تتم في مناسبات سيرورة الحياة، من خطبة وزواج وختان وحج واحتفالات اجتماعية ودينية. فلا يخلو أي تقليد في أغلب تقدير من حضور الأعشاب في طقوس الحياة الاجتماعية ومسارقتها، ولادة مرض ووفاة.

واستنتجنا من هذه الدراسة أن التداوي بالأعشاب بمنطقة تيديكلت، ينتهج في الغالب الطب العربي الإسلامي المرتكز على القرآن والسنة؛ إضافة إلى ممارسات قديمة زودت ونقحت بمعلومات مستحدثة بفضل العولمة، كالإعتماد على التشخيص الطبي، الاستفادة من البث السمعي والبصري.

فكما قال حلبي عبد القادر: "وليس المقصود إحلال الطبابة القديمة محل الطبابة الحديثة، لما بينهما من فرق كبير، إذ من المعروف أن العلوم الطبية الحديث قد بلغت شوطاً بعيداً في التقدم والتصحيح بعد التحقيق والتدقيق والتصويب واكتشافات المخابر المتطورة التي لازالت تطالعنا كل يوم بمعلومات عن حقيقة الأمراض المختلفة وباختراع الأدوية الأنجع لها. وبهذا يكون من الضروري استنصاح ذوي الخبرات والأطباء والأخصائيين في معالجة الأمراض، خاصة الخطيرة منها، كما يجب مشاورتهم في استعمال الأدوية لما لها من مضاعفات معقدة"¹

والغرض من هذا الاهتمام بالموروث الطبي الجزائري ليس التخلي عن الطب الحديث، إنما الغرض منه تطوير تلك المعطيات باستخدام أجهزة الكروماتوغرافي لتعرف عن النباتات المستخدمة في الطب الشعبي وخصائصها بما يفيد في تطوير الصناعة الدوائية ويفيد المجتمع.

¹ حلبي عبد القادر، النباتات الطبية في الجزائر، ط.2، بيرتي للنشر، الجزائر، 2014، ص 5.

الاستنتاج العام والخاتمة العامة

التداوي بالأعشاب وممارسيه له مكانته في مجتمع تيديكلت. فالمعالجين الشعبيين يحظون بمكانة في المجتمع وساهم في ذلك الدور الذي يلعبه المعالج في وسط بيئي تعذرت فيه الظروف لوجود بديل علاجي يقضي على بعض الأمراض المستعصية، كالعقم.

تكمن أهمية هذا الموضوع، إلى العودة القوية للميراث الطبي التقليدي أو الإثني أو العرقي، وما يكمن فيه من معلومات تكتشف من خلال الرجوع إلى ما خلفه السابقون من مشاهدات وتجارب وخبرات، تجرى عليها اليوم بحوث مخبرية، أثبتت فعاليتها في عدة بحوث علمية دولية، والتي دعت في توصياتها إلى الاهتمام بتراث الأجداد لمعرفة المزيد عن هذه المكونات. وقد استشهدنا بدراسة سييستون في منطقة الشاوية في رسالته (الإثنوفارماكولوجية) حول التداوي بالأعشاب بمنطقة الأوراس، في القرن التاسع عشر "لاتزال تغذي الأبحاث الصيدلانية في القرن الحادي والعشرين".¹ مؤخراً تم وضع توصيات في ورشة عمل بجامعة تلمسان حول النباتات الطبية والعطرية والتوابل² والتي من بينها هذه التوصيات:

- تطوير العلاقة مع العالم الاجتماعي والاقتصادي في عملية بحث مفيد للصناعة؛
- تشجيع البحث في الشركات والمشاريع البحثية المشتركة مع الاجتماعي والاقتصادي ، مع التفكير في النصوص اللازمة لإكمال أطروحات البحث والتطوير في مجال الأعمال بنجاح ؛
- تنظيم وتشريع عالم الأعشاب والطب التقليدي في من خلال إنشاء النصوص المتخصصة، وكذلك التأهيل والتدريب الخريجين في هذا المجال.
- جعل قطاع النباتات الطبية والعطرية والتوابل قطاعاً استراتيجياً في الجزائر.
- اقتراح دراسات استقصائية عرقية نباتية وعرقية دوائية حول استخدام النباتات الطبية والعطرية والتوابل في الجزائر وتجميعها في قاعدة بيانات للإستخدامات التقليدية وفقاً لبروتوكول ناغويا و APA (الحصول وتقاسم المنافع).

¹A. HELMSTADTER. **Ethnopharmacology in the work of Melville William Hilton-Simpson (1881-1938) - historical analysis and current research opportunities.** Pharmazie 71: 352-360 (2016) doi:

10.1691/ph.2016.6533

² 6ème Workshop International MGIBR sur les Plantes Aromatiques, Médicinales et Condimentaires, qui aura lieu, les 21 et 22 décembre 2020 en [Webinar](#) 691/ph.2016.6533

الاستنتاج العام والخاتمة العامة

بروتوكول ناغويا المعارف التقليدية المرتبطة بالموارد الجينية:

((يتناول بروتوكول ناغويا المعارف التقليدية المرتبطة بالموارد الجينية من خلال أحكام الحصول، وتقاسم المنافع الإمتثال. كما يتناول الموارد الجينية في الحالات التي يكون فيها للشعوب الأصلية والمجتمعات المحلية الحق في منح حق الحصول عليها. وعلى الأطراف المتعاقدة في بروتوكول ناغويا اتخاذ تدابير لضمان الحصول على الموافقة المسبقة عن علم لهذه المجتمعات والتقاسم العادل والمنصف للمنافع، مع مراعاة القوانين والإجراءات العرفية، فضلاً عن الإستخدام المألوف للموارد الجينية وتبادلها.

سيساعد بروتوكول ناغويا، من خلال ما يحتوي عليه من أحكام واضحة بشأن الحصول على المعارف التقليدية المرتبطة بالموارد الجينية، سيساعد في تعزيز قدرة الشعوب الأصلية والمجتمعات المحلية على الإستفادة من استخدام معارفها وابتكاراتها وممارساتها. وسيوفر بروتوكول ناغويا أيضاً حوافز لتعزيز وحماية المعارف التقليدية من خلال التشجيع على إعداد بروتوكولات مجتمعية، ومتطلبات دنيا للشروط المتفق عليها بصورة متبادلة وأحكام تعاقدية نموذجية تتعلق بالحصول على المعارف التقليدية المرتبطة بالموارد الجينية وتقاسم منافعها.)*

* عن الاتفاقية المتعلقة بالتنوع البيولوجي 2011: <https://www.cbd.int/abs/infokit/revised/web/factsheet-nagoya-ar.pdf>
النفاذية وتقاسم المنافع يمكن الاطلاع على النص الكامل لبروتوكول ناغويا على العنوان التالي:

الخاتمة العامة

وصلنا إلى نهاية البحث العلمي المتعلق بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب بمنطقة تيديكلت (عين صالح) بالجزائر، الموضوع الذي وقع اختيارنا عليه؛ والذي عانينا فيه الكثير حتى تتمكن من جمع مادته العلمية المتعددة والمتنوعة، والتي تمس مختلف التخصصات العلمية بشكل مباشر وغير مباشر، كعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافي وعلم النبات والتي نرجو أن تنال استحسان القراء الكرام.

كان موضع التداوي ببعديه الاجتماعي والثقافي محور الرسالة، لما له من أهمية في وقتنا الحالي، الذي عرف هبة قوية على المستوى العالمي، وعودة ملفقة للبحث في مادته؛ في التراث الأدبي والعلمي والتاريخي للتداوي بالأعشاب والنباتات. حاولنا بما أمكن تسليط الضوء على تحليل وتفصيل مدى السلوكيات المتخذة في مجال التداوي بالأعشاب برمزياتها وطقوسها وسيرورتها في الحياة، فرغم ما وصل إليه الطب الأكاديمي من تطور، إلا أن العودة للنباتات واستعمالها يطفو للسطح كأحد السبل الآمنة للعلاج وتدبير الحياة

ونحن نشد من هذا البحث التعمق في دراسة هذه السلوكيات في التداوي؛ من أجل الرقي إلى نتائج علمية يستفاد منها في شتى مجالات الحياة، الصحية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية، بالتركيز الجوانب الاجتماعية وأنظمتها المختلفة، بتسليط الضوء على هذه الممارسات في الحياة الاجتماعية.

إن التداوي بهذه الأعشاب أو النباتات بمجتمع تيديكلت، يحمل في طياته موروث ثقافي تشارك فيه ثقافات متعددة، مما يدل على التمازج الثقافي بين الشعوب، أو ما يصطلح عليه بالثقاف بـجوانبه الإيجابية التي تكمن في تبادل الخبرات العلاجية والاستفادة منها. وفي ضوء ذلك وضعتُ توصيات؛ ومن أبرزها الاستعانة بالوصفات المطروحة من طرف المبحوثين وإجراء دراسات مخبرية للإثبات فعاليتها العلاجية. والاهتمام بدراسة التراث الثقافي لمثل هذه المجتمعات من أجل الاستفادة من المعارف المحلية وتشجيع التوثيق العلمي لمثل هذه البحوث خاصة في المجتمعات المهمشة، التي أصبحت تعرف اهتمام كبير من طرف المنظمات العالمية كمنظمة الصحة العالمية؛ وكذا الإتفاقيات الدولية كإتفاق ناغوبا.

قائمة المراجع

أولا المراجع باللغة العربية

مراجع دينية

1. القرآن الكريم
2. الحديث الشريف
3. ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، 5/1 مع الفهارس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010.
4. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، المحقق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة - عبد القادر الأرنؤوط، المجلد، 4. 1418 مصر - 1998.
5. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، دار الهلال، بيروت، عدد الأجزاء: 1. ، 2010.
6. القرطبي أبو عبد محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق عبد الله بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، جزء 11، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2006.
7. النووي يحيى بن شرف الدمشقي أبو زكريا، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، ت. الحلبي علي بن حسين، دار ابن الجوزي، 1421.

مراجع العلوم الاجتماعية والانسانية

8. إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، سلسلة جدران المعرفة، 2006.
9. أبوزيد أحمد ، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978.
10. أبوزيد أحمد ، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978.
11. أريك.ب. اكهولم، الصحة للجميع للإنسان وأمراض البيئة، تر. محمد عب اللطيف إبراهيم، مكتبة غريب، الفجالة، 1976.
12. أنتوني غدنز، كارين بيردسال، علم الاجتماع مع مُدخلات عربية، تر. فايز الصباغ، ط1. المنظمة العربية للترجمة ومؤسسة ترجمان، بيروت، 2005.

قائمة المراجع

13. الجوهرى محمد، علياء شكري، سعاد عثمان، نجوى عبد الحميد منى الفرناوي، هدى الشناوي آمال عبد الحميد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004.
14. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر. منير السعداني، ط. الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2007.
15. ذوقان عبيدات، عبد الرحمان عدس وعبد الحق كايد، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، ط. 5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1996.
16. زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، ط. 3 مطبعة السعادة، القاهرة، 1980.
17. سفير ناجي، محاولات في التحليل الاجتماعي، ج. 1، التنمية والثقافة، تر. م. ع بن ناصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1989.
18. سفير ناجي، محاولات في التحليل الاجتماعي، التنمية والثقافة ج. 1، تر. م. ع. ناصر، ر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2000.
19. سلاطينة بلقاسم، حسان الجيلاني، أسس البحث العلمي، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
20. طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ ومغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر. سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية.
21. عاطف خليل نجلاء، في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006.
22. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ط. 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.
23. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
24. فهيم حسين، قصة الأنثروبولوجيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.
25. فيليب لوكاوجان كلود فاتان، جزائر الأنثروبولوجيين، تر. محمد يحياتن، بشير بولفراق، ووردة لبنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2002.
26. لكرارك جيرار، الأنثروبولوجيا والاستعمار، تر. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990.

قائمة المراجع

27. مجموعة من أساتذة الجامعات، بحوث الأنثروبولوجيا العربية، تحرير ناهد صالح، ط.1، 2002.
28. نبيل صبحي حنا، الاتجاهات التقليدية والحديثة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1985.
- محور مراجع التاريخ والجغرافيا وتاريخ الطب:
29. إبراهيم عبد الهادي ومحمد المليجي، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، سلسلة جدران المعرفة، 2006.
30. ابن الأثير مجد الدين، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث، والأثر، خرج أحاديثه وعلق عليها صلاح بن محمد بن عوضه، 1-5 مع الفهارس، ج.1، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
31. ابن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر.
32. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، ط.1، دار الفكر، بيروت، 1978.
33. ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج.6، دار الفكر للطباعة والتوزيع، 2008.
34. أبو ضيف مصطفى أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
35. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد: الطعام والشراب والنتف والهدايا والفكاهات والملح ج 8: المحقق: مفيد محمد قميحة، ج. 8، ط.1، دار الكتب العلمية، 1404 - 1983.
36. أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة، الرياض، المملكة العربية السعودية، مطابع جامعة الملك سعود، 1996.
37. أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
38. أمين رويحة، الروماتزم، دار القلم للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1986.
39. البعلبكي منير، موسوعة المورد، ط.1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1991.
40. بلامة مرزاية عائشة، المهن الحرفية، الفلكلور والأطباق الشعبية بمنطقة أدرار، المعهد الوطني الجزائري للبحوث الزراعي، الجزائر، 2010.
41. بنشيف استر، الأشباح الأربعة: مشكلات اجتماعية معاصرة التلوث؛ الفقر، ج.1، تر.فاروق بريك، وزارة الثقافة، سوريا، 1985.

قائمة المراجع

42. تواتي دحمان، ومقلاتي عبد الله ورموم محفوظ، الثورة الجزائرية التحريرية في إقليم توات 1956-1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، 2004.
43. تيران فون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر. محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة، الجزائر، 2007.
44. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
45. جوديو س. ج. س. ولكنسون، بيئة الصحاري الدافئة، تر. علي علي البنا (سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحوث والترجمة، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، ذات السلاسل، الكويت، 1985).
46. حسين محمد كامل، عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب موجز تاريخ الصيدلة، ج.2 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، 197.
47. الحميري انشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج.9، تحقيق يوسف محمد عبد الله مطهر بن علي الارياني وحسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1420.
48. ديلا بوت ول، بلاد مابين النهرين، تر. محرم كمال، ط.2، الهيئة المصرية للكتاب، مصر. 1418هـ-1997م.
49. ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، الشرق الأقصى الصين، تر. محمد بدران، ج.4، المجلد 1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1985.
50. ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، تر. محمد بدران، المجلد 3 ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل للطباعة والنشر 1985.
51. ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، تر. محمد بدران، المجلد 3 ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1950.
52. الذاكري محمد فؤاد، الطب والأطباء في القدس نهاية القرن الحادي عشر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009.
53. راينرك لانجنز، سر الصحراء الكبرى، اقتفاء آثار جيرهارد رولفس، تر. سيد أحمد فتح الله أبوزيد، ط.1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005.
54. سارتون جورج، العلم القديم والمدينة الحديثة، تر. عيد الحميد صبرة وأحمد فؤاد باشا، سلسلة ميراث الترجمة، القاهرة، 2010.

قائمة المراجع

55. سارتون جورج، **تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج.1. الأصول الشرقية، تر. نخبة م المترجمين، سلسلة ميراث الترجمة، مصر، القاهرة، 2010.**
56. سارتون جورج، **تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج.2. الأصول الشرقية، تر. ابراهيم بيومي مذكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين رزق ومحمد مصطفى زيادة المركز القومي للترجمة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، مصر، القاهرة، 2010.**
57. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ط.1، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.**
58. سعيدان التومي، **سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، ط.2 العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2012.**
59. سعيدوني ناصر الدين، **النظام المالي في أواخر العهد العثماني، ط.2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985**
60. سورنيا جان شارل، **تاريخ الطب، تر ابراهيم الجلاتي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002.**
61. شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي، **فص الخواتم فيما قيل في الولايم، تحقيق نزار أباطة، ط.1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983**
62. شونبيرغ أ. ف. ، **الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، تر. أبو العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديريةية الفنون والآداب، الجزائر، 2004. نورالدين حاروش، إدارة المستشفيات العمومية الجزائرية، ط1، الجزائر، دار كتامة للكتاب، 2008.**
63. صالح عباد، **الجزائر خلال العهد التركي، الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.**
64. صندوق النقد العربي، **القطاع الزراعي، الفصل الثالث، 2006.**
65. طارق محمد، **البيئة وتأثيرها في المجتمع، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، 2017.**
66. عبد السلام محمد النويهي، **تاريخ النبات عند العرب، موسوعة الحضارة العربية، 1986.**
67. عرفة أحمد عرفة، **مورفولوجيا نباتات التوابل، المكتبة العصرية، المنصورة، مصر، 2008.**
68. عقون محمد العربي، **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.**

قائمة المراجع

69. عكاشة علي، شحادة الناطور وجميل بيضون، اليونان والرومان، ط.1، دار الأمل للنشر والتوزيع اربد الأردن، 1991
70. العلمي رياض رمضان، الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 20
71. عمران عبد الرحيم، سكان العالم العربي: حاضرا ومستقبلا، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، 1988.
72. عيسى اسكندر معلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2014.
73. غانم محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر والمؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1982.
74. غرستر جورج، الصحراء الكبرى أرض الغد المشرق للجزائر العربية، تعريب خيرى حماد، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط. الأولى تموز/يوليو، 1961.
75. غسان ناعسة و زياد الحلاق وعلي خنيفس، إنتاج وتصنيع الفريكة، الهيئة العامة للبحوث العلمية الزراعية، 2006.
76. فاضل أحمد الطائي، علم والصيدلة عند العرب، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ط. 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.
77. الفتال سعد، تاريخ الصيدلة في بلاد الرافدين، منظمة المجتمع العلمي العربي.23. الماجدي خزعل، بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.24. رحاب خضر العكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ط.1، مجلد 1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000.
78. فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
79. فيرون ريمون، الصحراء الكبرى الجوانب الجيولوجية -مصادر الثروة المعدنية - استغلالها، تر. د. جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر 1963.
80. قنواتي شحاتة، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعهد الوسيط، ط.2، أوراق شرقية للنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
81. كريمان بدير، رعاية الطفل من الجنين حتى العامين، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

قائمة المراجع

82. كوفمان كاثيك، **الطب خفايا الحضارات القديمة**، تر. الغانمي سعيد، هيئة أو طبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2011.
83. لونغينيس اليزابيت، سيليفيا شيقولو، نبيل قرنفل وعمر دوه جي، **الصحة العامة في الوطن العربي**، مجلة المستقبل العربي، العدد 419، سنة 2014.
84. مانفيو ك. أ سازونوف، **حضارة ما بين النهرين**، تر. حنا دم، دار مجد، دمشق، سوريا، 1991م / 1411هـ.
85. مانكه ليز، **التداوي بالأعشاب في مصر القديمة**، تر. أحمد زهير أمين، ط. 2، مكتب مدبولي، القاهرة، 2008.
86. محمد الرازي، **الفراسة دليلك لمعرفة أخلاق الناس وطباعهم وكأنهم كتاب مفتوح**، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1987.
87. محمد بن عبد الله ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج. 4. أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1417.
88. محمد حماد، **تعلم الهيروغليفية**، ط. 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991.
89. محمود شكري الألوسي البغدادي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 1، ط. 2، دار الكتاب المصري، مصر.
90. محمود شكري الألوسي البغدادي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجلد 3، ط. 2، دار الكتاب المصري، مصر.
91. مرحبا عبد الرحمان، **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب**، منشورات عويدات، بيروت باريس، طبعة مزيدة ومنقحة ط. 2، 1988.
92. المشرفي محمد محي الدين، **إفريقيا الشمالية في العصر القديم**، ط. 4، دار الكتب العربية، 1996.
93. المنظمة العالمية للصحة، محمد شحادة، **صفحات من تاريخ التراث الطبي الإسلامي**، سلسلة الكتاب الطبي الجامعي. EMRO Publications، 2005.
94. المنظمة العربية للتنمية الزراعية، دراسة حول النباتات الرعوية الواعدة في الوطن العربي، ط. 1، السودان، الخرطوم، 2006.
95. مياسي ابراهيم، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
96. ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي في أواخر العهد العثماني**، ط. 2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.25.

قائمة المراجع

97. هرمن بوميراز، **الضغط الدموي وكيف نتعايش معه**، عربيه بتصرف: عبد الحليم عبد الله العلمي، ط. 3، دار النفائس، بيروت، 1985.
98. هلايلي حنفي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
99. وزارة التجهيز والتهيئة العمرانية، **الجزائر غدا وضعية التراب الوطني استرجاع التراب الوطني**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
100. يحي أسامة عدنان، **السحر والطب في الحضارة القديمة**، ط. 1، أشور بانيبال لكتاب السومري، العراق، بغداد، 2016

محور النباتات الطبية والعطرية

101. بنيلوب أودي، **الكامل في الأعشاب والنباتات الطبية**، أكاديميا، بيروت، لبنان، 1999.
102. بوغديري العربي، **النباتات البدائية (الثالوثيات Les thallophytes)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
103. داود بن جاسم الربيعي، **الموسوعة العربية للعلاج بالأعشاب**، ط. 1، المجلد، 1، ج. 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2013.
104. السيد عبد الباسط محمد وعبد التواب حسين، **الموسوعة الأم للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية**، ط. 4 دار ألفا للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2010.
105. سيمونز جون ، **حياة النبات**، تر. أحمد خليل، [دم]: د.
106. الشهابي الأمير مصطفى ، **أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية**، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1963.
107. قببسي حسان، **معجم الأعشاب والنباتات الطبية**، منشورات بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002.
108. قروم ناقل، **تجارة البخور واللبنان**، دراسة لتجارة البخور العربية، تر، عبد الكريم سيحيم الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2008.
109. **كتاب الطب الصيني**، تر. محمد يوسف شهاب، ط. 1، دبرس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2005.
110. المنظمة العربية للتنمية الزراعية، **النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي**، الخرطوم-المنظمة العربية للتنمية الزراعية، السودان، 1988.

قائمة المراجع

111. منظمة العربية للتنمية الزراعية، دراسة حول النباتات الرعوية الواعدة في الوطن العربي، ط. 1، السودان ، الخرطوم، 2006.
112. هارون يحي، المعجزة الخضراء التمثيل الضوئي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2004.
113. هاني محمد مرعي، موسوعة الطب البديل، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، ط. 5، 2015.
114. هاني محمد مرعي، موسوعة الطب البديل، ط. 5، المكتبة التوفيقية، 2015.

المعاجم

115. أبو العزم عبد الغني، معجم الغني، فهرسة وتنسيق فواز زكارنة، 1434هـ. 2013م.
116. أنيس إبراهيم، عبد الحليم منتصر، عطية الصواحي ومحمد خلف الله أحمد، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط. 1، 2004.
117. الجرجاني علي بن شريف، التعريفات، دار الكتب العلمية، ط. 1، ج. 1، بيروت، لبنان، 1985.
118. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط. 1، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، 1984.
119. دوبروين جيرار وفرنسوا كويلان، لاروس النباتات الطبية العلاجية، تر. ميسر عبد العال أنطوان الهاشمदार، العزة والكرامة، عويدات، بيروت لبنان، 2012.
120. فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، ط. 1، أكاديميا، بيروت، لبنان.

مجلات، دوريات وندوات

121. إبراهيم ابتهال عادل وهشام سوادي وهشام، من صورالتواصل لإقتصادي لطرق الحجيج بين العرب المسلمين وسكان إفريقيا، تجارة الملح أنموذجاً، المجلد 6، مركز البحوث والدراسات الإفريقية/جامعة أفريقيا العالمية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، الخرطوم، 2016-11.
122. إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، سلسلة جدران المعرفة، 2006.
123. أبو زيد حامد، الطريق إلى المعرفة، مجلة العربي عدد 46، الكويت، 2001.
124. أحمد الريفي الشريف، المعتقدات الدينية الفينيقية، مجلة جامعة سبها العلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 1، 2008. عبد الحفيظ فضيل الميار، ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة

قائمة المراجع

- الفينيقية، مجلة آثار العرب، العدد 11 و12، مشروع تنظيم إدارة المدينة القديمة، طرابلس، 1999.
125. باجي بوبكر بوجلة هجير ه لعماري ليندة زيتوني عبد الغني مصطفى عبد الله مروش ربيعة قوار عبد العزيز وسباو نصر الدين، انتقاء وتحديد الاكتينوميسات النادرة النظم البيئية الصحراوية الجزائرية انتاج وتحديد النية الكيميائية للمضادات الحيوية المهمة، مجلة أبحاث البيئة والتنمية المستدامة، المجلد الرابع - العدد (الأول) 1422 بغداد، العراق هـ. 2001م
126. بلامة عائشة، شجيرة الحناء، دراسة ميدانية حول زراعتها واستعمالاتها بمنطقة توات (أدرار)، مجلة الإرشاد الزراعي، المعهد الوطني للإرشاد الفلاحي عدد خاص رقم 21، سنة 2016.
127. بلامة مرزاية عائشة، طبونيمية تيديكلت والإرث الحضاري، مجلة البحث الزراعي، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، المجلد 10، العدد 17، سنة 2007، ص ص 91-104.
128. بلامة مرزاية عائشة، مياه الصحراء وطرق استغلالها، دراسة وصفية لمنطقة عين صالح بالجنوب الجزائري، ورقة بحثية غير منشورة قدمت للملتقى الدولي حول الماء، جامعة باجي مختار بعبانة، قسم الري، يومي 25-27 أكتوبر 2010.
129. بلامة مرزاية عائشة، زراعة واستغلال النباتات الطبية والعطرية بالطرق التقليدية: واحات عين صالح نموذجاً، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد 11، 2016.
130. بن جابو محمد، السياسة الإستعمارية حول استراتيجية التقسيم الإقليمي بالجزائر ما بين 1948-1962، حوليات التاريخ، عدد 3، مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ماي، 2011.
131. بن عبد الفتاح دحمان ومرزاية بلامة عائشة، استغلال الفرص الزراعية المتاحة كفيلة بتحقيق الأمن الغذائي، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، عدد خاص بالملتقى الدولي العاشر، عدد 10، ج. 1، نوفمبر، 2007، صص 155-172.
132. بن يعيشي، مصادر الموارد المائية وتخصيصها في الجزائر، مجلة المياه (مجلة الكترونية). 04-21-2008-02:38.
133. بوجلة عبد المجيد، التنظيم الصحي، للثورة التحريرية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 5، عدد 2، 2014/12/01.
134. حاروش نور الدين، السياسة الصحية في الجزائر، مقال غير منشور.
135. حبيلة محمد، استصلاح الأراضي الرملية في الجزائر، جامعة الدول العربية، مجلة المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 1998.
136. داواد جاسم الربيعي، العشاب من هو؟ المجلة الإلكترونية الجزيرة، عدد 0712، 2004.

قائمة المراجع

137. دريسي أسماء، تطور الإنفاق الصحي في الجزائر ومدفعاليته في إطار إصلاح المنظومة الصحية خلال الفترة (2003-2004)، المجلة الجزائرية للعلمة والسياسات الاقتصادية، الجزائر، 2015.
138. دريك عليا ومحمد الوفا، الملح اسطورة كل الحضارات جسر الفراغة للخلود وطريق غاندي للاستقلال، مجلة اليمامة الأسبوعية، مؤسسة اليمامة الصحفية المملكة العربية السعودية، الرياض، 2012/07/14.
139. زاوي خديجة، البعد السياسي لتجمع النساء عند الأولياء الصالحين بمنطقة الأبيض سيد الشيخ، مجلة إنسانيات، عدد 11، الجزائر، 2000، ص 67-76.
140. سفير ناجي، محاولات في التحليل الاجتماعي، الجزء الأول: التنمية والثقافة، تر. م.ع. بن ناصر، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، السنة غير واردة.
141. سلمى السعيد، كيف كان الطب في قنا القديم؟ مجلة الكترونية متاح على تكنولوجيا، كانون 2 02، 2016. <http://kassioun.org/more-categories/science-and-technology/item/40643-14300>
142. السيد عفاف، هل هناك علاقة بين مرض السكر وارتفاع ضغط الدم؟، الثلاثاء 14 ديسمبر 2010. (https://www.youm7.com/story/2010/12/14/03:32).
143. السيد كمال، الرقى والتمايم. متاح على موقع صيد الفوائد (www.saaid.net/Doat/alarbi/25.htm).
144. الطاهر خالد، مساهمة الحسن بن اللوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتاب وصف افريقيا، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 4، سبتمبر 2017.
145. عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي من منظور أطباء الطب الحديث، مجلة دراسات موصلية، العدد 18، شوال 1428 تشرين الثاني.
146. علي عمار، ملامح العلاج الشعبي في منطقة حوض التافنة، دراسة ميدانية في الغرب الجزائري، مجلة الطبي الإلكترونية، 2015.
147. عمران كامل وعز الدين دياب وايفا سليمان خرما، الحنة: وظائفها وطقوسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بلوران الساحلية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية المجلد 33، العدد 1، سوريا، 2011.
148. لبشايش سهيلة، امتياز استعمال واستغلال المياه الحموية، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، عدد 8، مجلد 1، ديسمبر 2017.
149. مخداني نسيم، السحر كمارسة اجتماعية، ج. 1، عدد 26، الفصل 1، مجلة حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 2014.
150. مخداني نسيم، الطلبة والمعتقدات الشعبية دراسة ميدانية لطلبة جامعة الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، جامعة الجزائر، ج. 1، عدد 24، جويلية، 2013.

قائمة المراجع

- 151.مخطاري مصطفى حطاب سفيان، التحولات العمرانية في المدينة الصحراوية (حالة مدينة عين صالح -الجزائر)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية عدد 22، جامعة ورقلة، 2016.
- 152.معتوق جمال، مسيرة علم الاجتماع في الجزائر، المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، جامعة جيجل، الجزائر، العدد 1، جوان، 2005
- 153.منظمة الصحة العالمية، إستراتيجية الطب التقليدي (الشعبي)، منظمة الصحة العالمية، 2013-2014، سنة 2013.
- 154.موزة بنت محمد الريان، بحوث الصيدلة وعلم الأدوية في الوطن العربي، 2016 .Web of Knowledge (ISI)
- 155.مولاي الحاج مراد، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، ملتقى 'أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر، تيميمون، 23، 22 و 24 نوفمبر 1999، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2002.
- 156.وليد شريف عبد القادر، الإطار الفلسفي للطب صحيفة أخبار اليوم السودانية، 06-08-2011.

أطروحة جامعية

- 157.مخداني نسيم، الطلبة الجامعة الثقافة العالمية والثقافة الشعبية، دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية، 2006-2007.

الجرائد الرسمية.

- 158.الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، العدد47، الصادرة بتاريخ 11 ربيع الأول 1418 هـ الموافق ل 16 يوليو 1997.
- 159.الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة الصحة والسكان، ميثاق الصحة، الجزائر: الجلسات الوطنية للصحة، قصر الأمم 26، 27، 28 ماي 1998.
- 160.رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة للحكومة، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2016.

تقارير

- 161.المنظمة العربية للتنمية الزراعية، النظام الاسترشادي العربي بشأن الحصول على الموارد الوراثية والمعارف التراثية ذات الصلة واقتسام المنافع الناشئة عن استخدامها، السودان، الخرطوم، 2016.

قائمة المراجع

162. بلامة عائشة، دراسة للمنظمة العربية للتنمية الزراعية، حول مشروع دراسة تطوير تصنيع وتسويق منتجات النباتات الطبية والعطرية، 2010، دراسة حول حالة الجزائر، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي.

163. وزارة السكن، المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير PDAU، وكالة البلدية، 2005.

164. وزارة الفلاحة و التنمية الريفية، مديرية المصالح الفلاحية لولاية تمنراست، تقرير حوصلة الفلاحة لسنة 2010. 162. تقرير الوكالة الوطنية للاستثمار الخارجي الجزائر 2017.

قائمة المراجع الأجنبية

I. Ouvrages:

PLANTE MEDECINAL ET AROMATIQUE.

165. Bettina Malle, Helge Schmickl, **The Essential Oil Maker's Handbook**, Hardcover – September 1, 2015.
166. Blama Aicha, **L'art de l'encens traditionnel 'Bokhor' dans la région du sud Algérien**. Éditions universitaires européennes (13.10.2016).
167. Davis Patricia, **Aromathérapie de A à Z**, Vigo 2007.
168. Foda Mohamed, **Young Green Barley Leaves As Natural Antioxidants Principles**, Concepts, Bioassay LAP LAMBERT Academic Publishing. 2012
169. Franchomme Pierre, Roger Jollois, Daniel Pénoël, **Aromathérapie exactement**, édit Roger Jollois, 2001.
170. Kennedy Anne, **Aromatherapy for Natural Living THE A-Z.**, Althe press, Berkeley, California, 2016.
171. Khare C. *Styrax benzoin Dry..* In: Khare C. (eds) *Indian Medicinal Plants*. Springer, New York, NY, (2007) pps91-79
172. Sofowora Abayomi, **Plantes médicinales et médecine traditionnelle d'Afrique**, Karthala, 31 décembre 1996.
173. Trabut, Louis, **Précis de botanique médicale**, G. Masson (Paris), 1891.

Sciences sociale et humaine

174. Ababessa Fayçal Smati, **introduction au cours de socio économie du développement des régions sahariennes en Algérie**. 2^{em}ed. Institut National de la Recherche Agronomique d'Algérie (INRAA), 2007.
175. Abid L. **La pratique médicale en Algérie de 1830 à nos jours**، édition ANEP, Algérie, 2008.
176. Abid Larbi. **La pratique médicale de 1830 à nos jours**, Édition : ANEP Algérie, 2008.

177. Al Tuwātī, 'Abd al-Qādir ibn Abū Bakr, **Le Sahara et le Soudan : documents historiques et géographiques** / recueillis par le Cid-el-Hadj-Abd'-el-Kader-ben-Abou-Bekr-el-Touaty, traduit de l'arabe par M. l'abbé Bargès, Pub. J. Rouvier (Paris) 1853.
178. Bennaïssa Mohamed Amir. **Contribution à l'étude, de l'histoire de la santé en Algérie, autour d'une expérience vécue en ALN Wilaya 5**, réflexions sur son développement, Office des publications universitaires(OPU). Algér, 1986.
179. Bertherand, E.-L, **Médecine et hygiène des arabes : études sur l'exercice de la médecine et de la chirurgie chez les musulmans de l'Algérie ... précédées de considérations sur l'état général de la médecine chez les principales nations mahométanes** . Paris : Germer Baillière, Libraire-Edi. ; New York : Ch. Baillière, 1855
180. Gasmi Abdel Karim, **Le Palmier-Dattier**, Edition El Awrassia, Alger, 2014.
181. Grégoire Emmanuel, Jean Schmitz, **Afrique noire et monde arabe : continuités et ruptures**, Editions de l'Aube, IRD (Institut de recherche pour le développement, ex-Orstom), 2000.
182. Khare C. **Myristica fragrans Houtt.**. In: Khare C. (eds) Indian Medicinal Plants. Springer, New York, NY, 2007.
183. Khiati Mostafa, **la médecine en Algérie au cours de la période ottomane (XVI-XIX siècle**, édit. Houma, Algérie, 2013.
184. Léon Lehuraux. **Le conquérant des oasis, Colonel Théodore Pein**. Préface du général Nieger. Paris, Pion, 1933.
185. Marouf Nadir, **Lecture de l'espace oasien**, 1 vol. Éd. Paris, Sindbad, 1980.
186. Raymonde Séchet Sébastien Fleuret, **Géographie sociale et dimension sociale de la santé**, Texte pour colloque ESO - 1 – 14/12/04 14:12, UMR CNRS 6590 ESO Université Haute Bretagne Rennes.
187. Renaud Patrick-Charl, **Combats saharienne 1955-1962**, ed. Grancher, Paris, 1993.

Divers

188. **Atlas de l'environnement de l'Algérie**, 2002, éd. symbiose, 2002

II. Revues:

189. A.MAIR et A.SAVELLI. **In Salah et le Tidikelt oriental, Etude historique, géographique et médicale**, Archives de l'Institut pasteur d'Algérie. T. 32 n° 4 Décembre, 1955.
190. Aïcha Blama, سفوف التمر عويل وغذاء لسكان الصحراء على مر العصور, **Article** publié au journal de 'l'Algérie Agricole', n° 24. Juillet 2018. Arnaud, J. **La prophylaxie du paludisme a In Salah**, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie., Vol.13 No.3 1935, pp.369-376, p370.
191. Askri H., A. Belmecheri, B. Benrabah, A. Boudjema, K. Boumendjel, M. Daoudi, M. Drid, T. Ghalem, A. M. Docca, H. Ghandriche, A. Ghomari, N. Guellati, M. Khenous, R. Lounici, H. Naili, D. Takherist, M. Terkmani. **Géologie de l'Algérie**. Contribution de

- SONATRACH Division Exploration, Centre de Recherche et Développement et Division Petroleum Engineering et Développement, 1993.
192. Axel HELMSTÄDTER, **Ethnopharmacology in the work of Melville William Hilton-Simpson– (1938-1881) historical analysis and current research opportunities**, Pharmazie 71: 352–360 (2016), Doi : 10.1691/ph.2016.6533.
193. Balout Lionel, **Chronologie absolue et préhistoire saharienne**. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 11, 1972.
194. Béreni, J. **Trente ans de lutte antipaludique à In Salah (Tidikelt)**. Archivent de l'Institut Pasteur d'Algérie 1950 Vol.28 No.4 pp.464-8.
195. Bhushan Patwardhan and Ashok D.B. Vaidya, **Ayurveda: scientific research and publications**, CURRENT SCIENCE, VOL. 97, NO. 8, 25 October, 2009.
196. Bhushan Patwardhan and Ashok D.B. Vaidya, **Ayurveda: scientific research and publications**, CURRENT SCIENCE, VOL. 97, NO. 8, 25 OCTOBER 2009.
197. Bradlo Ludwing, **Ethnomedicine in Tropical Africa** in Ethnomedicine: Journal for Interdisciplinary Research, Vol. 11, No3-4, 1973.
198. Brosselard Henri, **Les deux Missions FLATTERS au pays des Touareg Azdjer et Hoggar**, II édition, Paris, Jouvot (III.) 1889.
199. Bruno Fourier, **Les vrais régimes naturels**, Science et Vie, hors-série, Publié par, Excelsior publications S.A. Paris Cedex.p89/97. **1985**.
200. Capot-Rey, **Le nomadisme pastoral dans le Sahara français**, Travaux de l'Institut de recherches sahariennes, Impr. Imbert, Alger, 1942.
201. Chevalier Auguste. **Les Productions végétales du Sahara et de ses confins Nord et Sud. Passé - Présent - Avenir**. In : Revue de botanique appliquée et d'agriculture coloniale. 12e année, bulletin n°133-134, Septembre-octobre 1932. pp. 669-924. Doi : 10.3406/jatba.1932.5282
202. Chevalier Auguste. **Les Productions végétales du Sahara et de ses confins Nord et Sud. Passé - Présent - Avenir**. In: Revue de botanique appliquée et d'agriculture coloniale. 12e année, bulletin n°133-134, Septembre-octobre 1932. Pp. 669-924. doi : 10.3406/jatba.1932.5282.
203. Danièle Carricaburu et Marie Ménoret, **Sociologie de la santé**, Éditeur : Armand Colin 2004.
204. Devors P. Le Touat. Étude géographique et médicale. Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, T. 25, n° 3-4 sept-déc., 1947, pp 223-274.
205. Elisabeth Motte-Florac, **Quelques problèmes posés par l'ethnopharmacologie et la recherche pharmaceutique sur les substances naturelle**, Journal des anthropologues, 88-89 | 2002, 53-78.
206. Elisabeth Motte-Florac, **Quelques problèmes posés par l'ethnopharmacologie et la recherche pharmaceutique sur les substances naturelles**, Journal des anthropologues, 88-89 | 2002, 53-78.

207. Ellen Annandale, Vololona Rabeharisoa, Graham Scambler, Clive Seale et Debra Umberson. **Théorie sociologique et sociologie de la santé et de la médecine dans les revues internationales**. Sciences sociales et santé 2013/1 (Vol. 31).
208. Ferhat N., Mission d'étude archéologique, réseau des pipelines du projet In Salah Compression, PETROFAC-Algérie, SEI2EA, 2011.
209. Fernand Foureau, (1850-1914). Une **Mission au Tademayt** (territoire d'In-Salah). Rapport à M. le ministre de l'instruction publique et à M. le sous-secrétaire d'Etat des colonies, Imprimerie Charles Schlaeber, Paris, 1890.
210. François Le Corre, L'art de faire "craquer les os" et ses dangers, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985.
211. François Le Corre, **L'art de faire "craquer les os" et ses dangers**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985.
212. Gast M., **Encens**, in Encyclopédie berbère, 17 | Douiret – Eropaei [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011.
213. Gast M., **Henné**, in 22 | Hadrumetum – Hidjaba, Aix-en-Provence, Edi. Sud (Volumes n 22), 2000, p. 3437-3440.
214. Gast M., **Usages des encens dans le Sahara central**, Libyca, t. XVI, 1968, p. 171-174.
215. Gast Marceau. **Témoignages nouveaux sur Tine Hinane**, ancêtre légendaire des Touareg Ahaggar. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°13-14, 1973. Mélange. Le Tourneau. I. pp. 395-400.
216. Georges Conrad, L'évolution continentale post-hercynienne du Sahara Algérien : (Saoura, Erg Chèche-Tanezrouft, Ahnet-Mouydir, 1969.
217. Gérard Pacaud, **L'homéopathie et la recherche fondamentale**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985.
218. Gessler Jean, **Delatte (Armand). Herbarius. Recherches sur le cérémonial usité chez les Anciens pour la cueillette des simples et des plantes magiques** [compte-rendu] Revue belge de Philologie et d'Histoire Année 1937 16-3-4 pp. 736-738.
219. Haddadji Redouane.2006. **The Ain Salah CCS experience Sonatrach Algeria**, The first international conference on the clean development mechanism, Riadh-saudi Arabia 19-21, September
220. Heidenreich F., Kalis S., Burtscher D. Ablutions et bains rituels chez les Seereer Siin du Sénégal Actes du 4e Congrès européen d'ethnopharmacologie, 11-13 mai 2000, Metz (France) organisé par la Société française d'ethnopharmacologie, l'Institut européen d'écologie et la Société européenne d'ethnopharmacologie , 2000

221. Hosseinzadeh1 Hossein and Hamid R. Sadeghnia, **Safranal, a constituent of Crocus sativus (saffron), attenuated cerebral ischemia induced oxidative damage in rat hippocampus.** J Pharm Pharmaceut Sci (www.cspscanada.org) 8(3):394-399, 2005.
222. J. Ruffié, J. Ducos et H. Vergnes. **Étude hémotypologique des populations du Tidikelt (Sahara central).** Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris Année 1963, Série XI°, Volume 4 Numéro 3 pp. 531-544.
223. J. S. Weinor, Human adaptability to hot conditions of deserts. Biology of deserts, the proceedings of a symposium on the biology of hot and cold deserts organized by the institute of biology Edited by j.l.Cloudsley- Thompson. Published by the institute of biology, Tavistock house south, Tavistock square, London.w.c.i. 1954Hafner publishing company, New York.
224. Janine Pierret, **Entre santé et expérience de la maladie,** Psychotropes 2008/2 (Vol. 14), p 47.
225. Jean Canellas, **Thérapeutiques thermales.** Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex.1985.
226. Jean-Charles Sournia, **L'introduction aux médecines non expérimentales.** Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris, Cedex.1985.
227. Jean-Paul Grangaud, Farid Chaoui, et Michel Legros, **Les systèmes de santé en Algérie, Maroc et Tunisie,** Défis nationaux et enjeux partagés, les notes de l'institut de prospective économique du monde méditerranéen (IPMED) n : 13 avril2012.
228. Jean-Pierre Deflandre, Audrey Estublier, Axelle Baroni, Jean-Marc Daniel, Florence Adjémian, **In Salah CO2 injection modelling : a preliminary approach to predict**
229. Joëlle Ricordel, **La Médecine « arabe » (IXe – XIIIe s.)** Société amicale des élèves et anciens élèves des écoles du service de santé des armées et de l'École du Val-de-Grâce n° 73 de la revue de la SEVG 2012.
230. Kamoun M. S. Hajem, N. Achour, H. Slimane, **Relation entre hypertension artérielle et diabète en population générale.** Annales d'Endocrinologie Vol 67, N° 5 - octobre 2006 p. 521. Doi:AE-10-2006-67-5-0003-4266-101019-200605781
231. L'Enterprise nationale de grands travaux pétroliers, le partenaire de la réussite, Sonatrach. Petro fac In salahGas, **Archaeological management plan,** 2008.
232. Lakmichi Hind, Bakhtaoui Fatima Zahra, Chemseddoha A. Gadhi, Aicha Ezoubeiri, Younes El Jahiri, Abdellah El Mansouri, Ibtissam Zrara, Kenza Loutfi. **Toxicity Profile of the Aqueous Ethanol Root Extract of Corrigiola telephiifolia Pourr. (Caryophyllaceae) in Rodents.** Evid Based Complement Alternat Med. 2011; 2011: 317090. Published online 2010 Sep 7. Doi: 10.1155/2011/317090. PMID: PMC2952298
233. Lanasri N., **Hypertension artérielle et diabète.** Service de médecine interne Hôpital de AIN-TAYA Pr. A. Biad. http://www.santetropicale.com/santemag/algerie/comscien_pdf/fmc_oebouaghi_2010/12.pdf. <https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases>

234. Leclerc L. **L'euphorbe et le roi** Juba. Revue Africaine, N° 27, 1861.
235. Lehuraux Léon, **Le conquérant des oasis**, Colonel Théodore Pein. Préface du général Nieger. Paris, Pion, 1933
236. Léonard Jacques. **Médecine et colonisation en Algérie au XIXe siècle**. In: Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest. Tom, 84 numéro 2, 1977. Pp. 481-494. doi : 10.3406/abpo.1977.2889.
237. M.A. Huffman, **The animal origins of herbal medicine** Actes du 4e Congrès européen d'ethnopharmacologie, 11-13 mai 2000, Metz (France) organisé par la Société française d'ethnopharmacologie, l'Institut européen d'écologie et la Société européenne d'ethnopharmacologie, 2000.
238. Maire A. Savelli A. In **Salah et le Tidikelt oriental ; étude historique, géographique et médicale**. Archives de l'Institut Pasteur d'Alger. 1955 Déc. ; 33(4) :367-43. P 268.
239. Mansour Marmouka, **Les mutations de la ville saharienne {Approches croisées sur le changement social et les pratiques urbaines}**, Mar 2015, Ville Ouargla, Algeria., 2015. <halshs-01235849>.
240. Messar E.M. **Le secteur phoenicicole algérien : Situation et perspectives à l'horizon 2010**, In Ferry M. (ed.) Greiner D. (ed.). **Le palmier dattier dans l'agriculture d'oasis des pays méditerranéens**. Zaragoza: CIHEAM-IAMZ, 1993, p.23-44, option méditerranéens: séries A.
241. Métois A. **Ain Salah et ses dépendances**. Annales de Géographie". 1907, vol. 16, n. 88. pp. 337-349.
242. Michel Lesourd, **Dessins géométriques composés par les élèves des écoles coraniques d'In Çalah** Journal des Africanistes Année 1936,
243. Museur Michel. **Un exemple spécifique d'économie caravanrière : l'échange sel-mil**. In : Journal des africanistes, 1977, tome 47, fascicule 2. pp. 49-80.
244. N. Yahi-Guenafdi, **Les ressources phytogénétiques en Algérie. Note introductive**. Actes du Congrès national sur les ressources phyto-genetiques en Alger, INRAA - Alger, les 22, 23 et 24 octobre 2018.
245. Ohba Hideaki and Rachid Amirouche, **Observation of the Flora of Tademait and Tidikelt, Central Sahara, Algeria**, the journal of Japanese botany Vol.78, 2003.
246. Olivier Postel-Vinay, **Les pilules homéopathiques et la loi**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris cedex. 1985.
247. Pandolfi Paul. **In-Salah 1904/Tamanrasset 1905 : les deux soumissions des Touaregs Kel-Ahaggar**. In: Cahiers d'étude Africaine, vol. 38, n°149, 1998. pp. 41-83; p46.
248. Pierre Vitoux, **Les bonnes piqûres du Dr Pistor**, Revue Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles' publié par Excelsior publications S.A. Paris, Cedex. 1985.

249. Pierrine Didier. **Valorisation de la médecine traditionnelle à Madagascar** : place des tradipraticiens dans les recherches et formations sur les plantes médicinales, Presses de Sciences Po | « Autrepart » 2017/1 N° 81 | pages 159 à 172
250. Rahmoun N., Z. Boucherit-Otmani¹, K. Boucherit, M. Benabdallah, and N. Choukchou-Braham, **Antifungal activity of the Algerian Lawsonia inermis (henna)**, Informa Healthcare, USA, 2013, Inc, Pharmaceutical Biology Downloaded from informahealthcare.com by Universiti Kebangsaan Malaysia on 12/20/12
251. Reguieg L. **Using medicinal plants in Algeria**, American journal of food and nutrition Print: ISSN 2157-0167, Online: ISSN 2157-1317. doi:10.5251/ajfn.2011.1.3.126.127© 2011, Science Huß,
252. Rinn Louis, **Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères**. Revue africaine, n° 154, 1882.
253. Rinn Louis, **Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères**, Revue africaine. , n° 148, 1881.
254. Rinn Louis, **Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères**. Revue Africain, n° 25 année 1881.
255. Rinn, Louis, **Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères**. Revue Africain, n° 25 année 1881.
256. Robert Ali Brac de la -Perrière, Abderrahman Benkhalifa, **Progression de la fusariose du palmier dattier en Algérie Bayoud**, revue Sècheresse, n° 2, Vol. 2, 1991, 119-128.
257. Robert Briffault, **the Mothers: The Matriarchal Theory of Social Origins**, the Macmillan Company New York 1931
258. Rousseau Valérie. **L'aromathérapie : des huiles essentielles pour votre bien-être**. Institute Cassiopee Formation © 2008. www.cassiopee-formation.com.
259. Salil K. Bhattacharya, Parantapa Sen and Arunabha Ray, Pharmacology, 2/e, Elsevier India, 1 janv. 2003 - 624 pages
260. Santini P., **Contribution d'un médecin à l'étude de bayoudh maladie du palmier-dattier**, archives de l'Institut Pasteur d'Algérie 15, no. 2 (1937) : 51–57.
261. Santini, P. **Contribution d'un médecin à l'étude de bayoudh maladie du palmier-dattier**. Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie 15, n°. 2, 1937, pp 51–57, p271.
262. **shorttermreservoirbehavior**·EnergyProcedia Page3, 00 (2010) 000–000. www.elsevier.com/locate/XXX.
263. Sonatrach, **une compagnie pétrolière et gazière intégrée**, Revue Sonatrach, 2013.
264. Sophie Hohmann, **Instrumentalisation politique de la médecine traditionnelle**, Dans Le Courrier des pays de l'Est 2008/3 (n° 1067), pages 24 à 27.
265. Tarique N Hasan, Leena Grace B, Gowhar Shafi, Amal A Al-Hazzani, Ali A Alshatwi, **Anti-proliferative Effects of Juglans Regia L.** Asian Pacific Journal of Cancer Prevention, Vol 12, 2011,

266. Upadhyay V, Kambhoja S, Harshaleena, K **Antifungal activity and preliminary phytochemical analysis of stem bark extracts of Juglans regia Linn**, International Journal of Pharmaceutical & Biological Archives 2010; 1(5):442-447.
267. Y. Rainer K. Langner *Das Geheimnis der großen Wüste. Auf den Spuren des Saharaforschers Gerhard Rohlfs* (The secret of the great desert. In the footsteps of the explorer of the Sahara Gerhard Rohlfs). S. Fischer Verlag Frankfurt am Main 2004.
268. Yves Pelicier, *Les exigences de l'objectivité. Science et vie hors-série Les Médecines 'Parallèles'* publié par Excelsior publications S.A. Paris, Cedex, 1985.

Dictionnaire

269. Tchah Abdeslam, **Lexique des plantes**: Français-Arabe Editeur Casablanca, Afrique Orient, 2009.

Conférences/Séminaire

270. Blama Aicha, Mokhdani Nassima, **Medical practices in the Touat (Adrar) population of the algerian south-west sahara**, Congrès international des plantes médicinales et aromatique à Coimbra, Portugal. le 29, 30 et 31 mai, au 01 juin, 2016. www.CIPAM2016.com.
271. Blama Merzaia A., Gaceb-Terrak R. et Chehat F. **Les ressources végétales des régions sahariennes : cas de Tidikelt in Salah**, Le Premier séminaire Maghrébin sur: La dynamique et la valorisation des écosystèmes arides et semi-arides dans un environnement changeant « DVEEC », le Département de Biologie en collaboration avec la Conservation des forêts de Saida et le Laboratoire d'écologie et gestion des écosystèmes naturels – Université de Tlemcen, le 21 et 22 Octobre 2014.
272. Blama Merzaia Aicha, **Herbal extracts for digestive system diseases: Ethno-botanical study on Touat area (Adrar- Algeria)**, oral presentation at 'The 2nd Conference on Natural health (2nd ICONAHE) Mostaganem, Algeria, October 26 - 28, 2014.
273. Blama Merzaia Aicha, Saidou Ali, Mezoui Sami **تنوع الغطاء النباتي بالصحراء الجزائرية، بتيديكلت** "séminaire international "Biodiversité et changements globaux", Campus universitaire de Djelfa, du 23 au 25 novembre 2015
274. Toumi M. et Benkhalifa, **Développement et valorisation des Plantes Aromatiques et Médicinales (PAM) en Algérie - Toumi Mohamed et Benkhalifa Abderrahmane / ENS / Conférence, actes du congrès national, 2018.**
275. Toumi M., Mahdi Y., Benkhalifa A. **Désalinisation des sols salés agricoles d'une région hyper aride (In Salah)**. 1er Symposium International sur le Palmier Dattier, Alger, Algérie, 2011

Rapport

276. Bureau National d'Études pour le Développement Rural (BNEDR), BRL ingénierie, Plan Directeur Général de Développement des Régions Sahariennes, Les ressources en sols.
277. Direction des services agricoles (DSA) de la wilaya de Tamanrasset, **Fiche synthèse du secteur agricole de la circonscription administrative In Salah**, Mai 2018.

قائمة المراجع

278. Direction des services agricoles (DSA) de la wilaya de Tamanrasset, **Fiche synthèse du secteur agricole de la circonscription administrative In Salah**, Mai 2018. Bureau National d'Études pour le Développement Rural (BNEDR), BRL ingénierie, Plan Directeur Général de Développement des Régions Sahariennes, Les ressources en sols.
279. Direction des services agricoles (DSA) de la wilaya de Tamanrasset, **Fiche synthèse du secteur agricole de la circonscription administrative In Salah**, Mai 2018.
280. Ferhat Nadjib ,mission d'étude archéologique réseau des pipelines du projet In Salah compression. SE2EA, 2011.
281. République algérienne démocratique et populaire, Décret n° :76-140 du mai 2007 portant création, organisation et fonctionnement des établissements publics hospitaliers et des établissements publics de santé de proximité Journal Officiel, n° 33, du 20 mai 2007.

Thèses

282. Camara Mohamed Karfalla, **Médecine traditionnelle**, DEA de Phytothérapie et Plantes Médicinales, université gamalabdel nasser de Conakry, Guinée, 2011.

Lien

283. <http://www.arabic-military.com/t57801-topic>.
284. <https://ar.wikipedia.org/wiki>
285. <https://cnas.dz/>
286. <https://www.almougem.com/mougem/search>
287. www.Cbd.int/abs/text
288. <https://www.azzaman.com>
289. http://hamdisocio.blogspot.com/2010/06/blog-post_24.html

الملاحق

الملاحق

دليل مقابلة نصف موجهة للمبحوثين

1-محور البيانات الشخصية

1-المدينة :

2-العمر: من < 20 □ ، 20-30 □ ، 30-40 □ ، 40-50 □ ، 50-60 □ ، >60 .

3-الجنس : -أنثى □ ، -ذكر □ .

4-المستوى التعليمي :

-لا يقرأ أو يكتب □-يقرأ ويكتب □-ابتدائي متوسط □ -ثانوي -جامعي □

5-الحالة المدنية :

-أعزب □ -متزوج □-أرمل □ -مطلق □ .

6-المهنة :

شغيل (ة) دائم (ة) □-شغيل (ة) مؤقت □ -بدون عمل □ -متقاعد(ة) □

II محور بيانات الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب بمنظفة تيديكلت

7- هل تستعمل الأعشاب للتداوي بها ؟

نعم □ لا □

8- هل ممكن أن تكرر لي بعض الأعشاب الطبية ؟

الأعشاب التي تعرفها

-	-	-
-	-	-

9 هل تشكو من أمراض معينة في :

-الجهاز التنفسي □ -الجهاز الهضمي □ -جهاز الدورة الدموية □ -الجهاز التناسلي □

-الجلد □ -الجهاز العصبي □ .

مناسبة استعمال الأعشاب:

10 هل تعرف مناسبات أخرى تستعمل فيها أعشاب طبية؟

- نعم □ -لا □

12 -إذا كان نعم أذكر هذه الأعشاب ومناسبتها المختلفة:

13-ماهي الوصفات التي تتخذ للنافس قبل الوضع في رأيكم؟

14-وكيف تكون العناية الصحية للمرأة النافس بعد الوضع؟ ماهي الوصفات الخاصة بالنافس؟

15-حدثني /حدثيني عن الخطوات المتبعة لرعاية المولود قبل ان يولد وبعد أن يولد؟

16-في مناسبة ازدياد المولود ماهي الطقوس التي تتبع لرعايته؟

الملاحق

- 17- في اسبوع المولود الجديد، كيف يتم التحضير للعقيقة؟
18- هل تعرف بعض الصفات الخاصة بزيادة المولود؟
-أذكر لي بعضها.
19- وفي مناسبة الختان ماهي المراسيم الخاصة التي تعدونها للمختون؟ ماذا تمثل بالنسبة لك؟
20- اذكر لي الصفات التي تتبعونها لمناسبة الختان
21- ماذا تفعل الأم في هذه المناسبة؟
22- من يقوم بعملية الختان؟
23- كيف تتم مباركت هذا الطفل المختون؟

في الخطبة:

- 24- ماهي الأسس التي تتركز عليها اختيار الخاطب والمخطوبة
25- هل هناك رعاية خاصة للمخطوب والمخطوبة؟
26- أثناء الخطبة، ماهي الأعشاب التي تستعمل في هذه المناسبة من طرف المخطوبة ولماذا؟
27- هل يقوم الأهل باستعدادات خاصة للمخطوبين؟ اذكرها.

وفي الزواج:

- 28- ماهي الاستعدادات التي تتم في مناسبة البناء الاجتماعي؟
29- تحضيرات أهل العروس وطقوسها.
30- تحضيرات أهل العريس وطقوسها.
31- ماهي الطرق والعادات المتخذة للإخصاب منذلية البناء
32- في حالة تأخر إنجاب الأبناء ماهي الصفات المستعملة لكلا الطرفين؟

في مناسبة الوفاة

- 33- ماهي العادات المتخذة لغسل الميت ودفنه؟
34- ماهي الصفات المستعملة لتحنيطه؟ كيف يتم تحضير الحنوط وطقوسه؟
35- في حالة فقدان الزوج، ماهي الأعراف التي تسير عليها مراسيم الأرملة؟

في مناسبة الحج

- 36- ماهي التحضيرات التي تتم للحاج/الحاجة قبل الحج
37- كيف هي عادات العودة من موسم الحج، والطقوس التي تستعمل في هذه المناسبة؟
-بالنسبة للمرأة كيف هي؟ بالنسبة للرجل كيف هي؟

38- في مناسبة المولد النبوي:

- 39- ماهي العادات المتبع في هذه المناسبة،
40- يوم المولد والعادات والتقاليد المتبعة؟

في زيارة الأولياء

- 41- ماهي العادات والتقاليد المتبعة في زيارة الأولياء؟

الملاحق

- 42- الطقوس المتبعة في مناسبة الزيارة؟
- 43- مناسبات أخرى أذكرها وماذا تستعمل فيها.....
- 44- هل سكان المنطقة يتبعون طقوس وعادات معينة في مواسم طبيعية وفصول معينة؟
- في فصل الصيف - في فصل الشتاء - في فصل الربيع - في فصل الخريف
- 45- ماهي الطرق المتخذة للتكيف مع الظروف الطبيعية القاسية للتكيف معها؟
- 46- كيف يكسر سكان تيديكلت الملل في الصحراء، للحصول على التوازن الجسدي والعقلي؟
عند مرضك - لا قدر الله- هل تذهب الى:
- 47- المستشفى مباشرة -أذهب إلى الصيدلية - اذهب الى المعالجين الشعبيين أولاً
- اذهب الراقى / الطالب أولاً
- 48- أفضل الاستعانة بتدابير الأسرة
رتبهم حسب الأولوية
- استعين بوصفات لأعشاب الأسرية أولاً:
-وصفات الأم
-وصفات الزوجة
-وصفات الجدة
-العمة
-الأخت
-الجاره
- المعالجين الشعبيين
- 49- هل تزور المعالجين الشعبيين؟
نعم - لا
- 50- إذا كنت تذهب الى المعالجين الشعبيين، هل تستمر في زيارتهم:
دائماً -أحياناً - لا أكرر الزيارة لهم .
- 51- هل تستفيد من وصفاتهم؟
نعم لا
- 52- كيف هي علاقتك بالمعالجين الشعبيين؟
جيدة متوسطة سيئة
- 53- لماذا؟.....
- 54- هل تعرف المعالجين الشعبيين الذين تشتهر بهم منطقة تيديكلت؟
نعم لا
- 55- إذا كان نعم اذكرهم من فضلك.....

الملاحق

56- ما رأيكم في التداوي بالأعشاب؟

شكراً لكم.

الملاحق

استمارة مقابلة نصف موجهة للأطباء

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الجزائر

رقم الاستمارة:

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع الثقافي

أنا طالبة في علم الاجتماع بصدد الإعداد لرسالة الدكتوراه حول موضوع الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتداوي بالأعشاب بمنطقة تيديكلت، إذا سمحتم لنا باستجوابكم وذلك بوضع علامة x في مكان الإجابة المناسبة. المعلومات التي ستزودوننا بها ستكون لغرض البحث العلمي لذا ستحاط بالسرية. وشكرا لكم.

المدينة:

العمر: من 20-30 □، 31-40 □، 41-50 □، 51-60 □، <60 □.

-الجنس: -أنثى □، -ذكر □.

-المستوى التعليمي: .

-الحالة المدنية: -أعزب □ -متزوج □، -أرمل □، -مطلق □.

-التخصص الأكاديمي الطبي: طبيب عام □

طبيب أخصائي في.....

البيانات المطلوبة حول الأمراض بمنطقة تيديكلت:

1. كم هي خبرتكم في المجال الطبي:

2. ماهي الأمراض الأكثر تواترا بالمنطقة في نظركم؟

3. ماهي أكثر الأسباب لهذه الأمراض:

-وراثية

-بيئية

أسباب أخرى اذكرها:

3. هل تستعمل الأعشاب الطبيعية للتداوي؟

نعم لا

إذا كان نعم اذكر بعضها.....

ما رأيكم في التداوي بالأعشاب بشكل عام؟

الملاحق

استمارة مقابلة نصف موجهة للمعالجين الشعبيين بمنطقة تيديكلت

محور البيانات الخاصة

المدينة:

العمر: من <20 □، 20-30 □، 30-40 □، 40-50 □، 50-60 □، >60 □.

-الجنس: -أنثى □، -ذكر □.

-المستوى التعليمي: -لا يقرأ أو يكتب □، -يقرأ ويكتب □، -ابتدائي متوسط □، -ثانوي □، -جامعي □.

-الحالة المدنية: -أعزب □ -متزوج □، -أرمل □، -مطلق □.

معلومات حول موضوع التداوي بالأعشاب

1 -كيف بدأت مهنة العلاج □

بالخبرة الخاصة □ اكتسبتها من شخص آخر □

2-منذ متى تمارس العلاج؟

4 -ماهي الأمراض التي تعالجها؟

5-هل تعتمد على التحاليل الطبية للمرضى لتقديم الوصفات العلاجية؟

6-هل تنصح المرضى بزيارة الطبيب؟

7-ماهي الحالات المرضية المستعصية التي عالجتها في حياتك؟

8-ماهي الأعشاب التي تستعملها بكثرة في العلاج:

9-ماهي برأيكم الحالات المرضية التي تقصدكم للعلاج؟

10-هل تتقاضى اجر اتعابك؟

شكراً لكم

الملاحق

الوصفات الواردة في كتاب فوانو حول منطقة تيديكلت الموسوم بـ:

«Voinot L .Le Tidikelt. Étude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays .Edité par Oran, imp. L. Fouque, 1909 »

مسهل Purgatif تشرب الأوراق الجافة المسحوقة لنبات (*Cassia tora*) المطبوخة في الحليب أو مع اللحم والزبدة.

-نقع منعش Infusionsra fraichissates ينقع في الماء نبات يسمى عصباي جنس يتبع الفصيلة البقولية المهشم أو نبات 'المخيتزة' (*Cleome arabica*)^{*}. النقاعة الأولى تكون باردة، بينما النقاعة الثانية تكون ساخنة؛ يساعد هذا الشراب على تنشيط إفراز البول.

-القيء Vomissements يتم إيقافه بمشروب يستخلص من نقاعة أوراق شجرة 'أتيل' (*Maeruacr assifolia*) في الماء ويضاف إليه الدهن واللحم.

-الروماتيزم Rhumatismes تغلي أوراق نبات 'المخيتزة' الجافة، ويضاف إليها الفلفل، ويُدثر المريض بشكل يسمح له بالتعرق، ثم يأكل بعد ذلك. يُعطي نبات الكبار (*Capparis spinosa*) نفس النتيجة، ولكنه أكثر حيوية. يمكن أيضا استخدام العلاج المحلي على الأجزاء المريضة من خلال تطبيق نقاط النار بواسطة سيقان نبات الدفلى (*Nerium oleander*) أو بواسطة سيقان نبات الغار.

-حمى وأمراض الكبد Fièvre et maladies de foie يسحق نبات الحاد وهو أخضر (*Cornulaca monacantha*) ثم ينقع في الماء، بعد شراب المنقوع يقوم المريض ببعض الحركات. تجعل هذه النقاعة المريض يتقيأ حتى أنه يستطيع ركوب السرج (أي سرج الحصان)، ربما يقصد مدى فاعلية العلاج.

-نزلات البرد Rhume تغلي في حليب حامض الفلفل وأوراق شجيرة الأراك (*Salvadora persica*)، ثم يشرب بعد ذلك.

-التهاب الشعب الهوائية Bronchites تحفظ جذور 'الصلاحة' الطازجة في الهواء وتسحق وتطهى مع لحم الماعز. بعد شرب هذه النقاعة، يتم تدثير المريض لكي يتعرن. يمكن للمرء أيضاً أن يسحق لحاء 'تينشوت' (*Balanites aegyptiac*)، ويخلط مع 'مانينا'^{*} (بذرة نبات لا ينمو في البلد)، والذرة

^{*} وهو نبات الزفرة باللغة العربية.
^{*} القمم الزهرية لنبات المرسين/الريحان

الملاحق

الرفيعة 'البشنة' أو الشعير، والفلفل، والتمر، وإضافة القليل من الماء لصنع كرات من خلال عجن هذه المكونات وبعدها تؤكل صباحاً.

-بصق الدم Crachements de sang يتم إيقافها بتحضيره مع نبات 'الصلاحة'، على النحو الوارد أعلاه، أو عن طريق غلي الأوراق الجافة لنبات 'غلاشم' وهو نبات الحرجل *Solenostemma arge*(Del) Hayne أو *Cynanchum arge* Delile) في الحليب أو أي طعام آخر، مع الحرص على إضافة الفلفل وشربه ساخناً.

-التهاب اللوزتين Angine استخدم لحاء تينشوت (*Balanites aegyptiaca*) كما قيل سابقاً عن التهاب الشعب الهوائية.

-الدمامل Furoncles يوضع جبس مصنوع من حليب حامض أو ماء وأوراق وقشور مجففة لنبات السدر المسحوق (*Zizyphus lotus*).

-إصابات Blessures تسحق سيقان نبات ام ركة القديمة (*Panicum turgidum*)، ثم تنخل وتذر على الجروح.

-سعفة Teigne تسحق أوراق الطحينة الجافة، ثم تعجن بالماء أو اللبن الرائب وتوضع كلبخة.

-حفرة الأفاعي والعقارب -تسحق أم لبينة الخضراء (*Dænia cordata*)، ووضعه في الجص بعد أن يجف.

-اليرقان Jaunisse نستخدم النبات المسمى 'الطيحة'، والذي يتم تجفيفه. ثم يتناول القليل من مسحوق النبات بالماء عند كل وجبة.

-السيلان Blennorrhagie يخلط مع الطعام مسحوق نبات 'او هيت' وهو (اسم بربري لجنس إكليل الجبل).

-كما تستخدم الشرابطة La saignée في بعض الأحيان تستعمل ضد الصداع، كما يستنشق المريض دخان الحنتيت (يعني التبخير بالحلثيت).

الملاحق

-للتسمين Engraisser، تأخذ المرأة البتينة (*Hyoscyamus falezlezi*) بكميات صغيرة في طعامها لأن النبات سام، ويستخدم لتنفس الغرض رماد نبات الدفلى المخلوط مع سفوف التمر الجاف مع الماء أو اللبن الرائب.

يشير الكاتب بأن مختلف الممارسات الطبية بسيطة ومختلطة مع الكثير من الزبدة أو الدهون، أو حتى مع لحم الماعز.

- أسماء بعض الأمراض بمنطقه تيديكلت

تاكوت: هي الربو؛ -الكرش الحمراء/المحجوبة: وهي الزحار. الكرش المطلوقة: ويعني بها الإسهال. الكرش المعصومة: الإمساك. الباراب: يقصد بها الزحار. 'المحور' وهو الشعور بحرق المعدة. 'المرار': وهو الشعور بالغثيان وتغلب الخلط الصفراوي على طبيعة المعدة لسوء الهضم أو التخمة أو لعدم هضم الطعام.

'الليجو': ويقصد بها البلهاريسيا. (نسب هذا الاسم إلى فرق الليف/الفيلق الأجنبي الذي جلب معه بعض الأمراض لم تكن تعرف في إقليم توات أو تيديكلت. فمعنى لا ليجو يقابلها بالفرنسية= Légion الفيلقا لأجنيبا لفرنسي (بالفرنسية: Légion étrangère) وهنا يمكن الإشارة إلى أن سكان توات يسمون هذا المرض بلاليجو حسب السيد قلوب المكي مختص في علم الاجتماع بأدرار.

السفيليس وهو الزهري أو المرض الافرنجي

'لومت' أو 'البوحمرون' وهي الحصبة.

'بوشوكة' وهي الجدري.

الشخص 'المكرفس' وهو الكسيح.

'كوركور' وهي التينيا.

- وصف الأوجاع:

البرمة، اللية، السطير: يقصد بها الوعكات، الألم. التلميز وهو الوثي، الأوجاع من سقطة في العضلات sprain(التفليص، الفعص) (الوثأ) لي في المفصل دون خلعه¹.

¹الزهراوي التصريف لمن عجز عن التأليف، تحقيق عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص 26.

الملاحق

الأمراض النفسانية 'عطا راسو للخلاء'، 'جايح' بمعنى مصاب بالجنون أو 'مسكون' 'مخلوع' أصيب بالهلع.

- أسماء الأعضاء بحسب تسميتها المحلية كما ورد في مقابلة المبحوثين: الشواط هو الرأس؛ تيغراد هي الصحة؛ تارميت وتقابلها بالأمازيغية، ثانااميرس، آرام ويبدو أنها تعني الوجه الحسن، لأن الوجه يعبر في غالب الأحيان عن تفاصيلنا الداخلية، فهو المرآة العاكسة لحالة صحتنا.

الكرش وهي البطن؛ القرزي وهي الخنجرة؛ 'ليب' وهو فم المعدة؛ العرقوب وهو في الرجل؛ المسلان وهو أسفل العمود الفقري؛ لفاد وهي الأمعاء ويقاربه الفؤاد في اللغة العربية لتعني فم المعدة.

- بعض أسماء ممارسي مهنة التداوي بمنطقة تيديكلت بحسب تفسير المبحوثين:

- الولادات: وهم القابلات جمع مفردة القابلة.

- الطالب: وهو مدرس القرآن أو إمام مسجد في الغالب بالمنطقة— يستعين به بعض الأفراد للرقية والتحصينات.

- الطبيب: ممارس العلاج التقليدي بمختلف العلاجات.

- دقائق الحنوط: وهن النساء اللواتي يقمن بدق حنوط الميت.

- بعض الأدبيات الشعبية الواردة عن المبحوثين:

نورد فيما يلي بعض الأمثال المتداولة بمنطقة تيديكلت بحسب ما ورد على لسان أحد المبحوثين:

'المرض يدخل بالقنطار، ويخرج بالوقية'. يقابله في المثل العربي مثقال صحة خير من قنطار علاج. وكلمة 'الوقية' والأوقية هي أداة للقياس ومن أشهر الموازين عند العرب.

'اللي قامت ريجو يقعد ليها' بمعنى من أصيب بمكروه فليتحلى بالصبر ولا يتهور.

فكما قال علي محمد مكاوي: "أن العلوم الاجتماعية، ومنها الأنثروبولوجيا والاجتماع والفلكلور توفن بأن اللغة مرآة تعكس طبيعة المجتمع والثقافة، وبالتالي تسعى الأنثروبولوجيا لإظهار الدلالة الاجتماعية للألفاظ والأسماء لتكتمل الصورة اللغوية مع الصورة الاجتماعية. ولعل موقف أحمد أمين

الملاحق

مع أحد المستشرقين يوضح ذلك. فقد أهداه نسخة من كتاب له، فشكره المستشرق بقوله: لقد استفدت كثيراً من خُرار فطنتكم.¹

وهنا قال أحمد أمين، إن المستشرقين يدرسون اللغة العربية المعجمية أو من المعاجم، على حين لا تكتمل دراستها إلا بالاهتمام بالواقع الاجتماعي والدلالات الاجتماعية التي توضح المقبول والمرذول من الألفاظ والأسماء في الكلام. وعلى هذا فإن الأنثروبولوجيا تسعى لاستكمال الجوانب الأخرى الناقصة (غير اللغوية) في دراسة الأسماء وعادات التسمية.²

¹ علي محمد مكاي، البيئة والأسماء دراسة في المعاني والدلالات، ص 11.

² نفس المراجع ص 12.

الملاحق

جدول رقم 1: الوصفات العلاجية لبعض الأمراض وطرق معالجتها حسب مير وسافي Maire et Sevillie

الأمراض	الاسم العلمي للنبات أو الحيوان أو المعدن	الوصفات	درجة الاستعمال حالياً
أمراض الجهاز الهضمي: ألام المعدة، والمغص.	الشيح <i>Artemisia herba alba</i>	-نقاعة	+++
الإسهال والديستاريا (الزحار).	ألالة <i>Artemisia campestris</i>	نقاعة -بتلاع الحبوب	+++
لمعالجة لصفراء 'لمرار'	سانوج <i>Nigella sativa</i>	تغلى البذور مع الحليب ويشرب.	+
ضد الإمساك.	السانوج والحلبة <i>Trigonella foenum - Graecum</i>	خليط البذور واستعمالهم مع بعض	--
ضد الإسهال والزحار الدوستاريا.	العقاية <i>Zygophyllum gulecum</i>	ابتلاع بذور النبات	
في حالة اليرقان Ictère	نعناع كرشة 'تنجرت'. <i>Montha longifolia</i> ضب <i>Uromastix acanthinurus</i>	-شرب النقاعة. -يأكل لحم الضب المسلوق	
في حالات القيئوالغثيان	-بذور القرطوفة <i>Brocchia cinera</i> أو أوراق الفيجل <i>Aplophyllum tuberculatum</i>	شراب بذور النبات شراب أو أوراق النبات	++
فاتح للشهية	نبات إكليل الجبل <i>Rosmarinus officinalis</i>	نقاعة النبات عند الصباح قبل الأكل.	+
مطمث	نبات إكليل الجبل <i>Rosmarinus officinalis</i>	نقاعة النبات عند الصباح لَمْ يَطْعَمَ شَيْئاً	+++

الملاحق

--	شراب نبات الشيح. وعجن كريات من القمح، يخشي داخلها بالفلفل الأحمر، ثم تسلق وتمزج بالعسل وتؤكل.	- شيح البحر يجلب من البلدان العربية <i>Armoise sp.</i> - قمح <i>Triticum</i> - نفلل أحمر <i>Capsicum annuum</i> - عسل	للديدان المعوية.
++ ++ --	- التبخير - شم الصمغ لمغلف في قماش به. - يحضر به مرهم مهدئ.	- حنتيت <i>Ferula Assa foetida</i> - سانوج	حُمى، الصداع، تَوَجُّع
--	- وضع شيء من الصمغ في السن المسوس. - تغطي الشمة بالشحم الخروف وتستعمل.	- حنتيت <i>Ferula Assa foetida</i> - شمة <i>Nicotina</i>	مُسْكَن أو مُهَدِّئ لآلام الأسنان
--	- تبخير ما بين الملابس وجلد المريض**.	- ريش العصافير - جلد الأفعى	ضد الحمى
	- لتدليك بدهن النعام أو الجمال أو الحرمل. - يشرب لحم الأروي أو الضب المغلى في الحليب مع الثوم ونبات الوزاوة.	- نعام <i>Struthio camelus</i> - حمل <i>Camelus dromedarius</i> - حرمل <i>Peganum harmala</i> - الأروي أو الضأن البربري <i>Ammotragus lervia</i> - ضب <i>Uromastix acanthinurus</i> - وزاوة <i>Matricaria pubescens</i>	الروماتزم
---	يحاط الصدر بحزام ضيق. ويكوى بنقاط من النار بواسطة المسامير. - لكل يغلي إلى أن يصير في منتصفه.	- ورن صحراوي <i>Varanus griseus</i> - شحم الخروف <i>Ovis aries</i> - لفلفل الأسود <i>Piper nigrum</i>	أمراض الجهاز التنفسي - تناول دواء مقشع
-	تحضر ثلاثة منتجات مختلطة بعد سحقها ثم	- الزينة <i>Cassia obovat</i> - نبات حجر أبيض	أمراض العيون في حالة التهاب

الملاحق

الملتحمة	-زبدة البحر <i>Sipia officinalis</i>	تستخدم
إلتهاب الجفن Blépharites	- (معدن أكسيدي، حديد الهيماتيت) - <i>Fer oligiste</i>	تمرر على حافة خالية في الجفون بعود الكحل (الإكتحال). يتم وضع قليلا من غبار الحديدية. - يستعمل الكحل لغاية اليوم لنفس الغرض.
في حالة وجود جسم غريب.	بوفتاش* <i>Salvia aegipsien</i>	توضع في العين الخارجية تحت الجفن بذور بوفتاش. (مستوردة من السودان، حسب المؤلف) لكن النبات ينمو كذلك في الطاسلي ناجر بالجزائر.
أمراض الأذن لتخفيف الصغير.	السنبل <i>Hyacinthus orientalis</i>	في حالة التهابات الأذن يقطر في الأذن حليب المرأة مع نبات السنبل.
أمراض البيئة.	حبق <i>Ocimum basilicum</i>	في حالة لسعات العقارب يعطى مستحلب نبات الحبق

المصدر: من إعداد الباحثة إعتامداً على معطيات الباحثان Maire et Seville.

**-لعلاج الحمى يجعل بين البشرة والملابس البخار المتصاعد بإحراق ريش الطيور او من الأفضل جلد الأفعى". بمعنى التبخير بريش الطيور وجلد الأفعى. هذه الممارسة من الماضي ولم نلتقي اثناء دراستنا مثلها في عصرنا الحالي.

*- لا تزال عينة من أفراد من مجتمع تيديكلت، وخاصة كبار السن، يستعملون بذور 'وفتاش' لإخراج أي جسم غريب من العين. كما نجده في دكاكين الأعشاب أو عند نساء يبعن بعض الأعشاب أو منتجات محلية كالحناء البخور وبعض عطور السودان وزيوها وغير ذلك من الأغراض القليلة يعرفن باسم 'الدلالات'. كما يشتري من بلدان محاورة تمرراست وادرار.

الملاحق

الجدول رقم 2: وصفات النباتات الواردة عن المبحوثين وكيفية استعمالها (أنظر في الملحق)

النبات	استعماله	كيفية التحضير	طريقة الاستعمال	كيفية أخرى
الحلبة	داخلي	مسحوق	مستحلب	
اكليل الجبل	داخلي	مسحوق	مستحلب	
شيع	داخلي	مسحوق	مستحلب	تبخير
ام النفساء	داخلي	مسحوق	مستحلب	
ام الناس	استنشاق		تبخير	
عشبة مريم	داخلي		مستحلب	
حناء	خارجي		لبخة	
كزبرة	خارجي	مسحوق	مستحلب	تبخير
زعر	داخلي		مستحلب	
قرفة	داخلي		مستحلب	
شمر	داخلي	مسحوق	مستحلب	
كمون	داخلي		مستحلب	
سانوج	داخلي	مسحوق		
قمام الاس	داخلي		مستحلب	
تيزيليت	خارجي		نقاعة	
سنا	داخلي		مستحلب	
مريمية	داخلي		مستحلب	

الملاحق

	مستحلب	مسحوق	داخلي	ام ضريقة
	مستحلب		خارجي	بصل
	مستحلب		داخلي	حبة سوداء
		مسحوق	داخلي	عرعر
	مستحلب		داخلي	رعي الحمام
	مستحلب		داخلي	بابونج
	مستحلب	مسحوق	داخلي	انيسون
	مستحلب		داخلي	نعناع
	مستحلب	مسحوق	داخلي	قرطوفة
	مستحلب	مسحوق	داخلي	ريحان
	اكل		داخلي	تمر
	شراب		داخلي/خارجي	عسل النخل
	مستحلب	مسحوق	داخلي	قرنفل
	مستحلب		داخلي	سدرت الدوا
	تبخير		خارجي	حلتيت
	أكل		خارجي	قرع
		مسحوق	داخلي	حرمل
	مستحلب		داخلي	كف مریم

الملاحق

	أكل	مسحوق	داخلي	دكار
	مستحلب		داخلي	هرماس
	مستحلب	مسحوق	داخلي	وزوازة
	أكل		داخلي	الحارة
	مستحلب		خا/داخلي	دباغ
		مسحوق	خارجي	مسك
		مسحوق	خارجي	مستكى
	مستحلب	مسحوق	داخلي	نوى التمر
	مستحلب		داخلي	تبوخت
	مستحلب	مسحوق	داخلي	كر كم

الملاحق

الجدول رقم 3: يوضح مختلف النباتات المستعملة من طرف المبحوثين (أنظر في الملحق)

الاسم المحلي	الاسم العربي	الاسم اللاتيني	البلد الأصلي للمنتوج
'سرغينة'	بخور مور كشة	<i>Corrigiola Telephiuifolia</i>	الجزائر؛ المغرب؛ موريتانيا
'عود نوار' / انيورفيلين	قرنفل	<i>Syzygium aromaticum</i>	آسيا
زعفران حر / تانجميت	زعفران	<i>Crocus sativus L.</i>	اسبانيا؛ إيران؛ المغرب
'تمر الطيب'	جوزة الطيب	<i>Myristica fragrans</i>	آسيا
'العنبر'	مسك العنبر	Amber	باكستان
جاوي	جاوي	<i>Styrax benzoin</i>	سومطرة، الصين
المستكة الحرة/ تايديت	صمغ الضرع	<i>pistachier lentisque</i>	اليونان
زعفران/ زعفرور	قرطم	<i>Carthamus tinctorius</i>	الجزائر
الحنا / حنة	حناء	<i>Lawsonia inermis</i>	الجزائر
نخل	نخل	<i>Phoenix dactylifera</i>	الجزائر
حلبة	حلبة	<i>Trigonelle foenum-garecum.</i>	الجزائر
شيع / زازاري	شيع	<i>Atimisia herba alba</i>	الجزائر
حنثيت	حلتيت	<i>assa foetida'</i>	الجزائر
بشنة/ اينلي	دخن	<i>Pennisetum glaucum</i>	الجزائر
عقاية	قلاّب	<i>Zygophylum sp.</i>	الجزائر
ألالة/ تقوفت/ ام النفسة/ تدوق	الشيع ذو الساق الاحمر	<i>Artemisia campestris</i>	الجزائر

الملاحق

الجزائر	<i>Rosmarinus officinalis</i>)	اكليل الجبل	لازير
الجزائر	<i>Matricaria pubescens</i>	بابونج صحراوي	الوزوارة/اينسيس
الجزائر	<i>Cotula cinerea</i>		قرطوفة/ تاكالت
الجزائر	<i>Ammodaucus leucotrichus</i>	كمون صحراوي	ام ضريقة
الجزائر	<i>Nigella sativa</i>	حبة سوداء	سانوج
الجزائر	<i>Triticum sp</i>	قمح	قمح
الجزائر	<i>Hordeum vulgare</i>	شعير	شعير
الجزائر	<i>Solanum lycopersicum</i>	طماطم	طماطيش
الجزائر	<i>Erica sativa</i>	جر جير	الحارة
الجزائر	<i>Ocimum basilicum</i>	حبق	حبق
الجزائر	<i>Allium cepa</i>	بصل	بصل
الجزائر	<i>Allium sativum</i>	ثوم	ثوم
الجزائر	<i>coriandrum sativum</i>	كزبرة	قصر
الجزائر	<i>Haplophyllum tuberculatum</i>	فيجل	صدره الدوا/ تيفسكن
الجزائر	<i>Salvia aegyptiaca</i>	قصعين مصري	بوفتاش/ساساف
الجزائر	<i>Cassia Obovata</i>	سنا (ثمار)	الزينة /كاسيا
الهند	<i>Nardostachys jatamansi</i>	ناردين	السنبل / تياهيت

أشهر العلماء العرب

- من أشهرهم أبو بكر الرازي (865-925م) الذي خلف لنا كتابه المشهور "الحاوي" ويعتبر من أهم الكتب في التاريخ وأكثرها شمولاً. فهو موسوعة طبية صيدلية كيميائية. "ومن الأقوال المشهورة أن: الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس. كان الطب متفرقا فجمعه الرازي. أما أشهر كتبه قاطبة فهو كتاب "الحاوي" الذي بقي مرجعاً هاماً في أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي"¹.

- علي بن عباس المجوسي (المتوفى عام 884م) الذي ألف أحد أشهر كتب الطب 'الكتاب الملوكي' الذي ترجم إلى اللاتينية عام